لطائف المعارف

فيما لمواسم العام من الوظائف

تأليف
الإمام الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلى
المتوفى سنة ٧٩٥ هـ

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

مكتبة الإيمان - للنشر والتوزيع
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
تليفون: ٣٥٧٨٨٢

ترجمة المؤلف

هو الإمام الحافظ زين الدين وجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن عبد الرحمن، الملقب رجب السلامى البغدادى ثم الدمشقى الحنبلى، الشهير بابن رجب الحنبلي.

ولد العلامة ابن رجب فى بغداد سنة ٧٣٦ هـ، وقدم دمشق مع والده وهو صغير سنة ٧٤٤ هـ. وفيها بدأ تلقيه للعلوم فسمع الحديث وقرأ القرآن بالروايات وأكثر عن الشيوخ، ورحل إلى مكة ومصر وغيرهما، وكان يسكن بالمدرسة السكرية بالقصاعين.

برع الشيخ فى فن الحديث وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبع الطرق. وكانت له مجالس تذكير للقلوب صادعة، وللناس عامة مباركة نافعة. اجتمعت عليه الفرق ومالت القلوب بالمحبة إليه.

ترك ابن رجب مصنفات كثيرة مفيدة، منها:

* الاستخراج فى أحكام الخراج (مطبوع).
* القواعد الفقهية (مطبوع).
* ذيل طبقات الحنابلة (مطبوع).
* فضل علم السلف على علم الخلف (مطبوع).
* لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف وهو كتابنا هذا .
* الفرق بين النصح والتعيير (مطبوع).
* شرح حديث ما ذئبان جائعان (مطبوع).
* شرح علل الترمذى (مطبوع).

وغيرها كثير.

أقوال العلماء فيه:

* قال ابن فهد في «ذيل تذكرة الحفاظ»: الإمام الحافظ الحُجَّةُ والفقيه العمدة، أحد العلماء الزُّهَّاد والأئمة العباد، مفيد المحدثين واعظ المسلمين.

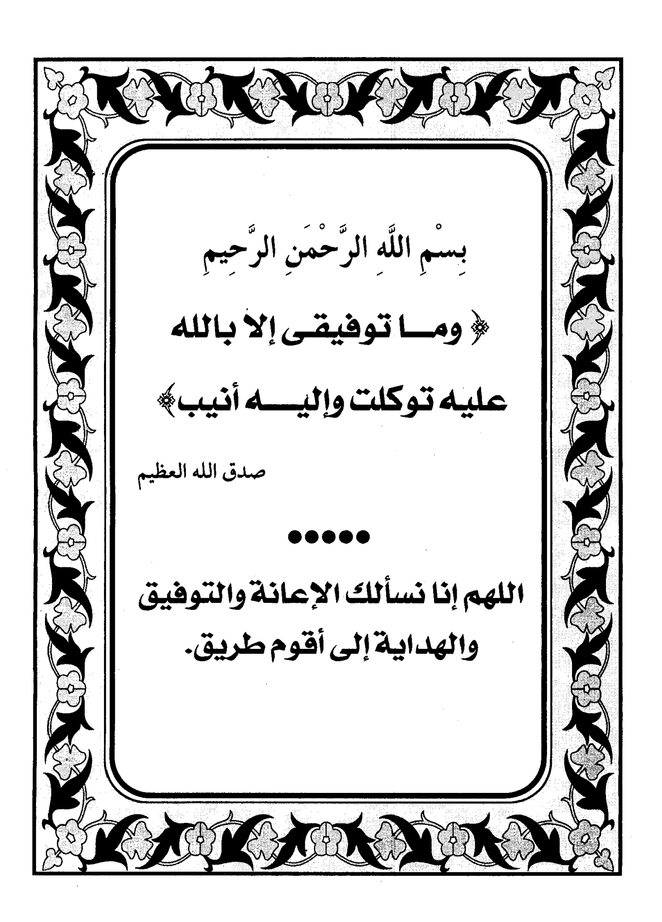
كان ـ رحمه الله ـ إماماً ورعاً زاهداً، مالت القلوب بالمحبة إليه، وأجمعت الفرق عليه، كانت مجالس تذكيره الناس عامةً نافعةً وللقلوب صادعةً.

* وقال السيوطي: الإمام الحافظ، المحدث الواعظ.

* وقال ابن العماد الحنبلي: الحافظ زين الدين وجمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن، الشيخ الإمام العالم العلامة، الزاهد القدوة.

توفي رحمه الله في يوم الإثنين رابع عشر رمضان سنة ٧٩٥ هـ، ودفن بباب الصغير بدمشق.

الناشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ومـا توفيقـى إلا بالله عليه توكلت وإليـــه أنيب ﴾

صدق الله العظيم

●●●●●

اللهم إنا نسألك الإعانة والتوفيق والهداية إلى أقوم طريق.

مقدمة المؤلف

الحمد لله الملك القهار، العزيز الجبار، الرحيم الغفار، مقلب القلوب والأبصار، مقدر الأمور كما يشاء ويختار، مكور النهار على الليل ومكور الليل على النهار، أسبل ذيل الليل فأظلم للسكون والاستتار، وأنار منار النهار فأضاء للحركة والانتشار، وجعلهما مواقيت الأعمال ومقادير الأعمار، وخلق الشمس والقمر يجريان بحسبان ومقدار، ويتعاقبان فى دارة الفلك الدائر على تعاقب الأدوار، وجعلهما معالم يعلم بهما أوقات الليالى والأيام والشهور والأعوام فى هذه الدار، ويهتدى بهما إلى ميقات الصلاة والزكاة والحج والصيام والإفطار، حجة قائمة قاطعة للأعذار، وحكمة بالغة من حكيم عليم ذى اقتدار.

أحمده وحلاوة محامده تزداد مع التكرار، وأشكره وفضله على من شكر مدرار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبرئ القلب من الشرك بصحة الإقرار، وتبوّئ قائلها دار القرار.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البدر جبينه إذا سرَ استنار، واليم يمينه فإذا سئل أعطى عطاء من لا يخشى الإقتار، والحنيفية دينه الدين القيم المختار، رفع الله ببعثته عن أمته الأغلال والآصار، وكشف بدعوته أذى البصائر وقذى الأبصار، وفرق بشريعته بين المتقين والفجار حتى امتاز أهل اليمين من أهل اليسار، وانفتحت أقفال القلوب فانشرحت بالعلم والوقار وزال عن الأسماع أثقال الأوقار[1].

صلى الله عليه وعلى آله أولى الإقدام والأقدار، وعلى أصحابه أقطاب الأقطار، صلاة تبلغهم بها فى تلك الأوطان نهاية الأوطار، وسلم تسليما.

*** أما بعد:**

فقد قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ

(١) الأوقار: جمع وقر: والوقر: ثقل فى الأذن. «لسان العرب» (٦/ ٤٨٨٩)

مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾[1]. وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [2]

فأخبر سبحانه وتعالى أنه علق معرفة السنين والحساب على تقدير القمر منازل، وقيل: بل على جعل الشمس ضياء والقمر نورا، وجعل حساب السنة والشهر يعرف بالقمر، واليوم والأسبوع يعرف بالشمس، وبمعرفة ذلك يتم الحساب، وقوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ لما كان الشهر الهلالى لا يحتاج إلى عد لتوفيته بما بين الهلالين لم يقل لتعلموا عدد الشهور فإن الشهر لا يحتاج إلا عده إلا إذا غم آخره فيكمل عدده بالاتفاق إلاَّ فى شهر شعبان إذا غم آخره بالنسبة إلى صوم رمضان خاصة فإن فيه اختلافاً مشهورا، وأما السّنة فلابد من عددها إذ ليس لها حد ظاهر فى السماء فيحتاج إلى عددها بالشهور، ولا سيما مع تطاول السنين وتعددها. وجعل الله السنة اثنى عشر شهراً كما قال تعالى: **﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله﴾**[3] وذلك بعدد البروج التى تكمل بدور الشمس فيها السنة الشمسية، فإذا دار القمر فيها كلها كملت دورته السنوية.

وإنما جعل الله الاعتبار بدور القمر؛ لأن ظهوره فى السماء لا يحتاج إلى حساب ولا كتاب بل هو أمر ظاهر يشاهد بالبصر بخلاف سير الشمس فإنه تحتاج معرفته إلى حساب وكتاب. فلم يحوجنا إلى ذلك كما قال النبى ﷺ: «**إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا ـ وأشار بأصابعه العشر وختم إبهامه فى الثالثة ـ صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة**»[4]؛ وإنما علق الله تعالى على الشمس أحكام اليوم من الصلاة والصيام، حيث كان ذلك أيضاً مشاهداً بالبصر لا يحتاج إلى حساب ولا كتاب، فالصلاة تتعلق بطلوع الفجر وطلوع الشمس وزوالها وغروبها ومصير ظل الشىء مثله

---

(١) سورة الإسراء: آية ١٢.

(٢) سورة يونس: آية ٥.

(٣) سورة التوبة: آية ٣٦.

(٤) رواه البخارى(٢٣١٩) ومسلم (٢٤٧٢،٢٤٧٣) وأحمد (١٢٢/٢) وأبو داود (٢٣١٩) والنسائى (١٣٩/٤ـ ١٤٠) من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

وغروب الشفق والصيام يتوقت بمدة النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. وقوله تعالى: ﴿وَالْحِسَابَ﴾ يعنى بالحساب: حساب ما يحتاج إليه الناس من مصالح دينهم ودنياهم كصيامهم وفطرهم، وحجهم، وزكاتهم، ونذورهم، وكفاراتهم، وعدد نسائهم، ومدد إيلائهم، ومدد إجاراتهم، وحلول آجال ديونهم وغير ذلك مما يتوقت بالشهور والسنين. وقد قال الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[1]. فأخبر أن الأهلة مواقيت للناس عموماً وخص الحج من بين ما يوقت به للاهتمام به.

وجعل الله سبحانه وتعالى فى كل يوم وليلة لعباده المؤمنين وظائف موظفة عليهم من وظائف طاعته فمنها: ما هو فرض كالصلوات الخمس، ومنها ما يندبون إليه من غير افتراض كنوافل الصلاة والذكر وغير ذلك، وجعل فى شهور الأهلة وظائف موظفة أيضاً على عباده كالصيام والزكاة والحج، ومنه فرض مفروض عليهم كصيام رمضان وحجة الإسلام، ومنه ما هو مندوب كصيام شعبان وشوال والأشهر الحرم.

وجعل الله سبحانه لبعض الشهور فضلاً على بعض، كما قال تعالى: ﴿منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[4]، كما جعل بعض الأيام والليالى أفضل من بعض وجعل ليلة القدر خيراً من ألف شهر، وأقسم بالعشر وهو عشر ذى الحجة على الصحيح كما سنذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى، وما من هذه المواسم الفاضلة موسم إلاَّ ولله تعالى فيه وظيفة من وظائف طاعاته يتقرب بها إليه ولله فيها لطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يشاء بفضله ورحمته عليه، فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات فعسى أن تصيبه نفحة من تلك

---

(١) سورة البقرة : آية ١٨٩

(٢) سورة التوبة ٣٦.

(٣) سورة البقرة : آية ١٩٧

(٤) سورة البقرة: آية ١٨٥

النفحات فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات.

وقد خرج ابن أبى الدنيا والطبرانى وغيرهما من حديث أبى هريرة مرفوعاً: **«اطلبوا الخير دهركم وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم»**[(1)]، وفى رواية للطبرانى من حديث محمد بن مسلمة مرفوعاً: **«إن لله فى أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبداً»**[(2)]. وفى مسند الإمام أحمد عن عقبة بن عامر عن النبى ﷺ قال: **«ليس من عمل يوم إلاَّ يختم عليه»**[(3)]. وروى ابن أبى الدنيا بإسناده عن مجاهد قال: ما من يوم إلاَّ يقول ابن آدم قد دخلت عليك اليوم ولن أرجع إليك بعد اليوم فانظر ماذا تعمل فىّ، فإذا انقضى طواه ثم يختم عليه فلا يفك حتى يكون الله هو الذى يفض ذلك الخاتم يوم القيامة؛ يقول اليوم حين ينقضى الحمد لله الذى أراحنى من الدنيا وأهلها. ولا ليلة تدخل على الناس إلاَّ قالت كذلك. وبإسناده عن مالك بن دينار قال: كان عيسى عليه السلام يقول: إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما. وكان يقول: اعملوا الليل لما خلق له واعملوا النهار لما خلق له. وعن الحسن قال: ليس يوم يأتى من أيام الدنيا إلاَّ يتكلم يقول: يا أيها الناس إنى يوم جديد وإنى على ما يُعْمل فىّ شهيد وإنى لو قد غربت الشمس لم أرجع إليكم

---

(1) **ضعيف**. رواه ابن أبى الدنيا فى « الفرج بعد الشدة» (٢٧) والبيهقى فى « شعب الإيمان» (١١٢٢) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى سنده عيسى بن موسى بن محمد بن إياس بن البكير الليثى. قال أبو حاتم فى « الجرح والتعديل» (٦/ ١٥٨٢) ضعيف. وقال الذهبى فى « الميزان» (٣/ ٦٦١٥): لا يعرف. والحديث رواه البيهقى فى(الشعب) (١١٢١) والحكيم الترمذى فى « نوادر الأصول» (٢٢٣) من حديث أنس بن مالك. وقال المناوى فى « فيض القدير» (١/ ٥٤١): فيه حرملة بن يحيى التجيبى قال أبو حاتم لا يحتج به. وأورده الذهبى فى الضعفاء والمتروكين والحديث رمز له السيوطى بالضعف فى « الجامع الصغير».

(2) **ضعيف**. رواه الطبرنى فى « الكبير» (١٩/ ٢٣٣) برقم (٥١٩) وفى « الأوسط» (٢٨٥٦,٦٢٤٣ ـ ط الحرمين» وفى سنده راويان مبهمان. وقال الهيثمى فى « مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٣١) فيه من لم أعرفهم.

(3) **صحيح**. رواه أحمد(٤/ ١٤٦) والطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ٢٨٤) برقم (٧٨٢) وفى « الأوسط» (١٠٠ ـ مجمع البحرين) والحاكم (٤/ ٣٠٩) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبى بقوله: رشدين واه. اهـ والحديث عند أحمد والطبرانى من طريق ابن لهيعة، وقد رواه عنه عبد الله بن المبارك عند أحمد فالحديث صحيح من هذا الطريق.

إلى يوم القيامة. وعنه[1] أنه كان يقول: يا ابن آدم اليوم ضيفك والضيف مرتحل يحمدك أو يذمك وكذلك ليلتك. وبإسناده[2] عن بكر المزنى أنه قال: ما من يوم أخرجه الله إلى أهل الدنيا إلاَّ ينادى ابن آدم اغتنمنى لعله لا يوم لك بعدى، ولاَ ليلة إلاَّ تنادى ابن آدم اغتنمنى لعله لا ليلة لك بعدى. وعن عمر بن ذر أنه كان يقول: اعملوا لأنفسكم رحمكم الله فى هذا الليل وسواده فإن المغبون من غبن خير الليل والنهار والمحروم من حرم خيرهما، إنما جعلا سبيلاً للمؤمنين إلى طاعة ربهم، ووبالا علي الآخرين للغفلة عن أنفسهم، فأحيوا الله أنفسكم بذكره فإنما تحيا القلوب بذكر الله عز وجل. عن أبى موسى رضى الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: **«مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت»**[3]، كم من قائم لله فى هذا الليل قد اغتبط بقيامه فى ظلمة حفرته، وكم من نائم فى هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله عز وجل للعابدين غداً، فاغتنموا ممر الساعات والليالى والأيام رحمكم الله». وعن داود الطائى أنه قال: إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهى بهم ذلك إلى آخر سفرهم فإن استطعت أن تقدم فى كل مرحلة زاداً لما بين يديها فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو، والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك واقض ما أنت من أمرك فكأنك بالأمر قد بغتك.

قال ابن أبى الدنيا: وأنشدنا محمود بن الحسين:

مَضَى أمسُك الماضى شهيداً مُعدّلاً ... وأعقبَهُ يومٌ عليكَ جَديدُ
فيومُكَ أن أغنيته عادَ نفعُهُ ... عَلَيْكَ وَمَاضى الأمسِ ليسَ يَعُودُ
فانْ كنتَ بالأمس اقْتَرفْتَ اساءةً ... فَثَنِّ باحْسانٍ وأنتَ حميدُ
فلا تُرْجِ فِعلَ الخيرِ يوماً إلى غدٍ ... لعلَّ غداً يأتى وأنتَ فقيدُ

---

(١) أى الحسن البصرى رحمه الله .
(٢) أى ابن الدنيا رحمه الله
(٣) رواه البخارى (٦٤٠٧) كتاب الدعوات، باب: فضل ذكر الله عز وجل.

وفى تفسير عبد بن حميد وغيره من التفاسير المسندة عن الحسن فى قول الله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[1] قال: من عجز بالليل كان له من أول النهار مستعتب، ومن عجز بالنهار كان له من الليل مستعتب. وعن قتادة قال: إن المؤمن قد ينسى بالليل ويذكر بالنهار، وينسى بالنهار ويذكر بالليل. قال: وجاء رجل إلى سلمان قال: لا أستطيع قيام الليل، قال له: فلا تعجز بالنهار. قال قتادة: فأدوا إلى الله من أعمالكم خيراً فى هذا الليل والنهار فإنهما مطيتان تقحمان الناس إلى آجالهم يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد، وتجيئان بكل موعود إلى يوم القيامة.

وقد استخرت الله تعالى فى أن أجمع فى هذا الكتاب وظائف شهور العام وما يختص بالشهور ومواسمها من الطاعات كالصلاة والصيام، والذكر والشكر، وبذل الطعام وإفشاء السلام، وغير ذلك من خصال البررة الكرام ليكون ذلك عوناً لنفسى ولإخوانى على التزود للمعاد، والتأهب للموت قبل قدومه والاستعداد، وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد، ويكون أيضاً صالحاً لمن يريد الانتصاب للمواعظ من المذكرين، فإن من أفضل الأعمال عند الله لمن أراد به وجه الله إيقاظ الراقدين وتنبيه الغافلين، قال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]. ووعد من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس يبتغى به وجهه أجراً عظيماً وأخبر نبيه ﷺ أن من دعا إلى هدى فله مثل أجر من تبعه[3]. وكفى بذلك فضلاً عميماً.

وقد جعلت هذه الوظائف المتعلقة بالشهور مجالس، مجالس مرتبة على ترتيب شهور السنة الهلالية. فابدأ بالمحرم واختم بذى الحجة واذكر فى كل شهر ما

(١) سورة الفرقان: آية ٦٢

(٢) سورة الذاريات: آية ٥٥

(٣) رواه مسلم(٦٦٧٨) كتاب العلم، باب : من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة. وأبو داود (٤٦٠٩) والترمذى (٢٦٧٤) ورحمد(٢/٣٩٧) وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»

فيه من هذه الوظائف، وما لم يكن له وظيفة خاصة لم أذكر فيها شيئاً، وختمت ذلك كله بوظائف فصول السنة الشمسية وهى ثلاثة مجالس فى ذكر الربيع والشتاء والصيف، وختمت الكتاب كله بمجلس فى التوبة والمبادرة بها قبل انقضاء العمر فإن التوبة وظيفة العمر كله، وأبدأ قبل ذكر وظائف الشهور بمجلس في فضل التذكير بالله يتضمن ذكر بعض ما فى مجالس التذكير من الفضل وسميته: «**لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**»، والله تعالى المسئول أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ومقرباً إليه وإلى داره دار السلام والنعيم المقيم، وأن ينفعنا به وعباده المؤمنين، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى، ويختم لنا بخير فى عافية، فإنه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين آمين.

وهذا أوان الشروع فيما أردناه والبداءة بالمجلس الأول كما شرطناه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

●●●●●

مجلس فى فضل التذكير بالله تعالى

ومجالس الوعظ

خرَّج الإمام أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قلنا يا رسول الله، ما لنا إذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا فى الدنيا وكنا من أهل الآخرة، فإذا خرجنا من عندك فآنسنا أهلنا وشممنا أولادنا أنكرنا أنفسنا؟ فقال رسول الله ﷺ: **«لو أنكم إذا خرجتم من عندى كنتم على حالكم ذلكم لزارتكم الملائكة فى بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بخلق جديد حتى يذنبوا فيغفر لهم». قلت: يا رسول الله، مم خلق الخلق؟ قال: «من الماء» قلت: الجنة ما بناؤها؟ قال: «لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم لا ييأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم»**[1].

وكانت مجالس النبى ﷺ مع أصحابه عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب، إما بتلاوة القرآن، أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة، وتعليم ما ينفع فى الدين كما أمره الله تعالى فى كتابه أن يذكر ويعظ ويقص وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يبشر وينذر، وسماه الله **﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾**[2]والتبشير والإنذار: هو الترغيب والترهيب، فلذلك كانت تللك المجالس تُوجب لأصحابه ـ كما ذكره أبو هريرة رضى الله عنه فى هذا الحديث ـ رقة القلوب والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة.

فأما رقة القلوب فتنشأ عن الذكر فإن ذكر الله يوجب خشوع القلب وصلاحه ورقته ويذهب بالغفلة عنه قال الله تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا**

---

(١)صحيح بشواهده. رواه أحمد (٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥، ٤٤٥) والطيالسى (٢٥٨٣، ٢٥٨٤) والدارمى (٢/ ٣٣٣) والترمذى (٢٥٢٦) وأبو نعيم فى «صفة الجنة» (١٠٠، ١٣٦) وابن حبان (٧٣٨٧ ـ احسان) وفى سنده« ابو مدلة مولى عائشة« يقال اسمه عبد الله» وهومقبول كما فى « التقريب» (١٢/ ٤٧٠) ولكن للحديث شواهد يرتقى بها. وقد ذكرها محقق « الإحسان» (١٦/ ٣٩٧).

(٢) قال الله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]

بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[١]، وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٥].

وقال العرباض بن سارية: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون[٦]. وقال ابن مسعود: نعم المجلس المجلس الذى تنشر فيه الحكمة، وترجى فيه الرحمة هى مجالس الذكر. وشكا رجل إلى الحسن قساوة قلبه فقال: أدنه من الذكر، وقال: مجلس الذكر محياة العلم، وتحدث فى القلب الخشوع. القلوب الميتة تحيا بالذكر كما تحيا الأرض الميتة بالقطر:

بذكر الله ترتاح القلوب   ودنيانا بذكراه تطيب

وأما الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة فبما يحصل فى مجالس الذكر من ذكر عيوب الدنيا وذمها والتزهيد فيها، وذكر فضل الجنة ومدحها والترغيب فيها، وذكر النار وأهوالها والترهيب منها، وفى مجالس الذكر تنزل الرحمة وتغشى السكينة وتحف الملائكة ويذكر الله أهلها فيمن عنده وهم قوم لا يشقى بهم

---

(١) سورة الرعد: آية ٢٨ .
(٢) سورة الأنفال: آية ٢.
(٣) سورة الحج: آية ٣٤ ـ ٣٥.
(٤) سورة الحديد: آية ١٦.
(٥) سورة الزمر: آية ٢٣.
(٦) صحيح. رواه أحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذى (٢٦٧٦) والدارمى (١/ ٤٤) وابن ماجه (٤٣) وابن أبى عاصم(٣٢، ٥٤، ٥٧) والآجرى فى « الشريعة» (٩٢) والطحاوى فى « مشكل الآثار»(٢/ ٦٩) واللالكائى فى «أصول الاعتقاد» (٨٠، ٨١) وأبو نعيم فى « الحيلة» (٥/ ٢٢٠ ـ ٢٢١)،(١٠/ ١١٤)والطبرانى فى «الكبير» (١٨/ ٦١٨، ٦١٩)،(٦٢١٠, ٦٢٤) وفى«مسند الشاميين» (٤٣٧، ٤٣٨) وابن عبد البر فى « جامع بيان العلم» (٢/ ١٨١٠ ـ ١٨٢) والبغوى فى « شرح السنة» (١٠٢) وابن حبان(٥ ـ احسان) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى. وقال الترمذى: حسن صحيح..

جليسهم، فربما رحم معهم من جلس إليهم وإن كان مذنباً، وربما بكى فيهم باك من خشية الله فوُهبَ أهل المجلس كلهم له، وهى رياض الجنة. قال النبى ﷺ: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**»، **قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «مجالس الذكر»**.[(١)]

فإذا انقضى مجلس الذكر فأهله بعد ذلك على أقسام:

* فمنهم من يرجع إلى هواه فلا يتعلق بشىء مما سمعه فى مجلس الذكر ولا يزداد هدى ولا يرتدع عن ردىء، وهؤلاء أشر الأقسام، ويكون ما سمعوه حجة عليهم فتزداد به عقوبتهم وهؤلاء الظالمون لأنفسهم: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾[(٢)].

* ومنهم من ينتفع بما سمعه وهم على أقسام فمنهم من يرده ما سمعه عن المحرمات ويوجب له التزام الواجبات، وهؤلاء المقتصدون أصحاب اليمين؛ ومنهم من يرتقى عن ذلك إلى التشمير فى نوافل الطاعات والتورع عن دقائق المكروهات ويشتاق إلى اتباع آثار من سلف من السادات وهؤلاء السابقون المقربون.

وينقسم المنتفعون بسماع مجلس الذكر فى استحضار ما سمعوه فى المجلس والغفلة عنه إلى ثلاثة أقسام: فقسم يرجعون إلى مصالح دنياهم المباحة فيشتغلون بها فتذهل بذلك قلوبهم عما كانوا يجدونه فى مجلس الذكر من استحضار عظمة الله وجلاله وكبريائه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه، وهذا هو الذى شكاه الصحابة إلى النبى ﷺ وخشوا لكمال معرفتهم وشدة خوفهم أن يكون نفاقا فأعلمهم النبى ﷺ أنه ليس بنفاق. وفى صحيح مسلم عن حنظلة أنه قال: يا رسول الله، نافق حنظلة، قال: «وما ذاك؟» قال: نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار كأنها رأى عين، فإذا رجعنا من عندك عافسنا[(٣)] الأزواج والضيعة[(٤)]، ونسينا كثيراً، فقال: «لو

---

(١) **حسن بطرقه وشواهده**. رواه أحمد (٣/ ١٥٠) والترمذى (٣٥١٠) وابو يعلى (٣٤٣٢) وابن عدى فى «الكامل» (٦/ ٢١٤٧) والبيهيقى فى «شعب الإيمان» (٥٢٩) وفى سنده محمد بن ثابت البنانى وهو ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ١٤٨) ولكنه قد توبع. وللحديث أيضاً شواهد وانظر «الصحيحة» (٢٥٦٢).

(٢) سورة النحل: آية ١٠٨.

(٣) عافسنا: أى عالجنا معايشنا وحظوظنا.

(٤) الضيعة: معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة.

تدومون على الحال التى تقومون بها من عندى لصافحتكم الملائكة فى مجالسكم وفى طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»[1]. وفى رواية له أيضاً: «لو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق»[2]. ومعنى هذا: أن استحضار ذكر الآخرة بالقلب فى جميع الأحوال عزيز جداً ولا يقدر كثير من الناس أو أكثرهم عليه، فيكتفى منهم بذكر ذلك أحياناً، وإن وقعت الغفلة عنه في حال التلبس بمصالح الدنيا المباحة، ولكن المؤمن لا يرضى من نفسه بذلك بل يلوم نفسه عليه ويحزنه ذلك من نفسه. العارف يتأسف فى وقت الكدر على زمن الصفا، ويحن إلى زمان القرب والوصال فى حال الجفا وأنشدوا.

ما أذكر عيشنا الذى قـــد سلفا إلاَّ وجف القلب وكم قد وجـفـا[3]

واها لزماننا الذى كـــان صفـا هل يرجع بـعد فـوتـــه وا أسـفــا

وقسم آخر يستمرون على استحضار حال مجلس سماع الذكر فلا يزال تذكر ذلك بقلوبهم ملازماً لهم وهؤلاء على قسمين: **أحدهما**: من يشغله ذلك عن مصالح دنياه المباحة فينقطع عن الخلق فلا يقوى على مخالطتهم ولا القيام بوفاء حقوقهم، وكان كثير من السلف على هذه الحال فمنهم من كان لا يضحك أبداً، ومنهم من كان يقول: لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة لفسد. **والثانى**: من يستحضر ذكر الله وعظمته وثوابه وعقابه بقلبه، ويدخل ببدنه فى مصالح دنياه من اكتساب الحلال والقيام على العيال ويخالط الخلق فيما يوصل إليهم به النفع مما هو عبادة فى نفسه كتعلم العلم والجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهؤلاء أشرف القسمين، وهم خلفاءُ الرسل، وهم الذين قال فيهم على رضى الله عنه: صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى.

---

(١) رواه مسلم(٦٨٣٢) كتاب التوبة ، باب: فضل دوام الذكر والفكر فى أمور الآخرة والمراقبة، والترمذى (٢٥١٤) فى صفة القيامة. وابن ماجه فى « الزهد» (٤٢٣٩) باب: المداومة على العمل

(٢) رواه مسلم (٦٨٣٣) كتاب التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر فى أمور الآخرة والمراقبة، وجواز ترك ذلك فى بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا.

(٣) وجف القلب: خفق.

وقد كان حال النبى ﷺ عند الذكر يتغير ثم يرجع بعد انقضائه إلى مخالطة الناس والقيام بحقوقهم.

ففى مسند البزار ومعجم الطبرانى عن جابر رضى الله عنه قال: «كان النبى ﷺ إذا نزل عليه الوحى قلت: نذير قوم، فإذا سُرِّى عنه، فأكثر الناس ضحكاً وأحسنهم خلقاً»[١].

وفى مسند الإمام أحمد عن على أو الزبير قال: «كان رسول الله ﷺ يخطبنا فيذكرنا بأيام الله حتى نعرف ذلك فى وجهه وكأنه نذير جيش يصبحهم الأمر غدوة، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكاً حتى يرتفع عنه»[٢].

وفى صحيح مسلم عن جابر: «أن النبى ﷺ كان إذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم»[٣].

وفى الصحيحين عن عدى بن حاتم أن النبى ﷺ قال: «اتقوا النار وأشاح، ثم قال: اتقوا النار، ثم اعرض وأشاح ثلاثاً حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة»[٤].

وسئلت عائشة كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا مع نسائه؟ قالت: كان كرجل من رجالكم إلاّ أنه: «كان أكرم الناس، وأحسن الناس خلقاً، وكان ضحَّاكاً بسَّاماً» فهذه الطبقة خلفاء الرسل عاملوا الله بقلوبهم وعاشروا الخلق بأبدانهم، كما قالت رابعة[٥]:

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى   وأبحت جسمى من أراد جلوسى

---

(١) ضعيف. رواه البزار(٢٤٧٧) وفى سنده ابن أبى ليلى، وهو سيئ الحفظ. وأبو الزبير المكى: مدلس وقد عنعنه

(٢) ضعيف. رواه أحمد (١/ ١٦٧) والطبرانى فى «الكبير» وفى « الأوسط» (٢٦٣٤ ـ ط الحرمين) وأبو يعلى (٦٧٧) عن الزبير وفى سنده أبى الزبير المكى وهو مدلس وقد عنعنه.

(٣) رواه مسلم (١٩٧٢) وأحمد (٣/ ٣١٩، ٣٧١) والنسائى (٣/ ١٨٨) وابن ماجه فى «المقدمة» (٤٥) والبيهقى فى «السنن الكبرى» (٣/ ٢١٣) وابن المبارك فى مسنده (٨٧)

(٤) رواه البخارى فى «الرقاق» (٦٥٦٣) باب: صفة الجنة والنار. ومسلم (٢٣١١) كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، والنسائى فى « الزكاة» (٥/ ٧٥) باب: القليل فى الصدقة.

(٥) هى رابعة بنت إسماعيل العدوية. انظر ترجمتها فى «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٢٤١).

فالجسم منـي للجليس مؤانـس   وحبيب قلبـي فـي الفؤاد أنيسي

المواعظ سياط تضرب بها القلوب فتؤثر فى القلوب كتأثير السياط فى البدن، والضرب لا يؤثر بعد انقضائه كتأثيره فى حال وجوده لكن يبقى أثر التألم بحسب قوته وضعفه. فكلما قوى الضرب كانت مدة بقاء الألم أكثر. كان كثير من السلف إذا خرجوا من مجلس سماع الذكر خرجوا عليهم السكينة والوقار. فمنهم من كان لا يستطيع أن يأكل طعاماً عقب ذلك، ومنهم من كان يعمل بمقتضى ما سمعه مدة، أفضل الصدقة: تعليم جاهل، أو إيقاظ غافل، ما وُصِلَ المستثقل فى نوم الغفلة بأفضل من ضربه بسياط الموعظة ليستيقظ. المواعظ كالسياط تقع على نياط القلوب فمن آلمته فصاح فلا جناح، ومن زاد ألمه فمات فدمه مباح.

قضى الله فى القتلى قصاص دمائهم   ولكن دماء العاشقين جُبَار[1]

وعظ عبد الواحد بن زيد يوماً فصاح به رجل: يا أبا عبيدة كف فقد كشفت بالموعظة قناع قلبى، فأتم عبد الواحد موعظته فمات الرجل. صاح رجل فى حلقة الشبلى فمات فاستعدى أهله على الشبلى إلى الخليفة، فقال الشبلى: نفس رقت فحنت فدعيت فأجابت فما ذنب الشبلى.

فَكَّر فـي أفعالـه ثـم صـاح   لا خير فى الحب بغير افتضاح

قد جئتكم مستأمناً فارحموا   لا تقتلونى قد رميـت السلاح

إنما يصلح التأديب بالسوط من صحيح البدن، ثابت القلب، قوى الذراعين، فيؤلم ضربه فيردع. فأما من هو سقيم البدن لا قوة له فماذا ينفع تأديبه بالضرب. كان الحسن إذا خرج إلى الناس كأنه رجل عاين الآخرة ثم جاء يخبر عنها. وكانوا إذا خرجوا من عنده خرجوا وهم لا يعدون الدنيا شيئاً. وكان سفيان الثورى يتعزى بمجالسه عن الدنيا. وكان أحمد لا تذكر الدنيا فى مجلسه ولا تذكر عنده. قال بعضهم: لا تنفع الموعظة إلا إذا خرجت من القلب فإنها تصل إلى القلب، فأما إذا خرجت من اللسان فإنها تدخل من الأذن ثم تخرج من الأخرى. قال بعض السلف إن العالم إذا لم يرد بموعظته وجه الله زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا. كان يحيى بن معاذ ينشد فى مجالسه:

---

(١) الجبار من الدم: الهدر، وهو ما لاقصاص فيه ولا غرم.

مواعظُ الواعـــظ لـــن تُقْبَلا حتّى تَعيها نَفْسُه أوّلا
ياقَومْ مَنْ أظْلَمِ مِن واعظ قد خالف ما قَالَهُ فى الملا
أظْهَـــر بيَن النَّاس إحـــسانَهُ وبـــارزَ الرَّحمنَ لَّمــا خــلاَ

العالم الذى لا يعمل بعلمه كمثل المصباح يضىء للناس ويحرق نفسه. قال أبو العتاهية[1]:

وبخت غيرك بالعمى فأفدتـه بصرا وأنت محـسن لعمالكا
وفتيلة المصباح تحـرق نفسهـا وتضىء للأعشى وأنت كذالكا

المواعظ درياق[2] الذنوب: فلا ينبغى أن يسقى الدرياق إلاَّ طبيب حاذق معافى، فأما لذيع الهوى فهو إلى شرب الدرياق أحوج من أن يسقيه لغيره.

فى بعض الكتب السالفة: إذا أردت أن تعظ الناس فعظ نفسك فإن اتعظت وإلاَّ فاستحى منى.

وغيرُ تقىٍّ يأمرُ النَّاس بالتُّقى طبيبٌ يُداوى الَّناسَ وهُوَ سقيمُ
يا أيُّها الرَّجَلُ المعلِّمُ غيْرهُ هلا لنفسكَ كانَ ذَا التَّعليم
فابدأ بنسك فانهها عن غيِّها فإن انتهتْ عنه فانت حكيمُ
فَهُناك يُقْبَلُ ماتَقُول ويُقْتَدى بالقَوْلِ مِنْكَ وينْفَعُ التَّعليمُ
لا تَنْهَ عَنْ خُلقٍ وتَأْتى مثلهُ عارٌ عليك إذا فعَلْت عظيمُ

لما جلس عبد الواحد بن زيد الواعظ أتته امرأة من الصالحات فأنشدته:

يا واعظاً قامَ لاحتسابِ يزجُرُ قوماً عن الذُّنوبِ
تَنْهى وأنْت المُريبُ حقاً هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحْتَ قبلَ هذا عَيْبَكَ أو تبتَ من قريب

(١) أبو العتاهية: هو إسماعيل بن إسحاق بن قاسم بن سويد العنزي الكوفى. كان يقول فى الغزل والمديح والهجاء قديماً. ثم تنسك وعدل عن ذلك إلى الشعر فى الزهد وطريقة الوعظ فأحسن القول فيه. وجوّد وأربى على كل من ذهب ذلك المذهب. وأكثر شعره حكم وأمثال، وكان سهل القول، قريب المأخذ، بعيداً من التكلف، متقدماً فى الطبع. «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٥٠)

(٢) الدرياق: الترياق

كان لما قُلتَ يا حَبيبى مَوقُع صدْقٍ مِنَ القُلوب
تَنْهَى عن الغَىِّ والتَّمادِي وأنتَ فى النَّهى كالمُريب

لما حاسب المتقون أنفسهم خافوا من عاقبة الوعظ والتذكير. قال رجل لابن عباس: أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فقال له ابن عباس: إن لم تخش أن تفضحك هذه الآيات الثلاث فافعل وإلاَّ فابدأ بنفسك، ثم تلا: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُون. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[4]، قوله تعالى: حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[5]. قال النخعى: كانوا يكرهون القصص لهذه الآيات الثلاث. قيل لمطرف: ألا تعظ أصحابك؟ قال: أكره أن أقول ما لا أفعل. تقدم بعض التابعين ليصلى بالناس إماماً فالتفت إلى المأمومين يعدل الصفوف وقال: استووا فَغُشِىَ عليه فسئل عن سبب ذلك فقال: لما قلت لهم استقيموا فكرت فى نفسى فقلت لها فأنت هل استقمت مع الله طرفة عين.

ما كل من وصف الـــدوا يستعمله ولا كل من وصف التقى ذو تقى

وصفتُ التُّقَى حتى كأنَّــى ذو تُقَى وريـــــح الخطايا من ثيابى تَعبَقُ

ومع هذا كله فلابد للإنسان من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والوعظ والتذكير ولو لم يعظ إلاَّ معصوم من الزلل لم يعظ الناس بعد رسول الله ﷺ أحد لأنه لا عصمة لأحد بعده:

لئن لم يعظ العاصين من هو مذنب فمن يعــظ العاصين بعد محـمـد

وروى ابن أبى الدنيا بإسناد فيه ضعف عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله، وانهوا عن المنكر وإن لم تتناهوا عنه**

(١) سورة البقرة: آية ٤٤
(٢) سورة الصف: آية ٢, ٣
(٣) سورة هود: آية ٨٨.

كله»(1). وقيل للحسن: إن فلاناً لا يعظ ويقول: أخاف أن أقول ما لا أفعل، فقال الحسن: وأينا يفعل ما يقول، ودّ الشيطان أنه ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر. وقال مالك عن ربيعة: قال سعيد بن جبير: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر. قال مالك: وصدق. ومن ذا الذى ليس فيه شيء:

من ذا الذى ما ساء قط   ومن له الحسنى فقط

خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوماً فقال فى موعظته: إنى لأقول هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندى فأستغفر الله وأتوب إليه. وكتب إلى بعض نوابه على بعض الأمصار كتاباً يعظه فيه وقال فى آخره: وإنى لأعظك بهذا وإنى لكثير الإسراف على نفسى غير مُحْكِم لكثيرٍ من أمرى. ولو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم نفسه إذاً لتواكل الناس الخير، وإذاً لرفع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإذاً لاستحلت المحارم، وقلّ الواعظون والساعون لله بالنصيحة فى الأرض. والشيطان وأعوانه يودُّون أن لا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر. وإذا أمرهم أحد أو نهاهم عابوه بما فيه وبما ليس فيه كما قيل:

وأُعْلنت الفواحشُ فى البوادى   وصارَ النَّاسُ أَعْوانَ المريب
إذا ما عِبْتُهُم عابُوا مقالى   لما فى القَوم من تلك العُيوب
ووَدُّوا لو كَفَفْنا فاستَوينا   فَصَار النَّاسُ كالشىء المشوبِ
وكنَّا نَسْتَطِبُّ إذا مَرِضْنَا   فصار هلاكُنا بيد الطبيب

كان بعض العلماء المشهورين له مجلس للوعظ فجلس فيه يوماً فنظر إلى من حوله وهم خلق كثير وما منهم إلاَّ من قد رق قلبه أو دمعت عينه فقال لنفسه فيما بينه وبينها: كيف بك إن نجا هؤلاء وهلكت أنت. ثم قال فى نفسه: اللهم إن

(1) ضعيف: رواه الطبرانى فى « الأوسط» (٦٦٢٨٠ ـ ط الحرمين) و« الصغير» (٧٨/٢) بنحوه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه. وقال الهيثمى فى « المجمع» (٢٧٧,٧) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط من طريق عبد السلام بن عبد القدوس بن حبيب عن أبيه وهما ضعيفان

قضيت على غداً بالعذاب فلا تعلم هؤلاء بعذابى صيانة لكرمك لا لأجلى لئلا يقال: عذب من كان فى الدنيا يدل عليه، إلهى قد قيل لنبيك ﷺ: اقتل ابن أُبىّ المنافق فقال: «**لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**»[١]، فامتنع من عقابه لما كان فى الظاهر ينسب إليه، وأنا على كل حال فإليك أنسب.

زَوَّر رجل شفاعة إلى بعض الملوك على لسان بعض أكابر الدولة فاطلع المزوّر عليه على الحال فسعى عند الملك فى قضاء تلك الحاجة واجتهد حتى قضيت ثم قال للمزور عليه: ما كنا نخيب من علق أمله بنا ورجى النفع من جهتنا. إلهى فأنت أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين فلا تخيب من علق أمله ورجاءه بك وانتسب إليك ودعا عبادك إلى بابك، وإنْ كان متطفلاً على كرمك، ولم يكن أهلاً للسمسرة بينك وبين عبادك، لكنه طمع فى سعة جودك وكرمك، فأنت أهل الجود والكرم، وربما استحيا الكريم من رد من تطفل على سماط[٢] كرمه.

إن كنتُ لا أصلُحُ للقُربِ فشأنكم صفحٌ عن الذّنْبِ

وقوله ﷺ: «**لو لم تذنبوا لجاء الله بخلق جديد حتى يذنبوا فيغفر لهم**»[٣]. وخرّجه مسلم من وجه آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ثم لجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم**»[٤]. وفى حديث أبى أيوب عن النبى ﷺ قال: «**لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون ثم يغفر لهم**»[٥]. وفى رواية له أيضاً: «**لو لم يكن لكم ذنوب يغفرها الله لجاء الله بقوم لهم ذنوب فيغفر لهم**»[٦]. والمراد بهذا أن لله تعالى حكمة فى إلقاء الغفلة على قلوب عباده أحياناً حتى تقع منهم بعض الذنوب، فإنه لو استمرت لهم

---

(١) رواه البخارى (٤٩٠٥) ومسلم (٦٤٦٠) وأحمد (١٣٨/٣) والترمذى (٣٣١٥) من حديث جابر بن عبدالله رضى الله عنه

(٢) السماط: مايُمَدُّ ليوضع عليه الطعام فى المآدب ونحوها.

(٣) ضعيف. رواه أحمد(٢٨٩/١) وفى سنده يحيى بن عمرو بن مالك النُكرى. وهو ضعيف ويقال إن حماد بن زيد كذّبه« التقريب» (٢/ ٣٥٤)

(٤) رواه مسلم ٦٨٣١٠) كتاب التوبة، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة. وأحمد (٢/ ٣٠٩)

(٥) رواه مسلم(٦٨٢٩) كتاب التوبة، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة. والترمذى فى « الدعوات» ٣٥٣٩٠ باب: فى فضل التوبة والاستغفار.

(٦) رواه مسلم (٦٨٣٠) كتاب التوبة، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة.

اليقظة التى يكونون عليها فى حال سماع الذكر لما وقع منهم ذنب. وفى إيقاعهم فى الذنوب أحياناً فائدتان عظيمتان:

أحدهما: اعتراف المذنبين بذنوبهم وتقصيرهم فى حق مولاهم وتنكيس رءوس عجبهم، وهذا أحب إلى الله من فعل كثير من الطاعات، فإن دوام الطاعات قد توجب لصاحبها العجب. وفى الحديث: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من ذلك العجب»[١]. قال الحسن: لو أن ابن آدم كلما قال أصاب، وكلما عمل أحسن، أوشك أن يَجْنِ من العجب. قال بعضهم: ذنب أفتقر به إليه أحب إلى من طاعة أدل بها عليه، أنين المذنبين أحب إليه من زجل المسبحين؛ لأن زجل المسبحين ربما شابه الافتخار وأنين المذنبين يزينه الانكسار والافتقار، فى حديث: «إن الله لينفع العبد بالذنب يذنبه». قال الحسن: إن العبد ليعمل الذنب فلا ينساه ولا يزال متخوفاً منه حتى يدخل الجنة. المقصود من زلل المؤمن ندمه، ومن تفريطه أسفه، ومن اعوجاجه تقويمه، ومن تأخره تقديمه، ومن زلقه فى هوة الهوى أن يؤخذ بيده فينجى إلى نجوة النجاة شعر:

قرة عينى لابُدّ لى منك وإن ... أوحش بينى وبينك الزلـل
قرة عينى أنا الغريق فـخـذ ... كـف غريـق علـيـك يتكل

الفائدة الثانية: حصول المغفرة والعفو من الله لعبده، فإن الله يحب أن يعفو ويغفر، ومن أسمائه الغفار والعفو والتواب فلو عصم الخلق فلمن كان العفو والمغفرة. قال بعض السلف: أول ما خلق الله القلم كتب: إنى أنا التواب أتوب على من تاب[٢]. قال أبو الجلد: قال رجل من العاملين لله بالطاعة: اللهم

---

(١) حسن. رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» (٧٢٥٥) والخرائطى فى «مساوئ الأخلاق» (٥٩٩) والعقيلى فى «الضعفاء» (٢/ ١٥٩) وابن عدى فى «الكامل» (٣/ ٣٠٦) والقضاعى فى «مسند الشهاب» (١٤٤٧) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه. وفى سنده سلام بن أبى الصهباء، وهو مختلف فيه فقد ضعفه يحيى، وقال أحمد : حسن الحديث. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، وقال البخارى: منكر الحديث« ميزان الاعتدال» (٢/ ١٨٠) وقال ابن عدى: أرجو أنه لا بأس به. وللحديث شاهد يرتقى به رواه أبو الحسن القزوينى فى «الأمالى» (١٢/ ١) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه. وانظر «الصحيحة» لشيخنا الألبانى (٢/ ٢١١)

(٢) هذا الأثر يتعارض مع قول النبى ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم». فقال له اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد» رواه الترمذى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه وسنده صحيح.

أصلحني صلاحاً لا فساد عليّ بعده، فأوحى الله[1] تعالى إليه: إن عبادى المؤمنين كلهم يسألونى مثل ما سألت فإذا أصلحت عبادى كلهم فعلى من أتفضّل، وعلى من أعود بمغفرتى. كان بعض السلف يقول: لو أعلم أحب الأعمال إلى الله لأجهدت نفسىَ فيها؛ فرأى فى منامه قائلاً يقول لهُ. إنك تريد مالا يكون، إن الله يحب أن يغفره. قال يحيى بن معاذ: لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه لمْ يبتل بالذنب أكرم الخلق عليه.

يارب ٍّ أنتَ رَجائى وفيكَ حَسَّنْتُ ظَنِّى
يارب ٍّ فاغْفِرْ ذُنوبى وعافنى واعْفُ عنى
العفْو منْكَ إلـــهى والذَّنْبُ قد جاء منى
والظنُّ فيكَ جَميلٌ حَقق بحقِّكَ ظَنّى

وقوله ﷺ لأبى هريرة لما سأله: مم خلق الخلق فقال له: «من الماء». يدل على أن الماء أصل جميع المخلوقات ومادتها، وجميع المخلوقات خلقت منه. وفى «المسند» من وجه آخر عن أبى هريرة قال: قلت يا رسول الله، إذا رأيتك طابت نفسى وقرت عينى فأنبئنى عن كل شىء؟ فقال: «كل شىء خلق من ماء»[2]. وقد حكى ابن جرير وغيره عن ابن مسعود وطائفة من السلف: أن أول المخلوقات الماء. وروى الجوزجاني بإسناده عن عبد الله بن عمرو أنه سُئل عن بدء الخلق؟ فقال: من تراب وماء وطين ومن نار وظلمة، فقيل له: فما بدء الخلق الذى ذكرت؟ قال: من ماء ينبوع. وقد أخبر الله تعالى فى كتابه أن الماء كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض فقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[3]. وفى صحيح البخارى عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ قال: «كان الله ولم يكن شىء قبله». وفى رواية: «معه» وكان عرشه

(١) الوحى لا يكون إلا للأنبياء والرسل، اللهم إلا إذا كان يقصد بالوحى هنا الإلهام، وسياق الكلام يأبى ذلك.

(٢) **صحيح**. رواه أحمد (٢/ ٣٢٣) والحاكم(٤/ ١٦٠) وابن حبان (٢٥٥٩ ـ إحسان) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٣) سورة هود: آية ٧

على الماء، وكتب فى الذكر كل شىء، ثم خلق السموات والأرض»[1]. وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: **«إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»**[2]. وروى ابن جرير وغيره عن ابن عباس أن الله عز وجل كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسمى عليه، فسمى سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين ثم استوى إلى السماء وهى دخان وكان ذلك الدخان من نفس الماء حين تنفس ثم جعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات[3]. وعن وهب[4]: أن العرش كان قبل أن تخلق السموات والأرض على الماء، فلما أراد الله أن يخلق السموات والأرض قبض من صفات الماء قبضة ثم فتح القبضة فارتفعت دخاناً، ثم قضاهن سبع سموات فى يومين، ثم أخذ طينة من الماء فوضعها فى مكان البيت، ثم دحا الأرض منها[5]، والآثار فى هذا الباب كثيرة.

وهذا كله يبين أن السموات والأرض خلقت من الماء والخلاف فى أن الماء هل هو أول المخلوقات أم لا؟ مشهور، وحديث أبى هريرة يدل على أن الماء مادة جميع المخلوقات. وقد دل القرآن على أن الماء مادة جميع الحيوانات قال الله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾**[6]، وقال تعالى **﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾**[7]. وقول

---

(١) رواه البخارى (٧٤١٨) كتاب التوحيد، باب (وكان عرشه على الماء، وهو رب العرش العظيم) وأما رواية« ولم يكن شىء معه» فقد رواها غير البخارى كما قال الحافظ، وقال : والقصة متحدة فاقتضى ذلك أن الرواية وقعت بالمعنى « الفتح» (٦/ ٣٣٣) ط الريان

(٢) رواه مسلم(٦٦٢٤) كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، والترمذى فى « القدر» (٢١٥٦)

(٣) رواه الطبرى فى « تاريخه» (١/ ٥٤) ط دار المعارف

(٤) هو وهب بن منبه، أبو عبد الله الأبناوى اليمانى الذمارى الصنعانى، ولد فى زمن عثمان سنة، أربع وثلاثين وروايته للمُسْند قليلة، وإنما غزارة علمه فى الإسرائيليات ومن صحائف أهل الكتاب. انظر «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٤٤)

(٥) الظاهر على هذا الأثر أنه من الإسرائيليات.

(٦) سورة الأنبياء: آية ٣٠.

(٧) سورة النور: آية ٤٥.

من قال: إن المراد بالماء النطفة التى يخلق منها الحيوانات بعيد لوجهين: أحدهما: أن النطفة لا تسمى ماء مطلقاً بل مقيداً لقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾(٢). والثانى: أن من الحيوانات ما يتولد من غير نطفة كدود الخل والفاكهة ونحو ذلك فليس كل حيوان مخلوقاً من نطفة، والقرآن دل على خلق جميع ما يدب وما فيه حياة من ماء، فعلم بذلك أن أصل جميعها الماء المطلق ولا ينافى هذا قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾(٣). وقول النبى ﷺ: «خلقت الملائكة من نور»(٤)، فإن حديث أبى هريرة دل على أن أصل النور والنار الماء، كما أن أصل التراب الذى خلق منه آدم الماء، فإن آدم خلق من طين والطين تراب مختلط بماء أو التراب خلق من الماء كما تقدم عن ابن عباس وغيره. وزعم مقاتل أن الماء خلق من النور، وهو مردود بحديث أبى هريرة هذا وغيره، ولا يستنكر خلق النار من الماء، فإن الله عز وجل جمع بقدرته بين الماء والنار فى الشجر الأخضر، وجعل ذلك من أدلة القدرة على البعث. وذكر الطبائعيون أن الماء بانحداره يصير بخاراً والبخار ينقلب هواء والهواء ينقلب نارا والله أعلم.

وقوله ﷺ لأبى هريرة حين سأله عن بناء الجنة فقال: «لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران»(٥)، وقد روى أيضا هذا عن النبى ﷺ من حديث ابن عمر مرفوعاً أخرجه الطبرانى، فهذه أربعة أشياء:

أحدها: بناء الجنة. ويحتمل أن المراد بنيان قصورها ودورها، ويحتمل أن يراد بناء حائطها وسورها المحيط بها وهو أشبه، وقد روى من وجه آخر عن أبى هريرة مرفوعاً وموقوفاً، وهو أشبه: «حائط الجنة لبنة من فضة، ولبنة من ذهب،

---

(١) سورة الطارق: آية ٦، ٧.
(٢) سورة المرسلات: آية ٢٠.
(٣) سورة الحجر: آية ٢٧
(٤) رواه مسلم(٧٣٥١) كتاب الزهد والرقائق. باب : فى أحاديث متفرقة
(٥) حسن . رواه أحمد (٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥) والملاط: هو الطين الذى يجعل فى البناء يملط به الحائط، أى يخلط، والأذفر: المراد به طيب ريحه.

ودرجها الياقوت واللؤلؤ»، قال: وكنا نتحدث: أن رضراض أنهارها اللؤلؤ وترابها الزعفران»[1]. وفى مسند البزار عن أبى سعيد مرفوعاً: «**خلق الله الجنة لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وملاطها المسك، فقال لها: تكلمى، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقالت الملائكة: طوبى لك منزل الملوك**»[2]. ومما يبين أن المراد ببناء الجنة فى هذه الأحاديث بناء سورها المحيط بها ما فى الصحيحين عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «**جنتان من ذهب، وآنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة وآنيتهما وما فيهما**»[3]. وقد روى عن أبى موسى مرفوعاً: «**جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من فضة لأصحاب اليمين**»[4]. وفى الصحيح أيضاً عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنها جنان كثيرة**»[5]. وقد روى: «أن بناء بعضها من در وياقوت». خرّج ابن أبى الدنيا من حديث أنس مرفوعاً: «**خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجد خضراء ملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ، وحشيشها الزعفران، ثم قال لها: انطقى قالت: قد أفلح المؤمنون، قال: وعزتى لا يجاورنى فيك بخيل**»[6]. وروى عطية عن أبى سعيد قال: إن الله خلق جنة عدن من ياقوتة حمراء، ثم قال لها: تزيّنى فتزينت ثم قال لها: تكلمى، فقالت: طوبى لمن رضيت عنه. ثم أطبقها وعلقها بالعرش فهى تفتح فى كل سحر، فذلك برد

---

(١) **صحيح موقوفاً**. رواه البغوى فى «شرح السنة» (٢١٥/ ٢٢٨) رقم (٤٣٩١) وابن أبى الدنيا فى «صفة الجنة» كما فى «الترغيب والترهيب» (٤/ ٢٥٢) وابن المبارك فى «الزهد» كما فى «اتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٥٣١) ومعنى الرضراض: الحصى، أو صغار الحصى.

(٢) **ضعيف**: رواه البزار(٣٥٠٨) ـ كشف الأستار، وأبو نعيم فى «صفة الجنة» (١٤٠) والطبرانى فى «الأوسط» (٣٧٠١ ط الحرمين) وفى سنده عدى بن الفضل، قال ابن معين، وأبو حاتم : متروك الحديث. وقال يحيى: لا يكتب حديثه. وقال غير واحد ضعيف« الميزان» (٣/ ٥٥٩٣)

(٣) رواه البخارى (٤٨٧٨) ومسلم(٤٤١) والترمذى(٢٥٢٨) وابن ماجه فى «المقدمة» (١٨٦) وأبو نعيم فى «وصف الجنة» (٤٣٧) صحيح موقوفاً.

(٤) صحيح موقوفًا رواه الحاكم (٢/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥) ،أبو نعيم فى «صفة الجنة» (١٤٢) وابن مردويه كما فى «الفتح» (٨/ ٤٩١) وتفرد برفعة حماد بن سلمة كما فى تفسير ابن كثير(٤/ ٢٧٦) والصواب أنه موقوف على أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه. والله أعلم.

(٥) رواه البخارى(٦٥٥٠) كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، وأحمد (٣/ ٢١٠، ٢١٥، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٨٣) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه.

(٦) **ضعيف**. رواه ابن أبى الدنيا كما فى «حادى الأرواح» ص ١٠١ وفى سنده محمد بن أبى المثنى البزار وبشير بن حسن. ولم أقف لهما على ترجمة.

السحر. وعن ابن عباس قال: كان عرش الله على الماء، ثم اتخذ لنفسه جنة، ثم اتخذ دونها أخرى وطبقهما بلؤلؤة واحدة لا تعلم الخلائق ما فيهما، وهما اللتان لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون. وذكر صفوان بن عمرو عن بعض مشايخه قال: الجنة مائة درجة أولها: درجة فضة أرضها فضة ومساكنها فضة وترابها المسك، والثانية: ذهب وأرضها ذهب وآنيتها ذهب وترابها المسك، والثالثة: لؤلؤ وأرضها لؤلؤ وآنيتها لؤلؤ وترابها المسك، وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم تلا: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]. وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ،ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**[2]. وفى صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة يرفعه: «**سأل موسى ربه قال: يا رب ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: يا رب كيف وقد أخذ الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت يارب، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فقال فى الخامسة: رضيت يارب، فيقال: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت يارب، قال: فأعلاهم منزلة قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها، فلم تَرَعَيْنٌ ولم تسمع أذن ولمْ يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه فى كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**»[3].

الثانى: ملاط الجنة: وأنه المسك الأذفر، وقد تقدم مثل ذلك فى غير حديث، والملاط: هو الطين، ويقال: الطين الذى يبنى منه البنيان، والأذفر الخالص[4]. ففى

(١) سورة السجدة : آية ١٧.

(٢) رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء فى صفة الجنة وأنها مخلوقة. ومسلم (٦٩٩٤) كتاب صفة الجنة والنار، باب: صفة الجنة. والترمذى (٣١٩٧) فى تفسير سورة السجدة .

(٣) رواه مسلم (٤٥٧) كتاب الأيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها. والترمذى فى «التفسير» (٣١٩٨) باب: «ومن سورة السجدة».

(٤) أى طيب الريح.

الصحيحين عن أنس عن النبى ﷺ قال: «**دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**»[1]، والجنابذ[2]: مثل القباب، وقد قيل: إنه أراد بترابها ما خالطه الماء وهو طينها كما فى صحيح البخارى عن أنس عن النبى ﷺ أنه قال فى الكوثر: «**طينه المسك الأذفر**»[3]، وقد قيل فى تأويل قوله تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾[4]: إن المراد بالختام ما يبقى فى سفل الشراب من التفل، وهذا يدل على أن أنهارها تجرى على المسك؛ ولذلك يرسب منه فى الإناء فى آخر الشراب كما يرسب الطين فى آنية الماء فى الدنيا.

الثالث: حصباء الجنة: وأنه اللؤلؤ والياقوت، والحصباء: الحصى الصغار وهو الرضراض. وفى المسند عن أنس عن النبى ﷺ فى ذكر الكوثر: «**أن رضراضه اللؤلؤ**»[5]، وفى رواية: «**حصباؤه اللؤلؤ**»[6]. وفى الترمذى من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ: «**أن مجراه على الدر والياقوت**»[7]، وفى الطبرانى من حديث عبدالله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: «**حاله المسك الأبيض، ورضراضه الجوهر، وحصباؤه اللؤلؤ**»[8]. وفى المسند من حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: «**حاله المسك، ورضراضه التوم**»[9]، والتوم: الجوهر، والحال: الطين. قال أبو العالية: قرأت فى بعض الكتب: يا معشر الربانيين من أمة محمد انتدبوا لدار

---

(١) رواه البخارى (٣٤٩) كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلوات فى الإسراء. ومسلم (٤٠٨) كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات.

(٢) الجنابذ: هى القباب واحدتها جنبذة ، قاله النووى.

(٣) رواه البخارى (٦٥٨١) كتاب الرقاق، باب: فى الحوض. وقول الله تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾

(٤) سورة المطففين: آية ٢٦

(٥) **صحيح**. رواه أحمد (٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٢)

(٦) **حسن**. رواه أحمد (٢/ ٣٠٥) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه

(٧) **صحيح**. رواه الترمذى (٣٣٦١) ثقات التفسير، باب: « ومن سورة الكوثر» وابن ماجه (٤٣٣٤) كتاب الزهد، باب: صفة الجنة. وقال الترمذى : حسن صحيح.

(٨) عزاه السيوطى فى «الدر المنثور» (٦/ ٤٠٢) والزبيدى فى « اتحاد السادة المتقين» (١٠/ ٥٠٠) إلى ابن مردويه .

(٩) **ضعيف**. رواه أحمد(١/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) الطبرانى فى « الكبير» (١٠/ ٩٨) برقم (١٠٠١٧) والبزار(٣٤٧٨) وفى سنده عثمان بن عمير، ضعفه أحمد وابن معين وغيرهما، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث منكر الحديث، كان شعبة لا يرضاه. وقال الدارقطنى: زائغ لم يحتج به، وقال ابن عبد البر: كلهم ضعفه. والحديث ذكره الهيثمى فى « المجمع» (١٠/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) وقال: رواه أحمد والبزار والطبرانى وفى أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير وهو ضعيف.

أرضها زبرجد أخضر، تجرى عليها أنهار الجنة، فيها الدر واللؤلؤ والياقوت وسورها زبرجد أخضر، متدلياً عليها أشجار الجنة بثمارها.

الرابع: تراب الجنة: وأنه الزعفران، وقد سبق فى رواية أخرى: «الزعفران، والورس». وقد قيل: إن المراد بالتراب ههنا تربة الأرض التى لا ماء عليها، فأما ما كان عليه ماء فإنه مسك كما سبق، وسبق أيضاً فى بعض الروايات حشيشها الزعفران وهو نبات أرضها وترابها، فأما حديث ترابها المسك فقد قيل: إنه محمول على تراب يخالطه الماء كما تقدم، وقيل: إن المراد: أن ريح ترابها ريح المسك، ولونه لون الزعفران، ويشهد لهذا حديث الكوثر «أن حاله المسك الأبيض». فريحه ريح المسك، ولونه مشرق لا يشبه لون مسك الدنيا بل هو أبيض، وقد يكون منه أبيض ومنه أصفر والله أعلم.

وفى صحيح مسلم من حديث أبى سعيد: أن النبى ﷺ سأل ابن صياد عن تربة الجنة: فقال: درمكة بيضاء مسك خالص، فصدقه النبى ﷺ[1]. وفى رواية: أن ابن صياد سأل النبى ﷺ وصدقه[2]. وفى المسند والترمذى عن البراء بن عازب أن النبى ﷺ قال: «**تربة الجنّة درمكة، ثم سأل اليهود؟ فقالوا: خبزة، فقال: الخبز من الدرمك**»[3]. والذى تجتمع به هذه الأحاديث كلها أن تربة الجنة فى لونها بيضاء، ومنها ما يشبه لون الزعفران فى بهجته وإشراقه، وريحها ريح المسك الأذفر الخالص، وطعمها طعم الخبز الحوارى الخالص، وقد يختص هذا بالأبيض منها. فقد اجتمعت لها الفضائل كلها. لا أحرمنا الله ذلك برحمته وكرمه.

وقوله ﷺ: «من يدخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم». إشارة إلى بقاء الجنة وبقاء جميع ما فيها من النعيم، وإن

---

(١) رواه مسلم(٧٢١١) كتاب الفتن، باب: ذكر ابن صياد وقال النووى: قوله: فى (تربة الجنة) هو درمكة بيضاء، مسك خالص، قال العلماء: معناه أنها فى البياض درمكة، وفى الطيب مسك، والدرمك: هو الدقيق الحوارى الخالص البياض.

(٢) رواه مسلم٧٢١٢٠ كتاب الفتن، باب: ذكر ابن صياد وأحمد (٣/ ٤٣).

(٣) ضعيف. رواه أحمد (٣/ ٣٦١) والترمذى (٣٣٢٧) من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه. وفى سنده مجالد بن سعيد، وهو ليس بالقوى، وقد تغير آخر عمره كما فى « التقريب» (٢/ ٢٢٩) وقال الترمذى: هذا حديث غريب: إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد.

صفات أهلها الكاملة من الشباب لا تتغير أبداً، وملابسهم التى عليهم من الثياب لا تبلى أبداً، وقد دل القرآن على مثل هذا فى مواضع كثيرة كقوله: **﴿وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾**(١)، وقوله تعالى: **﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾**(٢)، وقوله تعالى: **﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾**(٣) فى مواضع كثيرة. وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه**»(٤). وفيه أيضًا عن النبى ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد أنّ لكم أن تنعموا ولا تبأسوا أبداً، وأن لكم أن تصحوا ولا تسقموا أبداً، وأن لكم أن تشبوا ولا تهرموا أبداً، ونودوا أن تلكم الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون**»(٥). وفى رواية لغيره زيادة: «وأن تحيوا فلا تموتوا أبدا»(٦). وفى الترمذى مرفوعاً: «**أهل الجنة جرد مرد كحل، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم**»(٧). وعن أبى سعيد مرفوعاً: «يدخل أهل الجنة الجنة أبناء ثلاثين لا يزيدون عليها أبداً»(٨). وفى حديث على مرفوعاً: «**إن فى الجنة مجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، نحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له**»(٩). وخرّج الطبرانى من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إن مما يتغنين به الحور العين: نحن الخالدات فلا نمتنه، نحن الآمنات فلا نخفنه، نحن

---

(١) سورة التوبة : آية ٢١. (٢) سورة الرعد: آية ٣٥. (٣) سورة النساء: آية ٧٥.

(٤) رواه مسلم (٧٠١٦) كتاب صفة الجنة والنار، باب: فى دوام نعيم أهل الجنة: من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٥) رواه مسلم(٧٠١٧) كتاب صفة الجنة والنار، باب: فى دوام نعيم أهل الجنة والترمذى فى تفسير سورة الزمر(٣٢٤٦) من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما.

(٦) هذه الزيارة وردت فى صحيح مسلم ضمن الحديث السابق.

(٧) حسن. رواه الترمذى (٢٥٣٩) كتاب صفة الجنة، باب: ما جاء فى صفة ثياب أهل الجنة. وقال : حسن غريب.

(٨) ضعيف. رواه الترمذى (٢٥٦٢) كتاب صفة الجنة، باب: ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين ١٠ هـ ورشدين هو بن سعد وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ٢٥١) ودراج أبو السمح ضعيف فى روايته عن أبى الهيثم كما فى « التقريب«» (١/ ٢٣٥) وهذا الحديث من رواية دراج عن أبى الهيثم.

(٩) ضعيف. رواه الترمذى (٢٥٦٤) والمروزى فى « زوائد الذهد» (١٤٨٧) وفى سنده عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث الواسطى، وهو ضعيف كما فى « التقريب» (١/ ٤٧٢) والحديث ضعفه الترمذى بقوله: حديث غريب.

المقيمات فلا نظعنه»[1]. ومن حديث أم سلمة مرفوعاً: «أن نساء أهل الجنة يقلن: **نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً،طوبى لمن كنّا له وكان لنا**»[2]. وفيما ذكره ﷺ فى صفة من يدخل الجنة تعريض بذم الدنيا الفانية فإنه من يدخلها وإن نُعم فيها فإنه يبأس، ومن أقام فيها فإنه يموت ولا يخلد، ويفنى شبابهم، وتبلى ثيابهم، وتبلى أجسامهم.

وفى القرآن نظير هذا، وهذا التعريض بذم الدنيا وفنائها مع مدح الآخرة، وذكر كمالها وبقائها كما قال تعالى: ﴿**زُين للناس حُب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المُقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الزنهار خالدين فها وأزواجٌ مُطهرة ورضوان من الله واللهُ بصيرٌ بالعباد**﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا**﴾[4] الآية، ثم قال: ﴿**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[5]، الآية، وقال الله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾[6]، وقال الله تعالى: وقال الله تعالى ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ**

---

(١) صحيح. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٤٩١٧) ط الحرمين وفى الصغير(١/ ٢٦٠) وأبو نعيم فى «صفة الجنة» (٣٢٢، ٤٣٠) الكبير(٢٣/ ٣٦٧) برقم (٨٧٠)

(٢) ضعيف. رواه الطبرانى «الأوسط» (٣١٤١) ط الحرمين ـ والطبرانى فى «التفسير» (٢٣/ ٥٧) وفى سنده سليمان بن أبى كريمة، ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدى عامة أحاديثه مناكير «ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٥٠).

(٣) سورة آل عمران : آية ١٤، ١٥

(٤) سورة يونس: ٢٤.

(٥) سورة يونس: آية ٢٥، ٢٦.

(٦) سورة الكهف: آية ٤٥، ٤٦.

كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾[1]، إلى قوله: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل﴾[4]، وقال الله تعالى عن مؤن آل فرعون أنه قال لقومه: ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار﴾[5]. والمتاع: هو ما يتمتع به صاحبه برهة ثم ينقطع، ويفنى فما عيبت الدنيا بأكثر فنائها وتقلب أحوالها وهو أدل دليل على انقضائها وزوالها فتتبدل صحتها بالسقم ووجودها بالعدم، وشبيبتها بالهرم، ونعيمها بالبؤس، وحياتها بالموت، فتفارق الأجسام النفوس، وعمارتها بالخراب، واجتماعها بفرقة الأحباب، وكل ما فوق التراب تراب. قال بعض السلف فى يوم عيد وقد نظر إلى كثرة الناس وزينة لباسهم: هل تَرون إلاَّ خِرقاً تبلى، أو لحماً يأكله الدود غداً، كان الإمام أحمد رضى الله عنه يقول: يا دار تخربين ويموت سكانك. وفى الحديث: «عجباً لمن رأى الدنيا وسرعة تقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها». قال الحسن: إن الموت قد فضح الدنيا فلم يدع لذى لب بها فرحاً. وقال مطرف: إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمه فالتمسوا نعيماً لا موت فيه. وقال بعضهم ذهب ذكر الموت بلذة كل عيش وسرور كل نعيم ثم بكى وقال: واهًا لدار لاموت فيها وقال يونس بن عبيد: ما ترك ذكر الموت لنا قرة عين فى أهل ولا مال. وقال يزيد الهاشمى: أمن أهل الجنة الموت فطاب لهم العيش، وأمنوا الأسقام فهنيئاً لهم فى جوار الله طول المقام. عيوب الدنيا بادية وهى تغيرها، ومواعظها منادية لكن حبها يعمى ويصم، فلا يسمع محبها نداءها، ولا يرى كشفها للغير وإيذاءها.

قد نادت الدنيا على نفسها ... لو كان فى العالم من يسمع

كم واثق بالعمر أفنيته ... وجامع بددت ما يجمع

---

(1) سورة العنكبوت: آية ٦٤.
(2) سورة الحديد: آية ٢٠.
(3) سورة الأعلى: آية ١٦و١٧.
(4) سورة التوبة: آية ٣٨.
(5) سورة غافر: آية ٣٩

كم قد تبدل نعيمها بالضر والبؤس، كم أصبح من هو واثق بملكها وأمسى وهو منها قنوط بؤوس. قالت بعض بنات ملوك العرب الذين نكبوا: أصبحنا وما فى الأرض أحد إلاّ وهو يحسدنا ويخشانا، وأمسينا وما فى العرب أحد إلاّ وهو يرحمنا. ثم قالت:

وبينا نسوس الناس وأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة ليس ننصف
فأفٍ لدارٍ لا يدوم نعيمها تقلب تارات بناء وتصرف

دخلت أم جعفر بن يحيى البرمكى على قوم فى عيد أضحى تطلب جلد كبش تلبسه وقالت: هجم على مثل هذا العيد وعلى رأسى أربعمائة وصيفة قائمة وأنا أزعم أن ابنى جعفراً عاقٌ لى.

كانت أخت أحمد بن طولون صاحب مصر كثيرة السرف فى إنفاق المال حتى أنها زوجت بعض لعبها فأنفقت على وليمة عرسها مائة ألف دينار، فما مضى إلاّ قليل حتى رؤيت فى سوق من أسواق بغداد وهى تسأل الناس .

خلع بعض خلفاء بنى العباس وكحّل وحُبس ثم أطلق فاحتاج إلى أن وقف يوم جمعة فى الجامع وقال للناس تصدقوا علىَّ فأنا من قد عرفتم .

اجتاز بعض الصالحين بدار فيها فرح وقائلة تقول فى غنائها:

ألا يا دار لا يدخلك حزن ولا يزرى بصاحبك الزمان

ثم اجتاز بها عن قريب وإذا الباب مسود وفى الدار بكاء وصراخ، فسأل عنهم؟ فقيل: مات رب الدار، فطرق الباب وقال: سمعت من هذه الدار قائلة تقول: كذا وكذا فبكت امرأة وقالت: يا عبد الله، إن الله يغير ولا يتغير، والموت غاية كل مخلوق، فانصرف من عندهم باكياً. بعث أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى خلافته وفداً إلى اليمن فاجتازوا فى طريقهم بماء من مياه العرب عنده قصور مشيدة وهناك مواش عظيمة ورقيق كثير ورأى نسوة كثيرة مجتمعات فى عرس لهن وجارية بيدها دف تقول:

معاشر الحسّاد موتوا كمدا كذا نكون ما بقينا أبدا

فنزلوا بقربهم فأكرمهم سيد الماء واعتذر إليهم باشتغاله بالعرس فدعوا له

وارتحلوا، ثم إن بعض أولئك الوفد أرسلهم معاوية إلى اليمن فمروا بالقرب من ذلك الماء فعدلوا إليه لينزلوا فيه فإذا القصور المشيدة قد خربت كلها وليس هناك ماء ولا أنيس ولم يبق من تلك الآثار إلاَّ تل خراب، فذهبوا إليه فإذا عجوز عمياء تأوى إلى نقب فى ذلك التل فسألوها عن أهل ذلك الماء فقالت: هلكوا كلهم، فسألوها عن ذلك العرس المتقدم فقالت: كانت العروس أختى وأنا كنت صاحبة الدف فطلبوا أن يحملوها معهم فأبت وقالت: عزيز علىّ أن أفارق هذه العظام البالية حتى أصير إلى ما صارت إليه فبينما هى تحدثهم إذ مالت فنزعت نزعاً يسيراً ثم ماتت فدفنوها وانطلقوا. حُمل إلى سليمان بن عبد الملك فى خلافته من خراسان ستة أحمال مسك إلى الشام فأدخلت على ابنه أيوب وهو ولى عهده فدخل عليه الرسول بها فى داره فدخل إلى دار بيضاء وفيها غلمان عليهم ثياب بياض وحليتهم فضة. ثم دخل إلى دار صفراء فيها غلمان عليهم ثياب صفر وحليتهم الذهب، ثم دخل إلى دار خضراء فيها غلمان عليهم ثياب خضر وحليتهم الزمرد، ثم دخل على أيوب وهو وجاريته على سرير فلم يعرف أحدهما من الآخر لقرب شبههما، فوضع المسك بين يديه فانتهبه كله الغلمان ثم خرج الرسول، فغاب بضعة عشر يوماً ثم رجع فمر بدار أيوب وهى بلاقع، فسأل عنهم؟ فقيل له: أصابهم الطاعون فماتوا. كان يزيد بن عبد الملك ـ وهو الذى انتهت إليه الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز ـ له جارية تسمى حبابة، وكان شديد الشغف بها ولم يقدر على تحصيلها إلاَّ بعد جهد شديد، فلما وصلت إليه خلى بها يوماً فى بستان وقد طار عقله فرحاً بها فبينما هو يلاعبها ويضاحكها إذ رماها بحبة رمان أو حبة عنب وهى تضحك فدخلت فى فيها فشرقت بها فماتت فما سمحت نفسه بدفنها حتى أراحت[1]، فعوتب على ذلك فدفنها. ويقال: إنه نبشها بعد دفنها. ويروى: إنه دخل بعد موتها إلى خزائنها ومقاصيرها ومعها جارية لها فتمثلت الجارية ببيت:

كفى حزناً بالواله الصَّبِّ أن يرى   منازل من يهوى معطَّلةً قفْرَا

فصاح وخر مغشيا عليه فلم يفق إلى أن مضى هوى من الليل[2] ثم أفاق

(١) أراحت : أى انتنت .   (٢) مضى هوى من الليل: أى مضى هزيع منه، أو ساعة

فبكى بقية ليلته ومن الغد فدخلوا عليه فوجدوه ميتاً. قال بعض السلف: ما من حبرة إلا يتبعها عبرة * وما كان ضحك فى الدنيا إلاَّ كان بعده بكاء * من عرف الدنيا حق معرفتها حقرها وأبغضها كما قيل:

أما لو بيعت الدنيا بفلس   أنفت لعاقل أن يشتريها

ومن عرف الآخرة وعظمتها رغب فيها: عباد الله هلموا إلى دار لا يموت سكانها، ولا يخرب بنيانها، ولا يهرم شبابها، ولا يتغير حسنها وإحسانها هواؤها النسيم، وماؤها التسنيم يتقلب أهلها فى رحمة أرحم الراحمين ويتمتعون بالنظر إلى وجهه كل حين: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]. قال عون بن عبد الله بن عتبة: بنى ملك ممن كان قبلنا مدينة فتنوق فى بنائها، ثم صنع طعاماً ودعا الناس إليه وأقعد على أبوابها ناساً يسألون كل من خرج هل رأيتم عيباً؟ فيقولون: لا حتى جاء فى آخر الناس قوم عليهم أكسية فسألوهم: هل رأيتم عيباً؟ فقالوا: عيبين، فأدخلوهم على الملك، فقال: هل رأيتم عيباً؟ فقالوا: عيبين، قال: وما هما؟ قالوا: تخرب ويموت صاحبها. قال: فتعلمون دارا لا تخرب ولا يموت صاحبها؟ قالوا: نعم، فدعوه فاستجاب لهم، وانخلع من ملكه وتعبد معهم. فحدث عون بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فوقع منه موقعاً حتى هَمَّ أن يخلع نفسه من الملك فأتاه ابن عمه مسلمة فقال: اتق الله يا أمير المؤمنين فى أمة محمد فوالله لئن فعلت ليقتتلن بأسيافهم، قال: ويحك يا مسلمة حملت ما لا أطيق، وجعل يرددها ومسلمة يناشده حتى سكن. بنى بعض ملوك العرب الخَوَرْنَقَ والسدير، فنظر إلى ملكه يوما فقال: هل علمتم أحد أوتى مثل ما أوتيت؟ فقالوا: لا، ورجلٌ منهم ساكت، فقال: أيها الملك، إن أذنت لى تكلمتْ. فقال تكلم: قال : أرأيت ما جمعت أشىء هو لك لم يزل ولا يزول، أم هو شىء كان لمن قبلك وزال عنه وصار إليك وكذلك يزول عنك؟ قال: بل كان لمن قبلى، وصار إلىَّ، ويزول عنى. قال فسررت بشىء تزول عنك لذته وتبقى تبعته عليك، تكون فيه قليلا وترتهن به طويلا. فبكى وقال: أين المَهْرب؟ قال: إما أن تقيم وتعمل بطاعة ربك، وإما أن تنخلع من ملكك وتقيم وحدك وتعبدَ ربَّك حتى يأتيك أجلك، قال: فإذا فعلتُ

(١) سورة يونس: آية ١٠

ذلك فما لى؟ قال: حياة لاتموت وشبابٌ لا يهرم، وصحةٌ لا تسقم، وملك جديدٌ لا يبلى. فقال: فأىُ خير فيما يفنى، والله لأطلبن عيشا لا يزول أبدًا، فانخلع من ملكه، وسار فى الأرض. وفيه يقول عدىُّ بن زيد أبياته المشهورة:

أيها الشَّامتُ المُعَيِّرُ بالدَّهْـــ ـــــر أأنْتَ المُبَرَّأُ الموفـــــورُ
أمْ لديْك العَهْدُ الوثيق من الأيَّـــ ـــام بَلْ أنت جاهلٌ مَغْرورُ
مَنْ رأيْت المنونَ أخلدْنَ أمْ مَنْ ذَا عليه مِنْ أن يُضام خَفيرُ
أين كسْرى،كسْرى الملوك أنو شِرْ وإن . أمْ أيْن قَبْلَهُ سَابُورُ؟
وبنو الأصْفَرِ الكِرامُ مُلُوكُ الرُّوم لم يبقَ مِنْهمُ مَذْكُورُ
وأخُو الحَضْرِ إذْ بَنَاهُ وإذ دجْـ ـلةُ تُجْبى إليه والخابُورُ
شادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسـ ـًا فللطَّيْر فى ذُرَاهُ وُكُورُ
لَمْ يَهَبْهُ رَيْبُ المنون فباد الـ ـمُلْكُ عنه فبابُهُ مَهْجورُ
وتذكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَق إذ أشْـ ـرَفَ يومًا وللهُدى تَفْكيرُ
سَرَّهُ مالُهُ وكثرةُ ما يَمْـ ـلكُ والبَحْرُ مُعْرِضًا والسَّديرُ
فارْعَوى قَلْبُهُ وقال وما غِبْـ ـطَةُ حَىٍّ إلى المَمَات بَصيرُ
ثمَّ أضْحوْا كأنهم ورق جَفَّ فـ ـألْوَت به الصَّبا والدَّبُورُ والإمَّة
ثم بعد الفلاح والمُلك والأمَّةِ وارَتْهُمُ هناكَ القُبورُ

●●●●●

وظائف شهر الله المحرم ويشتمل على مجالس

المجلس الأول فى فضل شهر الله المحرم وعشره الأول

خرَّج مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله الذى تدعونه المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة قيام الليل**»[1]. الكلام على هذا الحديث فى فصلين فى أفضل التطوع: بالصيام، وأفضل التطوع: بالقيام.

•••••••

الفصل الأول

فى أفضل التطوع بالصيام: وهذا الحديث صريح فى أن أفضل ما تطوع به من الصيام بعد رمضان صوم شهر الله المحرم، وقد يحتمل أن يراد أنه أفضل شهر تطوع بصيامه كاملاً بعد رمضان، فأما بعض التطوع ببعض شهر فقد يكون أفضل من بعض أيامه كصيام يوم عرفة، أو عشر ذى الحجة، أو ستة أيام من شوال ونحو ذلك، ويشهد لهذا ما خرجه الإمام أحمد والترمذى من حديث على أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، أخبرنى بشهر أصومه بعد شهر رمضان؟ قال رسول الله ﷺ: «**إن كنت صائماً شهراً بعد رمضان فصم المحرم، فإنه شهر الله، وفيه يوم تاب الله فيه على قوم، ويتوب على آخرين**»[2]. وفى إسناده مقال. ولكن يقال: إن النبى ﷺ كان يصوم شهر شعبان، ولم ينقل أنه كان يصوم المحرم إنما كان يصوم عاشوراء. وقوله فى آخر سنة: «**لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع**»[3]، يدل **على أنه كان لا يصوم التاسع قبل ذلك. وقد أجاب الناس عن هذا السؤال بأجوبة** فيها ضعف، والذى ظهر لى والله أعلم أن التطوع بالصيام نوعان: **أحدهما**:

---

(١) رواه مسلم(٢٧٠٩) واحمد(٢/ ٣٠٣ و٣٢٩و٣٤٤, ٥٣٥)

(٢) ضعيف: رواه أحمد (١/ ١٥٤)والترمذى (٤٧١) وفى سنده عبد الرحمن بن إسحاق وهو ضعيف كما في « التقريب» (١/ ٤٧٢) والنعمان بن سعد مقبول كما فى « التقريب» (٢/ ٣٠٤)

(٣) رواه مسلم(٢٦٢٦) كتاب الصيام، باب: أى يوم يصام فى عاشورا، وابن ماجه (١٧٣٦) كتاب الصيام، باب صيام يوم عاشوراء.

التطوع المطلق بالصوم فهذا أفضله المحرم، كما أن أفضل التطوع المطلق بالصلاة قيام الليل. **والثانى**: ما صيامه تبع لصيام رمضان قبله وبعده فهذا ليس من التطوع المطلق بل صيامه تبع لصيام رمضان وهو ملتحق بصيام رمضان، ولهذا قيل: إن صيام ستة أيام من شهر شوال يلتحق بصيام رمضان، ويكتب بذلك لمن صامها مع رمضان صيام الدهر فرضا، وقد روى أن أسامة بن زيد كان يصوم الأشهر الحرم فأمره النبى ﷺ بصيام شوال، فترك الأشهر الحرم وصام شوالا [1]. وسنذكر ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى. فهذا النوع من الصيام ملتحق برمضان وصيامه أفضل التطوع مطلقاً، فأما التطوع المطلق فأفضله صيام الأشهر الحرم. وقد روى عن النبى ﷺ أنه أمر رجلاً أن يصوم الأشهر الحرم وسنذكره فى موضع آخر إن شاء الله تعالى. وأفضل صيام الأشهر الحرم صيام شهر الله المحرم، وشهد لهذا أنه ﷺ قال فى هذا الحديث: «وأفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل»، ومراده بعد المكتوبة: ولو أحقها من سننها الرواتب، فإن الرواتب قبل الفرائض وبعدها أفضل من قيام الليل عند جمهور العلماء لالتحاقها بالفرائض، وإنما خالف فى ذلك بعض الشافعية. فكذلك الصيام قبل رمضان وبعده ملتحق برمضان وصيامه أفضل من صيام الأشهر الحرم، وأفضل التطوع المطلق بالصيام صيام المحرم.

وقد اختلف العلماء فى أى الأشهر الحرم أفضل. فقال الحسن وغيره أفضلها شهر الله المحرم، ورجحه طائفة من المتأخرين. وروى وهب بن جرير عن قرة بن خالد عن الحسن قال: إن الله افتتح السنة بشهرحرام وختمها بشهرحرام فليس شهر فى السنة بعد شهر رمضان أعظم عند الله من المحرم، وكان يسمى شهر الله الأصم من شدة تحريمه. وقد روى عنه مرفوعاً ومرسلاً. قال آدم بن أبى إياس: حدثنا أبو هلال الراسى، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: **«أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة فى جوف الليل الأوسط، وأفضل الشهور بعد شهر رمضان المحرم وهو شهر الله الأصم»**[2]. وخرّج النسائى من حديث أبى ذر قال: سألت النبى ﷺ: أى الليل خير، وأى الأشهر أفضل؟ فقال: «خير الليل جوفه، وأفضل الأشهر

---

(١) **ضعيف**. رواه ابن ماجه(١٧٤٤) كتاب الصيام، باب: صيام أشهر الحرم. وفى سنده انقطاع بين محمد ابن إبراهيم بن الحارث التيمى وبين أسامة بن زيد رضى الله عنه.

(٢) ضعيف لإرساله.

شهر الله الذى تدعونه المحرم»[١]. وإطلاقه فى هذا الحديث أفضل الأشهر محمول على ما بعد رمضان كما فى رواية الحسن المرسلة. وقال سعيد بن جبير وغيره: أفضل الأشهر الحرم ذو القعدة أو ذو الحجة بل قد قيل: إنه أفضل الأشهر مطلقاً، وسنذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى. وزعم بعض الشافعية أن أفضل الأشهر الحرم رجب وهو قول مردود. وأفضل شهر الله المحرم عشره الأول، وقد زعم يمان بن رآب: أنه العشر الذى أقسم الله به فى كتابه. ولكن الصحيح أن العشر المقسم به عشر ذى الحجة كما سيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى. وقال أبو عثمان النهدى: كانوا يعظمون ثلاث عشرات العشر الأخير من رمضان، والعشر الأول من ذى الحجة، والعشر الأول من المحرم. وقد وقع هذا فى بعض نسخ كتاب فضائل العشر لابن أبى الدنيا عن أبى عثمان عن أبى ذر عن النبى ﷺ: «أنه كان يعظم هذه العشرات الثلاث». وليس ذلك بمحفوظ. وقد قيل: إنه العشر الذى أتم الله به ميقات موسى عليه السلام أربعين ليلة وإن التكلم وقع فى عاشره.
وروى عن وهب بن منبه قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن مر قومك أن يتوبوا إلىّ فى أول عشر المحرم فإذا كان يوم العاشر فليخرجوا إلىَّ أغفر لهم. وعن قتادة أن الفجر الذى أقسم الله به فى أول سورة الفجر هو فجر أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة، ولما كانت الأشهر الحرم أفضل الأشهر بعد رمضان أو مطلقاً، وكان صيامها كلها مندوبا إليه كما أمر به النبى ﷺ، وكان بعضها ختام السنة الهلالية، وبعضها مفتاحاً لها، فمن صام شهر ذى الحجة سوى الأيام المحرم صيامها منه وصام المحرم فقد ختم السنة بالطاعة وافتتحها بالطاعة، فيرجى أن تكتب له سنته كلها طاعة، فإن من كان أول عمله طاعة وآخره طاعة **فهو فى حكم من استغرق بالطاعة ما بين العملين. وفى حديث مرفوع: «ما من حافظين يرفعان إلى الله صحيفة فيرى فى أولها وفى آخرها خيراً إلا قال الله لملائكته أشهدكم أنى قد غفرت لعبدى ما بين طرفيها»**[٢]، أخرجه الطبرانى وغيره، وهو

---

(١) صحيح. رواه النسائى فى «السنن الكبرى» (٢/ ٤٧٠) برقم ٤٢١٦٠) كتاب الحيح، باب: أى الأشهر الحرم أفضل؟

(٢) ضعيف. رواه الترمذى(٩٨١) كتاب الجنائز. والطبرانى فى «الدعاء»(٢٨٧) والبزار (٣٢٥٢ ـ كشف) وأبو يعلى (٢٧٧٥) والبيهقى فى «الشعب»(٧٥٠٣) وفى سنده تمام بن تجيج، وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ١١٣) والحسن البصرى مدلس وقد عنعنه

موجود فى بعض نسخ كتاب الترمذى، وفى حديث آخر مرفوع: «ابن آدم اذكرنى من أول النهار ساعة، ومن آخر النهار ساعة أغفر لك ما بين ذلك إلاَّ الكبائر أو تتوب منها». وقال ابن المبارك: من ختم نهاره بذكر كتب نهاره كله ذكراً. يشير إلى أن الأعمال بالخواتيم، فإذا كان البداءة والختام ذكراً فهو أولى أن يكون حكم الذكر شاملاً للجميع، ويتعين افتتاح العام بتوبة نصوح تمحو ما سلف من الذنوب السالفة فى الأيام الخالية.

قطعَت شُهورَ العَامِ لَهْواً وَغَفْلَةً	ولم تحترم فيما أتيتَ المُحَرَّما
فلا رَجَباً وافيْتَ فيه بحقِّه	ولاصُمْتَ شهرَ الصَّوم صَوْمًا مُتمَّما
ولافى ليالْى عَشْرِ ذى الحِجَّة الذى	مَضَى كُنْتَ قَّواماً ولا كُنْتَ مُحْرِمَا
فهلْ لكَ أنْ تمْحَو الذُّنوبَ بَعْبَرةٍ	وتبكِى عليها حَسْرَةً وتَنَدُّما
وتَسْتقبَل العامَ الجديدَ بتوبةٍ	لعلَّكَ أن تمحو بها ما تَقَدَّما

وقد سمى النبى ﷺ المحرم شهر الله، وإضافته إلى الله تدل على شرفه وفضله، فإن الله تعالى لا يضيف إليه إلاَّ خواصَّ مخلوقاته كما نسب محمداً وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء إلى عبوديته، ونسب إليه بيته وناقته. ولما كان هذا الشهر مختصًا بإضافته إلى الله تعالى كان الصيام من بين الأعمال مضافاً إلى الله تعالى فإنه له من بين الأعمال ناسَبَ أن يختص هذا الشهر المضاف إلى الله بالعمل المضاف إليه المختص به وهو الصيام. وقد قيل فى معنى إضافة هذا الشهر إلى الله عز وجل، إنه إشارة إلى أن تحريمه إلى الله عز وجل ليس لأحد تبديله، كما كانت الجاهلية يحلونه ويحرمون مكانه صفراً فأشار إلى أنه شهر الله الذى حرمه، فليس لأحد من خلقه تبديل ذلك وتغييره:

شهر الحرام مبارك ميمون	والصوم فيه مضاعف مسنون
وثواب صائمه لوجه إلهه	فى الخلد عند مليكه مخزون

الصيام سر بين العبد وبين ربه؛ ولهذا يقول الله تبارك وتعالى: «كل عمل ابن

آدم له إلاّ الصوم فإنه لى وأنا أجزى به[١]، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى»[٢]. وفى الجنة باب يقال له: الريان لا يدخل منه إلاّ الصائمون، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه غيرهم[٣]. وهو جنّة[٤] للعبد من النار كجنة أحدكم من القتال[٥]، وفى المسند عن النبى ﷺ قال: «من صام يوما ابتغاء وجه الله تعالى بعّده الله من نار جهنم كبعد غراب طار وهو فرخ حتى مات هرماً»[٦]. وفيه أن أبا أمامة قال للنبى ﷺ: أوصنى؟ قال: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له»، فكان أبو أمامة وأهله يصومون فإذا رؤى فى بيتهم دخان بالنهار علم أنه قد نزل بهم ضيف،[٧] وممن سرد[٨] الصوم عمر وأبو طلحة وعائشة وغيرهم من الصحابة وخلق كثير من السلف، وممن صام الأشهر الحرم كلها ابن عمر والحسن البصرى وغيرهما. قال بعضهم: إنما هو غداء وعشاء فإن أخرت غداءك إلى عشائك أمسيت وقد كتبت فى ديوان الصائمين. «للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه»[٩] إذا وجد ثواب صيامه مدخوراً. سمع بعضهم مناديا ينادى على

---

(١)رواه البخارى فى الصوم(١٩٠٤) باب: هل يقول إنى صائم إذا شئتم. ومسلم (٢٦٦٣) كتاب الصيام، باب: فصل الصيام، والنسائى فى « الصيام» (٤/ ١٦٣ ـ ١٦٤) باب: ذكر الاختلاف على أبى صالح فى هذا الحديث.

(٢) رواه مسلم(٢٦٦٤) كتاب الصيام، بابك فصل الصيام والنسائى فى « الصيام» (٤/ ١٦٢) باب: ذكر الاختلاف على أبى صالح فى هذا الحديث. وابن ماجه فى « الصيام» (١٦٣٨) باب: ما جاء فى فضل الصيام.

(٣) رواه البخارى فى « الصوم» (١٨٩٦) باب: الريان للصائمين.ومسلم (٢٦٦٦) كتاب الصيام، باب: فضل الصيام.

(٤) جنة: أى وقاية، يقى صاحبه من الوقوع فى الشبهات.

(٥) **صحيح**. رواه أحمد (٤/ ٢١) والنسائى فى « الكبرى» (٢٥٤٠) وابن ماجه(١٦٣٩).

(٦) **ضعيف**: رواه أحمد (٢/ ٥٢٦) والطبرانى فى « الكبير» (٧/ ٦٤) برقم (٦٣٦٥) وفى الأوسط(٣١١٨) والبزار(١٠٣٧) وأبو يعلى (٩٢١) من حديث سلمة بن قيصر رضى الله عنه. وفى سنده ابن لهيعة وهو ضعيف. والحديث قال عنه البخارى : لا يصح.

(٧) **صحيح**. رواه أحمد (٥/ ٢٤٨ـ ٢٤٩ ـ ٢٥٥، ٢٥٨) وابن أبى شيبة (٣/ ٥) والنسائى (٤/ ١٦٥) والطبرانى فى «الكبير» (٤٧٦٣، ٧٤٦٤، ٧٤٦٥) وعبد الرزاق (٧٨٩٩) وابن حبان (٣٤٢٥، ٣٤٢٦ ـ احسان) .

(٨) سرد ـ تابع.

(٩) رواه البخارى فى « الصوم» (١٩٠٤) باب: هل يقول إنى صائم إذا شئتم. ومسلم (٢٦٦٣) كتاب الصيام، باب: فضل الصيام. والنسائى فى « الصيام» (٤/ ١٦٣ ـ ١٦٤)

السحور فى رمضان ياما خبأنا للصوام، فانتبه لذلك وسرد الصوم. وروى أن الصائمين توضع لهم مائدة تحت العرش فيأكلون والناس فى الحساب فيقول الناس ما بال هؤلاء يأكلون ونحن نحاسب؟ فيقال: كانوا يصومون وأنتم تفطرون. وروى أنهم يحكمون فى ثمار الجنّة والناس فى الحساب، روى ذلك ابن أبى الدنيا فى كتاب الجوع[1]. قال الله تعالى: ﴿**الصَّادقَات وَالصَّابرينَ وَالصَّابرَات وَالْخَاشعينَ وَالْخَاشعَات وَالْمُتَصَدّقينَ وَالْمُتَصَدّقَات وَالصَّائمينَ وَالصَّائمَات وَالْحَافظينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافظَات وَالذَّاكرينَ اللَّهَ كَثيراً وَالذَّاكرَات أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفرَةً وَأَجْرًا عَظيمًا**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنيئًا بمَا أَسْلَفْتُمْ في الأَيَّام الْخَاليَة**﴾[3]، قال مجاهد وغيره: نزلت فى الصوّام: من ترك لله طعامه وشرابه وشهوته عوضه الله خيراً من ذلك طعاماً وشراباً لا ينفذ وأزواجاً لا تموت. فى التوراة: طوبى لمن جوع نفسه ليوم الشبع الأكبر، طوبى لمن ظمأ نفسه ليوم الريّ الأكبر، طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره، طوبى لمن ترك طعاما ينفذ فى دار لدار ﴿**أكلها دائم وظلها**﴾[4].

من يرد ملك الجنـان فليذر عنـه التوانـى وليقم فى ظلمة الليل إلى نور القرآن
وليصل صوما بصوم إن هذا العيش فانى إنما العيش جـوار الله فى دار الأمـان

كان بعض الصالحين يكثر الصوم فرأى فى منامه كأنه دخل الجنة فنودى من ورائه يا فلان تذكر أنك صمت لله يوماً قط؟ قال: إى والله، يوم ويوم ويوم، فإذا صوانىّ النثار[5] قد أخذته يمنة ويسرة. كان بعض الصالحين قد صام حتى انحنى وانقطع صوته فمات فرأى بعض أصحابه فى المنام فسئل عن حاله فقال:

قـد كسـى حـلـة البـهـاء وطافت بالأباريق حوله الخدام
ثم حلى وقيل يا قارئى ارقه فلعمـرى لـقـد بـراك الصيـام

---

(١) وقد طبع هذا الكتاب عن دار ابن حزم بتحقيق الأستاذ محمد خير رمضان يوسف.
(٢) سورة الأحزاب: آية ٣٥
(٣) سورة الحاقة: آية ٢٤
(٤) سورة الرعد: آية ٣٥.
(٥) الصوانى: الأوانى، والنثار: ما ينثر من الجوز واللوز والسكر، وكذلك نثر الحب إذا بُزر.

صام بعض التابعين حتى اسودَّ من طول صيامه، وصام الأسود بن يزيد[1] حتى اخضر جسمه واصفر، فكان إذا عوتب فى زفقه بجسده يقول: كرامة هذا الجسد أريد. وصام بعضهم حتى وجد طعم دماغه فى حلقه. كان بعضهم يسرد الصوم فمرض وهو صائم فقالوا له: أفطر، فقال: ليس هذا وقت ترك. وقيل لآخر منهم وهو مريض: أفطر، فقال: كيف أفطر وأنا أسير لا أدرى ما يفعل بى. مات عامر بن عبد الله بن الزبير وهو صائم ما أفطر. ودخلوا على أبى بكر بن أبى مريم وهو فى النزع وهو صائم فعرضوا عليه ماء ليفطر فقال: أغربت الشمس؟ قالوا: لا فأبى أن يفطر ثم أتوه بماء وقد اشتد نزعه فأومأ إليهم أغربت الشمس؟ قالوا: نعم فقطروا فى فيه قطرة من ماء ثم مات. واحتضر إبراهيم بن هانئ صاحب الإمام أحمد وهو صائم، وطلب ماء، وسأل أغربت الشمس؟ فقالوا: لا، وقالوا له: قد رخص لك فى الفرض وأنت متطوع، قال: أمهل، ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون، ثم خرجت نفسه وما أفطر. الدنيا كلها شهر صيام المتقين، وعيد فطرهم يوم لقاء ربهم، ومعظم نهار الصيام قد ذهب وعيد اللقاء قد اقترب.

وقد صمت عن لذات دهرى كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامى

ولما كان الصيام سرًّا بين العبد وبين ربه اجتهد المخلصون فى إخفائه بكل طريق حتى لا يطلع عليه أحد. قال بعض الصالحين: بلغنا عن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال: إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته ويمسح شفتيه من دهنه حتى ينظر إليه الناظر فيظن أنه ليس بصائم. وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: إذا أصبح أحدكم صائما فليترجل (يعني يسرح شعره) ويدهنه، وإذا تصدق بصدقة عن يمينه فليخفها عن شماله، وإذا صلى تطوعا فليصل داخل بيته. وقال أبو التياح[2]: أدركت أبى ومشيخة الحى إذا صام أحدهم ادَّهن ولبس صالح ثيابه.

صام بعض السلف أربعين سنة لا يعلم به أحد، كان له دكان فكان كل يوم يأخذ من بيته رغيفين ويخرج إلى دكانه فيتصدق بهما فى طريقه فيظن أهله أنه

---

(١) هو الأسود بن يزيد النخعي، الفقيه العابد، مات سنة ٧٥هـ وقيل غير ذلك. انظر « شذرات الذهب» (٣١٣/١)

(٢) هو يزيد بن حميد الضبحى البصرى، أبو التياح، ثقة ثبت، مات سنة ١٢٨هـ

يأكلهما فى السوق ويظن أهل السوق أنه قد أكل فى بيته قبل أن يجىء. اشتهر بعض الصالحين بكثرة الصيام فكان يقوم يوم الجمعة فى مسجد الجامع فيأخذ إبريق الماء فيضع بلبلته[1] فى فيه ويمتصها والناس ينظرون إليه ولا يدخل حلقه منه شىء لينفى عن نفسه ما اشتهر به من الصوم. كم يستر الصادقون أحوالهم، وريح الصدق ينم عليه، ما أسر أحد سريرة إلاَّ ألبسه الله رداءها علانية.

كم أكتم حبكم عــن الأغيار والدمع يذيع فى الهوى أسرارى
كـم أستركم هتكتمو أستارى من يخفى فى الهوى لهيب النار

ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فكلما اجتهد صاحبه على إخفائه فاح ريحه للقلوب فتستنشقه الأرواح وربما ظهر بعد الموت ويوم القيامة.

فكاتم الحب يوم البين منهتك وصاحب الوجد لا تخفى سرائره

ولما دفن عبد الله بن غالب كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك، فرؤى فى المنام فسئل عن تلك الرائحة التى توجد من قبره؟ فقال: تلك رائحة التلاوة والظمأ. وجاء فى حديث مرفوع: يخرج الصائمون من قبورهم يعرفون بريح صيامهم أفواههم أطيب من ريح المسك.

وَهَبْنى كَتَمتُ السرَّ أو قلتُ غيرَهُ أتخفَى على أهلِ القُلوبِ السرائرُ
أَبَى ذاك أنَّ السرَّ فى الوجهِ ناطقٌ وأنَّ ضميرَ القلب فى العين ظاهرُ

●●●●●

(١) بلبلة الإبريق: قناته التي ينصب منها الماء.

الفصل الثانى

فى فضل قيام الليل: وقد دل حديث أبى هريرة رضى الله عنه هذا على أنه أفضل الصلاة بعد المكتوبة. وهل هو أفضل من السنن الراتبة فيه خلاف سبق ذكره. وقال ابن مسعود رضى الله عنه: فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية[1]. وخرَّجه الطبرانى عنه مرفوعاً، والمحفوظ وقفه. وقال عمرو بن العاص: ركعة بالليل خير من عشر بالنهار، خرّجه ابن أبى الدنيا. وإنما فضلت صلاة الليل على صلاة النهار؛ لأنها أبلغ فى الإسرار، وأقرب إلى الإخلاص. كان السلف يجتهدون على إخفاء تهجدهم. قال الحسن: كان الرجل يكون عنده زواره فيقوم من الليل يصلى لا يعلم به زواره. وكانوا يجتهدون فى الدعاء ولا يسمع لهم صوت. وكان الرجل ينام مع امرأته على وسادة فيبكى طول ليلته وهى لا تشعر. وكان محمد بن واسع يصلى فى طريق الحج طول ليله ويأمر حاديه أن يرفع صوته ليشغل الناس عنه. وكان بعضهم يقوم من وسط الليل ولا يدرى به، فإذا كان قرب طلوع الفجر رفع صوته بالقرآن يوهم أنه قام تلك الساعة؛ ولأن صلاة الليل أشق على النفوس فإن الليل محل النوم والراحة من التعب بالنهار، فترك النوم مع ميل النفس إليه مجاهدة عظيمة. قال بعضهم: أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس؛ ولأن القراءة فى صلاة الليل أقرب إلى التدبر فإنه تنقطع الشواغل بالليل ويحضر القلب ويتواطأ هو واللسان على الفهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾[2]. ولهذا المعنى أمر بترتيل القرآن فى قيام الليل ترتيلاً، ولهذا كانت صلاة الليل تنهاه عن الإثم كما يأتى فى حديث خرَّجه الترمذى.

وفى المسند عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قيل له: إن فلاناً يصلى من الليل فإذا أصبح سرق؟ فقال: «سينهاه ما تقول»[3]؛ ولأن وقت التهجد

(١) لا يصح مرفوعاً. رواه الطبرانى فى « الكبير» ـ١٠/ ٢٢١) برقم (١٠٣٨٢) وابن المبارك فى « الزهد» (٢٥) وأبو نعيم فى « الحليه» (٤/ ٦٧و٥/ ٣٦, ٧/ ٢٣٨). وراه ابن المبارك في « الزهد» (٢٣) وأبو نعيم فى « الحلية» (٧/ ٢٣٨) موقوفاً على ابن مسعود من قوله، وقال أبو نعيم: هكذا رواه شعبة والناس موقوفًا وتفرد مخلد بن يزيد برفعه عن سفيان الثورى عن يزيد ١هـ وقال محقق الطبرانى : مخلد بن يزيد صدوق له أوهام.

(٢) سورة المزمل: آية ٦

(٣) حسن. رواه أحمد(٢/ ٤٤٧) والبزار(٧٢٠) وابن حبان(٢٥٦٠ ـ إحسان)

من الليل أفضل أوقات التطول بالصلاة وأقرب ما يكون العبد من ربه، وهو وقت فتح أبواب السماء واستجابة الدعاء واستعراض حوائج السائلين.

وقد مدح الله تعالى المستيقظين بالليل لذكره ودعائه واستغفاره ومناجاته، فقال الله تعالى: **﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[1]، وقال الله تعالى: **﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾**[2]، وقال الله تعالى: **﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾**[3] وقال الله تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾**[4]، وقال الله تعالى: **﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾**[5]، وقال تعالى: **﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾**[6]، وقال لنبيه ﷺ: **﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾**[7]، وقال تعالى: **﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾**[8]، وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾**[9]. قالت عائشة رضي الله عنها لرجل: لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض أو قالت: كسل صلى قاعدا[10]. وفى رواية أخرى عنها قالت: بلغنى عن قوم يقولون: إن أدينا الفرائض لم نبال أن لا نزداد، ولَعَمرى لا يسألهم الله إلاَّ عما افترض عليهم، ولكنهم قوم يخطئون بالليل والنهار وما أنتم إلا من نبيكم، وما نبيكم إلاَّ منكم، والله ما ترك رسول الله ﷺ قيام الليل ونزعت كل آية فيها قيام الليل. فأشارت عائشة رضى الله عنها إلى أن قيام الليل فيه فائدتان عظيمتان: الاقتداء بسنة رسول

---

(١) سورة السجدة : آية ١٦و١٧
(٢) سورة آل عمران: آية ١٧
(٣) سورة الذاريات : آية ١٧ و١٨
(٤) سورة الفرقان: آية ٦٤
(٥) سورة الزمر: آية ٩
(٦) سورة آل عمران: آية ١١٣ .
(٧) سورة الإسراء: آية ٧٩
(٨) سورة الإنسان: اية ٢٦
(٩) سورة المزمل: آية ١ـ٤
(١٠) **صحيح**. رواه أحمد (٦/ ٢٤٩) وأبو داود (١٣٠٧) وابن خزيمة (١١٣٧) والبخارى فى «الأدب المفرد» (٨٠٠) والحاكم (١/ ٣٠٨) وصححه ووافقه الذهبى

الله ﷺ والتأسى به، وقد قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]. وتكفير الذنوب والخطايا فإن بنى آدم يخطئون بالليل والنهار فيحتاجون إلى الاستكثار من مكفرات الخطايا وقيام الليل من أعظم المكفرات، كما قال النبى ﷺ لمعاذ بن جبل: «قيام العبد فى جوف الليل يكفر الخطيئة» ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[2] الآية، خرّجه الإمام أحمد وغيره[3]. وقد روى أن المتهجدين يدخلون الجنة بغير حساب. وروى عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد عن النبى ﷺ قال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق، سيعلم الخلائق اليوم من أولى بالكرم، ثم يرجع فينادى: أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل، ثم يرجع فينادى: ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى السراء والضراء

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٢١ (٢) سورة السجدة: آية ١٦

(٣) **ضعيف**. رواه أحمد (٥/ ٢٣١) والترمذى (٢٦١٦) وعبد الرزاق (٢٠٣٠٣) والنسائى فى «الكبرى» (٦/ح ١١٣٩٤) وابن ماجة (٣٩٧٣) والطبرانى فى «الكبير» (٢٠/ ١٣٠) برقم (٢٦٦) والبيهقى فى الشعب (٣٣٥٠) والطبرى فى «تفسيره» (٢١/ ١٠٣) من طريق عاصم بن أبى النجود عن أبى وائل عن معاذ بن جبل رضى الله عنه وقال الترمذى: حسن صحيح.

وتعقبه الحافظ ابن رجب فى « جامع العلوم والحكم» (ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤) بقوله: وفيما قاله رحمه الله نظر من وجهين:

أحدهما: أنه لم يثبت سماع أبى وائل من معاذ، وإن كان قد أدركه بالسن، وكان معاذ بالشام وأبو وائل بالكوفة وما زال الأئمة كأحمد وغيره يستدلون على انتفاء السماع بمثل هذا، وقد قال أبو حاتم الرازى فى سماع أبى وائل من أبى الدرداء قد أدركه وكان بالكوفة وأبو الدرداء بالشام، يعنى أنه لم يصح منه سماع، وقد حكى أبو زرعة الدمشقى عن قوم أنهم توقفوا فى سماع أبى وائل من عمر أونفوه، فسماعه من معاذ أبعد.

والثانى: أنه قد رواه حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ خرجه الإمام أحمد مختصراً، قال الدارقطنى: وهو أشبه بالصواب؛ لأن الحديث معروف من رواية شهر على اختلاف عليه فيه، قلت: رواية شهر عن معاذ مرسلة يقيناً، وشهر مختلف فى توثيقه وتضعيفه ١٠هـ قال شيخنا الألبانى فى « الإرواء» (٢/ ١٣٩) : رواية شهر هذه المرسلة، أخرجها احمد(٥/ ٢٤٨)مختصراً كما قال. وقد وصلها أحمد(٥/ ٢٣٥, ٢٣٦, ٢٤٥ ـ ٢٤٦) من طرق عن شهر ثنا ابن غنم عن معاذ بن جبل مختصراً ومطولاً، وشهر ضعيف لسوء حفظه ١٠ هـ.

قلت: وقد رواه الطبرى فى « التفسير» (٢١/ ١٠٢) من طريق شعبة عن الحكم، قال: سمعت عروة بن النزال يحدث عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال... الحديث.

وعروة هذا لا يعرف كما قال الذهبى فى «الميزان» ٣٠/ ٥٦١١) ورواه الطبرى فى التفسير(٢١/ ١٠٢) من طريق حبيب بن أبى ثابت والحكم عن ميمون بن أبى شبيب عن معاذ بن جبل، وميمون لم يسمع من معاذ.

فيقومون وهم قليل، ثم يرجع فينادى: ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الناس»[1]، خرّجه ابن أبى الدنيا وغيره، ويروى عن شهر بن حوشب عن ابن عباس رضى الله عنهما من قوله، ويروى نحوه أيضاً من حديث أبى إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن قبة بن عامر مرفوعاً[2] وموقوفاً، ويروى نحوه أيضاً عن عبادة بن الصامت وربيعة الجرشى والحسن وكعب من قولهم. قال بعض السلف: قيام الليل يهون طول القيام يوم القيامة، وإذا كان أهله يسبقون إلى الجنة بغير حساب فقد استراح أهله من طول الموقف للحساب.

وفى حديث أبى أمامة وبلال المرفوع: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى، وتكفير للسيئات، ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد»[3]، خرّجه الترمذى. ففى هذا الحديث أن قيام الليل

---

(١) **ضعيف**. رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب «الأهوال» ح (١٧٥) وإسحاق بن راهويه فى «مسنده» كما فى «المطالب العالية» (٥١١٩) وهناد فى «الزهد» (١٧٦) وابن أبى حاتم فى «التفسير» (٨/ ٢٦١٠) برقم (١٤٦٦٣) وفى سنده عبد الرحمن بن إسحاق الكوفى، وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ٤٧٢) وشهر بن حوشب كثير الإرسال والأوهام كما فى «التقريب» ١٠/ ٣٥٥).

(٢) **ضعيف**. رواه الحاكم (٢/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) وقال: هذا حديث صحيح وله طرق عن أبى إسحاق ولم يخرجاه. ووافقه الذهبى.

قلت: وهذا عجيب من الإمام الذهبى رحمه الله فقد أورد فى «الميزان» أن عبد الله بن عطاء المكى لم يسمع من عقبة بن عامر. فقال: قال شعبة: سألت أبا إسحاق السبيعى عن عبد الله بن عطاء الذى روى عن عقبة: «كنا نتناوب رعية الإبل» [أى هذا الحديث الذى يعنيه ابن رجب رحمه الله] فقال: شيخ من أهل الطائف فلقيت ابن عطاء فسألته: أسمعته من عقبة؟ فقال: لا، حدثنيه سعد بن إبراهيم، فلقيت سعداً فقال: حدثنيه زياد بن مخراق، فلقيت زياداً فقال: حدثنى رجل عن شهر بن حوشب. «الميزان» (٢/ ٤٦١) و«التهذيب» (٥/ ٢٨١)

(٣) **حسن دون قوله**: «ومطردة للداء عن الجسد» رواه الترمذى (٣٥٤٩) معلقًا عقب الحديث والحاكم (١/ ٣٠٨) والبيهقى فى «السنن الكبرى» (٢/ ٥٠٢) والطبرانى فى «الكبير» وفى «الأوسط» (٣٢٥٣) وابن عدى فى «الكامل» (٤/ ٢٠٧) من طريق عبد الله بن صالح، حدثنى معاوية بن صالح، عن ربيعة بن يذيد ، عن أبى إدريس الخولانى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه

وقال الحاكم: صحيح على شرط البخارى ووافقه الذهبى. قال شيخنا الألبانى: وذا من عجائبه[أى الذهبى] فإن معاوية بن صالح لم يخرج له البخارى، والذهبى نفسه يقرر ذلك فى ترجمته من «الميزان» ويقول: «وهو ممن احتج به مسلم دون البخارى وترى الحاكم يروى فى مستدركه أحاديثه ويقول : هذا على شرط البخارى فيهم فى ذلك ويكرره! وهذا ما وقع فيه الذهبى نفسه فى تلخيصه، فسبحان من لا ينسى ثم إن عبد الله بن صالح وإن كان أخرج له البخارى ففيه ضعف.. قال الحافظ فى «التقريب» «صدوق كثير الغلط، ثبت فى كتابه، وكانت فيه غفلة» قلت: ممثله يستشهد به، ولا يحتج به ١٠هـ«الإرواء» (٢/ ٢٠٠)
= ٠

يوجب صحة الجسد ويطرد عنه الداء وكذلك صيام النهار؛ ففى الطبرانى من حديث أبى هريرة مرفوعاً: «**صوموا تصحوا**»[1]؛ وكما أن قيام الليل يكفر السيئات، فهو يرفع الدرجات. وقد ذكرنا أن أهله من السابقين إلى الجنة بغير حساب، وفى حديث المنام المشهور الذى خرّجه الإمام أحمد والترمذى: «**إن الملأ**

= وأما حديث بلال رضى الله ، فقد أخرجه الترمذى (٣٥٤٩) وابن نصرفى «قيام الليل»(ص ١٨) والبيهقى فى «الكبرى» (٥٠٢) وفى سنده محمد بن سعيد الشامى، المصلوب، قال الحافظ فى «التقريب» (٢/ ١٦٤) كذبوه، وقال احمد بن صالح. وضع أربع آلاف حديث، وقال أحمد: قتله المنصور على الزندقة وصلبه» ١٠ هـ وقال الترمذى عقب الحديث: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث بلال إلا من هذا الوجه من قبل اسناده، قال: سمعت محمد بن إسماعيل[يعنى البخارى] يقول: محمد القرشى هو محمد بن سعيد الشامى، وهو ابن أبى قيس، وهو محمد بن حسان وقد تُرك حديثه. وقد روى هذا الحديث معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن أبى ادريس الخولانى عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ: حدثنا بذلك محمد بن إسماعيل نا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم ومكفرةٌ للسيئات، ومنهاة للإثم» قال أبو عيسى[هو الترمذى وهذا أصح من حديث أبى ادريس عن بلال ١٠ هـ .

قلت: ولحديث بلال شاهد من حديث سلمان رضى الله عنه مرفوعاً به وفيه الزيادة«ومطردة للداء عن الجسد» أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٦/ ٢٥٨) برقم(٦١٥٤) وابن عدى فى «الكامل» (٤/ ٢٨٧) وابن عساكر(١٥/ ١٤٠/ ٢) كما فى «الإرواء» (٢/ ٢٠١) من طريقين عن الوليد بن مسلم، أخبرنى عبدالرحمن بن سليمان بن أبى الجون الغنسى عن الأعمش عن بن سليمان به ، وقال ابن عدى: «وابن أبى الجون عامة أحاديثه مستقيمة وفى بعضها بعض الانكار وأرجو أنه لا بأس به» قلت: وفى «التقريب»: «صدوق يخطئ»

قال شيخنا الألبانى. وبقية رجاله ثقات غير أبى العلاء العنزى، قال الذهبى :«لا أعرفه» قلت: ولعله أبو العلاء الشامى الذى روى عن أبى أمامة وعنه أصبغ بن زيد الوراق، قال الحافظ فى «التقريب»: «مجهول»

قلت: ويتخلص مما سبق أن الحديث حسن دون الزيادة؛ لأنها لم تأت من طريقين يصلح أن يقوى أحدهما الآخر ١٠ هـ «الإرواء» (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢).

(١) ضعيف. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٨٣١٢) ط الحرمين من طريق محمد بن سليمان بن أبى داود عن زهير بن محمد عن سهيل بن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه.

وقال الطبرانى: لم يرو هذا الحديث عن سهيل بهذا اللفظ إلا زهير بن محمد ١٠هـ قلت: زهير بن محمد هو التميمى وهو مختلف فيه، قال الحافظ ابن حجر«رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضعف بسببها»» قال البخارى: عن أحمد: كأن زهير الذى يروى عنه الشاميون آخر، وقال أبو حاتم:«حدّث بالشام من حفظه فكثر غلطه»«التقريب »(١/ ٢٦٤).

قلت: وهذا الحديث من رواية أهل الشام عنه فهو ضعيف. وقال الحافظ العراقى فى «تخريج الإحياء» (٣/ ٧٥) رواه الطبرانى فى «الأوسط» وأبو نعيم فى «الطب النبوى» من حديث أبى هريرة بسند ضعيف.

الأعلى يختصمون فى الدرجات والكفارات»، وفيه: «**إن الدرجات إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام**»[1]، وفى المسند والترمذى وغيرهما عن النبى ﷺ من وجوه: «**إن فى الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وإنها لأهل هذه الخصال**[2] **الثلاثة**»[3]. وفى حديث عبد الله بن سلام المشهور المخرّج فى السنن: أنه أول ما سمع النبى ﷺ يقول عند قدومه المدينة: «**يا أيها الناس أطعموا الطعام، وافشوا السلام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس**

---

(١)**صحيح**. رواه أحمد(٥/ ٢٤٣) والترمذى (٣٢٣٥) من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه. وقال الترمذى: حسن صحيح سألت محمد بن إسماعيل[يعنى البخارى] عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح.
وأخرجه الترمذى (٣٢٣٣) وأحمد(١/ ٣٦٨) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبى قلابة عن ابن عباس مرفوعاً
وقال الترمذى: وقد ذكروا بين أبى قلابة وبين ابن عباس فى هذا الحديث رجلاً، وقد رواه قتادة عن أبى قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس ١٠هـ ثم اخرجه الترمذى(٣٢٣٤) من طريق معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن أبى قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس مرفوعاً. ثم قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ١٠هـ قال الشيخ احمد شاكر فى تعليقه على المسند وما أظن الترمذى يريد بذلك تعليل رواية معمر عن أيوب، فإن معمرا أحفظ من معاذ بن هشام وأثبت وأتقن، وخالد بن للجلاج العامرى ثقة، فلو صحت رواية معاذ بن هشام كان الحديث صحيحاً ولكن الظاهر أن رواية معاذ بن هشام غريبة؛ ولذلك قال في «التهذيب» فى ترجمة خالد ابن اللجلاج«روى عن ابن عباس فيما قيل» ١٠هـ ولكن قال الشيخ الألبانى: ولا مانع أن يكون له اسنادان هذا أحدهما والآخر الذي قبله. والله اعلم. «ظلال الجنة» (١/ ١٧٠)

(٢) أى إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام.

(٣) **حسن**. رواه أحمد(١/ ١٥٦) والترمذى (٢٥٢٧) وابن أبى شيبة٦٠/ ٧٨٤٠) والبيهقى فى «الشعب» (٣٣٦٠) وفى سنده عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث الواسطى، وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ٤٧٢) ولكن له شاهد من حديث أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه. رواه أحمد (٥/ ٣٤٣) وعبدالرزاق(٢٠٨٨٣) والطبرانى فى «الكبير»(٣٤٦٦) والبيهقى فى «السنن» ٤٠/ ٣٠٠ ـ ٣٠١).وفى «الشعب» (٣٨٩٢) وابن حبان(٢٥٠٩) احسان والبغوى فى «شرح السنة» (٩٢٧)،وفى سنده عبد الله بن معانق ، وهو مختلف فيه، وللحديث شاهد آخر عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنه. رواه أحمد(٢/ ١٧٣) من طريق ابن لهيعة، والحاكم ١٠/ ٣٢١) من طريق ابن وهب، كلاهما عن حيى بن عبد الله، عن أبى عبد الرحمن الحلبى عن عبد الله بن عمرو.
من طريق ابن وهب، كلاهما عن حيى بن عبد الله، عن أبى عبد الرحمن الحلبى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه ـ وصححه الحاكم ووافقة الذهبى.

نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[١]. **ومن فضائل التهجد: أن الله تعالى يحب أهله ويباهى بهم الملائكة ويستجيب دعاءهم.** روى الطبرانى وغيره من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«ثلاثة يحبهم الله، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم ـ فذكر منهم ـ الذى له امرأة حسناء وفراش حسن فيقوم من الليل، فيقول الله تعالى: يذر شهوته فيذكرنى ولو شاء رَقَد، والذى إذا كان فى سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا قام من السحر فى سراء وضراء»**[٢]. وخرَّج الإمام أحمد والترمذى والنسائى من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«ثلاثة يحبهم الله ـ فذكر منهم ـ وقوم ساروا ليلهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به فوضعوا رءوسهم فقام يتملقنى ويتلو آياتى»**[٣]، وصححه الترمذى. وفى المسند عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«عجب ربنا من رجلين: رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبه إلى صلاته، فيقول ربنا تبارك وتعالى: يا ملائكتى انظروا إلى عبدى ثار من فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبةً فيما عندى وشفقة مما عندى. ورجل غزا فى سبيل الله عز وجل وانهزم أصحابه وعلم ما عليه فى الانهزام وماله فى الرجوع فرجع حتى أهريق دمه، فيقول الله عز وجل لملائكته: انظروا إلى عبدى رجع رجاء فيما عندى وشفقة مما عندى حتى أهريق دمه»**[٤]، رواه أحمد، وذكر بقية الحديث، وقوله: ثار

---

(١) **صحيح** . رواه أحمد(٥/ ٤٥١) والترمذى (٢٤٨٥) وابن ماجه (١٣٣٤و٣٢٥١) والدارمى (١/ ٣٤٠) والحاكم (٣/ ١٣) وابن السنى(٢١١) وابن نصر فى «قيام الليل» (ص ١٧)،وابن سعد فى «الطبقات» (٤/ ٢٣٥) والبغوى فى «شرح السنة» (٩٢٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى. وقال الترمذى: حسن صحيح

(٢) **حسن.** رواه الطبرانى فى «الكبير» كما فى «المجمع» (٢/ ٢٥٥) وقال المنذرى فى «الترغيب والترهيب» (١/ ٢١٩) رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن.

(٣) **ضعيف.** رواه أحمد (٥/ ١٥٣) والنسائى (٣/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨ و٥/ ٨٤) والترمذى (٢٥٦٨) وابن خزيمة(٢٤٥٦) والحاكم (٢/ ٨٣) وصححه ووافقه الذهبى! وقال الترمذى: حسن صحيح!. قلت فى سنده زيد بن طبيان، قال الذهبى فى «الميزان» (٣/ ١٠٤) ما روى عنه سوى ربعى بن خراش. وكأن الذهبى رحمه الله يشير إلى أنه مجهول. وقال عنه الحافظ فى «التقريب» (١/ ٢٧٥) مقبول.

(٤) **حسن.** رواه أحمد(١/ ٤١٦) وأبو داود(٢٥٣٦) وأبو يعلى (٥٢٧٢) والبيهقى (٩/ ٤٦ و١٦٤) وابن أبى عاصم فى «السنة» (٥٦٩) وابن حبان (٢٥٥ ـ إحسان) والحاكم(٢/ ١١٢) .

فيه إشارة إلى قيامه بنشاط وعزم، ويروى من حديث عطية عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال: «**إن الله يضحك إلى ثلاثة نفر، رجل قام من جوف الليل فأحسن الطهور فصلى، ورجل نام وهو ساجد، ورجل فى كتيبة منهزمة فهو على فرس جواد لو شاء أن يذهب لذهب**»، وخرَّجه ابن ماجة من رواية مجالد عن أبى الوداك عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال: «**إن الله ليضحك إلى ثلاثة: الصف فى الصلاة، والرجل يصلى فى جوف الليل، والرجل يقاتل أراه قال: خلف الكتيبة**»[1]. وروّينا من حديث أبان عن أنس عن ربيعة بن وقاص عن النبى ﷺ قال: «**ثلاث مواطن لا ترد فيها دعوة رجل يكون فى بريّة حيث لا يراه أحد فيقوم فيصلى فيقول الله للملائكته: أرى عبدى هذا يعلم أن له رباً يغفر الذنب، فانظروا ما يطلب؟ فتقول الملائكة: أى رب رضاك ومغفرتك، فيقول: اشهدوا أنى قد غفرت له، ورجل يقوم من الليل فيقول الله عز وجل: أليس قد جعلت الليل سكناً والنوم سباتاً فقام عبدى هذا يصلى ويعلم أن له رباً يغفر الذنوب، فيقول الله لملائكته: «انظروا ما يطلب عبدى هذا؟»** فتقول الملائكة: يا رب رضاك ومغفرتك، فيقول: «**اشهدوا أنى قد غفرت له**»، وذكر الثالث: **الذى يكون فى فئة فيفر أصحابه ويثبت هو**[2]؛ وهو مذكور أيضاً فى كل الأحاديث المتقدمة. وفى المسند وصحيح ابن حبان عن عقبة بن عامر عن النبى ، قال: «**رجلان من أمتى يقوم أحدهما من الليل يعالج نفسه إلى الطهور وعليه عقد فيتوضأ فإذا وضأ يديه انحلت عقدة وإذا وضأ وجهه انحلت عقدة، وإذا مسح رأسه انحلت عقدة، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة، فيقول الرب عز وجل للذين وراء الحجاب: انظروا إلى عبدى هذا يعالج**

---

(١) ضعيف رواه البزار(٧١٥) وفى سنده محمد بن أبى ليلى وهو ضعيف. وقال الهيثمى فى «المجمع» (٢/ ٢٥٦) رواه ابن ماجه وغيره بغير هذا السياق، رواه البزار، وفيه: محمد بن أبى ليلى، وفيه كلام كثير لسوء حفظه لا لكذبه١٠هـ ورواه أحمد (٣/ ٨٠) وابن ماجه فى « المقدمة» (٢٠٠) وأبو يعلى(١٠٠٤) والبيهقى فى «الأسماء والصفات»ص ٤٧٢ وفى سنده مجالد بن سعيد، وهو ضعيف.

(٢) **ضعيف**. رواه ابن منده كما فى « الإصابة فى تمييز الصحابة» (١/ ٥١٢) وقال الحافظ ابن حجر: إسناده ضعيف.

نفسه ما سألنى عبدى هذا فهو له»[١]. وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: **«نعم الرجل عبد الله ـ يعنى ابن عمر ـ لو كان يصلى من الليل»**، فكان عبد الله لا ينام بعد ذلك من الليل إلاَّ قليلا[٢].

كان أبو ذر رضى الله عنه يقول للناس: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلى، قال: فسفر طريق القيامة أبعد فخذوا له ما يصلحكم، حجوا حجة لعظائم الأمور، صوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور، صلوا ركعتين فى ظلمة الليل لظلمة القبور، تصدقوا بصدقة لشرٍّ يوم عسير أين رجال الليل أين الحسن وسفيان وفضيل؟

يا رجال الليل جدوا رب داع لا يريد ... ما يقوم الليل إلا من له عزم وجد

ليس شىء كصلاة الليل للقبر يُعد

صلى كثير من السلف صلاة الصبح بوضوء العشاء عشرين سنة، ومنهم من صلى كذلك أربعين سنة، قال بعضهم: منذ أربعين سنة ما أحزننى إلاَّ طلوع الفجر.

قال ثابت: كابدت قيام الليل عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة أخرى.

أفضل قيام الليل وسطه. قال النبى ﷺ: **«أفضل القيام قيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه»**[٣]، وكان رسول الله ﷺ إذا سمع الصارخ يقوم للصلاة[٤]، والصارخ: الديك، وهو يصيح وسط الليل. وخرَّج النسائى عن

---

(١) صحيح. رواه أحمد(٤/ ١٥٩ و٢٠١) والطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ٣٠٥) برقم (٨٤٣) وابن حبان(١٠٥٢ ـ احسان) وقال الهيثمى فى «المجتمع» (١/ ٢٢٤) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ،وله سندان، رجال أحدهما رجال الصحيح.

(٢) رواه البخارى (١١٢١) كتاب التهجد، باب : فضل القيام الليل ومسلم (٦٢٥٣) كتاب الفضائل، باب: من فضائل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما. وابن ماجه فى «الرؤيا» (٣٩١٩ باب: تعبير الرؤيا.

(٣) رواه البخارى (١١٣١) كتاب التهجد، باب: من نام عند السَّحر.

(٤) رواه البخارى (١١٣٢) كتاب التهجد، باب: من نام عند السَّحر. ومسلم (١٦٩٩) كتاب الصلاة، باب: صلاة الليل وأبو داود فى «الصلاة» (١٣١٧) باب: وقت قيام النبى ﷺمن اليل والنسائى فى «الصلاة» (٣/ ٢٠٨) باب ، وقت القيام.

أبى ذر قال: سألت النبى ﷺ: أى الليل خير؟ قال: «**جوفه**»[1]. وخرَّج الإمام أحمد عن أبى ذر قال: سألت النبى ﷺ أى قيام الليل أفضل؟ قال: «**جوف الليل الغابر أو نصف الليل وقليل فاعله**»[2]. وخرَّج ابن أبى الدنيا من حديث أبى أمامة أن رجلاً قال: يا رسول لله أى الصلاة أفضل؟ قال: «**جوف الليل الأوسط**»، قال: أى الدعاء أسمع؟ قال: «**دبر المكتوبات**»، وخرَّجه الترمذى والنسائى ولفظهما: أنه سأله أى الدعاء أسمع؟ قال: «**جوف الليل الأخير، ودبر الصلوات المكتوبات**»[3]. وخرّج الترمذى من حديث عمرو بن عنبسة سمع النبى ﷺ يقول: «**أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن**»[4]، ويروى أن داود عليه السلام قال: يا رب أى وقت أقوم لك؟ قال: لا تقم أول الليل ولا آخره، ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى وأخلو بك، وارفع إلىّ حوائجك. وفى الأثر المشهور: «كذب من ادعى محبتى فإذا جنّه الليل نام عنى، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه فها أنا ذا مطلع على أحبابى إذا جنّهم الليل، جعلت أبصارهم فى قلوبهم فخاطبونى على المشاهدة، وكلمونى على حضورى، غداً أقر أعين أحبابى فى جنانى

اللَّيلُ لى ولأحبابى أُحَادِثُهُمْ قد اصْطفيتُهُم كَىْ يَسْمَعُوا ويَعُوا
لَهُم قلوبٌ باسْرارى بها ملئت على ودادى وارشادِى لهم طُبعُوا
سَروا فما وَهَنُوا عَجْزًا ولا ضَعُفُوا وواصَلُوا حَبْلَ تقريبى فما انقطعُوا

ما عند المحبين ألذ من أوقات الخلوة بمناجاة محبوبهم هو شفاء قلوبهم ونهاية مطلوبهم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) حسن. رواه أحمد(٥/ ١٧٩) والبيهقى (٣/ ٤) والمزى فى «التهذيب الكمال» (٢٨/ ٥٨١)

(٣) ضعيف. رواه ابن أبى الدنيا فى «التهجد» (٢٤٠) والترمذى (٣٤٩٩ ٢) والنسائى فى «الكبرى (٦/ ٣٢) برقم (٩٩٣٦) وفى «عمل اليوم والليلة» (١٠٨) وفى سنده ابن جريج وهو مدلس وقد عنعنه

كتمت اسم الحبيب من العباد   ورددت الصبابة فى فؤادى

فيـا شوقـاً إلى بـلد خلـى   لعلى اسم من أهوى أنادى

كان داود الطائى[1] يقول فى الليل: همك عطَّل على الهموم، وحالف بينى وبين السهاد وشوقى إلى النظر إليك أوثق منى اللذات، وحال بينى وبين الشهوات. وكان عتبة الغلام[2] يقول فى مناجاته بالليل: إن تعذبنى فإنى لك محب، وإن ترحمنى فإنى لك محب.

لو أنك أبصرت أهل الهوى   إذا غارت الأنجم الطـلع[3]

فهــذا ينوح علـى ذنبـه   وهذا يصلى وذا يركـع

من لم يشاركهمْ فى هواهم ويذوق حلاوة نجواهم، لم يدر ما الذى أبكاهم، من لم يشاهد جمال يوسف لم يدر ما الذى آلم قلب يعقوب.

من لم يبت والحب حشو فؤاده   لمْ يدر كيف تفتت الأكباد

كان أبو سليمان[4] يقول: أهل الليل فى ليلهم ألذُ من أهل الهوى فى لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا، وسط الليل للمحبين للخلوة بمناجاة حبيبهم، والسحر للمذنبين للاستغفار من ذنوبهم، فوسط الليل خاص لخلوة الخواص؛ والسحر عام لرفع قصص الجميع وبروز التواقيع لأهلها بقضاء

---

(٤) صحيح. رواه الترمذى (٣٥٧٩) وابن خزيمة(١١٤٧) وقال الترمذى : حسن صحيح غريب.

(١) هو الإمام الفقيه، القدوة الزاهد، أبو سليمان، داود بن نصير الطائى الكوفى، ولد بعد المئة بسنوات، وكان من كبار أئمة الفقه والرأى، برع فى العلم بأى حنيفة ثم أقبل على شانه، ولزم الصمت، وآثر الخمول وفرَّ بدينه. مات سنة اثنتين وستين ومئة، وقيل سنة خمس وستين ومئة، وقيل سنة خمسين وستين. انظر « سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٢٢) والخبر الذى ساقه المصنف فى « صفة الصفوة» (٣/ ١٤١)

(٢) هو الزاهد، الخاشع، الخائف، عتبة بن أبان البصرى كان يُشبَّه فى حزنه بالحسن البصرى، كان من نُسَّاك أهل البصرة. انظر « سير أعلام النبلاء » (٧/ ٦٢) والخبر الذى ساقه المصنف فى«صفة الصفوة»(٣/ ٣٧١).

(٣) الأفضل أن يقال لو أنك أبصرت أهل التقى، بدلاً من قوله: أهل الهوى.

(٤) هو أبو سيلمان الدارانى، ولد فى حدود الأربعين ومائة وتوفى سنة خمس عشرة ومئيتن وقيل: مات سنة خمس ومئتين. انظر ترجمته فى « سيرة أعلام النبلاء» (١٠/ ١٨٢)

الحوائج، فمن عجز عن مسابقة المحبين فى ميدان مضمارهم، فلا يعجز عن مشاركة المذنبين فى استغفارهم واعتذارهم، صحائف التائبين خدودهم، ومدادهم دموعهم. قال بعضهم: إذا بكى الخائفون فقد كاتبوا الله بدموعهم، رسائل الأسحار تُحملُ ولا يدرى بها الفلك، وأجوبتها تردُ إلى الأسرار ولا يعلم بها الملك.

صحائفنـا إشارتنـــا وأكثر رسلنا الحرق
لأن الكتب قد تقـرأ بغير الدمـع لا تثق

لا تزال القصص تستعرض ويوقع بقضاء حوائج أهلها إلى أن يطلع الفجر، ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من داعٍ فأجيب دعوته إلى أن ينفجر الفجر[1]، فلذلك كانوا يفضلون صلاة آخر الليل على أوله.

نحـــن الذيـــن إذا أتانــا سائــل نوليه إحساناً وحسن تكـرم
ونقول فى الأسحار هل من تائب مستغفر لينـال خيـر المغنـم

الغنيمة تقسم على كل من حضر الوقعة فيعطى منها الرجالة[2] والأجراء والغلمان مع الأمراء والأبطال والشجعان والفرسان فما يطلع فجر الأجر إلاَّ وقد حاز القوم الغنيمة وفازوا بالفخر وحمدوا عند الصباح السرى[3]، وما عند أهل الغفلة والنوم خير مما جرى. كان بعض الصالحين يقوم الليل فإذا كان السحر نادى

---

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعونى فأستجيب له ومن يسألنى فأعطيه، ومن يستغفرنى فأغفر له» رواه البخارى (١١٤٥) ومسلم (١٧٤١) وأبو داود(١٣١٤) والترمذى (٣٤٩٨) والنسائى فى «الكبرى» وفى «عمل اليوم والليلة» ومالك فى «الموطأ » (١/ ٢١٤/ ٣٠) وأحمد(٢/ ٢٦٤ و٥٠٤) وابن خزيمة فى «التوحيد» (ص ١٢٧) وابن ماجه (١٣٦٦) واللالكائى فى «أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٣٦) والدارمى(١/ ٤١٣) والدارقطنى فى «سبب النزول» (ص ٩٣ ـ ٩٤) والآجرى فى «الشريعة» (ص ٣٠٨) والبيهقى فى «الأسماء والصفات» وفى «السنن »(٣/ ٢) وابن أبى عاصم فى «السنة» (١/ ٢١٧)

(٢) **الرِّجالة**: جمع رجل

(٣) **السُّرى** : سير عامة الليل، وقيل: سير الليل كله

بأعلى صوته يا أيها الركب[1] المعرسون[2] أكل هذا الليل ترقدون، ألا تقومون فترحلون، فإذا سمع الناس صوته وثبوا من فرشهم فيسمع من هنا باك، ومن هنا داع، ومن هنا نال، ومن هو متوضئ فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى.

يا نفس قومى فقد نام الـــورى   إن تصنعى الخير فذو العرش يرى

وأنت يا عين دعى عنك الكرى   عند الصباح يحمد القوم السـرى

يا قُوَّام الليل اشفعوا فى النوام، يا أحياء القلوب ترحموا على الأموات. قيل لابن مسعود رضى الله عنه: ما نستطيع قيام الليل؟ قال: أقعدتكم ذنوبكم. وقيل للحسن: قد أعجزنا قيام الليل؟ قال: قيدتكم خطاياكم. وقال الفضيل بن عياض: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم فكَبَّل كبّلتك خطيئتك.

قال الحسن: إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل. قال بعض السلف: أذنبت ذنباً فحرمت به قيام الليل ستة أشهر. ما يؤهل الملوك للخلوة بهم إلاَّ من أخلص فى ودهم ومعاملتهم، فأما من كان من أهل المخالفة فلا يؤهلونه. فى بعض الآثار: إن جبريل عليه السلام ينادى كل ليلة أقم فلاناً، وأنم فلاناً. قام بعض الصالحين فى ليلة باردة وعليه ثياب رثّة فضربه البرد فبكى فهتف به هاتف أقمناك وأنمناهم ثم تبكى علينا.

ياحُسْنَهُمْ والَّليْلُ قَدْ جنَّهُم   ونورُهُم يفوقُ نُورَ الأَنْجُمِ

ترنَّموا بالذِّكْر فى لَيْلِهِمِ   فعيشُهُم قَدْ طَاَب فى التَّرَنُّمِ

قلوبهم للّذِكْر قَدْ تفَرَّغَتْ   دُمُوعُهُم كَلُؤلؤ مُنظَّمَ

أسحارُهُم بهم لُهْم قد أشرَقَت   وخِلَعَ الغفران خَيْرُ القِسَمِ

---

(١) الركب: أصحاب الإبل فى السفر.

(٢) التعريس: نزول القوم فى آخر الليل للاستراحة ثم يواصلون الرحيل.

الليل منهل يرده أهل الإرادة كلهم، ويختلفون فيما يردون ويريدون﴿**قد علم كل أناس مشربهم**﴾[1]، فالمحب يتنعم بمناجاة محبوبه، والخائف يتضرع لطلب العفو ويبكى على ذنوبه، والراجى يلح فى سؤال مطلوبه، والغافل المسكين أحسن الله عزاءه فى حرمانه، وفوات نصيبه. قال النبى ﷺ لعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: «**لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل**»[2].

مرضت رابعة[3] مرة فصارت تصلى وردها بالنهار فعوفيت، وقد ألفت ذلك وانقطع عنها قيام الليل فرأت ذات ليلة فى نومها كأنها أدخلت إلى روضة خضراء عظيمة، وفتح لها فيها باب دار فسطع منها نور حتى كاد يخطف بصرها فخرج منها وُصَفَاء كأن وجوههم اللؤلؤ بأيديهم مجامر فقالت لهم امرأة كانت مع رابعة: أين تريدون؟ قالوا: نريد فلاناً قتل شهيداً فى البحر فنجمره، فقالت لهم: أفلا تجمرون هذه المرأة ـ تعنى رابعة ـ فنظروا إليها وقالوا: قد كان لها حظ فى ذلك فتركته، فالتفتت تلك المرأة إلى رابعة فأنشدت:

صلاتك نورٌ والعبادُ رُقُودُ ونومُك ضدٌّ للصلاةِ عَنِيدُ

كان بعض العلماء يقوم السحر فنام عن ذلك ليالى، فرأى فى منامه رجلين

---

(١) سورة البقرة : آية ٦٠

(٢) رواه البخارى (١١٥٢) كتاب التهجد، باب : [ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه. ومسلم (٢٦٨٨) كتاب الصيام باب: النهى عن صوم الدهر لمن تضرر به. والنسائى فى «قيام الليل» (٣/ ٢٥٣) باب: ذم من ترك قيام الليل.
وابن ماجه فى «الصلاة» (١٣٣١) باب: ما جاء فى قيام الليل.

(٣) هى أم عمرو، رابعة بنت إسماعيل العدوية، البصرية وقد اختلف العلماء فيها اختلافاً كثيراً فالبعض ينسبها للصلاح والتقى، والبعض ينسبها للزندقة والإلحاد وقال البعض إنها أسطورة لم يكن لها وجود أصلاً ولكن ترجم لها الإمام الذهبى بقوله: الزاهدة، العابدة، الخاشعة.. لها سيرة فى جزء لابن الجوزى ثم ذكر لها بعض الكرامات، ثم قال: حكى عنها سفيان وشعبه ،وغيرهما ما يدل على بطلان ما قيل عنها وقد تمثلته بهذا:
ولَقَدْ جَعَلْتُك فى الفُؤادِ مُحدِّثى وأبحتُ جِسمي مَنْ أراد جُلوسى
فنسبها بعضهم إلى الحلول بنصف البيت، وإلى الإباحة بتمامه، ثم قال الذهبى :فهذا غلو وجهل ولعل من نسبها إلى ذلك مباحى حلولى ليحتج بها على كفره ١٠هـ
قلت : هكذا دافع الذهبى ـ رحمه الله ـ عن رابعة ولم يذكر لبيت الشعر توجيهاً يبرئها به مما نسب إليها. وقد توفيت سنة ١٣٥ وقيل سنة ١٨٠هـ .انظر «سيرة أعلام النبلاء» (٨/ ٢٤١) و«صفة الصفوة» (٤/ ٢٧).

وقفا عليه، وقال أحدهما للآخر: هذا كان من المستغفرين بالأسحار فترك ذلك، يا من كان له قلب فانقلب، يا من كان له وقت مع الله فذهب، قيام السحر يستوحش لك صيام النهار، يسائل عنك الوصال تعاتبك على الهجر.

تَغَيَّرْتُمو عنَّا بُصُحْبَةِ غَيْرِنا ... وأظهرتُمُ الهِجْرانَ مَاهكذا كُنَّا

وأقسمتموا أن لا تحُولُوا عن الهَوى ... فحلْتُم عِن العهدِ القَديمِ وماحُلْنا

ليَالى كُنَّا نستقى مِن وِصالِكُم ... وقلبى إلى تلك الليالَى قَدْ حَنَّا

قيل للنبى ﷺ: إن فلاناً نام حتى أصبح ؟ فقال : «**بال الشيطان فى أذنيه**» [١].

كان سرى [٢] يقول : رأيت الفوائد ترد فى ظلمة اليل، ماذا فات من فاته خير الليل لقد حصل أهل الغفلة والنوم على الحرمان والويل. كان بعض السلف يقوم الليل فنام ليلة فأتاه آت فى منامه فقال له: قم فصل، ثم قال له : إما علمت أن مفاتح الجنة مع أصحاب الليل هم خزانها، وكان آخر يقوم الليل فنام ليلة فأتاه آت فى نامه فقال: مالك قصرت فى الخطبة، أما علمت أن المجتهد إذا قام إلى تهجده قالت الملائكة : قام الخاطب إلى خطبته. ورأى بعضهم حوراء فى نومه فقال لها: زوجينى نفسك قالت : إخطبنى إلى ربى وأمهرنى. قال : ما مهرك؟ قالت : طول التهجد . نام ليلة أبو سليمان الدارانى فأيقظه حوراء وقالت: يا أبا سليمان تنام وأنا أُربى لك فى الخدور من خمسمائة عام [٣]؟ واشترى بعضهم

---

(١) رواه البخارى(١١٤٤) كتاب الصلاة، باب: باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان فى أذنه. ومسلم (١٧٨٦) كتاب الصلاة، باب: ما روى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح. والنسائى فى «الصلاة» (٣/ ٢٠٣) باب: الترغيب فى قيام الليل. وابن ماجه فى س الصلاة» (١٣٣٠) باب: ما جاء فى قيام الليل قال النووى: اختلفوا فى معناه، فقال ابن قتيبة: معناه افسده، يقال: بال فى كذا إذا أفسده، وقال: المهلب والطحاوى وآخرون: هو استعارة وإشارة إلى انقياده للشيطان وتحكمه فيه وعقده على قافية رأسه وإذلاله له، وقيل: معناه استخف به واحتقره واستعلى عليه، يقال لمن استخف بانسان وخدعه : بال فى أذنه، وأصل ذلك فى دابة تفعل ذلك بالأسد إذلالاً له، وقال الحربى: معناه ظهر عليه وسخر منه، قال القاضى عياض: ولا يبعد أن يكون على ظاهره قال: وخصّ الأذن لأنها حساسة الانتباه.

(٢) هو: السَّرِىُّ بن المغلس السَّقطى، أبو الحسن البغدادى، ولد فى حدود الستين ومئة، وتوفى فى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومئتين. وقيل: توفى سنة إحدى وخمسين، وقيل : سنة سبع وخمسين. انظر «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١٨٥) و«صفة الصفوة »(/ ٣٧٥)

(٣) الخبر أورده ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» (٤/ ٢٢٤) .

من الله تعالى حوراء بصداق ثلاثين ختمة فنام ليلة قبل أن يكمل الثلاثين فرآها في منامه تقول له:

أتخطب مثلى وعنى تنام	ونوم المحبين عنى حرام
لأنا خلقنا لكل امرئ	كثير الصلاة بَرَاه الصيام

كان النبى ﷺ يطرق باب فاطمة وعلى ويقول: **«ألا تصليان»** [1]. وفى الحديث: **«إذا استيقظ الرجل وأيقظ أهله فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذكرات»** [2].

كانت امرأة حبيب توقظه بالليل وتقول: ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد وزادنا قليل وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا.

ياراقدَ اللَّيْل كَمْ تَرْقد	قُم يا حبيبى قَدْ دنا الموْعدُ
وخُذْ من اللَّيل وأوقاته	وِرْدًا إذا ما هجع الرُّقَدُ
مَن نَامَ حتى ينقضى ليلهُ	لم يبلغ المنزلَ أوْ يَجْهَدُ
قُل لأولى الألباب أهل التُّقى	قَنْطرةُ العَرْضِ لكُمَ مَوعدُ

●●●●●

---

(١) رواه البخارى(١١٢٧) كتاب الصلاة، باب: تحريض النبى ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب. ومسلم (١٧٨٧) كتاب الصلاة، باب ما روى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح. والنسائى فى «الصلاة» (٣/ ٢٠٥) باب: الترغيب فى قيام الليل.

(٢) **صحيح**. رواه أبو داود(١٣٠٩ و١٤٥١٠) وابن ماجه (١٣٣٥) من حديث أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما.

فى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن يوم عاشوراء فقال: ما رأيت رسول الله ﷺ صام يوما يتحرى فضله على الأيام إلاَّ هذا اليوم - يعنى يوم عاشوراء، وهذا الشهر - يعنى رمضان [١]- يوم عاشوراء له فضيلة عظيمة، وحرمة قديمة، وصومه لفضله كان معروفاً بين الأنبياء عليهم السلام، وقد صامه نوح وموسى عليهما السلام كما سنذكره إن شاء الله تعالى. وروى إبراهيم الهجرى عن أبى عياض عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**يوم عاشوراء كانت تصومه الأنبياء فصوموه أنتم**» [٢]، خرجه بقى بن مخلد فى مسنده. وقد كان أهل الكتاب يصومونه كذلك قريش فى الجاهلية كانت تصومه. قال دلهم بن صالح: قلت لعكرمة: عاشوراء ما أمره؟ قال: أذنبت قريش فى الجاهلية ذنباً فتعاظم فى صدورهم فسألوه ما توبتهم؟ قيل صوم عاشوراء يوم العاشر من المحرم.

وكان للنبى ﷺ فى صيامه أربع حالات:

الحالة الأولى: أنه كان يصومه بمكة ولا يأمر الناس بالصوم، ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان عاشوراء يوماً تصومه قريش فى الجاهلية، وكان النبى ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما نزلت فريضة شهر رمضان كان رمضان هو الذى يصومه فترك يوم عاشوراء. فمن شاء صامه ومن شاء أفطره [٣] وفى رواية للبخارى وقال رسول الله ﷺ «**من شاء فليصمه ومن شاء أفطر**» [٤].

---

(١) رواه البخارى (٢٠٠٦) كتاب الصوم، باب: صيام يوم عاشوراء. ،مسلم(٢٦٢١) كتاب الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء، وأحمد (١/ ٣٦٧) والنسائى فى « الصيام» (٤/ ٢٠٤) باب: صوم النبى ﷺ بأبى هو وأمى.

(٢) **ضعيف**. رواه ابن أبى شيبة فى « المصنف» ٢٠/ ٤٧١ / ٤)ط دار الفكر. وفى سنده إبراهيم الهجرى وهو لين الحديث، رفع موقوفات كما فى « التقريب» (١/ ٤٣)

(٣) رواه البخارى(٢٠٠٢) كتاب الصوم، باب: صيام يوم عاشوراء. ومسلم (٢٥٩٦) كتاب الصيام، باب: صوم يوم عاشوزاء.

(٤) رواه البخارى (١٨٩٣) كتاب الصوم، باب: وجوب صوم رمضان. ومسلم (٢٦٠٠) كتاب الصيام باب: صوم يوم عاشوراء من حديث عائشة رضى الله عنها.

الحالة الثانية: أن النبى ﷺ لما قدم المدينة ورأى صيام أهل الكتاب لهُ وتعظيمهم لهُ وكان يحب موافقتهم فيما لم يؤمر به صامه وأمر الناس بصيامه وأكد الأمر بصيامه والحث عليه حتى كانوا يصومونه أطفالهم، ففى الصحيحين عن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما هذا اليوم الذى تصومونه؟**» قالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: «**فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه**»[1]. وفى مسند الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: مر النبى ﷺ بأناس من اليهود قد صاموا عاشوراء فقال: «**ما هذا من الصوم؟!**» قالوا: هذا اليوم الذى نجى الله عز وجل موسى عليه السلام وبنى إسرائيل من الغرق، وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى، فصام نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله عز وجل فقال النبى ﷺ: «**أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم، فأمر أصحابه بالصوم**»[2] وفى الصحيحين عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه أن النبى ﷺ أمر رجلاً من أسلم: «**أن أذّن فى الناس: من أكل فليصم بقية يومه، ومن لم يكن أكل فليصم، فإن اليوم يوم عاشوراء**»[3]، وفيهما أيضاً عن الربيع بنت معوذ قالت: أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التى حول المدينة: «من كان أصبح صائماً فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطراً فليتم بقية يومه»، فكنا بعد ذلك نصومه ونصوم صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه إياها حتى يكون عند الإفطار». وفى رواية «فإذا سألونا الطعام

---

(١) رواه البخارى (٢٠٠٤) كتاب الصوم، باب: صيام يوم عاشوراء ومسلم(٢٦١٧) كتاب الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء. وأحمد (١/ ٢٩١).

(٢) ضعيف. رواه احمد(٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠) وفى سنده حبيب بن عبد الله الأزدى والد عبد الصمد وهو مجهول كما فى « التقريب» (١/ ١٥٠)

(٣) رواه البخارى(٢٠٠٧) كتاب الصوم باب: صيام يوم عاشوراء. ومسلم (٢٦٢٧) كتاب الصيام، باب: من أكل فى عاشوراء فليكف بقية يومه والنسائى فى « الصوم» (٤/ ١٩٢) باب: إذا لم يجمع من الليل هل يصوم ذلك اليوم من التطوع.

أعطيناهم اللعبة نلهيهم حتى يتموا صومهم»[١]، وفى الباب أحاديث كثيرة جداً. وخرّج الطبرانى بإسناد فيه جهالة أن النبى ﷺ كان يدعو يوم عاشوراء برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة فيتفل فى أفواههم ويقول لأمهاتهم: «لا ترضعوهم إلى الليل، وكان ريقه ﷺ يجزئهم»[٢].

وقد اختلف العلماء رضى الله عنهم هل كان صوم يوم عاشوراء قبل فرض شهر رمضان واجباً أم كان سنة متأكدة؟ على قولين مشهورين. ومذهب أبى حنيفة أنه كان واجباً حينئذ؛ وهو ظاهر كلام الإمام أحمد وأبى بكر الأثرم. وقال الشافعى رحمه الله بل كان متأكد الاستحباب فقط وهو قول كثير من أصحابنا وغيرهم.

الحالة الثالثة: أنه لما فرض صيام شهر رمضان ترك النبى ﷺ أمر الصحابة بصيام عاشوراء وتأكيده فيه وقد سبق حديث عائشة فى ذلك. وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: صام النبى ﷺ عاشوراء وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك ذلك. وكان عبد الله لا يصومه إلاَّ أن يوافق صومه[٣]. وفى رواية لمسلم: أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء وأن رسول الله ﷺ صامه والمسلمون قبل أن يفرض رمضان، فلما فرض رمضان قال رسول الله ﷺ: «**إن عاشوراء يوم من أيام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه**»[٤]. وفى رواية له أيضاً: «**فمن أحب منكم أن يصومه فليصمه ومن كره فليدعه**»[٥]. وفى الصحيحين أيضاً عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هذا يوم**

(١) رواه البخارى ١٩٦٠٠) كتاب الصوم، باب: صوم الصبيان ومسلم(٢٦٢٨ و٢٦٢٩) كتاب الصيام، باب: من أكل فى عاشوراء فليكف بقية يومه.

(٢) ضعيف. رواه الطبرانى فى «الكبير» (٢٤/ ٢٧٧) برقم (٧٠٤) وفى «الأوسط» (٢٥٦٨)وأبو يعلى (١٣/ ٩٢) برقم (٧١٦٢) وابن خزيمة(٣/ ٢٨٩) برقم (٢٠٩٠) والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٦/ ٢٢٦) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣/ ١٨٦) وعليلة ومن فوقها لم أجد من ترجمهن وسمى الطبرانى فقال عليلة بنت الكميت عن أمها أمينة.

(٣) رواه البخارى(١٨٩٢) كتاب الصوم. باب: وجوب صوم رمضان. ،مسلم (٢٦٠٤) كتاب الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء. واحمد (٢/ ١٤٣)

(٤) رواه مسلم(٢٦٠١) كتاب الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء.

(٥) رواه مسلم(٢٦٠٣) كتاب الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء والنسائى فى «الصيام» فى «الكبرى» ٢٠/ ١٥٧) برقم (٢٨٤٠) وابن ماجه فى «الصيام» (١٧٣٧) باب: صيام يوم عاشوراء

عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر»[1]. وفى رواية لمسلم[2] التصريح برفع آخره. وفى رواية للنسائى أن آخره مدرج من قول معاوية وليس بمرفوع[3]. وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود أنه قال فى يوم عاشوراء: هو يوم كان رسول الله ﷺ يصومه قبل أن ينزل رمضان، فلما نزل شهر رمضان ترك. وفى رواية أنه تركه[4]. وفيه أيضاً عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام يوم عاشوراء ويحثنا عليه ويتعاهدنا عنده، فلما فرض رمضان لم يأمرنا ولم ينهنا عنه، ولم يتعاهدنا عنده[5]. وخرج الإمام أحمد والنسائى وابن ماجة من حديث قيس بن سعد قال: أمرنا رسول الله ﷺ بصيام عاشوراء قبل أن ينزل رمضان، فلما نزل رمضان لم يأمرنا ولم ينهنا. وفى رواية: ونحن نفعله[6]. فهذه الأحاديث كلها تدل على أن النبى ﷺ لم يجدد أمر الناس بصيامه بعد فرض صيام شهر رمضان بل تركهم على ما كانوا عليه من غير نهى عن صيامه. فإن كان أمره ﷺ بصيامه قبل فرض صيام شهر رمضان للوجوب فإنه ينبنى على أن الوجوب إذا نسخ فهل يبقى الاستحباب أم لا؟ وفيه اختلاف مشهور بين العلماء رضى الله عنهم وإن كان أمره للاستحباب المؤكد، فقد قيل: إنه زال التوكيد وبقى أصل الاستحباب، ولهذا قال قيس بن سعد: ونحن نفعله، وقد روى عن ابن مسعود وابن عمر رضى الله عنهما ما يدل على أن أصل استحباب صيامه زال. وقال سعيد بن المسيب: لم يصم رسول الله ﷺ عاشوراء. وروى عنه عن سعد بن أبى وقاص، والمرسل أصح قاله الدارقطنى.

وأكثر العلماء على استحباب صيامه من غير تأكيد، وممن روى عنه صيامه من

---

(١) رواه البخارى (٢٠٠٣) كتاب الصوم، باب: صيام يوم عاشوراء. ومسلم (٢٦١٢) كتاب الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء. واحمد (٤/ ٩٧/ ٩٨) والنسائى فى «الكبرى» (٢/ ١٦١) برقم (٢٨٥٧).

(٢) رواه مسلم(٢٦١٤) كتاب الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء

(٣) لم أقف على هذه الرواية. وقال الحافظ فى «الفتح» (٤/ ٢٩٠) هو كله من كلام النبى ﷺ كما بينه النسائى فى روايته.

(٤) رواه مسلم(٢٦٠٩ و٢٦١٠) كتاب الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء.

(٥) رواه مسلم (٢٦١١) كتاب الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء.

(٦) **صحيح**. رواه احمد (٣/ ٤٢٢ و٦/ ٦) والنسائى (٥/ ٤٩) وابن ماجه (١٨٢٨) وابن خزيمة (٢٣٩٤)

الصحابة عمر وعلى وعبد الرحمن بن عوف وأبو موسى وقيس بن سعد وابن عباس وغيرهم. ويدل على بقاء استحبابه قول ابن عباس رضى الله عنهما: لم أر رسول الله ﷺ يصوم يوماً يتحرى فضله على الأيام إلاّ يوم عاشوراء، وشهر رمضان، وابن عباس إنما صحب النبى ﷺ بآخرة، وإنما عقل منه ﷺ من آخر أمره. وفى صحيح مسلم عن أبى قتادة أن رجلاً سأل النبى ﷺ عن صيام عاشوراء؟ فقال: «**أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله**»[1]. وإنما سأله عن التطوع بصيامه فإنه سأله أيضاً عن صيام يوم عرفة، وصيام الدهر، وصيام يوم وفطر يوم، وصيام يوم وفطر يومين، فعلم أنه إنما سأله عن صيام التطوع. وخرّج الإمام أحمد والنسائى من حديث حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضى الله عنها: أن النبى ﷺ لم يكن يدع صيام يوم عاشوراء، والعشر، وثلاثة أيام من كل شهر[2]، وخرّجه أبو داود إلاّ أن عنده عن بعض أزواج النبى ﷺ غير مسماة.

الحالة الرابعة: أن النبى ﷺ عزم فى آخر عمره على أن لا يصومه مفرداً بل يضم إليه يوماً آخر مخالفة لأهل الكتاب فى صيامه، ففى صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال حين صام رسول الله ﷺ عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ : «**فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع**». قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله ﷺ[3]. وفى رواية له أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**لئن بقيت إلى قابل لأصومنّ**

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٠ و٢٧٠١) كتاب الصيام، باب: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس. واحمد (٥/ ٢٩٧و ٣١١) وأبو داود فى « الصوم»(٢٤٢٥) باب: فى صوم الدهر تطوعاً. والترمذى فى « الصوم» (٤/ ٢٠٧) باب: ما جاء فى فضل صوم عرفة. والنسائى فى « الصيام» (٤٠/ ٢٠٧) باب: ذكر الاختلاف على غليان بن جرير فيه. وابن ماجه فى « الصيام» (١٧١٣) باب: ما جاء فى صيام داود عليه السلام.

(٢) **صحيح**. رواه أحمد(٦/ ٢٨٧) والنسائى (٤/ ٢٢٠) وفى سنده وأبو اسحاق الأشجعى الكوفى» وهو مقبول كما فى « التقريب» (٢/ ٣٩٠) ولكن الحديث رواه أبو داود(٢٤٣٧) عن بعض أزواج النبى ﷺ غير مسماة وسنده صحيح.

(٣) رواه مسلم(٢٦٢٥) كتاب الصيام، باب: أى يوم يصام عاشوراء. وأبو داود فى « الصيام» (٢٤٤٥) باب: ما روى أن عاشوراء اليوم التاسع.

التاسع مع العاشر»، يعنى عاشوراء. وخرّجه الطبرانى ولفظه. «**إن عشت إلى قابل صمت التاسع مخافة أن يفوتنى عاشوراء**»[1]. وفى مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود، صوموا قبله يوماً وبعده يوماً**»[2]، وجاء فى رواية: «أو بعده»، فإما أن تكون «أو» للتخيير أو يكون شكاً من الراوى: هل قال قبله أو بعده. ورُوى هذا الحديث بلفظ آخر وهو: «لئن بقيت لآمرن بصيام يوم قبله ويوم بعده» يعنى عاشوراء، وفى رواية أخرى: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع، ولآمرن بصيام يوم قبله ويوم بعده» يعنى عاشوراء، وفى رواية أخرى: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع، ولآمرن بصيام يوم قبله ويوم بعده» يعنى عاشوراء، أخرجهما الحافظ أبو موسى المدينى.

وقد صح هذا عن ابن عباس من قوله من رواية ابن جريج قال: أخبرنا عطاء أنه سمع ابن عباس يقول فى يوم عاشوراء: خالفوا اليهود، صوموا التاسع والعاشر[3]. قال الإمام أحمد أنا أذهب إليه، وروى عن ابن عباس: أنه صام التاسع والعاشر، وعلل بخشية فوات عاشوراء. وروى ابن أبى ذئب عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس: أنه كان يصوم عاشوراء فى السفر، ويوالى بين اليومين خشية فواته. وكذلك روى عن ابن إسحاق أنه صام يوم عاشوراء ويوماً قبله ويوماً بعده وقال: إنما فعلت ذلك خشية أن يفوتنى، وروى عن ابن سيرين أنه كان يصوم ثلاثة أيام عند الاختلاف فى هلال الشهر احتياطا. وروى عن ابن عباس والضحاك أن يوم عاشوراء هو تاسع المحرم. قال ابن سيرين: كانوا لا يختلفون أنه اليوم العاشر، إلاَّ ابن عباس فإنه قال: إنه التاسع. وقال الإمام أحمد فى رواية الميمونى: لا أدرى هو التاسع أو العاشر ولكن نصومهما، فإن اختلف فى الهلال صام ثلاثة أيام احتياطا. وابن سيرين يقول ذلك، وممن رأى صيام

---

(١) **صحيح** . رواه الطبرانى فى « الكبير» (١٠/ ٤٠١) برقم (١٠٨١٧)

(٢) **ضعيف**. رواه احمد(١/ ٢٤١) والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٤/ ٢٨٣) وفى سنده داود بن على بن عبد الله عباس. وهو مقبول كما فى « التقريب» (١/ ٢٣٣) ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى. وهو سئ الحفظ جداً كما فى « التقريب» (٢/ ١٨٤).

(٣) **صحيح**. رواه عبد الرزاق(٤/ ٢٨٧) برقم (٧٨٣٩) وعنه البيهقى فى « السنة الكبرى (٤/ ٢٨٧).

التاسع والعاشر: الشافعى رضى الله عنه وأحمد وإسحاق وكره أبو حنيفة إفراد العاشر وحده بالصوم.

وروى الطبرانى من حديث ابن أبى الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد عن أبيه قال: ليس يوم عاشوراء باليوم الذى يقول الناس: إنما كان يوم تستر فيه الكعبة، وتقلس[(١)] فيه الحبشة عند النبى ﷺ، وكان يدور فى السنة فكان الناس يأتون فلاناً اليهودى يسألونه فلما مات اليهودى أتوا زيد بن ثابت فسألوه[(٢)]. وهذا فيه إشارة إلى أن عاشوراء ليس هو فى المحرم بل يحسب بحساب السنة الشمسية كحساب أهل الكتاب وهذا خلاف ما عليه عمل المسلمين قديماً وحديثا. وفى صحيح مسلم عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان يعد من هلال المحرم ثم يصبح يوم التاسع صائماً[(٣)]، وابن أبى الزناد لا يعتمد على ما ينفرد به. وقد جعل الحديث كله عن زيد بن ثابت وآخره لا يصلح أن يكون من قول زيد فلعله من قول من دونه والله أعلم.

وكان طائفة من السلف يصومون عاشوراء فى السفر منهم ابن عباس وأبو إسحاق السبيعى والزهرى وقال: رمضان له عدة من أيام أخر، وعاشوراء يفوت. ونص أحمد على أنه يصام عاشوراء فى السفر، وروى عبد الرزاق فى كتابه عن إسرائيل عن سماك بن حرب عن معبد القرشى قال: كان النبى ﷺ بقُدَيْد[(٤)]

---

(١) التقليس: الضرب بالدف، والغناء. والمقلسون: هم الذين يلعبون بين يدى الأمير إذا وصل البلد .

(٢) رواه الطبرانى فى « الكبير» (٥/١٣٨) برقم (٤٨٧٦) وقال الهيثمى « المخجمع» (٣/١٨٧) ولا أدرى ما معناه، وفيه عبد الرحمن بن أبى الزناد وفيه كلام كثير وقد وثق.١هـ وقال الحافظ فى « الفتح» (٤/ ٢٩١) سنده حسن، قال شيخنا الهيثمى فى زوائد المسانيد: لا أدرى ما معنى هذا، قلت ظفرت بمعناه فى كتاب « الآثار القديمة لأبى حبان البيرونى» فذكر ما حاصله: أن جهلة اليهود يعتمدون فى صيامهم وأعيادهم حساب النجوم، فالسنه عندهم شمسية لا هلالية قلت: فمن ثم احتاجوا إلى من يعرف الحساب ليعتمدوا عليه فى ذلك.

(٣) رواه مسلم (٢٦٢٣) كتاب الصيام، باب: أى يوم يصام فى عاشوراء. وأبو داود (٢٤٤٦) كتاب الصوم، باب: ما روى أن عاشوراء اليوم التاسع. والنسائى فى « الصيام» فى « الكبرى» (٢٨٥٩) والترمذى (٧٥٤) كتاب الصوم، باب: ما جاء عاشوراء أى يوم هو..

(٤) قديد : اسم موضع قرب مكة.

فأتاه رجل فقال له النبي ﷺ : «**أطعمت اليوم شيئاً ليوم عاشوراء؟**» قال: لا إلا أني شربت ماء، قال: «**فلا تطعم شيئاً حتى تغرب الشمس وأمر من وراءك أن يصوموا** هذا اليوم»[1]. ولعل المأمور كان من أهل قديد. وروى بإسناده عن طاوس أنه كان يصوم عاشوراء في الحضر ولا يصومه في السفر.

ومن أعجب ما ورد في عاشوراء أنه كان يصومه الوحش والهوام. وقد روى مرفوعاً: «أن الصرد[2] أول طير صام عاشوراء»[3] خرّجه الخطيب في تاريخه، وإسناده غريب. وقد روى ذلك عن أبي هريرة[4] وروى عن فتح بن شخرف[5] قال: كنت أفتّ للنمل الخبز كل يوم فلما كان يوم عاشوراء لم يأكلوه. وروى عن القادر بالله الخليفة العباسي أنه جرى له مثل ذلك وأنه عجب منه فسأل أبا الحسن القزويني الزاهد، فذكر له أن يوم عاشوراء تصومه النمل. وروى أبو موسى المديني بإسناده عن قيس بن عباد قال: بلغني أن الوحش كانت تصوم عاشوراء[6].

---

(١) **صحيح**. رواه عبد الرزاق(٤/٢٨٦) برقم (٧٨٣٥) وعنه الطبراني في « الكبير» (٢٠/٣٤٢) برقم (٨٠٣) وقال الهيثمي في « المجمع» (٣/١٨٧) رجاله ثقات.

(٢) الصرد: بضم الصاد المهملة وفتح الراء، طائر معروف ضخم الرأس والمنقار له رأس عظيم نصفه أبيض ونصفه أسود، ونهى النبي ﷺ عن قتل أربع « النملة والنحلة والهدهد والصرد» قاله المنذري في « الترغيب والترهيب».

(٣) **ضعيف**. رواه الخطيب البغدادي في « تاريخه» ٦٠/٢٦٦) من حديث أبي غليظ بن أمية بن خلف الجمحي. وفي سنده معاوية بن موسى بن أبي غليظ الجمحي وأبوه وفيهما جهالة كما « لسان الميزان» (٦/٦٩) « الميزان» (٤/١٣٧) وقال الذهبي والحافظ ابن حجر: هذا حديث منكر وقال ابن الجوزي في « الموضوعات» (٢/٢٠٤): هذا حديث لا يصح، ولا يعرف في الصحابة عنسة ولا أبو غليظ ولا أبَو عليط.. ومما يرد هذا أن الطير لا يوصف بصوم وقال الشوكاني في « الفوائد المجموعة» (ص ٩٧) رواه الخطيب عن أبي غليظ مرفوعاً ولا يعرف في الصحابة من له هذا الاسم.

(٤) **ضعيف**. رواه الحكيم الترمذي من طريق سفيان بن وكيع عن ابن مهدي عن قرة بن خالد عن موسى بن أبي غليظ وفيه جهالة كما سبق. وقال العلامة عبد الرحمن المعملي اليماني في تعليقه على « الفوائد المجموعة» (ص ٩٧): إن كان تفرد بهذا سفيان بن وكيع، فأخشى أن يكون من التخليط الذي أدخله عليه الوراقون، والله أعلم

(٥) هو فتح بن شخرف بن داود بن مزاحم، كان من الزهاد، توفي ببغداد سنة ٢٧٣ هـ . انظر « صفة الصفوة» (٢/٤٠٢)

(٦) **ضعيف**. رواه أبو نعيم في « الحلية» كما في « الفوائد المجموعة » (ص ٩٨) من طريق ابن مهدي ثنا عبد الله بن الحسن بن النضر عن أبيه عن جده عن قيس الخ. وقال العلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني: وعبد الله هذا لم أجده ولا أباه.

وبإسناد له عن رجل أتى البادية يوم عاشوراء فرأى قوماً يذبحون ذبائح فسألهم عن ذلك فأخبروه أن الوحوش صائمة، وقالوا: اذهب بنا نُرك، فذهبوا به إلى روضة فأوقفوه قال: فلما كان بعد العصر جاءت الوحوش من كل وجه فأحاطت بالروضة رافعة رؤوسها إلى السماء ليس شيء منها يأكل حتى إذا غابت الشمس أسرعت جميعاً فأكلت.

وبإسناده عن عبد الله بن عمرو قال: بين الهند والصين أرض كان بها بطة من نحاس على عمود من نحاس، فإذا كان يوم عاشوراء مدت منقارها فيفيض من منقارها ماء يكفيهم لزروعهم ومواشيهم إلى العام المقبل. ورؤى بعض العلماء المتقدمين فى المنام فسئل عن حاله فقام: غفر لى بصيام عاشوراء ستين سنة. وفى رواية: «ويوم قبله ويوم بعده»، وذكر عبد الوهاب الخفاف[1] فى كتاب الصيام: قال سعيد: قال قتادة: كان يقال: صوم عاشوراء كفارة لما ضيع الرجل من زكاة ماله. وقد روى: إن يوم عاشوراء كان يوم الزينة الذى كان فيه ميعاد موسى لفرعون. وأنه كان عيداً لهم. ويروى أن موسى عليه السلام كان يلبس فيه الكتان ويكتحل فيه بالإثمد، وكان اليهود من أهل المدينة وخيبر فى عهد رسول الله ﷺ يتخذونه عيداً. وكان أهل الجاهلية يقتدون بهم فى ذلك، وكانوا يسترون فيه الكعبة.

ولكن شرعنا ورد بخلاف ذلك، ففى الصحيحين عن أبى موسى قال: كان يوم عاشوراء يوماً تعظمه اليهود وتتخذه عيداً فقال رسول الله ﷺ: «**صوموه أنتم**»[2]، وفى رواية لمسلم: كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيداً، ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم، فقال رسول الله ﷺ: «**فصوموه أنتم**»[3].

وخرجه النسائى وابن حبان وعندهما فقال رسول الله: «**خالفوهم**

(١) هو الإمام الصدوق العابد المحدث، أبو نصر البصرى الخفاف ، قال ابن سعد: كان كثير الحديث، وقال الذهبى: حديثه فى درجة الحسن، انظر «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٤٥١)

(٢) رواه البخارى (٢٠٠٥) كتاب الصوم، باب: صيام يوم عاشوراء ومسلم (٢٦١٩) كتاب الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء. واحمد (٤/ ٤٠٩) والنسائى فى «الكبرى» (٢٨٥٨) كتاب الصيام، باب: التأكيد فى صيام يوم عاشوراء..

(٣) رواه مسلم(٢٦٢٠) كتاب الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء.

فصوموه»[1]، وهذا يدل على النهى عن اتخاذه عيداً، وعلى استحباب صيام أعياد المشركين، فإن الصوم ينافى اتخاذه عيداً فيوافقون فى صيامه مع صيام يوم آخر معه كما تقدم، فإن فى ذلك مخالفة لهم فى كيفية صيامه أيضاً فلا تبقى فيه موافقة لهم فى شىء بالكلية، وعلى مثل هذا يحمل ما خرجه الإمام أحمد والنسائى وابن حبان من حديث أم سلمة أن النبى ﷺ كان **يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر ما يصوم من الأيام** ويقول: «إنهما يوما عيد للمشركين فأنا أحب أن أخالفهم»[2]. فإنه إذا صام اليومين معاً خرج بذلك عن مشابهة اليهود والنصارى فى تعظيم كل طائفة ليومها منفرداً وصيامه فيه مخالفة لهم فى اتخاذه عيداً ويجمع بذلك بين هذا الحديث وبين حديث النهى عن صيام يوم السبت[3].

وكل ما روى فى فضل الاكتحال فى يوم عاشوراء والاختضاب والاغتسال فيه فموضوع لا يصح[4]. وأما الصدقة فيه فقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص

---

(١) **صحيح**. رواه ابن حبان (٣٦٢٧ ـ احسان)

(٢) **حسن**. رواه احمد(٦/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) والنسائى فى «الكبرى» ٢٠/ ١٤٦) رقم (٢٧٧٥) والطبرانى فى «الكبير» (٢٣/ (٦١٦) و(٩٦٤) وابن خزيمة(٢١٦٧) وابن حبان(٣٦١٦ و٣٦٤٦ ـ احسان) والحاكم (١/ ٤٣٦) والبيهقى ٤٠/ ٣٠٣)

(٣) عن عبد الله بن بسر عن أخته الصماء أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم فإن لم يجد أحدكم إلا عود عنب أولحاء شجرة فليمضغه» رواه احمد(٦/ ٣٦٨) وأبو داود(٢٤٢١) والترمذى (٧٤٤) والنسائى فى «الكبرى» (٢/ ١٤٣) رقم (٢٧٦٢) وابن ماجه (١٧٢٦) والدارمى(٢/ ١٩) وابن خزيمة (٢١٦٤) ابن حبان(٦١٥٠ ـ احسان) والطبرانى فى «الكبير» (٢٤/ ح ٨١٦ و٨١٧ و٨١٨ و٨١٩ و٨٢٠ و٨٢١) والحاكم (١/ ٤٣٥) والبيهقى (٤/ ٣٠٢) والطحاوى (٢/ ١٩) والبغوى فى «شرح السنة» (١٨٠٦) وسنده صحيح إلا أنه يتعارض مع بعض الأحاديث المبيحة لصوم يوم السبت ومنها حديث أم سلمة الذى ذكره المصنف وحديث أبى ذر والذى يقول فيه النبى ﷺ: «إذا صمت من الشهر ثلاثة فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة» رواه احمد والترمذى والنسائى وسنده حسن. وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص المتفق عليه والذى يقول فيه النبى ﷺ: «صم يوماً وأفطر يوماً فإنه أفضل الصيام هو صيام داود ﷺ» وحديث ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يصوم ثلاثة أيام من غرة كل شهر. رواه أبو داود وابن خزيمة وسنده حسن، ولا شك أن يوم السبت سيقع فى هذا الأيام لا محالة، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن حديث الصماء إنه شاذ أو منسوخ وقال أبو داود: هو حديث منسوخ.

وأما الجمع الذي ذهب إليه المصنف بين حديث أم سلمة وحديث الصماء بأن النهى عن الصوم يوم السبت يحمل على افراده بالصوم وأما إذا صامه المرء مع يوم الأحد فلا بأس، فهذا الجمع حسن مع جواز صيام يوم السبت منفرداً. والله أعلم.

(٤) انظر «الموضوعات» لابن الجوزى (٢/ ١٩٩)

قال: من صام عاشوراء فكأنما صام السنة، ومن تصدق فيه كان كصدقة السنة. أخرجه أبو موسى المدينى.

وأما التوسعة فيه على العيال فقال حرب: سألت أحمد عن الحديث الذى جاء: «من وسع على أهله يوم عاشوراء»[١]، فلم يره شيئاً، وقال ابن منصور: قلت لأحمد: هل سمعت فى الحديث: «من وسع على أهله يوم عاشوراء، أوسع الله عليه سائر السنة»، فقال: نعم، رواه سفيان بن عيينة عن جعفر الأحمر عن إبراهيم بن محمد عن المنتشر[٢] وكان من أفضل أهل زمانه أنه بلغه: أنه من وسع على عياله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر سنته. قال ابن عيينة: جربناه منذ خمسين سنة أو ستين سنة فما رأينا إلا خيراً، وقول حرب: أن أحمد لم يره شيئاً إنما أراد به الحديث الذى يروى مرفوعاً إلى النبى ﷺ فإنه لا يصح إسناده، وقد روى من وجوه متعددة لا يصح منها شىء، وممن قال ذلك محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وقال العقيلى: هو غير محفوظ، وقد روى عن عمر من قوله، وفى إسناده مجهول لا يعرف.

وأما اتخاذه مأتماً كما تفعله الرافضة لأجل قتل الحسين بن على رضى الله

---

(١) **ضعيف**: رواه الطبرانى فى «الكبير» (١٠/ ٩٤) رقم (١٠٠٠٧) والعقيلى فى «الضعفاء» (٣/ ٢٥٢) والبيهقى فى «الشعب» (٣٧٩٢) وابن الجوزى فى «الموضوعات» (٢/ ٢٠٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه. وفى سنده على بن مهاجر البصرى والهيصم بن الشداخ وهما مجهولان كما قال العقيلى وقال الذهبى فى «الميزان» (٣/ ١٥٨) على بن مهاجر عن هيصم بن سداخ. لا يدرى من هو والخبر موضوع . وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣/ ١٨٩) وفيه الهيصم بن الشداخ وهو ضعيف جداً وقال ابن الجوزرى: فى «الموضوعات» (٢/ ٢٠٣) قال ابن حبان: الهيصم يروى الطامات لا يجوز الاحتجاج به١٠هـ والحديث رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٩٣٠٢) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وقال : الهيثمى فى «المجمع» (٣/ ١٨٩) فيه محمد بن اسماعيل الجفرى، قال أبو حاتم: منكر الحديث. ورواه البيهقى فى «الشعب» (٣٧٩١) من حديث جابر رضى الله عنه وقال: هذا اسناد ضعيف. ورواه البيهقى أيضاً فى «الشعب» (٣٧٩٣) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، وفى سنده مجهول. وروى الحديث أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه كما فى «الموضوعات» (٢/ ٢٠٣) وفى سنده سليمان بن أبى عبد الله، قال العقيلى: سليمان مجهول والحديث غير محفوظ ولا يثبت عن رسول الله ﷺ فى حديث مسند.

(٢) **ضعيف** :رواه الشجرى فى «الأمالى » (٢/ ٨٧) وسنده مرسل.

عنهما فيه: فهو من عمل من ضل سعيه فى الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً، فكيف بمن دونهم.

ومن فضائل يوم عاشوراء: أنه يوم تاب الله فيه على قوم، وقد سبق حديث عليّ الذى خرجه الترمذى أن النبى ﷺ قال لرجل: «إن كنت صائماً شهراً بعد رمضان فصم المحرم، فإن فيه يوماً تاب الله على قوم ويتوب فيه على آخرين»[1].

وقد صح من حديث أبى إسحاق عن الأسود بن يزيد قال: سألت عبيد بن عمير عن صيام عاشوراء: فقال المحرم شهر الله الأصم: فيه يوم تيب فيه على آدم، فإن استطعت أن لا يمر بك إلاَّ صمته، كذا رُوى عن شعبة عن إسحاق ورواه إسرائيل عن أبى إسحاق ولفظه قال: «إن قوماً أذنبوا فتابوا فيه فتيب عليهم، فإن استطعت أن لا يمر بك إلا وأنت صائم فافعل». ورواه يونس عن أبى إسحاق ولفظه قال: «إن المحرم شهر الله وهو رأس السنة تكتب فيه الكتب، ويؤرخ فيه التاريخ، وفيه تضرب الورق، وفيه يوم تاب فيه قوم فتاب الله عليهم، فلا يمر بك إلاَّ صمته». يعنى يوم عاشوراء. وروى أبو موسى المدينى من حديث أبى موسى مرفوعاً: «هذا يوم تاب الله فيه على قوم فاجعلوه صلاة وصوماً»، يعنى يوم عاشوراء، وقال: حسن غريب. وليس كما قال. وروى بإسناده عن على قال: يوم عاشوراء هو اليوم الذى تيب فيه على قوم يونس.

وعن ابن عباس قال: هو اليوم الذى تيب فيه على آدم، وعن وهب: إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: أن مُر قومك يتوبوا إلى فى أول عشر المحرم فإذا كان يوم العاشر فليخرجوا إلىَّ حتى أغفر لهم، وروى عبد الرزاق عن ابن جريج عن رجل عن عكرمة قال: هو يوم تاب الله فيه على آدم يوم عاشوراء[2]، وروى عبد الوهاب الخفاف عن سعيد عن قتادة قال: كنا نتحدث أن اليوم الذى تيب فيه على آدم يوم عاشوراء، وهبط فيه آدم إلى الأرض يوم عاشوراء، وقوله ﷺ فى حديث عليّ ويتوب فيه على آخرين، حث للناس على تجديد التوبة

---

(١)وسبق تخريجه

(٢) ضعيف. رواه عبد الرزاق (٤/ ٢٩١) رقم (٧٨٥٢) وفى سنده مجهول

النصوح فى يوم عاشوراء، وترجيه لقبول التوبة فمن تاب فيه إلى الله عزوجل من ذنوبه تاب الله عليه كما تاب فيه على من قبلهم.

وقد قال الله تعالى عن آدم: **﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾**[1]، وأخبر عنه وعن زوجه أنهما قالا: **﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإنْ لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾**[2]، كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار كتاباً وقال فيه: قولوا كما قال أبوكم آدم عليه السلام: **﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾**، وقولوا كما قال نوح: **﴿وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين﴾**[3] وقولوا كما قال موسى **﴿ رب إنى ظَلمتُ نفسى فاغفر لى﴾**[4] وقولوا كما قال ذو النون[5]: **﴿لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾**[6]، واعتراف المذنب بذنبه مع الندم عليه توبة مقبولة، قال الله عزوجل: **﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم﴾**[7]. قال النبى ﷺ: «**إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه**»[8]، وفى دعاء الاستفتاح الذى كان النبى ﷺ يستفتح به: **اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ظلمت نفسى، واعترفت بذنبى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[9]، وفى الدعاء الذى علمه النبى ﷺ للصديق أن يقوله فى صلاته:

---

(١) سورة البقرة : آية ٣٧

(٢) سورة الأعراف : آية ٢٣

(٣) سورة هود : آية ٤٧

(٤) سورة القصص : آية ١٦

(٥) هو النبى يونس عليه السلام

(٦) سورة الأنبياء : آية ٨٧

(٧) سورة التوبة : آية ١٠٢

(٨) رواه البخارى (٢٦٦١) كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا. ومسلم (٦٨٨٢) كتاب التوبة، باب : فى حديث الإفك وقبول توبة القاذف .

(٩) رواه مسلم (١٧٨١) كتاب الصلاة، باب : الدعاء فى صلاة الليل وقيامه. وأحمد(١/ ٩٤ و ١٠٣). وأبو داود فى «الصلاة» (٧٤٤) باب من ذكر أنه يرفع يدية إذا قام من الثنيتين. والترمذى (٣٤٢١) كتاب الدعوات، باب : فيما جاء فى الدعاء عند افتتاح الصلاة والنسائى (١٢٩/٢) كتاب الصلاة، باب : نوع آخر من الذكر والدعاء بين التكبير والقراءة. وابن ماجه فى «الصلاة» (١٠٥٤) باب سجود القرآن .

«اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم»[1]، وفى حديث شداد بن أوس عن النبى ﷺ : **«سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»**[2].

الاعتراف يمحو الاقتراف كما قيل:

فإن اعتراف المرء يمحو اقترافه ⠀⠀⠀ كما أن إنكار الذنوب ذنوب

لما هبط آدم من الجنة بكى على تلك المعاهد فيما يروى ثلاثمائة عام[3] وحق له ذلك، كان فى دار لا يجوع فيها ولا يعرى ولا يظمأ فيها ولا يضحى، فلما نزل إلى الأرض أصابه ذلك كله، وكان إذا رأى جبريل عليه السلام يتذكر برؤيته تلك المعاهد فيشتد بكاؤه حتى يبكى جبريل عليه السلام لبكائه ويقول له: ما هذا الكباء يا آدم؟ فيقول: وكيف لا أبكى وقد أخرجت من دار النعمة إلى دار البؤس. فقال له بعض ولده: لقد آذيت أهل الأرض ببكائك، فقال إنما أبكى على أصوات الملائكة حول العرش. وفى رواية قال: إنما أبكى على جوار ربى فى دار تربتها طيبة أسمع فيها أصوات الملائكة، وفى رواية قال: أبكى على دار لو رأيتها لزهقت نفسك شوقاً إليها، وروى أنه قال لولده: كنا نسلاً من نسل السماء خلقنا كخلقهم وغذينا بغذائهم فسبانا عدونا إبليس فليس لنا فرح ولا راحة إلاَّ الهم والعناء حتى نرد إلى الدار التى أخرجنا منها.

(١)رواه البخارى (٦٣٢٦) كتاب الدعوات باب: الدعاء فى الصلاة. ومسلم (٦٧٤٠) كتاب الدعوات، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر. وأحمد (١/ ٤,٧) والترمذى فى « الدعوات» (٣٥٣١) والنسائى فى « السهو» (٣/ ٥٣) باب: نوع آخر من الدعاء. وابن ماجه فى « الدعاء» (٣٨٣٥) باب: دعاء رسول الله ﷺ.

(٢) رواه البخارى (٦٣٢٣) كتاب الدعوات، باب: ما يقول إذا أصبح. وأحمد (٤/ ١٢٥) والترمذى (٣٣٩٣) والنسائى فى « عمل اليوم والليلة» فى «الكبرى» (٦/ ٩) رقم (٩٨٤٧)

(٣) هذا الأثر يحتاج إلى النظر فى اسناده، وإن كان المصنف قد أشار إلى ضعفه وذلك فى قوله« فيما يروى»

فحنى على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبى العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

لما التقى آدم وموسى عليهما السلام عاتب موسى آدم على إخراجه نفسه وذريته من الجنة، فاحتج آدم بالقدر السابق[1]، والإحتجاج بالقدر على المصائب حسن كما قالﷺ : «**إن أصابك شيء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا كان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل**»[2].

والله لولا سابق الأقدار ... لم تبعد قط داركم عن دارى

من قبل النأى جرية المقدار ... هل يمحو العبد ما قضاه البارى

لما ظهرت فضائل آدم عليه السلام على الخلائق بسجود الملائكة له وبتعليمه أسماء كل شيء وإخباره الملائكة بها وهم يستمعون له كاستماع المتعلم من معلمه، حتى أقروا بالعجز عن علمه وأقروا له بالفضل وأسكن هو وزوجته الجنة، ظهر الحسد من إبليس وسعى فى الأذى وما زالت الفضائل إذا ظهرت تحسد ،كما قيل

لا مات حسّادك بل خُلِّدوا ... حتى يروا منك الذى يُكْمِدُ

لا زلتَ محسوداً على نعمةٍ ... فإنمـا الكامُ من يُحْسَدُ

فما زال يحتال على آدم حتى تسبب فى إخراجه من الجنة وما فهم الأبله أن آدم إذا خرج منها كملت فضائله ثم عاد إلى الجنة على أكمل من حاله الأول، وإنما أهلك إبليس العجب بنفسه، ولذلك قال: ﴿**أنا خير منه**﴾ [3]، وإنما كملت

---

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله : «احتج آدم وموسى ،فقال موسى : يا آدم أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومنى على أمر قدره الله على قبل أن يخلقنى بأربعين سنة؟ فقال النبى ﷺ :«فحج آدم موسى، فحج ادم موسى» رواه البخارى في «القدر» (٦٦١٤) باب: تحاج آدم وموسى عليهما السلام وأبو داود فى «السنّة» (٤٧٠١) باب: في القدر: والنسائى فى «الكبرى» كما فى «التحفة» (١٠/ ١٢٢) وابن ماجة فى «المقدمة» (٨٠) باب: فى القدر.

(٢) رواه مسلم(٦٦٤٩) كتاب القدر، باب: فى الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله .وأحمد(٢/ ٣٦٦ ، ٣٧٠) والنسائى فى (عمل اليوم والليلة» (٦٢١) وابن ماجة فى «المقدمة» (٧٩) باب: فى القدر. (٣) سورة الأعراف:١٢.

(٣) سورة الأعراف : آية ١٢ .

فضائل آدم باعترافه على نفسه: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا﴾[1]. كان إبليس كلما أوقد نار الحسد لآدم فاح بها ريح طيب آدم واحترق إبليس:

وإذا أراد الله نشر فضيلــــــة ... طُويت أتـاح لها لسان حسـُـودُ

لولا اشتعال ُالنارِ فيما جاورت ... ما كان يعرف طيبُ عَرْفِ العُودِ

قال بعض السلف: آدم أخرج من الجنة بذنب واحد. وأنتم تعملون الذنوب وتكثرون منها وتريدون أن تدخلوا بها الجنة:

تصلُ الذنوبَ إلى الذنوبِ وترتجى ... دَرَجَ الجنان بِها وفوز العـــابِدِ

ونسيتَ أن الله أخرج آدمـــــــًا ... منها إلى الدُّنيا بذنبٍ واحـــدِ

وقال بفرد خطــــيئةٍ وبفرْدِ ذنْبٍ ... من الجنَّاتِ أخرجـــت البرايا

فقلْ لى كيف ترجــو فـى دخولٍ ... إليها بالألوف مـــن الخطــايا

احذروا هذا العدو الذى أخرج أباكم من الجنة فإنه ساع فى منعكم من العود إليها بكل سبيل والعداوة بينكم وبينه قديمة فإنه ما أخرج من الجنة وطرد عن الخدمة إلاَّ بسبب تكبره على أبيكم وامتناعه من السجود له لما أمر به، وقد أبلس[2] من الرحمة، وأيس من العود إلى الجنة وتحقق خلوده فى النار، فهو يجتهد على أن يخلد معه فى النار بنى آدم بتحسين الشرك، فإن عَجز قَنع بما دونه من الفسوق والعصيان، وقد حذركم مولاكم منه، وقد أعذر من أنذر، فخذوا حذركم: ﴿يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾[3].

العَجب ممن عرف ربه ثم عصاه، وعرف الشيطان ثم أطاعه: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياءَ من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾[4]:

رَعَى اللَّه من نَهْوَى وإن كان ما رَعَى ... حَفظْنا لَهُ العهدَ القديـــمَ فضيِّعاً

وصاحبْتَ قومـــاً كنْتُ أنهاكَ عنهُمُ ... وحَقكَ ما أبقيَ للصلحِ مَوضعاً

---

(١) سورة الأعراف : ٢٣.

(٢) أبلس من الرحمة: أى يئس من رحمة الله.

(٣) سورة الأعراف : آية ٢٧

(٤) سورة الكهف: اية ٥٠

لما أهبط آدم إلي الأرض وُعَد العوَد إلى الجنة هو ومن آمن من ذريته واتبع الرسل: **﴿يا بنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[1]، فليبشر المؤمنون بالجنة هى أقطاعهم وقد وصل منشور الأقطاع مع جبريل إلى محمد ﷺ: **﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾**[2]، إنما خرج الأقطاع عمن خرج عن الطاعة فأما منْ تاب وآمن فالأقطاع مردود عليه، المؤمنون فى دار الدنيا فى سفر جهاد يجاهدون فيه النفوس والهوى، فإذا انقضى سفر الجهاد عادوا إلى وطنهم الأول الذى كانوا فيه فى صلب آدم. تكفل الله للمجاهد فى سبيله أن يرده إلى وطنه بما نال من أجر أو غنيمة.

وصلتْ إليكم معشر الأمة من أبيكم إبراهيم مع نبيكم محمد ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**رأيت ليلة أسرى بى إبراهيم فقال: يا محمد أقرىء أمتك السلام وأخبرهم: أن الجنة عذبة الماء طيبة التربة وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**»[3]. وخرج النسائى والترمذى عن جابر رضى الله عنه عن النبىﷺ: «**من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة**»[4]، وخرج ابن ماجة عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً: «من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس له بكل واحدة شجرة فى

---

(١) سورة الأعراف: آية ٣٥ (٢) سورة البقرة :آية ٣٥.

(٣) **حسن** .رواه الترمذى (٢٤٦٢) والطبرانى فى «الأوسط» (٤١٧٠) وفي سنده عبد الرحمن بن اسحاق وهو ضعيف. ولكن له شاهدين من حديث أبى أيوب الانصارى، ومن حديث عبد الله بن عمر. أما حديث أبى أيوب، فقد رواه احمد(٥/٤١٨) وحسّنه الترمذى فى «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٦٥) وأما حديث ابن عمر فقد رواه ابن أبى الدنيا فى الذكر والطبرانى وقال الهيثمى فى «المجمع» (١٠/٩٨) فيه عقبة بن عامر وهو ضعيف.
و(قيعان) جمع «قاع» وهو المكان المستوى الواسع فى وطأة من الأرض يعلوه ماء السماء، فيمسكه ويستوى نباته. «النهاية».

(٤) **صحيح**. رواه الترمذى (٣٤٦٤) والنسائى فى «عمل اليوم والليلة» (٨٢٧) وابن أبى شيبة (١٠/ ٢٩٠) والبغوى فى «شرح السنة» (١٢٦٥) وابن حبان(٨٢٦) احسان: والحاكم (١/ ٥٠١ و٥٠٢) وصححه ووافقه الذهبى . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث أبى الزبير عن جابر ١٠هـ وانظر «الصحيحة» (٦٤)

الجنة»[١]، وخرجه الطبراني من حديث ابن عباس. . . . . مرفوعاً[٢]، وخرجه ابن أبى الدنيا من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «من قال سبحان الله العظيم بنى له برج فى الجنة». وروى موقوفاً، وعن الحسن[٣] قال: الملائكة يعملون لبنى آدم فى الجنان يغرسون ويبنون فربما أمسكوا فيقال لهم مالكم قد أمسكتم؟ فيقولون: حتى تأتينا النفقات. وقال الحسن: فأبعثوهم بأبى أنتم وأمى على العمل. وقال بعض السلف: بلغنى أن دور الجنة تبنى بالذكر، فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء فيقال لهم: فيقولون: حتى تأتينا نفقة.

أرض الجنة اليوم قيعان والأعمال الصالحة لها عمران، وبها تبنى القصور وتغرس أرض الجنان، فإذا تكامل الغراس والبنيان انتقل إليه السكان.

رأى بعض الصالحين فى منامه قائلاً يقول له: قد أمرنا بالفراغ من بناء دارك واسمها دار السرور فأبشر، وقد أمرنا بتنجيدها وتزيينها والفراغ منها إلى سبعة أيام فلما كان بعد سبعة أيام مات، فرى فى المنام فقال: أدخلت دار السور فلا تسأل عما فيها، ولم ير مثل الكريم إذا حل به مطيع، رأى بعضهم كأنه أدخل الجنة وعرض عليه منازله وأزواجه فلما أراد أن يخرج تعلق به أزواجه وقالوا: بالله حسن عملك فكلما حسنت عملك ازددنا نحن حسنا.

العاملون اليوم يسلفون رؤوس أموال الأعمال فيما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين إلى أجل يوم المزيد فى سوق الجنة، فإذا حل الأجل دخلوا السوق فحملوا منه ما يشاؤن بغير نقد ثمن على ما قد سلف من تعجيل رأس مال السلف، لكن بغير مكيال ولا ميزان فيا مَن عزم أن يسلف اليوم إلى ذلك الموسم عجل بتقبيض

---

(١) حسن. رواه ابن ماجه (٣٨٠٧) كتاب الأدب، باب: فضل التسبيح. وفى سنده عيسى بن سنان الحنفى وهو لين الحديث كما فى س التقريب» (٢/٩٨) ولكن يشهد له ما قبله.

(٢) حسن .رواه الطبرانى فى « الأوسط» (٨٤٧٥) وفى « الدعاء» (١٦٧٦) وفى سنده عمران بن عبيد الله مولى عبيد الصيد، ذكره البخارى فى « التاريخ الكبير» (٣/ ٤٢٧) وقال فيه نظر. وذكره ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل» (٦/ ٣٠١) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. وضعفه ابن معين كما فى « ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٢٩٢) ووقع فى « الميزان» عمران بن عبد الله ،والصواب: ابن عبيد الله. والحديث يشهد له ما قبله

(٣) هو الحسن البصرى رحمه

رأس المال فإنّ تأخير التقبيض يفسد العقد،

فلله واديها الذى هو مَوْعدُ الـ   مزيد لوفد الحُـبِّ لو كنت منهُــمُ

فما شئت خذ منه بلاثمن لــه   فقدم أسْلفَ التجـارُ فيه وأسْلمُوا

و فى الحديث: «إن الجنة تقول: يا رب ائتنى بأهلى وبما وعدتنى فقد كثر حريرى واستبرقى وسندسى ولؤلؤى ومرجانى وزبرجدى وفضتى وذهبى وأباريقى وخمرى وعَسلى ولبنى، فأتنى بأهلى وبما وعدتنى»[1]. وفى الحديث أيضاً: **«من سأل الله الجنة شفعت له الجنة إلى ربها وقالت: اللهم أدخله الجنة»**[2]. وفى الحديث أيضاً: «إن الجنة تفتح فى كل سحر، ويقال لها ازدادى طيباً لأهلك فتزداد طيباً، فذلك البرد الذى يجده الناس فى السحر»[3]. قلوب العارفين تستنشق أحياناً نسيم الجنّة. قال أنس بن النضر يوم أُحُد: واهاً لريح الجنة، والله إنى لأجد ريح الجنة من قبل أحد ثم تقدم فقاتل حتى قتل:

تمر الصَّبا صبحا بساكن ذى الغضا   ويصدع قلبى أن يهُبَّ هبو بُهــا[4]

قـريبـة عــهــدٍ بــالحبيــب وإنمــا   هــوى كل نفس أين حـل حبيبُها

كم لله من لطف وحكمه فى إهباط آدم إلى الأرض، لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهدين واجتهاد العابدين المجتهدين، ولا صعدت زفرات أنفاس التائبين ولا نزلت قطرات دموع المذنبين، يا آدم إن كنت اهبطت من دار القرب: **﴿فإنّى قريب أجيب دعوة الداع﴾**[5] إن كان حصل لك بالإخراج من الجنة كسر فإنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى إن كان فاتك فى السماء سماع زَجَلِ المسبحين، فقد تعوضت فى الأرض بسماع أنين المذنبين، أنين المذنبين أحب إلينا من زجل المسبحين، زجل المسبحين ربما يشوبه الافتخار، وأنين المذنبين يزينه الانكسار،« **لو**

(١) لم أقف عليه

(٢) صحيح. رواه احمد(٣/ ١١٧, ١٤١، ١٥٥، ٢٦٢) والترمذى (٢٥٧٢) والنسائى (٨/ ٢٧٩) وفى « عمل اليوم والليلة» (١١٠) وابن أبى شيبة (١٠/ ٤٣١) وابن ماجة(٤٣٤٠) وابن حبان(١٠١٤ و١٠٣٤ ـ احسان) والبغوى فى « شرح السنة» ١٣٦٥٠) والحاكم(١/ ٥٣٥) وصححه ووافقه الذهبى

(٣) لم أقف عليه

(٤) الغضا : شجر من الأثل، خشبه من أصلب الخشب.   (٥) سورة البقرة آية ١٨٦.

لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم»[1]، سبحان من إذا لطف بعبده فى المحن قلبها منحا، وإذا خذل عبداً لم ينفعه كثرة اجتهاده وعاد عليه وبالا، لُقِّنَ آدمُ حجته، وأُلقى إليه ما تُقَبِّلُ به توبته: **﴿فتلقى آدمُ من ربه كلمات فتاب عليه﴾**[2]، وطرد إبليس بعد طول خدمته فصار عمله هباء منثورا: **﴿قال اخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾**[3]. إذا وضع عدله على عبد لم تبق له حسنة، وإذا بسط فضله على عبد لم تبق له سيئة:

يعطى ويمنع من يشاء كما يشا وهباتُهُ ليستْ تقارنها الرُّشا[4].

لما ظهر فضل آدم على الخلائق بالعلم، وكان العلم لا يكمل بدون العمل بمقتضاه، والجنة ليست دار عمل ومجاهدة إنما هى دار نعيم ومشاهدة، قيل له: يا آدم اهبط إلى رباط الجهاد وصابر جنود الهوى بالجد والاجتهاد واذرف دموع الأسف على البعاد، فكأنك بالعيش الماضى، وقد عاد على أكمل من ذلك الوجه المعتاد كما قيل:

عَودُوا إلى الوَصْل عُودُوا فالهَجرُ صَعْبٌ شَدِيدُ
لو ذَاقَ طَعْم الفراقَ رَضْوَى لَكَادَ مِنْ وَجْدِه يَميدُ
قَدْ حَمَّلُونى عَذَابَ شوقٍ يَعجزُ عن حَمْله الحَديدُ
قُلْتُ وقلبى أسيرُ وَجْدٍ مُتَيَّمٌ فى الجَفَا عَميدُ
أنتُم لنا فى الهَوَى مَوالٍ ونحنُ فى أسرِكُم عَبيدُ

●●●●●●

(١) رواه مسلم(٦٨٣١) كتاب التوبة، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار. وأحمد (٢/ ٣٠٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه

(٢) سورة البقرة : آية ٣٧

(٣) سورة الحجر : آية ٣٤ و٣٥

(٤) الرشا : جمع رشوة، هو ما يعطى لقضاء مصلحة.

المجلس الثالث فى قدوم الحاج

فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»[1]. مبانى الإسلام الخمس كل واحد منها يكفر الذنوب والخطايا ويهدمها، ولا إله إلاَّ الله لا تبقى ذنباً ولا يسبقها عمل، «والصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»[2]، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، والحج الذى لا رفث فيه ولا فسوق يرجع صاحبه من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وقد استنبط معنى هذا الحديث من القرآن طائفة من العلماء وتأولوا قول الله تعالى: ﴿**فَمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومَن تأخر فلا إثم عليه لمَن اتقى**﴾[3]، بأن من قضى نسكه ورجع منه فإن آثامه تسقط عنه إذا اتقى الله عز وجل فى أداء نسكه وسواء نفر فى اليوم الأول من يومى النفر متعجلاً أو متأخراً إلى اليوم الثانى. وفى مسند أبى يعلى الموصلى عن النبى ﷺ قال: «**من قضى نسكه وسَلِم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»[4]. وفى الصحيحين عن النبى ﷺ قال: «**الحج المبرور ليس له جزاء إلاَّ الجنة**»[5]. وفى

(١) رواه البخارى (١٨١٩) كتاب المحصر، باب: قول الله تعالى ﴿ فلا رفث﴾ ومسلم (٣٢٣٣) كتاب الحج، باب: فضل الحج والعمرة ويوم عرفة. واحمد(٢/ ٢٢٩ و٤١٠ و٤٨٤ و٤٩٤) والترمذى فى «الحج» (٨١١) باب: ما جاء فى ثواب الحج والعمرة والنسائى فى «المناسك» (٥/ ١١٤) باب: فضل الحج وابن ماجة فى «المناسك» (٢٨٨٩) باب: فضل الحج والعمرة

(٢) رواه مسلم(٥٤١) كتاب الطهارة، باب: الصلوات الخمس والجمعة. وأحمد (٢/ ٤٠٠) والترمذى (٢١٤) كتاب الصلاة، باب : ما جاء فى فضل الصلوات الخمس . من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٣) سورة البقرة : آية ٢٠٣

(٤) ضعيف. رواه عبد بن حميد(١١٥٠ ـ منتخب) وأحمد بن منيع كما فى «المطالب العالية» (١٢٣٤) النسخة المسندة من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه، وفى سنده موسى بن عبيدة الربذى، هو ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ٢٨٦) وليس عند عبيد بن حميد لفظة«وما تأخر»

(٥) رواه البخارى (١٧٧٣) كتاب العمرة، باب: العمرة. ومسلم (٣٢٣١) كتاب الحج باب: فضل الحج والعمرة. وأحمد(٢/ ٤٦٢) ومالك (١/ ٣٤٦) والنسائى (٥/ ١١٥) كتاب المناسك، باب: فضل العمرة. وابن ماجة (٢٨٨٨) كتاب المناسك، باب: فضل الحج والعمرة.

صحيح مسلم عنه ﷺ قال: «الحج يهدم ما قبله»[١].

فالحج المبرور: يكفر السيئات ويوجب دخول الجنات، وقد روى أنه ﷺ سئل عن بر الحج؟ فقال: «**إطعام الطعام، وطيب الكلام**»[٢]، فالحج المبرور ما اجتمع فيه فعل أعمال البر مع اجتناب أعمال الإثم، فما دعا الحاج لنفسه ولا دعا له غيره بأحسن من الدعاء بأن يكون حجه مبروراً. ولهذا يشرع للحاج إذا فرغ من أعمال حجه وشرع فى التحلل من إحرامه برمى جمرة العقبة يوم النحر أن يقول: اللهم اجعله حجًا مبروراً، وسعياً مشكورا، وذنباً مغفورا. رُوى ذلك عن ابن مسعود[٣] وابن عمر من قولهما وروى عنهما مرفوعا[٤]. وكذلك يدعى للقادم من الحج بأن يجعل الله حجه مبروراً، وفى الأثر: أن آدم عليه السلام لما حج البيت وقضى نسكه أتته الملائكة فقالوا له: يا آدم بَرّ حَجك، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام. وكذلك كان السلف يدعون لمن رجع من حجه. لما حج خالد الحذاء ورجع قال له أبو قلابة: بر العمل، معناه جعل الله عملك مبروراً.

للحج المبرور علامات لا تخفى: قيل للحسن: الحج المبرور جزاؤه الجنة؟ قال: آية ذلك: أن يرجع زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة. وقيل له: جزاء الحج المبرور المغفرة؟ قال: آية ذلك: أن يدع سيء ما كان عليه من العمل. حج إبراهيم ابن أدهم مع رفيقه الرجل الصالح الذى صحبه من بلخ[٥] فرجع من حجه زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة، وخرّج عن ملكه وماله وأهله وعشيرته وبلاده، واختار بلاد الغربة وقنع بالأكل من عمل يده إما من الحصاد أو من نظارة البساتين. حج مرة مع جماعة من أصحابه فشرط عليهم فى ابتداء السفر أن لا يتكلم أحدهم إلاَّ لله تعالى، ولا ينظر إلاَّ له، فلما وصلوا وطافوا بالبيت رأوا جماعة من أهل خراسان فى الطواف معهم غلام جميل قد فتن الناس بالنظر إليه فجعل إبراهيم

---

(١) رواه مسلم(٣١٤) كتاب الايمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله وابن خزيمة (٢٥١٥) من حديث عمرو بن العاص رضى الله عنه.

(٢) **حسن**. رواه الطبرانى فى « الأوسط» (٦٦١٨)ط الحرمين. والحاكم (١/ ٤٨٣) والبيهقى فى « السنن الكبرى» (٥/ ٢٦٢) فى « شعب الايمان» (٤١٢٠) من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

(٣) رواه احمد (١/ ٤٢٧) موقوفاً على ابن مسعود رضى الله عنه . وسنده صحيح.

(٤) لم أقف عليه مرفوعاً

(٥) بلخ: مدينة مشهورة بخرسان.

يسارقه النظر ويبكى، فقال له بعض أصحابه: يا أبا إسحاق ألم تقل لنا: لا ننظر إلاَّ لله تعالى؟ فقال: ويحك هذا ولدى وهؤلاء خدمى وحشمى:

هجــرت الخلق طراً فى هـــــواك ... وأيتمتُ العيالَ لكى أرَاكاَ

فـلـو قـطـّعتَـنى فـى الحـبِّ إرْبـاً ... لمَاَ حَّن الفؤادُ إلى سوَاكَا

قال بعض السلف: استلام الحجر الأسود هو أن لا يعود إلى معصية. يشير إلى ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما: أن الحجر الأسود يمين الله فى الأرض فمن استلمه وصافحه فكأنما صافح الله وقبل يمينه[1]. وقال عكرمة: الحجر الأسود يمين الله فى الأرض فمن لم يدرك بيعة رسول الله ﷺ فمسح الركن فقد بايع الله ورسوله[2]. وورد فى حديث: «أن الله لما استخرج من ظهر آدم ذريته وأخذ عليهم الميثاق كتب ذلك العهد فى رق، ثم استودعه هذا الحجر، فمن ثم يقول: من يستلمه وفاء بعهدك[3] فمستلم الحجر يبايع الله على اجتناب معاصيه والقيام

---

(١) ضعيف جداً. رواه ابن قتيبة فى «غريب الحديث» (٣/١٠٧ /١) وفى سنده ابراهيم بن يزيد، وهو متروك كما قال أحمد والنسائى. وقد روى هذا الحديث مرفوعاً إلى النبى ﷺ . رواه الخطيب البغدادى فى تاريخه» (٦/٣٢٨) وابن عدى فى «الكامل» وابن الجوزى فى «العلل المتناهية» (٢/ ٥٧٥) رقم (٩٤٤) من حديث جابر رضى الله عنه. وفى سنده اسحاق بن بشر الكاهلى، قال الخطيب البغدادى: يروى عن مالك وغيره من الرفعاء احاديث منكرة ثم ساق له هذا الحديث ثم روى تكذبيه عن أبي بكر بن أبى شيبة، وقد كذبه أيضاً موسى بن هارون أبو زرعة، وقال ابن عدى عقب الحديث: هو فى عداد من يضع الحديث ١٠هـ وقال ابن الجوزى من «العلل» هذا حديث لا يصح، واسحاق بن بشر قد كذبه أبو بكر بن أبي شيبة وغيره، وقال الدار قطنى: هو فى عداد من يضع الحديث ١٠هـ وقال ابن العربى: حديث باطل فلا يلتفت إليه، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: روى عن النبى ﷺ باسناد لا يثبت ١٠هـ وانظر «الضعيفة» (٢٢٣) وروى احمد ٢/٢١١٠) والطبرانى فى «الأوسط»(٥٦٣) والحاكم(١/ ٤٥٧) وابن الجوزى فى «العلل المتناهية» (٢/ ٥٧٦) رقم (٩٤٥) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ : «يأتى الركن يوم القيامة أعظم من أبى قبيس، له لسان وشفتان» زاد الطبرانى والحاكم وابن الجوزى «يشهد لمن استلمه بالحق، وهو يمين الله عز وجل التي يصافح عباده عباده» وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبى بقوله: عبد الله بن المؤمل واه١٠هـ وقال ابن الجوزى فى «العلل» : هذا لا يثبت، قال أحمد: عبد الله بن المؤمل أحاديثه مناكير، وقال على بن الجنيد: شبه المكتروك،

(٢)موضوع. رواه الأرزقى عن عكرمة موقوفاً كما فى «ضعيف الجامع» (٣/ ١١٠) وقال المناوى فى «فيض القدير»(٣/ ٤٠٩) فيه ابن عمرِ العسكرى وأرده الذهبى فى «الضعفاء » وضعفه البرقانى، وفيه العلاء بن سلمة الرؤاسى قال الذهبى: متهم بالوضع.

(٣) ضعيف. رواه الحاكم (١/ ٤٥٧) وعنه البيهقى فى «شعب الإيمان» (٤٠٤٠) ولفظه، عن أبى سعيد الخدرى قال: حججنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما دخـل الطواف استقبل الحجر، فقال: إنى=

بحقوقه، **﴿فَمَن نكث فإنما ينكث على نفسه ومَن أوفى بما عَاهد عَليهُ الله فسيؤتيه أجراً عظيما﴾**[1]. يا معاهدينا على التوبةَ بيننا وبينكم عهود أكيدة أولها: يوم **﴿ألستُ بربكم قالوا بلى﴾**[2]، والمقصود الأعظم من هذا العهد: أن لا تعبدوا إلا إياه، وتمام العمل بمقتضاه: أن اتقوا الله حق تقواه، وثانيهما: يوم أرسل إليكم رسوله، وأنزل عليكم فى كتابه: **﴿وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم﴾**[3]، قال سهل التسترى: من قال لا إله إلا الله فقد بايع الله فحرام عليه إذ بايعه أن يعصيه فى شيء من أمره فى السر والعلانية أو يوالى عدوه أو يعادى وليه:

يا بنى الإسلام منَ علمَكُـــم ... بعد إذ عاهدتُمُ نقَض العُهُــودِ

كلُّ شيء فى الهوَى مستحسن ... ما خلَا الغُدَر وإخلاف َالوعُودِ

وثالثها: لمن حج إذا استلم الحجر فإنه يجدد البيعة ويلتزم الوفاء بالعهد المتقدم: **﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾**[4] الحر الكريم لا ينقض العهد القديم:

أحسبتُمُ أن الليالى غيَّــــــرَتْ ... عقدَ الهوَى لا كان منَ يتغَـيَّر

يفْنَىَ الزمَّانُ وليسَ نَنْسى عهَدُكُم ... وعلى محَبتكَّمُ أموتُ وأُحْشَرُ

إذا دعتك نفسك إلى نقض عهد مولاك فقل لها: معاذ الله: **﴿إنه ربى أحسن**

= أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك ثم قبّله، فقال له على بن أبى طالب رضى الله عنه :بلى يا أمير المؤمنين إنه يضر وينفع قال: ثم؟ قال :بكتاب الله عز وجل. قال : وأين ذلك من كتاب الله؟ قال: قال الله عز وجل **﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم﴾**إلى قوله **﴿ بلى﴾** خلق الله آدم ومسح على ظهره فقرره بأنه الرب وأنهم العبيد وأخذ عهودهم ومواثيقهم وكتب ذلك فى رق وكان لهذا الحجر عينان ولسان فقال له: افتح، قال: ففتح فاه فالتقمه ذلك الرق فقال: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة،وإني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول يؤتى يوم القيامة .الحجر الأسود وله لسان ذلق يشهد لمن يستلمه بالتوحيد فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع، فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن .والأثر فى سنده أبي هارون العبدى وهو ضعيف قال الذهبى : أبو هارون ساقط وقال البيهقى : هارون العبدى غير قوى.

(١) سورة الفتح: آية ١٠

(٢) سورة الأعراف: آية ١٧٢

(٣) سورة البقرة : آية ٤٠

(٤) سورة الأحزاب : آية ٢٣

مثواى إنه لا يفلح الظالمون﴾[1]، اجتاز بعضهم على منظورٍ مُشْتَهى فهمَّت عينه أن تمتدَّ فصاح:

حلفتُ بدين الحُبِّ لاخُنتُ عهدكُمْ وذلك عهَدٌ لو عَرَفْتَ وثيقُ

تاب بعض من تقدم ثم نقض فهتف به هاتف بالليل:

سأترك ما بينى وبينك واقفـاً فإن عدت عدنا والوداد مقيمُ

تواصل قوماً لا وفاء لعهدهم وتترك مثلى والحفاظ قديـــمُ

من تكرر منه نقض العهد أيوثق بمعاهدته. دخل بعض السلف على مريض مكروب فقال له: عاهد الله على التوبة لعله أن يُقيلك صرعتك فقال: كنت كلما مرضت عاهدت الله على التوبة فيقيلنى فلما كان هذه المرة ذهبت أعاهد كما كنت أعاهد فهتف بى هاتف من ناحية البيت: قد أقلناك مراراً فوجدناك كذاباً، ثم مات عن قريب. لا كان من نقض العهد لا كان ما ينقض العهد إلا خوان

وغيره:

ترى الحى الالى باتوا على العهد كما كـانوا

أم الدهر بهم خانـا ودهر المرء خـــوان

إذا عز بغيــــر الله يوماً معشرٌ هانــــوا

من رجع من الحج فليحافظ على ما عاهد الله عليه عند استلام الحجر. حج بعض من تقدم فبات بمكة مع قوم، فدعته نفسه إلى معصية فسمع هاتفاً يقول: ويلك ألم تحج، فعصمه الله من ذلك. قبيح بمن كَّملَ القيام بمبانى الإسلام الخمس أن يشرع فى نقض ما يبنى بالمعاصى. فى حديث مرسل خرّجه ابن أبى الدنيا: أن النبى ﷺ قال لرجل: «يا فلان إنك تبنى وتهدم» - يعنى تعمل الحسنات والسيئات - فقال يا رسول الله: سوف أبنى ولا أهدم[2].

خُذْ فى جد فقد تولى العُمُرُ كم ذا التفريطُ فقد تدانى الأمـرُ

أقبل فعسى يُقْبَلُ منك العُذْرُ كم تبنى كم تنقضُ كم ذا الغدرُ

---

(١) سورة يوسف آية : ٢٣

(٢) ضعيف لإرساله.

علامة قبول الطاعة أن توصل بطاعة بعدها، وعلامة ردها أن توصل بمعصية. ما أحسن الحسنة بعد الحسنة. وأقبح السيئة بعد الحسنة. ذنب بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها. النكسة أصعب من المرض الأول. ما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة، ارحموا عزيز قوم بالمعاصى ذل، وغنيّ قوم بالذنوب افتقر، سلوا الله الثبات إلى الممات، وتعوذوا من الحور بعد الكور. كان الإمام أحمد يدعو ويقول: اللهم أعزنى بطاعتك، ولا تذلنى بمعصيتك. وكان عامة دعاء إبراهيم بن أدهم: اللهم انقلنى من ذل المعصية إلى عز الطاعة. فى بعض الآثار الإلهية يقول الله تبارك وتعالى: «أنا العزيز فمن أراد العز فليطع العزيز».

ألا إنَّما التقوى هى العزُّ والكَرَمْ وحبُّكَ للدنيا هو الذل والسَّقَـــمْ

وليس على عبدٍ تقيٍ نقيصـــةُ إذا حقَّقَ التَّقوى وانْ حاك أو حَجَمْ

الحاج إذا كان حجه مبروراً غفر له ولمن استغفر له وشفع فيمن شفع فيه. وقد روى: «إن الله تعالى يقول لهم يوم عرفة: أفيضوا مغفوراً لكم ولمن شفعتم فيه». وروى الإمام أحمد بإسناده عن أبى موسى الأشعرى قال: إن الحاج ليشفع فى أربعمائة بيت من قومه ويبارك فى أربعين من أمهات البعير الذى يحمله، ويخرج من خطاياه كيوم ولدته أمه، فإذا رجع من الحج المبرور رجع وذنبه مغفور ودعاؤه مستجاب.[1] فلذلك يستحب تلقيه والسلام عليه وطلب الاستغفار منه.

وتلقى الحاج مسنون وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن جعفر قال: كان النبى ﷺ إذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل بيته وإنه قدم من سفر - فَسبِقَ بى إليه، فحملنى بين يديه ثم جيء بأحد ابنى فاطمة فأردفه خلفه فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة[2]. وقد ورد النهى عن ركوب ثلاثة على دابة فى حديث مرسل. فإن صح: حمل على ركوب ثلاثة رجال، فإن الدابة يشق عليها حملها بخلاف رجل وصغيرين. وفى المسند وصحيح الحاكم عن عائشة قالت: أقبلنا من مكة فى حج

---

(١) **ضعيف**. رواه البزار(١١٥٤ ـ كشف الأستار) وفى سنده مجهول.

(٢) رواه مسلم(٦١٥١) كتاب الفضائل، باب: فضل عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما وأحمد (٢٠٣/١) وأبو داود فى « الجهاد» (٢٥٦٦) باب: فى ركوب ثلاثة على دابة. وابن ماجه فى « الأدب» (٣٧٧٣) باب: ركوب ثلاثة على دابة

أو عمرة فتلقانا غلمان من الأنصار كانوا يتلقون أهاليهم إذا قدموا[١]. وكذلك السلام على الحاج إذا قدم ومصافحته وطلب الدعاء منه. وفى المسند بإسناد فيه ضعف عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «**إذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته، فإنه مغفور له**»[٢]. وفيه أيضاً عن حبيب بن أبى ثابت قال: خرجت مع أبى نتلقى الحاج ونسلم عليهم قبل أن يتدنسوا. وروى معاذ بن الحكم حدثنا موسى بن أعين عن الحسن قال: إذا خرج الحاج فشيعوهم وزودوهم الدعاء، وإذا قفلوا فألقوهم وصافحوهم قبل أن يخالطوا الذنوب، فإن البركة فى أيديهم. وروى أبو الشيخ الأصبهانى وغيره من رواية ليث عن مجاهد قال: قال عمر: يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج بقية ذى الحجة ومحرم وصفر وعشر من ربيع الأول[٣]. وفى مسند البزار وصحيح الحاكم من حديث أبى هريرة مرفوعاً: «**اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج**»[٤]، وروى أبو معاوية الضرير عن حجاج عن الحكم قال: قال ابن عباس: لو يعلم المقيمون ما للحاج عليهم من الحق لأتوهم حين يقدمون حتى يقبلوا رواحلهم ؛لأنهم وفد الله فى جميع الناس ما للمنقطع حيلة سوى التعلق بأذيال الواصلين:

هل الدهرُ يوماً بوصلٍ يجُودُ   وأيَّامُنا باللَّوَى هل تعُــودُ[٥]

---

(١) **ضعيف**. رواه الحاكم(١/ ٤٨٨) وعنه البيهقى فى « الكبرى» ٥٠/ ٢٦٠) وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى !! كذا قالا. ومحمد بن عمرو بن علقمة لم يحتج به مسلم. وأبوه عمرو بن عقلمة ليس من رجال مسلم أيضاً وقال عنه الحافظ فى « التقريب» (٢/ ٧٥) : مقبول وقال عنه الذهبى فى « الميزان» (٣/ ٦٤١٣) لم يرو عنه غير ولده محمد بن عمرو.

(٢) **ضعيف**. رواه احمد (٢/ ٦٩) وفى سنده محمد بن عبد الرحمن بن البيلمانى وهو ضعيف، وقد اتهمه ابن عدى وابن حبان كما فى « التقريب» (٢/ ١٨٢) وأبيه عبد الرحمن بن البيلمانى ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ٤٧٤)

(٣) **ضعيف**. فى سنده لثيب بن أبى سليم. وهو صدوق اختلط أخيرا ولم يتميز حديثه فترك. قاله الحافظ فى « التقريب» (٢/ ١٣٨)

(٤) **ضعيف**. رواه الطبرانى فى « الصغير» (٢/ ١١٤) والبزار(١١٥٥) وابن خزيمة(٤/ ١٣٢) رقم (٢٥١٦) والحاكم (١/ ٤٤١) وعنه البيهقى فى « شعب الايمان» (٣/ ٤٧٧) رقم (٤١١٢) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى. وتعقبهما الألبانى فى تعليقه على ابن خزيمة بقوله: اسناده ضعيف شريك بن عبد الله ليس بالقوى. وقال الشيخ مقبل بن هادى فى تعليقه على المستدرك ١٠/ ٦٠٩) : مسلم لم يعتمد على شريك، وأيضاً شريك ساء حفظه لما ولى القضاء فالظاهر أن حديثه لا يرتقى إلى الحسن.

(٥) اللَّوَى: موضع بعينه قد أكثرت الشعراء من ذكره

زمانٌ تَقَضَّى وعيشٌ مَضَى بنفسيَ واللهِ تلكَ العُهُـودُ
ألا قُلْ لزوّارِ دار الحبيـبَ هنيئاً لكُمْ فى الجنانِ الخُلودُ
أفيضوا علينـا مِنَ الماء فيضاً فنحنُ عطاشٌ وأنتُم وُرُودُ

أحبُّ ما إلى المحبِّ سؤال مَنْ قَدِمَ من ديار الحبيب:

عارضا بى رَكْبَ الحجـاز أسائله متى عهدُهُ بأيـام سَلْع[١]
واستملا حديث من سكـن الخيف ولا تكتباه إلا بدمعى[٢]
فاتنى أن أرى الديار بطرفى فلعلى أرى الديار بسمعى
مَنْ معيدٌ أيام جَمعٍ على ما كـان منها وأين أيام جمعى

لقاء الأحباب لقاح الألباب، وأخبار تلك الديار أحلى عند المحبين من الأسمار:

إذا قدم الركب يممتهم أحيِّى الوجوه قدوما ووردا
واسالهم عن عقيق الحمى وعن أرض نجد ومن حل نجدا[٣]
حدثونى عن العقيق حديثا أنتم بالعقيق أقرب عهد[٤]
ألاهل سمعتم ضجيج الحجيج على ساحة الخيف والعيسُ تُحْدَا
فذكر المشاعر والمروتين وذكر الصفا يطرد الهم طردا

أرواح القبول تفوح من المقبولين، وأنوار الوصول تلوح على الواصلين

تفوحُ أرواحُ نَجْدٍ من ثيابهم عند القُدُومِ لِقُرْبِ العَهْدِ بالدَّارِ
أَهْفُو إلى الرَّكب تَعْلُو لى ركائبهُمُ من الحِمَى فى أُسَيْحاقٍ وأَطْمارِ
ياراكبانِ قِفالِى واقضيا وَطَرى وحدِّثانى عـن نجـدٍ باخْبارِ

---

(١) سلع: جبل بسوق المدينة
(٢) استمليت الكتاب: سألت من يمليه علىّ والخيف: هو مسجد الخيف من منىً .
(٣) يقال لكل مسيل ماء شقه السيل فى الأرض فأنهره ووسعه: عقيق. ومنه : عقيق بناحية المدينة فيه عيون ونخل(ياقوت)
(٤) البيت الثالث هو من بحر الخفيف واللذين قبله واللذين بعده من بحر المتقارب

أهلاً وسهلاً بزوّار الحبيب ويا   طُوبَى لكُمْ فَلأنْتُمْ خَيْرُ زُوّارِ

يامَرْحبًا بالقريبِ العَهْدِ من جُدُرِ الـ   بيتِ العتيقِ وتقبيلٍ لأحجارِ

بشراكُمُ نِلْتُمُ الفَوْزَ العظيمَ وَعُدْ   تمْ ظافرين بآمالٍ وأَوْطارِ

قد قلْتُ للرَّكْبِ إذْ لاحَتْ أوائلهم   كأنجمٍ زهرَتْ حسنًا وأقمارِ

مِن نظرةِ القُرْبِ قد لاحَتْ مترجمةً   على وجوههمُ آثار أنوارِ

مِنَ الكآبةِ قد عُوفُوا كما حُفِظُوا   فى ذلك القصدِ مِنْ وَعْثاء أسفارِ

كيف نجادٌ وهل جادَتْ مرابعه   جود السَّحابِ بتهتانٍ ومِدْرارِ

قَنعْتُ مِن رؤيةِ الأحبابِ معجزةً   بطيبِ ذكْرٍ ونَشْدَانٍ لأخبارِ

باللهِ كيفَ حِمَى سَلْعٍ ومنعرَجِ   اللِّوى وما فيه مِن طَلْحٍ وأشجار

وأبْرَقِ الجذْعِ والأعلام من إضَمٍ   والمأزِمَانِ سقاها الله من دار

كيف الرِّياضُ بأكناف العقيق وهَلْ   أَمَالَ باناتها ريح الصَّبا السَّارى

وهل نزلتُمْ على وادى العروس   وَرَوَّيْتُمْ به العِيسَ فى وردٍ وإصدارِ

لله أنتُمْ وقَدْ لاحَتْ قِبابُ قُبا   عند الصَّباحِ لقصَّادٍ وزُوَّارِ

وهل رأيتُم عَروسَ الكونَ سافرةً   تُجلَى بأعين جُلاَّسٍ وحُضَّارِ

قد أبرزت لمحبِّيها محاسنَها   لطفًا بتشهير أذيالٍ وأستارِ

ما اختارت... الملوك...   إلاَّ حِفَاظًا لأحداقٍ وأبصارِ

لولاهُ ما كَادَت الأبْصَارُ تبصِرُهُ   خوفًا على العين من... أنوارِ

والعاشقون حواليها لِذِى وَلَه   يهزهم مزعجاً وَجْدٍ وتِذْكارِ

طُوبَى لعينٍ رأَتْ ذاكَ الجنابَ لَقَدْ   رأت جلاءً لأبدانٍ وأبصارِ

وَجْهٌ تغفَّرَ فى ذاك التُّرابِ بَدَتْ   عليه نَضْرَةُ حُسْنٍ عند إبصارِ

تُرَى خَطَرَتْ لكم يومًا على خلَدِ   لصاحبٍ فى الدَّهر أو...

يقول بعده:

واخَجْلَةَ المتوانى عند رؤية مَنْ	قد فاز سابقةً من غير إقطارِ
ما لى وإنْ بَعُدَتْ بى عن ديارِهم	عوائقٌ من آثامى وأوزارِى
إلاَّ حنينٌ إليها كلَّما خَمَدَتْ	نيرانه هاجَهُ وَجْدِى وتذكارى
ولا أزالُ وإنْ شطَّت وإن قَرُبَتْ	أثنى بجهدى فى جهرى وإسرارى
على نبىٍّ له فى الفضلِ منزلةٌ	علياء يقصُرُ عنها كلُّ مختار
محمَّدٍ موضـــح الإشكال...	الامالِ واضـــعُ أغلالٍ وآصارِ
ياسيِّدَ الرُّسْل يا أسمى الأنام عُلى	ياخيرَ الورى يا صفوةَ البارِى
عليك أزْكَى سلامُ الله ما صَدَحَتْ	وَرْقاءُ أو سَحَرت أنفاسُ أسحارِ

ما يؤهل للإكثار من التردد إلى تلك الآثار إلا محب مختار.

حج على بن الموفق ستين حجة قال: فلما كان بعد ذلك جلست فى الحجر أفكر فى حالى وكثرة ترددى إلى ذلك المكان ولا أدرى هل قبل منى حجى أم رد، ثم نمت فرأيت فى منامى قائلاً يقول لى: هل تدعو إلى بيتك إلا من تحب قال: فاستيقظت وقد سرّى عنى. ما كل من حج قبل، ولا كل من صلى وصل. قيل لابن عمر ما أكثر الحاج؟ قال: ما أقلهم، وقال: الركب كبير والحاج قليل. حج بعض المتقدمين فتوفى فى الطريق فى رجوعه فدفنه أصحابه ونسوا الفأس فى قبره فنبشوه ليأخذوا الفأس فإذا عنقه ويداه قد جمعت فى حلقة الفأس فردوا عليه التراب ثم رجعوا إلى أهله فسألوهم عن حاله؟ فقالوا: صحب رجلاً فأخذ ماله فكان يحج منه:

إذا حَجَجْتَ بمال أصلُهُ سَحُتٌ	فما حَجَجْتَ ولكن حجَّت العيرُ
لا يقبلُ اللهَ إلا كُل صالحـــة	ما كلُّ من حَجَّ بَيْتَ الله مبــرُورَ

من حجه مبرور قليل ولكن قد يوهب المسىء للمحسن. وقد روى: «أن الله

تعالى يقول عشية عرفة: قد وهبت مسيئكم لمحسنكم»[1]. حج بعض المتقدمين فنام ليلة فرأى ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما للآخر فكم حج العام؟ قال: ستمائة ألف، فقال له: كم قبل منهم؟ قال: ستة، قال: فاستيقظ الرجل وهو قلق مما رأى فرأى فى الليلة الثانية كأنهما نزلا وأعادوا القول، وقال أحدهما: إن الله وهب لكل واحد من الستة مائة ألف.

كان بعض السلف يقول فى دعائه: اللهم إن لم تقبلنى فهبنى لمن شئت من خلقك. من رد عليه عمله ولم يقبل منه فقد يعوض ما يعوض المصاب فيرحم بذلك. قال بعض السلف فى دعائه بعرفة: اللهم إن كنت لم تقبل حجى وتعبى ونصبى فلا تحرمنى أجر المصيبة على تركك القبول منى. وقال آخر منهم: اللهم ارحمنى فإن رحمتك قريب من المحسنين، فإن لم أكن محسناً فقد قلت: **﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾**[2]، فإن لم أكن كذلك فأنا شيء وقد قلت: **﴿ورحمتى وَسِعت كل شيء﴾**[3]، فإن لم أكن شيئاً فأنا مصاب برد عملى وتعبى ونصبى فلا تحرمنى ما وعدت المصاب من الرحمة. قال هلال بن يسار: بلغنى أن المسلم إذا دعا الله فلم يستجب له كتب له حسنة. خرجه ابن أبى شيبة يعنى جزاءً لمصيبة ردِّه.

من كان فى سخطه محسنا فكيف يكون إذا ما رضى

قدوم الحاج يُذَكِّر بالقدوم على الله تعالى. قدِم مسافر فيما مضى على أهله فسروا به، وهناك امرأة من الصالحات فبكت وقالت: أذكرنى هذا بقدومه القدوم على الله عز وجل، فمن مسرور ومبثور[4]. قال بعض الملوك لأبى حازم: كيف القدوم على الله تعالى؟ فقال أبو حازم: أما قدوم الطائع على الله تعالى فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه، وأما قدوم العاصى فكقدوم العبد الآبق على سيده الغضبان.

---

(١) **ضعيف**. جزء من حديث رواه أبو يعلى (٧/ ١٤٠) رقم (٤١٠٦) عن أنس رضى الله عنه وفى سنده صالح المرى ويزيد الرقاشى وهما ضعيفان. ورواه الطبرانى فى «الكبير» عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه. وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣/ ٢٥٧) رواه الطبرانى فى الكبير وفيه راو لم يسم

(٢) سورة الأحزاب : آية ٤٣ .

(٣) سورة الأعراف: آية ١٥٦ .

(٤) المثبور : الهالك الخاسر .

لعلك غضبان وقلبى غافل سلام على الدارين إن كنت راضيا

فى بعض الآثار الإسرائيلية يقول الله عز وجل: ألا طال شوق الأبرار إلىَّ وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً. كم بين الذين **﴿لا يَحزُنُهم الفزع الأكبرُ وتتلقاهم الملائكةُ هذا يومكم الذين كُنتم توعدون﴾**[1]، وبين الذين **﴿يدعون إلى نار جهنم دعا﴾**[2]. قال على رضى الله عنه: تتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة: **﴿سلام عليكم طِبتم فادخلوها خالدين﴾**[3]، ويلقى كل غلمان صاحبهم يطيفون به فِعل الولدان بالحميم جاء من الغَيبة ويقولون: أبشر فقد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا، قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا، وينطلق غلام من غلمانه إلى أزواجه من الحور العين فيقول: هذا فلان باسمه فى الدنيا فيقلن: أنت رأيته؟ فيقول: نعم، فيستخفهن الفرح حتى يخرجن إلى أسكفة الباب[4]. قال أبو سليمان الدارانى تبعث الحوراء من الحور الوصيف من وصائفها فتقول: ويحك انظر ما فعل بولى الله؟ فتستبطئه فتبعث وصيفاً آخر، فيأتى الأول فيقول: تركته عند الميزان، ويأتى الثانى فيقول: تركته عند الصراط، ويأتى الثالث فيقول: قد دخل باب الجنة فيستخفها الفرح فتقف على باب الجنة فإذا أتاها اعتنقته فيدخل خياشيمه من ريحها ما لا يخرج أبدا.

قد أُزْلفَتْ جنَّةُ النعيـــم فيـــا طُوبى لقومٍ بَرْبعهــــا نَزَلُوا
أكوابُها عَسْجَدٌ يُطافُ بهـــا والخمرُ والسلسـبيلُ والعســلُ
والحور تلقاهـــم وقـــد كُشِفَتْ عن الوجوه بها الأستار والكِلَلُ

●●●●●

(١) سورة الأنبياء : آية ١٠٣
(٢) سورة الطور: آية ١٣
(٣) سورة الزمر: آية ٧٣
(٤) أسكفة الباب: عتبته

وظيفة شهر صفر

فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا عدوى ولا هامة ولا صفر**»[1] فقال أعرابى: يا رسول الله، فما بال الإبل تكون فى الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فمن أعدى الأول؟!**»[2].

أما العدوى: فمعناها أن المرض يتعدى من صاحبه إلى من يقارنه من الأصحاء فيمرض بذلك، وكانت العرب تعتقد ذلك فى أمراض كثيرة منها الجرب، ولذلك سأل الأعرابى عن الإبل الصحيحة يخالطها البعير الأجرب فتجرب؟ فقال النبى ﷺ: «فمن أعدى الأول». ومراده: أن الأول لم يَجْرب بالعدوى بل بقضاء الله وقدره، فكذلك الثانى وما بعده، وقد وردت أحاديث أشكل على كثير من الناس فهمها حتى ظن بعضهم أنها ناسخة لقوله: «لا عدوى»، مثل ما فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**لا يورد ممرضٌ على مُصح**»[3]. والممرض: صاحب الإبل المريضة، والمصح: صاحب الإبل الصحيحة. والمراد النهى عن إيراد الإبل المريضة على الصحيحة. ومثل قوله ﷺ: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**»[4]. وقوله ﷺ فى الطاعون: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها**»[5]. ودخول النسخ فى هذا كما تخيله بعضهم لا معنى له فإنّ قوله: «لا عدوى» خبر محض لا يمكن نسخه إلا أن يقال: هو نهى عن اعتقاد العدوى لا نفى لها. ولكن يمكن أن يكون ناسخاً للنهى فى هذه الأحاديث الثلاثة وما فى

---

(١) قال النووى: قوله ﷺ: (ولا صفر) فيه تأويلان أحدهما: المراد تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر، وهو النسئ الذى كانوا يفعلونه، وبهذا قال مالك وأبو عبيدة
والثانى: أن الصفر دواب فى البطن، وهى دود وكانوا يعتقدون أن فى البطن دابة تهيج عند الجوع، وربما قتلت صاحبها، وكانت العرب تراها أعدى من الجرب، وهذا التفسير هو الصحيح، وبه قال مطرق وابن وهب وابن حبيب وأبو عبيد وخلائق من العلماء

(٢) رواه البخارى (٥٧٥٧) كتاب الطب، باب: لا هامة. ومسلم(٥٦٨٠٠) كتاب الطب، باب: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر.

(٣) رواه مسلم(٥٦٨٣) كتاب الطب، باب: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر. والبخارى تعليقاً (٥٧٧٤) كتاب الطب، باب: لا عدوى.

(٤) رواه البخارى تعليقًا (٥٧٠٧) وعنه البغوى فى «شرح السنة» (٣٢٤٧) ووصله البيهقى فى «الكبرى» (٧/ ١٣٥) وسنده صحيح وقال البغوى: هذا حديث صحيح.

(٥) رواه البخارى (٣٤٧٣) كتاب أحاديث الأنبياء. ومسلم (٥٦٦٥) كتاب الطب، باب: الطاعون والطيرة والكهانة. والترمذى فى «الجنائز» ١٠٦٥٠) باب: ما جاء فى كراهية الفرار من الطاعوت والنسائى فى «الطب» فى «الكبرى» (٤/ ٣٦٢) رقم (٧٥٢٠)

معناها.

والصحيح الذى عليه جمهور العلماء: أنه لا نسخ فى ذلك كله، ولكن اختلفوا فى معنى قوله: «لا عدوى»، وأظهر ما قيل فى ذلك: أنه نفى لما كان يعتقده أهل الجاهلية من أن هذه الأمراض تعدى بطبعها من غير اعتقاد تقدير الله لذلك. ويدل على هذا قوله: «**فمن أعدى الأول؟**» يشير إلى أن الأول إنما جرب بقضاء الله وقدره، فكذلك الثانى وما بعده. وخرج الإمام أحمد والترمذى من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يعدى شىء شيئاً، قالها ثلاثاً، فقال أعرابى: يا رسول الله النقبة من الجرب تكون بمشفر البعير أو بذنبه فى الإبل العظيمة فتجرب كلها؟ فقال رسول الله ﷺ: فما أجرب الأول؟ لا عدوى، ولا هامة، ولا صفر، خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومصابها ورزقها**»[1]. فأخبر أن ذلك كله بقضاء الله وقدره كما دل عليه قوله تعالى: ﴿**ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أنْ نبرأها**﴾[2]، فأما نهيَه ﷺ عن إيراد الممرض على المصح وأمره بالفرار من المجذوم ونهيه عن الدخول إلى موضع الطاعون فإنه من باب اجتناب الأسباب التى خلقها الله تعالى وجعلها أسباباً للهلاك أو الأذى.

والعبد مأمور باتقاء أسباب البلاء إذا كان فى عافية منها فكما أنه يؤمر أن لا يلقى نفسه فى الماء، أو فى النار، أو يدخل تحت الهدم ونحوه مما جرت العادة بأنه يهلك أو يُؤْذَى فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم أو القدوم على بلد الطاعون. فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف والله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر غيره. وقد روى فى حديث مرسل خرّجه أبو داود فى مراسيله أن النبى ﷺ: مرَّ بحائط مائل فأسرع وقال: «**أخاف موت الفوات**»[3]. وروى متصلاً، والمرسل أصح. وهذه الأسباب التى جعلها الله

---

(١) **ضعيف**. رواه أحمد (١/ ٤٤٠) والترمذى (٢١٤٣) وفى سنده مجهول وهو الراوى عن ابن مسعود.
والنقبة: قال ابن الأثير: أول شئ يظهر من الجرب. وجمعها نقب بسكون القاف لأنها تنقب الجلد أى تخرقه»

(٢) سورة الحديد: آية ٢٢

(٣) **ضعيف لإرساله**: رواه أبو داود فى «المراسيل» (٤٧٧) ط الرسالة. وقال أبو داود: وقد روى مسنداً وليس بشئ وقد رواه أحمد موصولاً عن أبي هريرة (٢/ ٣٥٦) وفى سنده ابراهيم بن اسحاق وهو ابراهيم ابن الفضل المخزومى أبو اسحاق، وهو متروك كما فى «التقريب» (١/ ٤١) وذكر له الذهبى هذا الحديث فى «الميزان» (١/ ١٦٥) وعدّه من مناكيره

أسباباً يخلق المسببات بها. كما دل عليه قوله تعالى: ﴿**حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سُقناه لبلد ميّت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات**﴾[1]، وقالت طائفة: إنه يخلق المسببات عندها لا بها.

وأما إذا قَوِيَ التوكل على الله تعالىُ والإيمان بقضائه وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتماداً على الله ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر، ففى هذه الحال تجوز مباشرة ذلك لا سيما إذا كان فيه مصلحة عامة أو خاصة وعلى مثل هذا يحمل الحديث الذى خرّجه أبو داود والترمذى أن النبى ﷺ: أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه فى القصعة ثم قال: «**كل باسم الله، ثقة بالله، وتوكلاً عليه**»[2]. وقد أخذ به الإمام أحمد، وقد روى نحو ذلك عن عمر وابنه عبد الله، وسلمان رضى الله عنهم، ونظير ذلك ما روى عن خالد بن الوليد رضى الله عنه: من أكل السم[3]، ومنه: مشى سعد بن أبى وقاص وأبى مسلم الخولانى بالجيوش على متن البحر[4]، ومنه: أمر عمر رضى الله عنه لتميم حيث خرجت النار من الحرة أن يردها، فدخل إليها فى الغار التى خرجت منه[5]. فهذا كله لا يصلح إلا لخواص من النّاس قوى إيمانهم بالله وقضائه وقدره وتوكلهم عليه وثقتهم به، ونظير ذلك دخول المفاوز[6] بغير زاد لمن قوى يقينه وتوكله خاصة. وقد نص عليه أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وكذلك ترك التكسب والتطبب

---

(١) سورة الأعراف : آية ٥٧

(٢) **ضعيف**. رواه أبو داود (٣٩٢٥) والترمذى (١٨١٧) وابن ماجه (٣٥٤٢) وابن السنى فى «عمل اليوم والليلة» (٤٦٣) والحاكم (٤/ ١٣٦ - ١٣٧) والعقيلى فى «الضعفاء» ٤/ ٢٤٢) وابن عدى فى «الكامل» (٦/ ٤٠٩) وفى سنده المفضل بن فضالة أبو مالك البصرى، وهو ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ٢٧١) وانظر «الضعيفة» (١١٤٤).

(٣) حسن. رواه اللالكائى فى «شرح أصول الاعتقاد» (٩/ ١٤٢) رقم (٩٤) وأبو يعلى كما فى «المجمع» (٩/ ٣٥٠) وقال الهيثمى رجاله رجال الصحيح.

(٤) عن حميد بن هلال أن أبا مسلم الخولانى مرّ بدجلة وهى ترمى بالخشب من مدها فمشى على الماء ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعو الله تعالى. رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٥/ ١٢٠) وسنده صحيح..

(٥) هذه القصة أوردها الذهبى فى «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٤٦) وفى سندها معاوية بن حرمل، قال الذهبى: لا يعرف.

(٦) المفاوز: الصحراء.

كل ذلك يجوز عند أحمد لمن قوى توكله فإن التوكل أعظم الأسباب التى تستجلب بها المنافع وتدفع بها المضار. كما قال الفضيل: لو علم الله إخراج المخلوقين من قلبك لأعطاك كل ما تريد. وبذلك فسر الإمام أحمد التوكل فقال: هو قطع الاستشراف[1] باليأس من المخلوقين، قيل له: فما الحجة فيه؟ قال: قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى فى النار فعرض له جبريل عليه السلام فقال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا.

فلا يشرع ترك الأسباب الظاهرة إلاَّ لمن تعوض عنها بالسبب الباطن وهو تحقيق التوكل عليه فإنه أقوى من الأسباب الظاهرة لأهله، وأنفع منها، فالتوكل: علم وعمل؛ والعلم: معرفة القلب بتوحيد الله بالنفع والضر، وعامة المؤمنين تعلمُ ذلك، والعمل: هو ثقة القلب بالله وفراغه من كل ما سواه. وهذا عزيز ويختص به خواص المؤمنين.

والأسباب نوعان: أحدهما: أسباب الخير: فالمشروع أنه يفرح بها ويستبشر، ولا يسكن إليها بل إلى خالقها ومسببها، وذلك هو تحقيق التوكل على الله والإيمان به كما قال تعالى فى الإمداد بالملائكة: **﴿وما جعله الله إلا بشرى ولِتَطمئن به قلوبكم وما النّصر إلا من عند الله﴾**[2]. ومن هذا الباب الاستبشار بالفال: وهو الكلمة الصالحة يسمعها طالب الحاجة، وأكثر الناس يركن بقلبه إلى الأسباب وينسى المسبب لها، وقَلّ من فعل ذلك إلا وُكل إليها وخُذل، فإن جميع النّعم من الله وفضله كما قال تعالى: **﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾**[3]، **﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾**[4]، كما قيل:

لا نلت خيراً ما بقيت ولا عدانى الدهر شــر
إن كنت أعلم أن غيـر الله ينفـــــع أو يضر

ولا تضاف النعم إلى الأسباب بل إلى مسببها ومقدرها كما فى الحديث

---

(١) الاستشراف: التطلع إلى الشيء.
(٢) سورة الأنفال: آية: ١٠.
(٣) سورة النساء: آية: ٧٩.
(٤) سورة النحل: آية: ٥٣.

الصحيح عن النبى ﷺ أنه صلى بهم الصبح فى أثر سماء[1] ثم قال: «**أتدرون ما قال ربكم الليلة؟ قال: أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، فأما المؤمن فقال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك ممن بى كافر بالكواكب، وأما الكافر فقال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب**»[2] وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**لا عدوى، ولا هامة، ولا نوء، ولا صفر**»[3]. وهذا مما يدل على أن المراد نفى تأثير هذه الأسباب بنفسها من غير اعتقاد أنها بتقدير الله وقضائه فمن أضاف شيئاً من النعم إلى غير الله مع اعتقاده أنه ليس من الله فهو مشرك حقيقة ومع اعتقاد أنه من الله فهو نوع شرك خفى.

النوع الثانى: أسباب الشر: فلا تضاف إلا إلى الذنوب؛ لأن جميع المصائب إنما هى بسبب الذنوب كما قال تعالى: ﴿**وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾[5]، فلا تضاف إلى شىء من الأسباب سوى الذنوب: كالعدوى أو غيرها، والمشروع: اجتناب ما ظهر منها واتقاؤه بقدر ما وردت به الشريعة، مثل: اتقاء المجذوم، والمريض، والقدوم على مكان الطاعون، وأما ما خفى منها فلا يشرع اتقاؤه واجتنابه فإن ذلك من الطيرة المنهى عنها.

والطيرة من أعمال أهل الشرك والكفر وقد حكاها الله تعالى فى كتابه عن قوم فرعون وقوم صالح، وأصحاب القرية التى جاءها المرسلون. وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا طيرة**»[6]، وفى حديث: «**من ردته الطيرة فقد قارف الشرك**»[7]، وفى حديث ابن مسعود المرفوع: «الطيرة من الشرك وما منا

---

(١) أى عقب نزول المطر.

(٢) رواه البخارى (٨٤٦) كتاب الأذان، باب: يستقبل الإمام الناس إذا سلم. ومسلم (٢٢٧) كتاب الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مُطرنا بالنوء. وأحمد (١/ ٨٩، ١٠٨، ١٣١) وأبو داود فى «الطب» (٣٩٠٦) باب: فى النجوم. والنسائى فى «الاستسقاء» (٣/ ١٦٤) باب: كراهية الاستمطار بالكوكب من حديث زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٥٦٨٦) كتاب الطب، باب: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء.

(٤) سورة النساء : آية ٧٩

(٥) سورة الشورى : آية ٣٠

(٦) سبق تخريجه

(٧) حسن. رواه احمد (٢/ ٢٢٠) وابن السنى فى « عمل اليوم والليلة» (٢٩٢)

إلا[١] . . . ، ولكن الله يذهبه بالتوكل»[٢]. والبحث عن أسباب الشر من النّظر فى النّجوم ونحوها من الطيرة المنهى عنها، والباحثون عن ذلك غالباً لا يشتغلون بما يدفع البلاء من الطاعات بل يأمرون بلزوم المنزل، وترك الحركة، وهذا لا يمنع نفوذ القضاء والقدر، ومنهم من يشتغل بالمعاصى، وهذا مما يقوى وقوع البلاء ونفوذه، والذى جاءت به الشريعة هو ترك البحث عن ذلك والإعراض عنه. والاشتغال بما يدفع البلاء من الدعاء والذكر والصدقة وتحقيق التوكل على الله عز وجل والإيمان بقضائه وقدره. وفى مسند ابن وهب أن عبد الله بن عمرو بن العاص التقى هو وكعب فقال عبد الله لكعب علم النجوم؟ فقال كعب: لا خير فيه، قال عبد الله: لم؟ قال ترى فيه ما تكره، يريد الطيرة فقال كعب: فإن مضى وقال: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك فقال عبد الله: ولا حول ولا قوة إلا بك، فقال كعب: جاء بها عبد الله، والذى نفسى بيده: إنها لرأس التوكل وكنز العبد فى الجنة، ولا يقولهن عبد عند ذلك ثم يمضى، إلا لم يضره شىء، قال عبد الله: أرأيت إن لم يمض وقعد؟ قال: طَعِمَ قلبُه طعم الإشراك[٣]. وفى مراسيل أبى داود أن النبى ﷺ قال: «**ليس عبد إلا سيدخل قلبه طيرة، فإذا أحس بذلك فليقل: أنا عبد الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لا يأتى بالحسنات إلا الله، ولا يذهب السيئات إلا الله، أشهد أن الله على كل شىء قدير، ثم يمضى**

---

(١) أى وما منا إلا من يعتريه التطير ويسبق إلى قلبه الكراهية فيه، فحذف اختصاراً للكلام، واعتماداً على فهم السامع.

(٢) صحيح. رواه البخارى فى «الأدب المفرد» (١٣١) وأبو داود(٣٩١٠) والترمذى (١٦١٤) واحمد(١/ ٣٨٩، ٤٣٨ ، ٤٤٠) وابن ماجه (٣٥٣٨) والطحاوى فى « مشكل الآثار» (١/ ٣٥٨ ،٢/ ٣٠٤) وفى شرح معانى الآثار(٤/ ٣١٢) والطيالسى(٣٥٦) والبغوى فى « شرح السنة» (٣٢٥٧) وابن حبان(٦١٢٢ ـ احسان) والحاكم ١٠/ ١٧ ـ ١٨) والبيهقى (٨/ ١٣٩) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى. وقال الترمذى : حسن صحيح. . سمعت محمد بن اسماعيل يقول: كان سليمان بن حرب يقول فى هذا الحديث « وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل» قال سليمان هذا عندى قول عبد الله بن مسعود« «وما منا» وقال المناوى فى « فيض القدير» (٤/ ٢٩٤) : لكن تعقبه ابن القطان بأن كل كلام مسوق فى سياق لا يقبل دعوى درجه إلا بحجة ١٠ هـ قال الألبانى : ولا حجة هنا فى الإدراج فالحديث صحيح بكامله. «الصحيحة» (١/ ٧١٦)

(٣) حسن. رواه البيبهقى فى « شعب الإيمان» (٢/ ٦٥) رقم (١١٨٠)

لـوجهــه»[١]. وفى مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: «**من رَجَعَتْهُ الطيرة من حاجته فقد أشرك، وكفارة ذلك أن يقول أحدهم: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك**»[٢]. وخرّج الإمام أحمد وأبو داود من حديث عروة ابن عامر القرشى قال: ذكرت الطيرة عند النبى ﷺ فقال: «**أحسنها الفال، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فيقل: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[٣]. وخرّجه أبو القاسم البغوى وعنده: «ولا تضر مسلما». وفى صحيح ابن حبان عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**لا طيرة، والطيرة على من تطير**»[٤]. وقال النخعى: قال عبدالله بن مسعود: لا تضر الطيرة إلا من تطير[٥].

ومعنى هذا أن من تطير تطيراً منهياً عنه وهو أن يعتمد على ما يسمعه أو يراه مما يتطير به حتى يمنعه مما يريد من حاجته فإنه قد يصيبه ما يكرهه، فأما من توكل على الله ووثق به بحيث علق قلبه بالله خوفاً ورجاءً وقطعه عن الالتفات إلى هذه الأسباب المخوفة وقال ما أمر به من هذه الكلمات ومضى فإنه لا يضره ذلك. وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان إذا سمع نعق الغراب قال: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك[٦]. ولذلك أمر النبى ﷺ عند انعقاد أسباب العذاب السماوية المخوفة كالكسوف، بأعمال البر من الصلاة والدعاء والصدقة والعتق حتى يكشف ذلك عن الناس. وهذا كله مما يدل على أن الأسباب المكروهة إذا وجدت فإن المشروع الاشتغال بما يوحى به دفع العذاب المخوف منها من أعمال الطاعات والدعاء وتحقيق التوكل على الله والثقة به فإن هذه الأسباب كلها

---

(١) **ضعيف لإرساله**. رواه أبو داود فى« المراسيل» (٥٣٩) باب: ما جاء فى الطيرة.

(٢) **حسن**. رواه احمد (٢/ ٢٢٠) وابن السنى فى « لا عمل اليوم والليلة» (٢٩٢) وابن أبى شيبة فى « المصنف (٦/ ٢٢٤/ ٣) والبيهقى فى « الكبرى» (٨/ ١٣٩)

(٣) **ضعيف**. رواه أبو داود(٣٩١٩) وعروة بن عامر، قال الحافظ مختلف فى صحبته» وذكره ابن حبان فى «ثقات التابعين» وحبيب بن أبى ثابت مدلس وقد عنعنه. والحديث لم أقف عليه عند احمد كما قال المصنف والله أعلم .

(٤) **حسن**. رواه ابن حبان(٦١٢٣ ـ احسان) والطحاوى فى « شرح معانى الآثار» (٤/ ٣١٤٤)

(٥) **صحيح**. رواه ابن أبى شيبة فى « المصنف» (٦/ ٢٢٥ / ٩)

(٦) **صحيح**. رواه ابن أبى شيبة فى « المصنف» (٧/ ١٤٢/ ١)

مقتضيات لا موجبات ولها موانع تمنعها، فأعمال البر والتقوى والدعاء والتوكل من أعظم ما يستدفع به، ومن كلام بعض الحكماء المتقدمين: ضجيج الأصوات فى هياكل العبادات بأفنان[1] اللغات تحلل ما عقدته الأفلاك الدائرات، وهذا على زعمهم واعتقادهم فى الأفلاك، وأما اعتقاد المسلمين: فإن الله وحده هو الفاعل لما يشاء، ولكنه يعقد أسباباً للعذاب، وأسباباً للرحمة. فأسباب العذاب يخوف الله بها عباده ليتوبوا إليه ويتضرعوا إليه مثل: كسوف الشمس والقمر فإنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده لينظر من يحدث له توبة، فدل على أن كسوفهما سبب يخشى منه وقوع عذاب. وقد أُمرت عائشة رضى الله عنها: أن تستعيذ من شر القمر، وقال: هو الغاسق إذا وقب[2]، وقد أمر الله تعالى بالاستعاذة ﴿**من شر غَاسق إذا وَقَب**﴾ وهو: الليل إذا أظلم فإنه ينتشر فيه شياطين الجن والإنس. والاستعاذة من القمر لأنه آية الليل، وفيه إشارة إلى أن شر الليل المخوف لا يندفع بإشراق القمر فيه ولا يصير بذلك كالنهار بل يستعاذ منه، وإن كان مقمراً. وخرّج الطبرانى من حديث جابر مرفوعاً: «**لا تسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس ولا القمر ولا الريح؛ فإنها رحمة لقوم وعذاب لآخرين**»[3]. ومثل اشتداد الرياح فإن الريح كما قاله ﷺ: «**من روح الله تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب**»[4] وأمر ﷺ إذا اشتدت الريح أن يسأل الله تعالى خيرها وخير ما أرسلت به ويستعاذ به من شرها وشر ما أرسلت به، وقد كان النبى ﷺ إذا رأى ريحاً أو غيماً تغير وجهه وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سرّى عنه، ويقول: «**قد عذب قوم بالريح**». **ورأى قوم السحاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا**[5]. وأسباب الرحمة يُرجِّي بها عباده مثل:

---

(١) أفنان: ألوان وأنواع.

(٢) حسن. رواه احمد (٦/ ٦١) والترمذى (٣٣٦٦) والنسائى فى «الكبرى» (٦/ ٨٣/ ١٠١٣٧) والحاكم (٢/ ٥٠ ٤ ـ ٥٤١) والطحاوى فى «مشكل الآثار» (٢/ ٣١٠) وأبو الشيخ فى «العظمة» (٦٨١)

(٣) **ضعيف**. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٦٧٩٥) وفى «الدعاء» (٢٠٥١) وفى سنده سعيد بن بشير الأزدى وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ٢٩٢)

(٤) **صحيح**. رواه احمد(٢/ ٢٦٨ و٤٣٦ و٤٣٧ و٥١٨) وأبو داود(٥٠٩٧) والبخارى فى «الأدب المفرد» (٧٢٠ و٩٠٦) والنسائي فى «عمل اليوم والليلة» (٩٢٩ و٩٣١ و٩٣٢) وابن أبي شيبة (١٠ / ٢١٦) وابن ماجه (٣٧٢٧) وابن حبان والحاكم (١٠٠٧ ـ احسان (٤/ ٢٨٥) وصححه ووافقه الذهبى.

(٥) رواه مسلم (٢٠٥١) كتاب الصلاة ، باب: التعوذ عند رؤية الريحوالغيم

الغيم الرطب، والريح الطيبة، ومثل المطر المعتاد عند الحاجة إليه، ولهذا يقال عند نزوله: اللهم سقيا رحمة ولا سقيا عذاب.

وأما من اتقى أسباب الضرر بعد انعقادها بالأسباب المنهى عنها فإنه لا ينفعه ذلك غالباً كمن ردته الطيرة عن حاجته خشية أن يصيبه ما تطير به فإنه كثيراً ما يصاب بما خشى منه كما قال ابن مسعود، ودل عليه حديث أنس المتقدم، وكمن اتقى الطاعون الواقع فى بلده بالفرار منه فإنه قل أن ينجيه ذلك وقد فر كثير من المتقدمين والمتأخرين من الطاعون فأصابهم ولم ينفعهم الفرار. وقد قال الله تعالى: **﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموت فقال لهم الله مُوتوا ثم أحياهم﴾**(١). وقد ذكر كثير من السلف: أنهم كانوا قد فروا من الطاعون فأصابهم، وفر بعض المتقدمين من طاعون وقع فبينما هو يسير بالليل على حمار له إذ سمع قائلاً يقول:

لنْ يُسْبَقَ اللهُ على حِمارِ ... ولاَ عَلَى مَيْعَةٍ مُطَارِ(٢)
أو يأتِى الحتْفُ على مقدارِ ... قَدْ يُصْبِحُ اللهُ أمامَ السَّارى

فأصابه الطاعون فمات.

وأما قوله ﷺ: «لا هامة»، فهو: نفى لما كانت الجاهلية تعتقده أن الميت إذا مات صارت روحه أو عظامه هامة: وهو طائر يطير، وهو شبيه باعتقاد أهل التناسخ: أن أرواح الموتى تنتقل إلى أجساد حيوانات من غير بعث ولا نشور، وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الإسلام بإبطالها وتكذيبها. ولكن الذى جاءت به الشريعة: أن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة وترد من أنهار الجنة إلى أن يردّها الله إلى أجسادها(٣) يوم القيامة وروى أيضاً أن نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى أجسادها يوم القيامة (٤).

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٤٣. وقال ابن عباس فى تفسير هذه الآية : كانو أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون، وقالوا نأتى أرضاً ليس بها موت، فقال لهم الله: موتوا فماتوا، فمرّ بهم نبى فسأل الله أن يحييهم فأحياهم. رواه الطبرى» « تفسيره» (٢/ ٥٨٦) والحاكم فى « المستدرك» (٢/ ٢٨١) وسنده حسن

(٢) الميعة: سيلان الشئ المصبوب .

(٣) رواه مسلم (٤٨٠٢٠) كتاب الجهاد، باب: بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة. والترمذى فى « التفسير» (آل عمران) (٣٠١١) وابن ماجه فى « الجهاد» (٢٨٠١٠) باب: فضل الشهادة فى سبيل الله :

(٤) صحيح. رواه احمد (٣/ ٤٥٥) ومالك (١/ ٢٤٠/ ٤٩) والنسائى (٤/ ١٠٨) وابن ماجة(٤٢٧١) والطبرانى فى « الكبير » (١٩ / ٦٤) رقم (١٢٠) والطيالسى (١/ ١٥٤) رقم (٧٤٠ ـ منحة) والحميدى (٢/ ٣٨٤) رقم (٨٧٣) وأبو نعيم فى « الحلية» (٩/ ١٥٦) وانظر « الصحيحة» (٩٩٥).

وأما قوله ﷺ: «ولا صفر» فاختلف فى تفسيره فقال كثير من المتقدمين: الصفر: داء في البطن يقال: إنه دود فيه كبار كالحيات، وكانوا يعتقدون أنه يعدى فنفى ذلك النبى ﷺ، وممن قال هذا من العلماء: ابن عيينة والإمام أحمد وغيرهما. ولكن لو كان كذلك لكان هذا داخلاً فى قوله: «لا عدوى». وقد يقال: هو من باب عطف الخاص على العام، وخصه بالذكر؛ لاشتهاره عندهم بالعدوى. وقالت طائفة: بل المراد بصفر شهر، ثم اختلفوا فى تفسيره على قولين:

أحدهما: أن المراد نفى ما كان أهل الجاهلية يفعلون فى النسيء فكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه، وهذا قول مالك.

والثانى: أن المراد أن أهل الجاهلية كانوا يستشئمون بصفر ويقولون: إنه شهر مشؤم، فأبطل النبى ﷺ ذلك، وهذا حكاه أبو داود عن محمد بن راشد المكحولى عمّن سمعه يقول ذلك. ولعل هذا القول أشبه الأقوال. وكثير من الجهال يتشاءم بصفر وربما ينهى عن السفر فيه، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهى عنها، وكذلك التشاؤم بالأيام كيوم الأربعاء. وقد روى أنه: «يوم نحس مستمر» فى حديث لا يصح[1] بل فى المسند عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ: «دعا على الأحزاب يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الظهر والعصر»، قال جابر: فما نزل بى أمر مهم غائظ إلا توخيّت ذلك الوقت فدعوت الله فيه فرأيت الإجابة.[2] أو كما قال.

وكذلك تشاؤم أهل الجاهلية بشوال فى النكاح فيه خاصة، وقد قيل: إن أصله أن طاعوناً وقع فى شوال فى سنة من السنين فمات فيه كثير من العرائس فتشاءم بذلك أهل الجاهلية، وقد ورد الشرع بإبطاله قالت عائشة رضى الله عنها: «تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال وبنى بى فى شوال فأى نسائه كان أحظى عنده منى». وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها فى شوال[3] وتزوج النبى

---

(١) ضعيف. رواه ابن مردويه وابن المنذر كما في «الدر المنثور» للسيوطي. ٦/ ٩١٨١ ط الكتب العلمية.

(٢) حسن. رواه أحمد (٣/ ٣٣٢).

(٣) رواه مسلم(٣٤٢١) كتاب النكاح، باب استحباب التزوج والتزويج فى شوال. والترمذى فى «النكاح» (١٠٩٣) باب ما جاء فى الأوقات التى يستحب فيها النكاح. والنسائى فى «النكاح» (٦/ ٧٠) باب: التزويج فى شوال. وابن ماجه فى «النكاح» (١٩٩٠) باب: متى يستحب البناء بالنساء.

ﷺ أم سلمة فى شوال أيضاً[١].

فأما قول النبى ﷺ : **«لا عدوى، ولا طيرة، والشؤم فى ثلاث فى المرأة والدار والدابة»**[٢]، خرجاه فى الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ ، فقد اختلف الناس فى معناه أيضاً فروى عن عائشة رضى الله عنها أنها أنكرت هذا الحديث أن يكون من كلام النبى ﷺ وقالت: إنما قال: كان أهل الجاهلية يقولون ذلك[٣]. خرّجه الإمام أحمد. وقال معمر: سمعت من يفسر هذا الحديث

---

(١) **ضعيف**. رواه ابن ماجه فى « النكاح» (١٩٩١) باب: متى يستحب البناء بالنساء. وسنده مرسل، وفيه محمد بن اسحاق وهو مدلس وقد عنعنه.

(٢) رواه البخارى (٢٨٥٨) كتاب الجهاد، باب" ما يذكر فى شؤم الفرس. ورواه فى « النكاح» (٥٠٩٣) باب: ما يتقى من شؤم المرأة. ورواه فى « الطيرة» (٥٧٥٣) باب: الطيرة. ومسلم(٥٦٩٦) كتاب الطب، باب الطيرة الفأل. وأبو داود فى « الطب» (٣٩٢٢) باب: الطيرة .والترمذى فى « الاستئذان» (٢٨٢٤) باب: جاء فى الشؤم. والنسائى فى « الخيل» (٦/ ٢٢٠) باب: شؤم الخيل.
وقد ورد هذا الحديث أيضا عند البخارى ومسلم بلفظ « إن كان الشؤم فى شيء ففى الفرس والمرأة والدار» ورواه البخارى (٢٨٥٩) من حديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه بلفظ « **إن كان فى شىء ففى المرأة والفرس والمسكن**»

(٣) **صحيح**. رواه أحمد (٦/ ٢٤٦) و قال الحافظ ابن حجر: قال ابن العربى: معناه إن كان خلق الله الشؤم فى شيء مما جرى من بعض العادة فإنما خلقه فى هذه الأشياء، قال المازرى: بحمل هذه الرواية إن يكن الشؤم حقاً فهذه الثلاث أحق به، بمعنى أن النفوس يقع فيها التشاؤم بهذه أكثر مما يقع بغيرها. وجاء عن عاءشة أنها أنكرت هذا الحديث، فروى أبو داود الطيالسى فى مسنده (١٥٣٧) عن محمد بن راشد عن مكحول قال: قيل لعائشة إن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « الشؤم فى ثلاثة» فقالت: لم يحفظ، إنه دخل وهو يقول« قاتل الله اليهود، يقولون الشؤم فى ثلاثة »فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله قلت:[أى الحافظ ابن حجر] ومكحول لم يسمع من عائشة فهو منقطع، لكن روى أحمد وابن خزيمة والحاكم من طريق قتادة عن أبى حسان« أن رجلين من بنى عامر دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة قال« إن رسول الله ﷺ قال: الطيرة فى الفرس والمرأة والدار» فغضبت غضباً شديداً وقالت: ما قاله: وإنما قال « إن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك» انتهى، ولا معنى لأنكار ذلك على أبى هريرة مع موافقة من ذكرنا من الصحابة له فى ذلك، وقد تأوله غيرها على أن ذلك سبق لبيان اعتقاد الناس فى ذلك، لا أنه اخبار من النبى ﷺ بثبوت ذلك، وسياق الأحاديث الصحيحة المتقدم ذكرها يبعد هذا التأويل. قال ابن العربى: هذا جواب ساقط لأنه ﷺ لم يبعث ليخبر الناس عن معتقداتهم الماضية والحاصلة، وإنما بعث ليعلمهم ما يلزمهم أن يعتقدوه. انتهى وأما أخرجه الترمذى من حديث حكيم بن معاوية قال: « سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا شؤم، وقد يكون اليمن فى المرأة والدار والفرس» ففى اسناده ضعف مع مخالفته للأحاديث الصحيحة. أ هـ « الفتح» (٦/ ٧٢ ـ ٧٣) وقد تعقب الشيخ الألبانى الحافظ ابن حجر فى تضعيفه لحديث الترمذى فقال وأما قول الحافظ « فى اسناده ضعف» فهو مما لا وجه له بعد أن بيّنا أنه اسناد شامى، والخلاف المذكور فى اسم صحابيه لا يضر، وذلك لأن الصحابة كلهم عدول. . .ثم رأيت ابن أبى حاتم قد ذكر فى « العلل» (٢/ ٢٩٩) عن أبيه أنه جزم بهذا الذى رجحته فالحمد لله=

يقول: شؤم المرأة: إذا كانت غير ولود، وشؤم الفرس: إذا لم يكن يُغْزَى عليه فى سبيل الله، وشؤم الدار: جار السوء[1]. وروى هذا المعنى مرفوعاً من وجوه لا تصح. ومنهم من قال قد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا شؤم وإن يكن اليُمن فى شىء ففى ثلاثة»؛ فذكر هذه الثلاثة[2]، وقال هذه الرواية أشبه بأصول الشرع كذا قاله ابن عبد البر،[3] ولكن إسناد هذه الرواية لا يقاوم ذلك الإسناد[4].

والتحقيق أن يقال فى إثبات الشؤم فى هذه الثلاث: ما ذكرناه فى النهى عن إيراد المريض على الصحيح، والفرار من المجذوم ومن أرض الطاعون، إن هذه الثلاث أسباب قدر الله تعالى بها الشؤم واليمن ويقرنه بها، ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة أو أمة أو دابة أن يسأل الله تعالى من خيرها وخير ما جبلت عليه ويستعيذ به تعالى من شرها وشر ما جبلت عليه كما فى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه

= على توفيقه وأسأله المزيد من فضله. والحديث صريح فى نفى الشؤم،أهـ « الصحيحة» (٤/ ٥٦٥) وقال الشيخ فى موضع آخر معلقاً على حديث ابن عمر بروايته الثانية أى « إن كان الشؤم فى شيء...» الحديث قال: والحديث يعطى بمفهومه أن لا شؤم فى شيء، لأن معناه: لوكان الشؤم ثابتاً فى شيء أصلاً. وعليه فما فى بعض الروايات بلفظ « الشؤم فى ثلاثة» أو« إنما الشؤم فى ثلاثة» فهو اختصار وتصرف من بعض الرواة. والله أعلم «الصحيحة» (١/ ٧٢٧)

وقال أيضافى موضع آخر: وجملة القول أن الحديث اختلف الرواة فى لفظة، فمنهم من رواه كما فى الترجمة، ومنهم من زاد عليه فى أوله ما يدل على أنه لا طيرة أو شؤم(وهما بمعنى واحد كما قال العلماء)، وعليه الأكثرون، فروايتهم هى الراجحة، لأن معهم زيادة علم، فيجب قبولها، وقد تأيد ذلك. بحديث عائشة الذى فيه أن أهل الجاهلية هم الذين كانوا يقولون ذلك. وقد قال الزركشى فى « الإجابة» (ص ١٢٨) قال بعض الأئمة: ورواية عائشة فى هذا أشبه بالصواب إن شاء الله تعالى (يعنى من حديث أبى هريرة) لموافقته نهيه عليه الصلاة والسلام عن الطيرة نهياً عاماً، وكراهتها، وترغيبه فى تركها بقوله: « يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب. وهم الذين لا يكتوون، لا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» قلت: وقد أشار بقوله: (بعض الأئمة) إلى الإمام الطحاوى رحمه الله تعالى، فقد ذهب إلى ترجيح حديث عائشة المذكور فى « مشكل الآثار» ونحوه فى « شرح المعانى» وبه ختم بحثه فى هذا الموضوع، وقال فى حديث سعد وما فى معناه: « ففى هذا الحديث ما يدل على غير ما دل عليه ما قبله من الحديث (يعنى ابن عمر..) وذلك أن سعداً انتهر سعيداً حين ذكر له الطيرة وأخبره عن النبى ﷺ أنه قال: لا طيرة، ثم قال: إن تكون الطيرة فى شىء ففى المرأة والفرس والدار، فلم يخبر أنها فيهن، وإنما قال: إن تكن فى شىء تكن فى هؤلاء الثلاث فليست فى شىء». أ هـ « الصحيحة» (٢/ ٥٩٦ - ٥٩٧).

(١) ذكره عبد الرازق فى « المصنف» (١٠/ ٤١١) والبيهقى فى « الكبرى» (٨/ ١٤٠).

(٢) **صحيح** . رواه الترمذى عقب الحديث (٢٨٢٤) وابن ماجه (١٩٩٣) والطحاوى فى «مشكل الآثار» (١/ ٣٤١) .

(٣) وهذا ما ذهب إليه الشيخ الألبانى كما سبق.

(٤) بل اسناد الرواية صحيح كما سبق

عن جده عن النبى ﷺ الذى خرّجه أبو داود وغيره[١]، وكذا ينبغى لمن سكن داراً أن يفعل ذلك وقد أمر النبى ﷺ قوماً سكنوا داراً فقلّ عددهم وقلّ مالهم أن يتركوها ذميمة[٢]. فترك ما لا يجد الإنسان فيه بركة من دار أو زوجة أو دابة غير منهى عنه، وكذلك من اتجر فى شىء فلم يربح فيه ثلاث مرات فإنه يتحول عنه. روى ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فإنه قال: من بورك له فى شىء فلا يتغير عنه. ففى المسند وسنن ابن ماجة عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً: «إذا كان لأحدكم رزق فى شىء فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له»[٣].

وأما تخصيص الشؤم بزمان دون زمان كشهر صفر أو غيره فغير صحيح، وإنما الزمان كله خلق الله تعالى وفيه تقع أفعال بنى آدم، فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه، وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشؤم عليه، فالشؤم فى الحقيقة هو معصية الله تعالى كما قال ابن مسعود رضى الله عنه: إذا كان الشؤم فى شىء ففيما بين اللحيين - يعنى اللسان - وقال: ما من شىء أحوج إلى طول سجن من لسان[٤]. وقال عدى بن حاتم: أيمن أمرِ وأشأمه بين لحييه - يعنى لسانه . وفى مسند أبى داود عن النبى ﷺ قال: «**حسن الملكة نماء، وسوء الملكة شؤم، والبر زيادة فى العمر، والصدقة تمنع ميتة السوء**»[٥]. فجعل سوء الملكة شؤماً[٦]. وفى حديث آخر: «**لا يدخل الجنة سىء**

---

(١) حسن. رواه أبو داود(٢٢٦٠) وابن ماجه(١٩١٨) والحاكم(٢/ ١٨٥) والبيهقى (٧/ ١٤٨).

(٢) حسن. رواه أبو داود (٣٩٢٤) والبيهقى (٨/ ١٤٠) قال صاحب عون المعبود(١٠/ ٤٢٣): قال الخطابى وابن الأثير: إنما أمرهم بالتحول عنها إبطالاً لما وقع فى نفوسهم من أن المكروه إنما أصابهم بسبب السكنى فإذا تحولوا عنها انقطعت مادة ذلك الوهم وزال عنهم ما خامرهم من الشبهة. أ هـ وقال السهارنفورى فى « بذل المجهود» (١٦/ ٢٥٣) هذا ليس من الطيرة ولا العدوى بل من الطب فإن الهواء مختلف فبعضها توافق الطباع وبعضها تخالفها والأرض الأولى كان هوائها وماؤها ونباتها كانت موافقة لهم، والدار الثانية التى انتقلوا إليها مخالفة لهم وأمرهم أن يتركوها إرشاداً إلى المصالح الدنيوية والدينية، ومعنى قوله، ذميمة أى اتركوا هذه الدار فإنها مذمومة فعيلة بمعنى مفعولة.أ هـ.

(٣) **ضعيف**.رواه أحمد (٦/ ٢٤٦) وفى سنده مخلد بن الضحاك الشيبانى، وهو مقبول كما فى « التقريب» (٢/ ٢٣٥) والزبير بن عبيد مجهول كما فى التقريب(١/ ٢٥٨).

(٤) أثر ابن مسعود رواه عبد الرازق فى « المصنف» (١٠/ ٤١٢/ ١٩٥٢٨).

(٥) **ضعيف**. رواه أحمد(٣/ ٥٠٢) وأبو داود (٥١٦٢و ٥١٦٣) وعبد الرازق(١١/ ١٣١) رقم(٢٠١١٨) وفى سنده عثمان بن زفر الجهنى وهو مجهول كما فى « التقريب» (٢/ ٨) وانظر« الضعيفة» (٧٩٤).

(٦) المكلة أى المملوك، يقال: فلانٌ حسن المكلة، إذا كان حسن الصنيع إلى مماليكه« النهاية» (٤/ ٣٥٨).

الملكة»،[١] وهو من يسيءَ إلى مماليكه ويظلمهم.

وفى الحديث: «**إن الصدقة تدفع ميتة السوء**»[٢]، وروى من حديث على مرفوعاً: «**باكروا بالصدقة، فإن البلاء لا يتخطاها**»[٣] خرّجه الطبرانى. وفى حديث آخر: «إن لكل يوم نحساً، فادفعوا نحس ذلك اليوم بالصدقة»[٤]، فالصدقة تمنع وقوع البلاء بعد انعقاد أسبابه، وكذلك الدعاء. وفى الحديث: «**إن البلاء والدعاء يلتقيان بين السماء والأرض فيعتلجان إلى يوم القيامة**»[٥]. خرّجه البزار والحاكم وخُرِّج فى الترمذى من حديث سلمان مرفوعاً: «**لا يرد القضاء إلا بالدعاء**»[٦]. وقال ابن عباس: لا ينفع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر. وعنه قال: الدعاء يدفع القدر، وهو إذا دفع القدر فهو من القدر وهذا كقول النبى ﷺ لما سئل عن الأدوية والرقى هل ترد من قدر الله

---

(١) **ضعيف**. رواه أحمد(١/ ٧) والترمذى(١٩٤٦) وابن ماجه(٣٦٩١) من حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه. وفى سنده فرقد السبخى وهو لين الحديث، كثير الخطأ كما فى «التقريب»(٢/ ١٠٨) وقال الترمذى: هذا حديث غريب وقد تكلم أيوب السختيانى وغير واحد فى فرقد السبخى من قبل حفظه.

(٢) **ضعيف**.رواه الترمذى (٦٦٤) وابن حبان (٣٣٠٩) احسان. والبغوى فى «شرح السنة» (١٦٣٤) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه. وفى سنده عبد الله بن عيسى الخزار وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ٤٣٩) والحسن البصرى مدلس وقد عنعنه.

(٣) **ضعيف**. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٦/ ٩) رقم (٥٦٤٣) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣/ ١١٠) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه عيسى بن عبد الله بن محمد وهو ضعيف.

(٤) **ضعيف**. رواه ابن مردويه كما فى «الدر المنثور» (٥/ ٢٣٩) ط دار المعرفة.

(٥) **حسن بطرقة وشواهده**. رواه الطبرانى فى الأوسط (٢٤٩٨) الحرمين. والبزار(٢١٦٥) والحاكم (١/ ٤٩٢) والقضاعى فى «مسند الشهاب» (٨٥٩و ٨٦١) من حديث عائشة رضى الله عنها وفى سنده زكريا بن منظور وهو ضعيف كما فى «التقريب» ولكن للحديث طرق وشواهد يرتقى بها إلى درجة الحسن. والله أعلم.

(٦) **حسن**. رواه الترمذى (٢١٣٩) والطبرانى فى «الكبير» (٦/ ٢٥١) رقم (٦١٢٨) والطحاوى فى «مشكل الآثار» (٤/ ١٦٩) وعبد المغنى المقدسى فى «الدعاء» (١٤٢ ـ ١٤٣) والقضاعى فى «مسند الشهاب» رقم (٨٣٢و ٨٣٣) والمزى فى «تهذيب الكمال» (٢٣/ ٢٦٨) وفى سنده «أبو مودود، فضة البصرى» وهو فيه لين كما فى «التقريب» (٢/ ١١٢) وللحديث شاهد من حديث ثوبان رضى الله عنه، رواه أحمد (٥/ ٢٧٧و ٢٨٠، ٢٨٢) وابن ماجه(٤٠٢٢) والطبرانى فى «الكبير» (٢/ ١٠٠) رقم (١٤٤٢) وابن أبى شيبة فى «المصنف» (١/ ٤٤١ ـ ٤٤٢) والطحاوى فى «مشكل الآثار» (٤/ ١٦٩) والقضاعى فى «مسند الشهاب» (٨٣١) والبغوى فى «شرح السنة»(٣٤١٨) وسنده حسن.

شيئاً؟ قال: «**هى من قدر الله تعالى**»[١]، وكذلك قال عمر رضى الله عنه لما رجع من الطاعون فقال له أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: نفر من قدر الله إلى قدر الله[٢]، فإن الله تعالى قدر المقادير، ويقدر ما يدفع بعضها قبل وقوعه. وكذلك الأذكار المشروعة تدفع البلاء. وفى حديث عثمان رضى الله عنه عن النبى ﷺ من قال حين يصبح ويمسى: «**بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم، لم يصبه بلاء**»[٣]. وفى المسند عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «**الشؤم سوء الخلق**»[٤]. وخرّجه الخرائطى ولفظه: «**اليمن حسن الخلق**» [٥]، وفى الجملة: فلا شؤم إلا المعاصى والذنوب فإنها تسخط الله عز وجل فإذا سخط على عبده شقى فى الدنيا والآخرة كما إنه إذا رضى عن عبده سعد فى الدنيا والآخرة. قال بعض الصالحين، وقد شكى بلاء وقع فى الناس فقال: ما أرى ما أنتم فيه إلا بشؤم الذنوب. وقال أبو حازم: كل ما يشغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو عليك مشؤم. وقد قيل:

فلا كان ما يلهى عن الله أنه   يضر ويؤذى إنه لمشؤوم

فالشؤم فى الحقيقة هو معصية الله، واليمن هو طاعة الله وتقواه كما قيل:

---

(١) **ضعيف**. رواه الترمذى (٢٠٦٥) وابن ماجه (٣٤٣٧) وقال الترمذى: حسن صحيح، قلت فى سنده «أبو خزامة» وهو مجهول كما فى « التقريب» (٢/ ٥٠٣). ورواه الطبرانى فى « الكبير» (٣/ ٢١٤) رقم (٣٠٩٠) والحاكم(٤/ ٤٠٢) من حديث حكيم بن خزام، وفى سنده صالح بن أبى الأخضر وهو ضعيف كما فى « التقريب» (١/ ٣٥٨).

(٢) رواه البخارى (٥٧٢٩) كتاب الطب، باب: ما يذكر فى الطاعون. ومسلم (٥٦٧٧) كتاب الطب، باب: الطاعون والطيرة والكهانة. وأحمد (١/ ١٨٢و ١٩٣و ١٩٤) وأبو داود فى « الجنائز» (٣١٠٣) باب: الخروج من الطاعون.

(٣) **صحيح**.رواه أحمد (١/ ٦٢) وأبو داود(٥٠٨٨) والترمذى(٣٣٨٨) والنسائى فى « عمل اليوم والليلة» (٦/ ٧) رقم (٩٨٤٣) وابن ماجه(٣٨٦٩) والحاكم (١/ ٥١٤) وصححه ووافقه الذهبى.

(٤) **ضعيف**. رواه أحمد(٦/ ٨٥) والطبرانى فى « الأوسط» (٤/ ٣٣٤) رقم (٤٣٦٠) وأبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ١٠٣) وفى سند أحمد« أبو بكر بن أبى مريم» وهو ضعيف كما فى « التقريب» (٢/ ٣٩٨) وفى سند الطبرانى وأبى نعيم « أبو بكر بن أبى مريم» أيضا ويحيى بن عبد الله البابلتى وهو ضعيف كما في « التقريب»(٢/ ٣٥١).

(٥) **ضعيف**. رواه الخرائطى فى « مكارم الأخلاق» رقم (٤٣) وفى سنده « أبو بكر بن أبى مريم» وهو ضعيف كما سبق.

والعدوى التى تهلك من قاربها هى المعاصى فمن قاربها وخالطها وأصر عليها هلك، وكذلك مخالطة أهل المعاصى ومن يُحَسِّنُ المعصية ويزينها ويدعو إليها من شياطين الإنس، وهم أضر من شياطين الجن. قال بعض السلف: شيطان الجن نستعيذ بالله منه فينصرف وشيطان الإنس لا يبرح حتى يوقعك فى المعصية. وفى الحديث: «**يحشر المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[(١)]. وفى حديث آخر: «**لا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقى**»[(٢)]. ومما يروى لعلى رضى الله عنه:

فلا تصحب أخا الجهـــ	ـــل وإيـــاك وإيـــاه
فكم من جاهــــل أردى	حكيمـا حيـــن آخـاه
يـقـــاس المـرء بـالـمـرء	إذا مـا المرء ما شـــاه
وللشـىء عـلى الشـــىء	مـقـاييـس وأشـــبـاه
ولـلـقـلـب على الـقـلـب	دلـيـل حـــين يلـقـاه

فالعاصى مشؤم على نفسه وعلى غيره، فإنه لا يؤمن أن ينزل عليه عذاب فيعم الناس خصوصاً من لم ينكر عليه عمله، فالبعد عنه متعين فإذا كثر الخبث هلك الناس عموماً. وكذلك أماكن المعاصى وعقوباتها يتعين البعد عنها والهرب منها خشية نزول العذاب كما قال النبى ﷺ لأصحابه لما مر على ديار ثمود بالحجر: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين خشية أن يصيبكم ما أصابهم**»[(٣)]، ولما تاب الذى قتل مائة نفس من بنى إسرائيل وسأل العالم: هل له

---

(١) حسن. رواه أحمد(٢/ ٣٠٣و ٣٣٤) وأبو داود (٤٨٣٣) والترمذى (٢٣٧٨) والحاكم(٤/ ١٧١) وعبد بن حميد فى « المنتخب من المسند » رقم(١٤٣١) والخطيب البغدادى فى « تاريخ بغداد» (٤/ ١١٥) وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه بلفظ« الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» وانظر« الصحيحة» (٩٢٧).

(٢) حسن. رواه أحمد (٣/ ٣٨) وأبو داود (٤٨٣٢) والترمذى (٢٣٩٥) والطيالسى (٢٢١٣) وابن حبان(٥٥٤و ٥٥٥و ٥٦٠) احسان. والدارمى (٢/ ١٠٣) والحاكم(٤/ ١٢٨) والبغوى فى « شرح السنة» (٣٤٨٤) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

(٣) رواه البخارى فى « أحاديث الأنبياء» (٣٣٨٠) باب قول الله تعالى ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾. ومسلم(٧٣٢١) كتاب الزهد والرقائق باب: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين.

من توبة؟ قال له: نعم، فأمره أن ينتقل من قرية السوء إلى القرية الصالحة فأدركه الموت بينهما فاختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إليهم أن قيسوا بينهما فإلى أيهما كان أقرب فألحقوه بها، فوجدوه إلى القرية الصالحة أقرب برمية حجر فغفر له[1].

هجران أماكن المعاصى وإخوانها من جملة الهجرة المأمور بها فإن المهاجر من هجر ما نهى الله عنه. قال إبراهيم بن أدهم: من أراد التوبة فليخرج من المظالم، وليدع مخالطة من كان يخالطه وإلا لم ينل ما يريد. احذروا الذنوب فإنها مشؤمة عواقبها ذميمة، وعقوباتها أليمة، والقلوب المحبة لها سقيمة، السلامة منها غنيمة، والعافية منها ليس لها قيمة، والبلية بها لا سيما بعد نزول الشيب داهية عظيمة.

طاعة الله خير ما اكتسب العبـ ـد فكن طائعاً لله لا تعصيَنْه

ما هلاك النفوس إلا المعاصى فاجتنب ما نهاك لا تقربنـــه

إن شيئاً هلاك نفسك فيـــه ينبغى أن تصون نفسك عنـــه

يا من ضاع قلبه انشدْه فى مجالس الذكر عسى أن تجده، يا من مرض قلبه احْمِلْه إلى مجلس الذكر لعله أن يعافى. مجالس الذكر مارستان الذنوب تداوى فيها أمراض القلوب كما تُداوى أمراض الأبدان فى مارستنات الدنيا ونزهٌ لقلوب المؤمنين تتنزه فيها بسماع كلام الحكمة كما تتنزه أبصار أهل الدنيا فى رياضها وبساتينها، مجلسنا هذا خضرة فى روضة الخشوع، طعامنا فيه الجوع، وشرابنا فيه الدموع، ونُقْلُنا[2] هذا الكلام المسموع نداوى فيه أمراضاً أعيت جالينوس وبختيشوع نسقى فيه ترياق الذنوب، وفاروق المعاصى فمن شرب لم يكن له إلى المعصية رجوع، كم أفاق فيه من المعصية مصروع، وبرىء فيه من الهوى ملسوع، ووصل فيه إلى الله مقطوع ما عيبه إلا أن الطبيب الذى له لو كان يستعمل ما يصف للناس لكان إليه المرجوع، يا ضيعة العمران نجا السامع وهلك المسموع، يا خيبة المسعى إن وصل التابع وانقطع المتبوع.

---

(١) رواه البخارى فى «أحاديث الأنبياء» (٣٤٧٠). ومسلم (٦٨٧١) كتاب التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله. وابن ماجه (٢٦٢٢) كتاب الديات، باب أهل لقاتل مؤمن توبة.

(٢) النُّقْل: ما يتنقل به على الشراب من فواكه وغيرها، وما يتفكه به من جوز ولوز وبندق ونحوها.

وغير تقى يأمر الناس بالتقى طبيب يداوى الناس وهو سقيم
يا أيها الرجل المقوم غيره هلا لنفسك كان ذا التقويم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن غيره خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
غيره

كم ذا التمادى فها قد جاءنا صفرٌ شهر به الفوز والتوفيق والظفر
فابدأ بما شئت من فعل تسر به يوم المعاد ففيه الخير ينتظر
توبوا إلى الله فيه من ذنوبكم من قبل يبلغ فيكم حده العمر

●●●●●

وظائف شهر ربيع الأول ويشتمل على مجالس

المجلس الأول في ذكر مولد رسول الله ﷺ

خرج الإمام أحمد من حديث العرباض بن سارية السلمى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إنى عند الله فى أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل فى طينته، وسوف أنبئكم بتأويل ذلك: دعوة أبى إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمى التى رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك أمهات النبيين يرين»[1]. وخرّجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، وقد روى معناه من حديث أبى

---

(١) **صحيح لغيره.** رواه أحمد (٤/ ١٢٧) والطبراني فى «الكبير» (١٨/ ٢٥٢) رقم (٦٢٩و٦٣٠) والحاكم (٢/ ٤١٨) والطبرى فى «تفسيره» (٢٨/ ٨٧) وابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (٢١/ ٩٩) والبيهقى فى «الدلائل» (١/ ٨٠و ٢/ ١٣٠) والآجرى فى «الشريعة» (٢/ ٢٤٥) رقم (١٠٠٤) وابن حبان (٦٦٠٤) احسان. والبغوى فى «شرح السنة» (١٣/ ٢٠٧) رقم (٣٦٢٦) وفى سنده سعيد بن سويد الكلبى وعبد الأعلى بن هلال السلمى ولم يوثقهما غير ابن حبان، وذكرهما ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» ولم يذكر فيهما جرحاً ولا تعديلاً. ولكن للحديث شواهد تقويه منها، حديث ميسرة قال: قلت يا رسول الله متى كتبت نبياً قال: «وآدم بين الروح والجسد» رواه أحمد (٥/ ٥٩) والطبرانى فى «الكبير»(٢٠/ ٨٣٣، ٨٣٤) وابن أبى عاصم فى «السنة» (٤١٠) والحاكم (٢/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩) وعنه البيهقى فى «الدلائل» (٢/ ١٢٩) وسنده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى ومنها حديث أبى هريرة. قال: قالوا: يا رسو)ل الله متى وجبت لك النبوة؟ قال :«وآدم بين الروح والجسد» رواه الترمذى (٣٦٠٩) والحاكم (٢/ ٦٠٩) والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ١٣٠) وسنده حسن.

وعن أبى أمامة صُدى بن عجلان الباهلى، قال: قلت: يارسول الله ما كان أول بدء أمرك؟ قال«دعوة أبى إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمى أنه يخرج منها نورٌ أضاءت منه قصور الشام» رواه أحمد (٥/ ٢٦٢) والطيالسى (١١٤٠) وابن سعد (١/ ١٠٢) والطبرانى فى «الكبير» (٨/ ٢٠٥) رقم (٧٧٢٩) والبيهقى فى «الدلائل» (١/ ٨٤) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٨/ ٢٢٢) رواه أحمد واسناده حسن وله شواهد تقويه، ورواه الطبرانى.

وعن خالد بن معدان، أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال: «نعم، أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشرى أخى عيسى ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام» رواه ابن اسحاق كما فى «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ١٠٥) والطبرى (٢٠٧٠) والحاكم(٢/ ٦٠٠) والبيهقى فى «الدلائل» (١/ ٨٣ وصححه الحاكم ووافقه الذهبى. وقال ابن كثير: هذا اسناد جيد قوى «البداية والنهاية » (٢/ ٢٧٥).

وعن عتبه بن عبد السلمى أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ قال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال:=

أمامة الباهلى ومن وجوه أخر مرسلة. المقصود من هذا الحديث أن نبوة النبى ﷺ كانت مذكورة معروفة من قبل أن يخلقه الله ويخرجه إلى دار الدنيا حيًّا، وأنّ ذلك كان مكتوباً فى أم الكتاب من قبل نفخ الروح فى آدم عليه السلام، وفسر أم الكتاب باللوح المحفوظ وبالذكر فى قوله تعالى: **﴿يمحو الله ما يشاء ويُثبت وعنده أم الكتاب﴾**[1]. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أنه سأل كعباً عن أم الكتاب؟ فقال: علم الله ما هو خالق، وما خلقه عاملون، فقال لعلمه: كن كتاباً، فكان كتاباً[2]. ولا ريب أن علم الله عز وجل قديم أزلى لم يزل عالماً بما يحدثه من مخلوقاته، ثم إنه تعالى كتب ذلك فى كتاب عنده قبل خلق السموات والأرض كما قال تعالى: **﴿ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبلِ أنْ نبرأها إن ذلك علىَ الله يسير﴾**[3]. وفى صحيح البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**كان الله ولا شىء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب فى الذكر كل شىء، ثم خلق السموات والأرض**»[4]. وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»[5].

ومن جملة ما كتبه فى هذا الذكر وهو أم الكتاب: أن محمداً خاتم النبيين. ومن حينئذٍ انتقلت المخلوقات من مرتبة العلم إلى مرتبة الكتابة وهو نوع من أنواع

= كانت حاضنتى من بنى سعد. .الحديث وفيه أن أم النبى ﷺ قالت: إنى قد رأيت خرج منى نوراً أضاءت منه قصور الشام» رواه أحمد (٤/ ١٨٤) والدارمى(١/ ٩٠٨) والحاكم (٢/ ٦١٦ ـ ٦١٧) والطبرانى كما فى «المجمع» (٨/ ٢٢) وقال الهيثمى اسناد أحمد حسن.

وأما الزيادة الأخيرة فى الحديث وهى «وكذلك أمهات النبين يرين» فهى زيادة ضعيفة إذ ليس لها شواهد تقويها. والله أعلم.

(١) سورة الرعد: آية ٣٩

(٢) رواه عبد الرزاق فى «التفسير» (١/ ٢٩٣) رقم (١٣٨٩) والطبرى فى «التفسير» (١٣/ ١١٥).

(٣) سورة الحديد: آية ٢٢.

(٤) رواه البخارى (٣١٩١) كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء فى قول الله تعالى **﴿ وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾**.

(٥) رواه مسلم (٦٦٢٤) كتاب القدر، باب: حجاج آدم موسى عليهما السلام. والترمذى فى «القدر» (٢١٥٦).

الوجود الخارجى، ولهذا قال سعيد بن راشد سألت عطاء: هل كان النبى ﷺ نبياً قبل أن يخلق؟ قال: إى والله، وقبل أن تخلق الدنيا بألفى عام، خرّجه أبو بكر الآجرى فى كتاب الشريعة وعطاء ـ الظاهر أنه ـ الخراسانى، وهذا إشارة إلى ما ذكرناه من كتابة نبوته ﷺ فى أم الكتاب عند تقدير المقادير. وقوله ﷺ فى هذا الحديث: «إنى عبد الله فى أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل فى طينته»، ليس المراد به والله أعلم أنه حينئذ كتب فى أم الكتاب ختمه للنبيين، وإنما المراد الإخبار عن كون ذلك مكتوباً فى أم الكتاب فى تلك الحال قبل نفخ الروح فى آدم، وهو أول ما خلق من النوع الإنسانى. وجاء فى أحاديث أُخر أنه فى تلك الحال وجبت له النبوة، وهذه مرتبة ثالثة وهى انتقاله من مرتبة العلم والكتابة إلى مرتبة الوجود العينى الخارجى فإنه ﷺ استخرج حينئذ من ظهر آدم ونبىء فصارت نبوته موجودة فى الخارج بعد كونها كانت مكتوبة مقدرة فى أم الكتاب، ففى حديث ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: **«وآدم بين الروح والجسد»**،[1] خرّجه الإمام أحمد والحاكم.

قال الإمام أحمد فى رواية مهنا: وبعضهم يرويه: متى كتبت نبياً؟ من الكتابة. فإن صحت هذه الرواية حملت مع حديث العرباض بن سارية على وجوب نبوته وثبوتها وظهورها فى الخارج. فإن الكتابة إنما تستعمل فيما هو واجب: إما شرعاً كقوله تعالى: **﴿كتب عليكم الصيام﴾**[2]، أو قدراً كقوله تعالى: **﴿كتبَ الله لأغلبن أنا ورسلى﴾**[3]. وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: **«وآدم بين الروح والجسد»**[4]، خرّجه الترمذى وحسنه، وفى نسخة صححه، وخرّجه الحاكم. وروى ابن سعد من رواية جابر الجعفى عن الشعبى قال: قال رجل للنبى ﷺ: متى

---

(١) صحيح. رواه أحمد (٥/ ٥٩) والطبرانى فى «الكبير» (٢٠/ ٨٣٣و ٨٤٤) وابن أبى عاصم فى «السنة» (٤١٠) والحاكم (٢/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩) والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ١٢٩) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٢) سورة البقرة: آية: ١٨٣.

(٣) سورة المجادلة: آية ٢١.

(٤) سبق تخريجه.

استنبئت؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد، حيث أخذ منى الميثاق**»[١]، وهذه الرواية تدل على أنه ﷺ حينئذ استخرج من ظهر آدم ونبىء وأخذ ميثاقه، فيحتمل أن يكون ذلك دليلاً على أن استخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق منهم كان قبل نفخ الروح فى آدم، وقد رُوى هذا عن سلمان الفارسى وغيره من السلف، ويستدل له أيضاً بظاهر قوله تعالى: ﴿**ولقد خلقناكُم ثم صورناكُم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾[٢] على ما فسره به مجاهد وغيره: أن المراد: إخراج ذرية آدم من ظهره قبل أمر الملائكة بالسجود له. ولكن أكثر السلف على أن استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه. وعلى هذا تدل أكثر الأحاديث فيحتمل على هذا أن يكون محمد ﷺ خص باستخراجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح فيه، فإن محمداً ﷺ هو المقصود من خلق النوع الإنسانى وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده، فلا يبعد أن يكون أخرج من ظهر آدم عند خلقه قبل نفخ الروح فيه.

وقد رُوى: أن آدم عليه الصلاة والسلام رأى اسم محمد ﷺ مكتوباً على العرش وأن الله عز وجل قال لآدم: «لولا محمد ما خلقتك»[٣]، وقد خرّجه الحاكم فى صحيحه. فيكون حينئذ من حين صور آدم طيناً استخرج منه محمد ﷺ ونبىء وأخذ منه الميثاق ثم أعيد إلى ظهر آدم حتى خرج فى وقت خروجه الذى قدر الله خروجه فيه، ويشهد لذلك ما روى عن قتادة أن النبى ﷺ قال: «**كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث**»[٤] وفى رواية: «**أول الناس فى الخلق**»، خرّجه ابن سعد وغيره، وخرّجه الطبرانى من رواية قتادة عن الحسن عن أبى هريرة مرفوعاً[٥]، والمرسل أشبه، وفى رواية عن قتادة مرسلة: ثم تلا: ﴿**وإذ**

---

(١) **ضعيف لإرساله، وجابر الجعفى ضعيف**. وقد ورد الحديث موصولاً عن ابن عباس. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٤/ ٢٧٢) رقم (٤١٧٥) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٨/ ٢٢٣) رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار وفيه جابر بن يزيد الجعفى وهو ضعيف.

(٢) سورة الأعراف: آيه: ١١.

(٣) **موضوع**. رواه الحاكم (٢/ ٦١٥) وقال: صحيح الإسناد!! وتعقبه الذهبى بقوله: بل موضوع وعبدالرحمن رواه.

(٤) **ضعيف لإرساله**. رواه الطبرى فى «تفسيره» (٢١/ ٧٩) وابن أبى شيبة كما فى «الدر المنثور» (٥/ ٣٥٣).

(٥) **ضعيف** . رواه ابن سعد فى «الطبقات» (١/ ١٤٩) وأبو نعيم فى «الدلائل» (ص ١١-١٢) والحسين بن سفيان وابن أبى حاتم وابن مردويه والديلمى وابن عساكر كما فى «الدر المنثور» (٣/ ٣٥٣) وفى سنده سعيد بن بشير وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ٢٩٢).
والحسن البصرى مدلس وقد عنعنه.

أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾[1]، فبدأ به قبل نوح الذى هو أول الرسل. فمحمد ﷺ أول الرسل خلقاً وآخرهم بعثاً، فإنه استخرج من ظهر آدم لما صوّر ونبىء حينئذ وأخذ ميثاقه ثم أعيد إلى ظهره، ولا يقال: فقد خلق آدم قبله، لأن آدم حينئذ كان مواتاً لا روح فيه، ومحمد ﷺ كان حيًا حين استخرج ونبىء وأخذ ميثاقه فهو أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً، فهو خاتم النبيين باعتبار أن زمانه تأخر عنهم فهو: المقفى والعاقب الذى جاء عقب الأنبياء ويقفوهم. قال تعالى: ﴿**ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾[2]. وفى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلاَّ موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة**»، زاد مسلم، قال: «**فجئت فختمت الأنبياء**»[3]. وفيهما أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ معناه، وفيه: «**فجعل الناس يطوفون به ويقولون: هلا وضعت اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[4].

وقد استدل الإمام أحمد بحديث العرباض بن سارية هذا على أن النبى ﷺ لم يزل على التوحيد منذ نشأ. وردّ بذلك على من زعم غير ذلك، بل قد يستدل بهذا الحديث على أنه ﷺ ولد نبيًا فإن نبوته وجبت له من حين أخذ الميثاق منه حين استخرج من صلب آدم فكان نبيًا من حينئذ لكن كانت مدة خروجه إلى الدنيا متأخرة عن ذلك، وذلك لا يمنع كونه نبيًا قبل خروجه كمن يولى ولاية ويؤمر بالتصرف فيها فى زمن مستقبل فحكم الولاية ثابت له من حين ولايته وإن كان تصرفه يتأخر إلى حين مجىء الوقت. قال حنبل: قلت لأبى عبد الله يعنى أحمد: من زعم أن النبى ﷺ كان على دين قومه قبل أن يبعث؟ قال: هذا قول سوء

---

(١) سورة الأحزاب: آية: ٧.

(٢) سورة الأحزاب: آية: ٤٠.

(٣) رواه البخارى (٣٥٣٤) كتاب المناقب، باب: خاتم النبيين ﷺ. ومسلم (٥٨٥٣) كتاب الفضائل، باب: ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين. وأحمد (٣/ ٣٦١) والترمذى فى «الامثال» (٢٨٦٢) باب: ما جاء فى مثل النبى ﷺ والأنبياء قبله.

(٤) رواه البخارى (٣٥٣٥) ومسلم (٥٨٥١) والنسائى فى «التفسير» فى «الكبرى» (٦/ ٤٣٦) رقم (١١٤٢٢).

ينبغى لصاحب هذه المقالة أن يحذر كلامه ولا يجالس، قلت له: إن جارنا الناقد أبا العباس يقول هذه المقالة؟ قال: قاتله الله، وأى شىء أبقى إذا زعم أن النبى ﷺ كان على دين قومه، وهم يعبدون الأصنام. قال الله تعالى حاكياً عن عيسى عليه السلام: ﴿**ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد**﴾[1]، قلت له: وزعم أن خديجة كانت على ذلك حين تزوجها النبى ﷺ فى الجاهلية قال: أما خديجة فلا أقول شيئاً قد كانت أول من آمن به من النساء ثم قال: ماذا يُحْدثُ الناس من الكلام؟!! هؤلاء أصحاب الكلام، لم يُفْلِحُ . سبحان الله لهذا القول واحتج فى ذلك بكلام لم أحفظه.

وذكر أنّ أمّه حين ولدت رأت نوراً أضاء له قصور الشام، أو ليس هذا عندما ولدتْ رأتْ هذا، وقبل أن يبعث كان طاهراً مطهراً من الأوثان، أو ليس كان لا يأكل لما ذبح على النصب، ثم قال: احذروا الكلام فإن أصحاب الكلام أمرهم لا يؤول إلى خير. خرّجه أبو بكر عبد العزيز بن جعفر فى كتاب السنة. ومراد الإمام أحمد الاستدلال بتقدم البشارة بنبوته من الأنبياء الذين قبله وبما شوهد عند ولادته من الآيات على أنه كان نبيّا من قبل خروجه إلى الدنيا وولادته، وهذا هو الذى يدل عليه حديث العرباض بن سارية هذا، فإنه ﷺ ذَكر فيه أن نبوته كانت حاصلة من حين كان آدم منجدلاً فى طينته، والمراد بالمنجدل: الطريح الملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه، ويقال للقتيل: إنه منجدل لذلك، ثم استدل ﷺ على سبق ذكره والتنويه باسمه ونبوته وشرف قدره لخروجه إلى الدنيا بثلاث دلائل وهو مراده بقوله: ﴿**سأنبئكم بتأويل ذلك**﴾:

الدليل الأول: دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام، وأشار بذلك إلى ما قص الله فى كتابه عن إبراهيم وإسماعيل؛ لأنهما قالا عند بناء البيت الذى بمكة: ﴿**ربنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأَرنا مَناسكنا وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوَ عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز**

(١) سورة الصف: آية ٦.

الحكيم﴾[1]. فاستجاب الله دعاءهما وبعث فى أهل مكة منهم رسولاً بهذه الصفة من ولد إسماعيل الذى دعا مع أبيه إبراهيم عليهما السلام بهذا الدعاء، وقد امتن الله تعالى على المؤمنين ببعثه لهذا النبى منهم على هذه الصفة التى دعا بها إبراهيم وإسماعيل قال تعالى: **﴿لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويُزكيهم ويُعلمهم الكتاب والحكمةَ وإن كانوا من قبلُ لَفى ضلال مبين﴾**[2]، وقال سبحانه: **﴿هو الذى بعث فى الأُميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين. وآخرين منهم لَمّا يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾**[3]. ومعلوم أنه لم يبعث من مكة رسول فيهم بهذه الصفة غير محمد ﷺ وهو من ولد إسماعيل، كما أن أنبياء بنى إسرائيل من ولد إسحاق. وذكر تعالى: أنه منّ على المؤمنين بهذه الرسالة فليس لله نعمة أعظم من إرسال محمد ﷺ يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وقوله فى الأميين والمراد بهم العرب: تنبيه لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا أميين لا كتاب لهم وليس عندهم شىء من آثار النبوات كما كان عند أهل الكتاب فمنّ الله عليهم بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا أفضل الأمم وأعلمهم، وعرفوا ضلالة من ضل من الأمم قبلهم.

وفى كونه منهم فائدتان:

إحداهما: أن هذا الرسول كان أيضاً أميّا كأمته المبعوث إليهم لم يقرأ كتاباً قط ولم يخطه بيمينه كما قال تعالى: **﴿وما كنت تتلوا من قَبله من كتاب ولا تَخُطّه بيمينك﴾**[4]... الآيات، ولا خرج عن ديار قومه فأقام عند غيرهم حتى تعلم منهم شيئاً بل لم يزل أميّا بين أمة أمية لا يكتب ولا يقرأ حتى كمّل الأربعين من عمره ثم جاء بعد ذلك بهذا الكتاب المبين وهذه الشريعة الباهرة وهذا الدين القيم الذى اعترف حذاق أهل الأرض ونظّارهم أنه لم يقرع العالم ناموس أعظم منه،

---

(١) سورة البقرة: آية: ١٢٧ـ١٢٩.
(٢) سورة آل عمران: آية١٦٤.
(٣) سورة الجمعة: آية: ٢ـ٤.
(٤) سورة العنكبوت: آية: ٤٨.

وفى هذا برهان ظاهر على صدقه.

والفائدة الثانية: التنبيه على أن المبعوث فيهم ـ وهم الأميون خصوصاً أهل مكة ـ يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وأمانته وعفته وأنه نشأ بينهم معروفاً بذلك كله. وأنه لم يكذب قط فكيف كان يدع الكذب على الناس ثم يفترى الكذب على الله عز وجل فهذا هو الباطل، ولذلك سأل هرقل عن هذه الأوصاف[1] واستدل بها على صدقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة.

وقوله تعالى: **﴿يتلوا عليهم آياته﴾**، يعنى يتلو عليهم ما أنزله الله عليه من آياته المتلوة وهو القرآن وهو أعظم الكتب السماوية، وقد تضمن من العلوم والحكم والمواعظ والقصص والترغيب والترهيب، وذكر أخبار من سبق وأخبار ما يأتى من البعث والنشور، والجنة والنار ما لم يشتمل عليه كتاب غيره، حتى قال بعض العلماء لو أن هذا الكتاب وجد مكتوباً فى مصحف فى فلاة من الأرض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة أنه منزل من عند الله وأن البشر لا قدرة لهم على تأليف ذلك، فكيف إذا جاء على يدى أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم وقال إنه كلام الله، وتحدى الخلق كلهم أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا فيه، فكيف يبقى مع هذا شك، ولهذا قال تعالى: **﴿ذلك الكتاب لاريب فيه﴾**[2]، وقال: **﴿أَوَلَم يَكْفِهِم أَنّا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم﴾**[3]، فلو لم يكن لمحمد ﷺ من المعجزات الدالة على صدقه غير هذا الكتاب لكفاه، فكيف وله من المعجزات الأرضية والسماوية مالا يحصى.

وقوله: **﴿ويزكيهم﴾**: يعنى إنه يزكّى قلوبهم ويطهرها من أدناس الشرك والفجور والضلال فإن النفوس تزكوا إذا طهرت من ذلك كله، ومن زكت نفسه

---

(١) وذلك عندما سأل هرقلُ أبا سفيان بن حرب عن نسب رسول الله ﷺ وعن أتباعه، وهل يزيدون أو ينقصون وعن صفته ﷺ وغير ذلك والقصة رواها البخارى حديث رقم (٦) باب: (٧).

(٢) سورة البقرة: آية: ٢.

(٣) سورة العنكبوت: آية ٥١

فقد أفلح، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أفلح مَن زكاها﴾[1] وقال: **﴿قد أفلح مَن تزكى﴾**[2] وقوله: **﴿ويُعلمهم الكتاب والحكمة﴾**: يعنى بالكتاب: القرآن والمراد: ويعلمهم تلاوة ألفاظه. ويعنى بالحكمة: فهم معانى القرآن والعمل بما فيه. فالحكمة هى: فهم القرآن والعمل به، فلا يكتفى بتلاوة ألفاظ الكتاب حتى يعلم معناه ويعمل بمقتضاه، فمن جمع له ذلك كله فقد أوتى الحكمة قال تعالى: **﴿يؤتى الحكمة مَن يشاء ومَن يُؤتَ الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا﴾**[3] قال الفضيل: العلماء كثير، والحكماء قليل. وقال: الحكماء ورثة الأنبياء، فالحكمة هى العلم النافع الذى يتبعه العمل الصالح، وهو نور يقذف فى القلب يفهم بها معنى العلم المنزل من السماء، ويحض على اتباعه والعمل به، ومن قال الحكمة: السنة فقوله حق؛ لأن السنة تفسر القرآن وتبين معانيه وتحض على اتباعه والعمل به، فالحكيم هو العالم المستنبط لدقائق العلم المنتفع بعلمه بالعمل به ولأبى العتاهية:

وكيف تحب أن تدعى حكيماً ... وأنت لكل ما تهوى ركوب

وتضحك دائباً ظهراً لبطــن ... وتذكر ما عملت فلا تتوب

قوله تعالى: **﴿وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾**[4] إشارة إلى ما كان الناس عليه قبل إنزال هذا الكتاب من الضلال، فإن الله نظر حينئذ إلى أهل الأرض فمقتهم عُربهم وعَجمهم إلاَّ بقايا من أهل الكتاب تمسكوا بدينهم الذى لم يبدل ولم يغير وكانوا قليلاً جدًّا. فأما عامة أهل الكتاب فكانوا قد بدلوا كتبهم وغيروها وحرفوها وأدخلوا فى دينهم ما ليس منه فضلوا وأضلوا. وأما غير أهل الكتاب فكانوا على ضلال بيّن، فالأميون أهل شرك يعبدون الأوثان، والمجوس يعبدون النيران ويقولون بإلهين اثنين، وكذلك غيرهم من أهل الأرض منهم من كان يعبد النّجوم، ومنهم من كان يعبد الشمس أو القمر فهدى الله المؤمنين بإرسال محمد ﷺ إلى ما جاء به من الهدى والدين الحق، وأظهر الله دينه حتى بلغ مشارق الأرض ومغاربها، فظهرت فيها كلمة التوحيد والعمل بالعدل بعد أن كانت

(١) سورة الشمس: آية ٩.
(٢) سورة الأعلى: آية ١٤.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٦٩.
(٤) سورة الجمعة: آية ٢.

الأرض كلها ممتلئة من ظلمة الشرك والظلم فالأميون هم العرب، والآخرون الذين لم يلحقوا بهم هم أهل فارس والروم فكانت أهل فارس مجوساً والروم نصارى فهدى الله جميع هؤلاء برسالة محمد ﷺ إلى التوحيد. وقد رؤى الإمام بعد موته فى المنام فسئل عن حاله فقال: لولا النبى لكنّا مجوساً، قال: فإن أهل العراق لولا رسالة محمد ﷺ لكانوا مجوساً، وأهل الشام ومصر والروم لولا رسالة محمد ﷺ لكانوا نصارى، وأهل جزيرة العرب لولا رسالة محمد لكانوا مشركين عباد أوثان، ولكن رحم الله عباده بإرسال محمد ﷺ فأنقذهم من الضلال كما قال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين**﴾[1]، ولهذا قال تعالى: ﴿**ذلك فضلُ الله يؤتيه مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾[2]، فمن حصل له نصيب من دين الإسلام فقد حصل له الفضل العظيم. وقد عظمت عليه نعمة الله، فما أحوجه إلى القيام بشكر هذه النعمة وسؤاله دوامها والثبات عليها إلى الممات، والموت عليها فبذلك تتم النعمة.

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام هو إمام الحنفاء، المأمور محمد ﷺ ومن قبله من الأنبياء بالاقتداء به، وهو الذى جعله الله للناس إماماً وقد دعا هو وابنه إسماعيل بأن يبعث الله فى أهل مكة رسولاً منهم موصوفاً بهذه الأوصاف فاستجاب الله لهما وجعل هذا النبى مبعوثاً فيهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم كما دعيا بذلك، وهو النبى الذى أظهر دين إبراهيم الحنيف بعد اضمحلاله وخفائه على أهل الأرض، فلهذا كان أولى الناس بإبراهيم كما قال تعالى: ﴿**إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا**﴾[3]. وقال ﷺ: «**إن لكل نبى ولياً من المؤمنين وأنا ولى إبراهيم**»، ثم تلا هذه الآية[4]، وكان ﷺ أشبه

---

(١) سورة الأنبياء: آية١٠٧.
(٢) سورة الجمعة: آية ٤.
(٣) سورة آل عمران: آية ٦٨.
(٤) **صحيح**. رواه أحمد (١/ ٤٠١) عن أبى الضحى، وهو مسلم بن صبيح عن عبد الله بن مسعود، وأبو الضحى لم يدرك ابن مسعود، لكن رواه الترمذى (٢٢٩٥) والحاكم (٢/ ٢٩٢) عن أبى الضحى عن مسروق عن ابن مسعود، فزادا مسروقاً بين أبى الضحى وبين ابن مسعود. وكذا نقله ابن كثير فى «تفسيره» (٢/ ١٦٢ـ١٦٣) من سنن سعيد بن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن ابن مسعود، وبذلك يكون الاسناد متصلاً. والله أعلم.

ولد إبرهيم به صورة ومعنى حتى إنه أشبهه فى خلة الله تعالى فقال: «**إن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**»[1].

والثانى بشارة عيسى به: وعيسى آخر أنبياء بنى إسرائيل، وقد قال تعالى: ﴿**وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد**﴾[2]. وقد كان المسيح عليه الصلاة والسلام يحض على اتباعه ويقول: إنه يبعث السيف فلا يمنعكم ذلك منه. وروى عنه أنه قال: سوف أذهب أنا ويأتى الذى بعدى لا يتحمدكم بدعواه ولكن يسل السيف فتدخلونه طوعاً وكرهاً. وفى المسند عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «**إن الله عز وجل أوحى إلى عيسى عليه السلام أنى باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم، قال: يا رب كيف هذا، ولا حلم ولا علم؟ قال: أعطيهم من حلمى وعلمى**»[3]، قال ابن إسحاق: حدثنى بعض أهل العلم: أن عيسى بن مريم عليه السلام قال: إن أحب الأمم إلى الله عز وجل لأمة أحمد، قيل له: وما فضلهم الذى تذكر؟ قال: لم تُذَلَّلْ[4] «لا إله إلا الله» على ألسن أمة من الأمم تذليلها على ألسنتهم.

الثالث: مما دل على نبوته قبل ظهوره: رؤيا أمه التى رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام. وذكر أن أمهات النبيين كذلك يَرين. والرؤيا هنا إن أريد بها رؤيا المنام فقد روى أن آمنة بنت وهب رأت فى أول حملها بالنبى ﷺ أنها بشرت بأنه يخرج منها عن ولادتها نور يضىء له قصور الشام. وروى الطبرانى بإسناده عن أبى مريم الكندى عن النبى ﷺ أنه سئل: أى شىء كان أول من أمر

(١) **صحيح** . رواه الحاكم (٢/ ٥٥٠) من حديث جندب رضى الله عنه وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) سورة الصف: آية ٦.

(٣) **ضعيف** . رواه أحمد (١/ ٤٠١) والطبرانى فى«الأوسط» (٣/ ٣١١) رقم (٣٢٥٢) والبزار (٢٨٤٧ - كشف) والبخارى فى «التاريخ الكبير» (٨/ ٣٥٥) وفى سنده يزيد بن ميسرة وهو لم يوثقه غير ابن حبان فى «الثقات» (٧/ ٦٢٧) وذكره ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٩/ ٢٨٨) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٤) الذُّلُّ: ضد الصعوبة .

نبوتك؟ قال: «أخذ الله منى الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم وتلا: ﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً**﴾ الآية، وبشرى المسيح عيسى ابن مريم، ورأت أمّ رسول الله ﷺ فى منامها أنه خرج من بين يديها سراج أضاءت لها منه قصور الشام ثم قال: ووراء ذلك قريتين أو ثلاثاً[1] وإن أريد بها رؤية عين كما قال ابن عباس فى قول الله عز وجل: ﴿**وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلاَّ فتنة للناس**﴾[2]. إنها رؤية عين أُريها النبى ﷺ ليلة أسرى به، فقد روى أن أمه رأت ذلك عند ولادة النبى ﷺ. قال ابن إسحاق: كانت آمنة بنت وهب تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها إنك حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع إلى الأرض فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، وآية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وقع فسميه محمداً فإن اسمه فى التوراة أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه فى الإنجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه فى القرآن محمد[3]. وذكر ابن سعد عن الواقدى بأسانيد له متعددة: أن آمنة بنت وهب قالت: لقد علقت به[4] تعنى النبى ﷺ فما وجدت له مشقة حتى وضعته، فلما فصل منى خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب، ثم وقع إلى الأرض معتمداً على يديه، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء[5]. وفى حديث بعضهم: وقع جاثياً على ركبتيه وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأت أعناق الإبل ببصرى، رافعاً رأسه إلى السماء. وروى البيهقى بإسناده عن عثمان بن أبى العاص حدثتنى أمى أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله ﷺ ليلة ولدته قالت: فما شىء أنظر إليه إلا نور، وإنى أنظر إلى النجوم تدنو حتى أنى لأقول ليقعن على. وخرّج الإمام أحمد من حديث عتبة بن عبد السلمى عن النبى ﷺ: «أن أمه قالت:

---

(١) **ضعيف**: رواه الطبرانى فى «الكبير» (٢٢/ ٣٣٣) رقم (٨٣٥) وفى «مسند الشاميين» (٩٨٤) وفى سنده حجر بن حجر الكلاعى وهو مقبول كما فى «التقريب» (١/ ١٥٥).

(٢) سورة الإسراء: آية ٦٠.

(٣) **ضعيف لإعضاله**. رواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق» (٣/ ٨٢-٨٣) ط دار الفكر. والبيهقى فى «دلائل النبوة» (١/ ٨٢).

(٤) علقت به: حملت به.

(٥) ضعيف جدًا: فى سنده الواقدى، وهو متروك.

إنى رأيت خرج منى نور أضاءت منه قصور الشام». وروى ابن إسحاق عن جهم بن أبى جهم عن عبد الله بن جعفر عمن حدث عن سليمة أم النبى ﷺ التى أرضعته أن آمنة بنت وهب حدثتها أنها قالت: إنى حملت به فلم أر حملاً قط كان أخف علىّ منه، ولا أعظم بركة منه، لقد رأيت نوراً كأنه شهاب خرج منى حين وضعته أضاءت له أعناق الإبل ببصرى[1]. وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجىء به من النور الذى اهتدى به أهل الأرض وزال به ظلمة الشرك منها كما قال تعالى: ﴿**قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون**﴾[3]. وفى هذا المعنى يقول العباس فى أبياته المشهورة السائرة:

وأنت لما ولدت أشرقت الأر ... ض وضاءت بنورك الأفـــق

فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ ... ـور وسبل الرشاد نخترق[4]

وأما إضاءة قصور بصرى بالنور الذى خرج معه فهو إشارة إلى ما خص الشام من نور نبوته فإنها دار ملكه كما ذكر كعب أن فى الكتب السابقة محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره يثرب وملكه بالشام، فمن مكة بدئت نبوة محمد ﷺ وإلى الشام ينتهى ملكه ولهذا أسرى به ﷺ إلى الشام إلى بيت المقدس كما هاجر إبراهيم عليه الصلاة والسلام من قبله إلى الشام، قال بعض السلف: ما بعث الله نبيًا إلاَّ من الشام فإن لم يبعثه منها هاجر إليها. وفى آخر الزمان يستقر العلم والإيمان بالشام فيكون نور النبوة فيها أظهر منه فى سائر بلاد الإسلام.

وخرّج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وأبى الدرداء وخرّج الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى

---

(١) ضعيف: رواه ابن إسحاق كما فى «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ١٧٧) وابن عساكر فى تاريخ دمشق (٣/ ٩١) وفى سنده مجهول.

(٢) سورة المائدة: آية: ١٥ـ ١٦.

(٣) سورة الأعراف: آية ١٥٧.

(٤) البيتان فى «أسد الغابة» لابن الأثير (٢/ ١٣٠) و «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٠٣).

ﷺ قال: «**رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتى فاتبعته بصرى فإذا هو عمود ساطع عمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام**»[١]. وفى المسند والترمذى وغيرهما عن النبى ﷺ قال: «**ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم**»[٢] يعنى الشام، وبالشام ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فى آخر الزمان، وهو المبشر بمحمد ﷺ ويحكم به ولا يقبل من أحد غير دينه، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويصلى خلف إمام المسلمين ويقول: إن هذه الأمة أئمة بعضهم لبعض»[٣]. إشارة إلى أنه متبع لدينهم غير ناسخ له. والشام هى فى آخر الزمان أرض المحشر والمنشر[٤]، فيحشر الناس إليهم قبل القيامة من أقطار الأرض فيهاجر خيار أهل الأرض إلى مهاجر إبراهيم وهى أرض الشام طوعاً، كما تقدم أن خيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم وقال ﷺ: «**عليكم بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتنبى إليها خيرته من عباده**»[٥]. خرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم في صحيحيهما،

(١) **صحيح**: حديث عمرو بن العاص رواه أحمد (٤/١٩٨) وابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (١/١٠٨) وفى سنده عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة الحمص وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/٥١١) وأما حديث أبى الدرداء فقد رواه أحمد (٥/١٩٨ ـ١٩٩) وابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (١/١٠٨) والبيهقى فى «الدلائل» (٦/٤٤٧) وسنده صحيح.

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. فقد رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٢٦٩٨) وفى «الكبير» كما فى «المجمع» (١٠/٥٨) والحاكم (٤/٥٠٩) وابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (١/١٠٦) والبيهقى فى «الدلائل» (٦/٤٤٨) وأبو نعيم فى «الحليه» (٥/٢٥٢) وهو صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٢/٢٠٩) وأبو داود (٢٤٨٢) وفى سنده شهربن حوشب وهو فيه ضعف من قبل حفظه، لكن له طريقه أخرى عند الحاكم (١/ ٥١٠) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى وليس كما قالا فإن فى فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو لم يخرج له مسلم، ثم ضعيف من قبل حفظه وإن أخرج له البخارى ولكن الحديث قوى بمجموع الطريقين. والله أعلم.

(٣) رواه مسلم (٣٨٨) كتاب الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم. وأحمد (٣/ ٣٤٥، ٣٨٤).

(٤) أى موضع النشور. فعن ميمونة بنت سعد مولاة النبى ﷺ قالت: يانبى الله أفتنا بيت المقدس فقال: «**أرض المحشر والمنشر**» رواه أحمد (٦/ ٤٦٣) وابن ماجه (١٤٠٧) وسنده صحيح. وعن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**الشام أرض المحشر**» رواه الربعى فى فضائل الشام كما فى «كنز العمال» (١٢/ ٢٧٣) وابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (١/ ١٧٤ و١٧٥) وسنده ضعيف جداً. وقال الشيخ الألبانى: لكن أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٢٥٧) من وجه آخر فى حديث لأبى ذر موقوفاً عليه، وفيه أن النبى ﷺ أقرّه على ذلك، ولم ينكره عليه، فهو فى حكم المرفوع، بيد أن إسناده ضعيف، لكن له شاهداً.. من حديث ميمونه بنت سعد، ثم ذكر الحديث الذى ذكرناه آنفاً انظر «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعى» ص ١٦.

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١١٠ و ٥/ ٣٣ـ ٣٤و٢٨٨) وأبو داود (٢٤٨٣) والفسوى (٢/ ٢٨٨، ٤٠٢) والحاكم (٤/ ٥١٠) وابن حبان (٧٣٠٦ـ إحسان).

وقال أبو أمامه: لا تقوم الساعة حتى ينتقل خيار أهل العراق إلى الشام، وشرار أهل الشام إلى العراق،[1] خرجه الإمام أحمد.

وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز فتضىء لها أعناق الإبل ببصرى**»[2]. وقد خرجت هذه النار بالحجاز بقرب المدينة، ورؤيت أعناق الإبل من ضوءها ببصرى فى سنة أربع وخمسين وستمائة[3]، وعقيبها جرت واقعة ببغداد وقتل بها الخليفة وعامة من كان ببغداد، وتكامل خراب أهل العراق على أيدى التتار، وهاجرخيار أهلها، إلى الشام من حينئذ، فأما شرار الناس فتخرج نار فى آخر الزمان تسوقهم إلى الشام قهراً حتى تجتمع الناس كلها بالشام قبل الساعة. وفى سنن أبى داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام**»[4].

وخرجه الحاكم ولفظه: «**خير منازل المسلمين يومئذ**».

إخوانى من كان من هذه الأمة فهو من خير الأمم عند الله عزوجل قال تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أُخرجت للناس**﴾[5]، وقال النبى ﷺ: «**أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها، وأكرمها على الله عز وجل**»[6] لما كان هذا الرسول النبى الأمى خير الخلق وأفضلهم كانت أمته خير أمة وأفضلها فما يحسن بمن كان من خير الأمم وانتسب إلى متابعة خير الخلق وخصوصاً من كان يسكن خير منازل المسلمين فى آخر الزمان إلاَّ أن يكون متصفاً بصفات الخير مجتنبا لصفات الشر، وقبيحٌ به أن يرضى لنفسه أن يكون من شر الناس مع إنتسابه إلى خير الأمم

---

(١) **ضعيف**: رواه أحمد (٥/٢٤٩) وفى سنده لقيط بن المثنى وهو لم يوثقه غير ابن حبان.

(٢) رواه البخارى (١٨/٧) كتاب الفتن، باب: خروج النار ومسلم (٧١٤٩) كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز.

(٣) انظر «فتح البارى» (١٣/٧٩-٨٠) والبدايه والنهاية (١٣/١٨٧ - ١٩٢).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٥/١٩٧) وأبو داود (٤٢٩٨) وابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (١/٢٣٢) والحاكم (٤/٤٨٦) وصححه ووافقه الذهبى.

(٥) سورة آل عمران: آية ١١٠.

(٦) حسن. رواه أحمد (٤/٤٤٧) والترمذى (٣٠٠١) وابن ماجه (٤٢٨٨) والدرامى (٢/٤٠٤) رقم (٢٧٦٠) والحاكم (٤/٨٤).

ومتابعة خير الرسل، قال الله تعالى: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾**(١). فخير الناس من آمن وعمل صالحاً، وقال تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**(٢). وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: **«خير الناس من فقه فى دين الله، وَوصل رحمه، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر»**(٣)، وفى رواية: **«خير الناس أتقاهم للرب، وأوصلهم للرحم، وأمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر»**، وقال: **«الناس معادن فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا»**(٤). وقال: **«خير الناس من طال عمره، وحسن عمله، وشر الناس من طال عمره وساء عمله»**(٥).

وقال: **«خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره»**(٦)، وقال: **«ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى، قال: الذين إذا رؤوا ذكر الله، وقال: ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى، قال: المشاؤن بالنميمة، المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت(٧)»**(٨)، وقال: **«شر الناس منزلة عند الله من تركه الناس اتقاء فحشه»**(٩)، وقال: **«إن من شر الناس يوم القيامة منزلة عند الله ذا**

---

(١) سورة البينة: آية ٧ .

(٢) سورة آل عمران: آية: ١١٠.

(٣) **ضعيف**: رواه أحمد (٦/٦٨و٤٣٢) والطبرانى فى «الكبير» (٢٤/٢٥٧) رقم (٦٥٧) وفى سنده عبد الله ابن عميرة الكوفى وهو مقبول كما فى «التقريب» (١/٤٣٨) وزوج درة بنت أبى لهب مجهول.

(٤) رواه البخارى (٣٣٨٣) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى **﴿لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾** ومسلم (٦٣٣٦) كتاب الفضائل، باب: خيار الناس. وأحمد (٢/٢٥٧و٢٦٠و٣٩١) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٥) **صحيح**: رواه أحمد ٥٠/ ٤٠و٤٣ـ٤٤) والترمذى (٢٣٣٠) من حديث أبى بكر رضى الله عنه. وقال الترمذى حسن صحيح.

(٦) **صحيح**: رواه أحمد (٢/٣٧٨٣٦٨) والترمذى (٢٢٦٣) وابن حبان (٥٢٧و ٥٢٨ـ إحسان) والقضاعى فى «مسند الشهاب» (١٢٤٦).

(٧) أى الذين يطالبون للبرىء الثعب.

(٨) **ضعيف**. رواه أحمد (٤/٢٢٧و٦/٤٥٩) والطبرانى فى «الكبير» (٢٤/١٦٧) رقم (٤٢٣و٤٢٤) وابن ماجه (٤١١٩) وفى سنده شهر بن حوشب وهو كثير الارسال والأوهام كما فى «التقريب» (١/ ٣٥٥).

(٩) رواه البخارى (٦٠٥٤) (كتاب الأدب) باب: مايجوز من اغتياب أهل الفساد والريب. ومسلم (٦٤٧٣) كتاب البر والصلة، باب: مداراة من يتقى فحشه. وأحمد (٦/٣٨) وأبو داود فى «الأدب» (٤٧٩١) باب: فى حسن العشرة والترمذى فى «البر والصلة» (١٩٩٦) باب: ما جاء فى المداراة.

الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»(١)، وقال: «**إن من شر الناس عند الله منزلة من يقرأ كتاب الله ثم لا يرعوى إلى ما فيه**»(٢)، وقال: «**من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من أذهب آخرته بدنيا غيره**»(٣).

أعمال الأمة تعرض على نبيها فى البرزخ فليستح عبد أن يعرض على نبيه من عمله ما نهاه عنه. لما وقفﷺ عام حجة الوداع قال: «**إنى فرطكم على الحوض، وأنى مكاثر بكم الأمم فلا تسودوا وجهى**»(٤)، يشير إلى أنه ﷺ يستحى من سيئات أمته إذا عرضت عليه. وقال: «**ليؤخذن برجال من أمتى ذات الشمال. فأقول: يارب أصحابى! فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدى**»(٥). خير هذه الأمة أولها قرناً كما قال النبى ﷺ : «**خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»(٦). وقال: «**بعثت فى خير قرون بنى آدم قرنا فقرناً حتى كتبت من القرن الذى كنت منه**»(٧).

---

(١) رواه البخارى (٧١٧٩) كتاب الأحكام، باب: ما يكره من ثناء السلطان ومسلم (٦٥٠٧)و(٦٥٠٨) كتاب البر والصلة، باب: ذم ذى الوجهين.

(٢) ضعيف. رواه أحمد (٣/ ٣٧و٤٢ و٥٨) والنسائى (٦/ ٣١٨) (٣١٠٦) والحاكم (٢/ ٦٧) والبيهقى فى الكبرى» (٩/ ١٦٠). وصححه الحاكم ووافقه الذهبى!! قلت: فى سنده «أبو الخطاب المصرى» قال الذهبى نفسه فى الميزان: مجهول (٤/ ١٠١٥١) وكذا قال الحافظ «التقريب» (٢/ ٤١٧).

(٣) ضعيف: رواه ابن ماجه (٣٩٦٦) والطبرانى فى «الكبير» (٨/ ١٤٤) رقم (٧٥٥٩) وأبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ٥٦) والقضاعى فى «مسند الشهاب» (٢/ ١٧٣) رقم (١١٢٥) وفى سنده شهر بن حوشب وهو سيء الحفظ، وعبد الحكم بن ذكوان مقبول كما فى «التقريب» (١/ ٤٦٦) ومروان بن معاوية مدلس وقد عنعن.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٠٥٧) كتاب المناسك، باب: الخطبة يوم النحر.

(٥) رواه البخارى فى الرقاق (٧٥٢٦) باب: الحشر. ومسلم (٧٠٦١) كتاب صفة الجنة، باب: فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة. والترمذى فى «الزهد» (٢٤٢٣) باب: ماجاء فى شأن الحشر. والنسائى فى الجنائز (٤/ ١١٧) باب: ذكر أول من يكسى.

(٦) رواه البخارى فى «الشهادات» (٢٦٥٢) باب: لا يشهد على شهادة جور. ومسلم (٦٣٥١و ٦٣٥٢) كتاب الفضائل باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم. والترمذى «المناقب» (٣٨٥٩) باب: ماجاء فى فضل من رأى النبى ﷺ وصحبه والنسائى فى «الأيمان والنذور» (٧/ ١٧-١٨) باب: الوفاء بالنذر وابن ماجه فى «الأحكام» (٢٣٦٢) باب: كراهية الشهادة لمن لم يستشهد. والحديث بلفظ «خير الناس قرنى» وليس خير القرون.

(٧) رواه البخارى (٣٥٥٧) كتاب المناقب، باب: صفة النبى ﷺ . وأحمد (٢/ ٣٧٣) من حديث أبى هريرة الله عنه.

كما قد جاء مدح أصحابه فى كتابه تعالى: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رُحَمَاء بينهم**﴾[1] و﴿ **ولقد رضى الله عن المؤمنين إذا يبايعونك تحت الشجرة**﴾[2] وخص الصديق من بينهم بالصحبة بقوله: ﴿**إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا**﴾[3] لما جلى الرسول ﷺ عروس الإسلام وأبرزها للبصائر من خدرها أخرج أبو بكر رضى الله عنه ماله كله نثاراً لهذه العروس، فأخرج عمر النصف موافقة له، فقام عثمان بوليمة العرس فجهز جيش العسرة، فعلم على رضى الله عنه أن الدنيا ضرة هذه العروس وأنهما لا يجتمعان فبتً طلاقها ثلاثاً.

فالحمد لله الذى خصنا بهذه الرحمة، وأسبغ علينا هذه النعمة، وأعطانا ببركة نبينا هذه الفضائل الجمة فقال لنا: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾[4]. من أين فى الأمم مثل أبى بكر الصديق أو عمر الذى ما سلك طريقاً إلا هرب الشيطان من ذلك الطريق، أو عثمان الصابر على مر الضيق، أو علياً بحر العلم العميق، أو حمزة والعباس. أفيهم مثل طلحة والزبير القرينين، أو مثل سعد وسعيد هيهات من أين، أو مثل ابن عوف وأبي عبيدة ومن مثل الاثنين إن شبهتم بهم فقد أبعدتم القياس. من أين فى زهاد الأمم مثل أويس. أو فى عبادهم مثل عامر بن عبد قيس، أو في خائفهم مثل عمر بن عبد العزيز هيهات ليس ضوء الشمس كالمقياس، أو في علمائهم مثل أبى حنيفة ومالك والشافعى السديد المالك كيف تمدحه وهو أجل من ذلك، ما أحسن بنيانه والأساس. أفيهم أعلى من الحسن البصرى وأنبل، أو ابن سيرين الذى بالورع تقبل، أو سفيان الثورى الذى بالخوف والعلم تسربل، أو مثل أحمد الذى بذل نفسه لله وسبّل، تالله ما فى الأمم مثل ابن حنبل ارفع صوتك بهذا ولا بأس: ﴿**كُنتم خَير أمة أخرجت للناس**﴾.

لاح شَيْبُ الرَّأس منى فنَصَحَ ... بَعْدَ لَهْوٍ وشَبَابٍ وَمَرَحْ
أخوتى توبوا إلى الله بنا ... قد لهونا وجهلنا ما صَلَحْ

---

(١) سورة الفتح: آية ٢٩.
(٢) سورة الفتح: آية ١٨.
(٣) سورة التوبة: آية ٤٠.
(٤) سورة آل عمران: آية ١١٠.

نحن فى دار نرى الموت بها   لَمْ يَدَعْ فيها لذى اللُّبِّ فَرَحْ
يابنى آدم صونـــوا دينكـــم   ينبغى للدين أن ألا يُطرَّحْ
واحمدوا الله الذى أكْرَمَكُمْ   بنبىٍّ قـــام فيكـــم فَنَصَحْ
بنبىٍّ فَتَـــحَ اللهُ بـــه   كُلَّ خيرٍ نلتمُوهُ ومَنَحْ
مُرسلٍ لو يُوزَنُ النَّاسُ بـــه   فى التُّقى والبر خَفُّوا ورَجَحْ
فرسُولُ الله أوْلَـــى بالعُلَى   ورسُولُ الله أوْلَـــى بالمِدَحْ

●●●●●

المجلس الثانى فى ذكر المولد أيضا

خرَّج مسلم فى صحيحه من حديث أبى قتادة الأنصارى أن النبىﷺ سئل عن صيام يوم الإثنين فقال: «ذاك يوم ولدت فيه، وأنزلت على فيه النبوة»[١]، أما ولادة النبي ﷺ يوم الإثنين فكالمجمع عليه بين العلماء، وقد قاله ابن عباس وغيره. وقد حكى عن بعضهم أنه ولد يوم الجمعة وهو قول ساقط مردود. وروى عن أبى جعفر الباقر: أنه توقف فى ذلك وقال: لا يعلم ذلك إلاّ الله، وإنما قال هذا لأنه لم يبلغه فى ذلك ما يعتمد عليه فوقف تورعاً. وإما الجمهور فبلغهم فى ذلك ما قالوا بحسبه: وقد روي عن أبى جعفر أيضاً موافقتهم وأن النبىﷺ ولد يوم الإثنين موافقة لما قاله سائر العلماء، وحديث أبى قتادة يدل على أنه ﷺ ولد نهاراً فى يوم الإثنين، وقد رُوى أنه ولد عند طلوع الفجر منه، وروى أبو جعفر ابن أبى شيبة فى تاريخه وخرجه من طريقه أبو نعيم فى الدلائل بإسناده فيه ضعف عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كان بمر الظهران راهب يدعي عيصاً من أهل الشام وكان يقول: يوشك أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم، هذا زمانه. فكان لا يولد بمكة مولود إلاّ سأل عنه فلما كان صبيحة اليوم الذى ولد فيه رسول الله ﷺ خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصاً فناداه فأشرف عليه فقال له عيص: كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم عنه يوم الإثنين، ويبعث يوم الإثنين، ويموت يوم الإثنين قال: إنه ولد لى مع الصبح مولود قال: فما سميته؟ قال: محمدا قال: والله لقد كنت أشتهى أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت لثلاث خصال بها نعرفه، فقد أتى عليهن منها أنه طلع نجمه البارحة، وأنه ولد اليوم، وأن اسمه محمد، انطلق إليه فإنه الذى كنت أحدثكم عنه[٢].

وقد روى ما يدل على أنه ولد ليلا، وقد سبق فى المجلس الذى قبله من

---

(١) رواه مسلم (١١٦٢) كتاب الصيام، باب: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وأحمد (٥/٢٩٧) من حديث أبى قتادة الأنصارى رضى الله عنه.

(٢) ضعيف: رواه ابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (٣/٤٢٦و٤٢٧) وفى سنده المسيب بن شريك وهو ضعيف، وقال مسلم وجماعة: متروك «ميزان الاعتدال» (٤/٨٥٤٤).

الآثار ما يستدل به لذلك، وفى صحيح الحاكم عن عائشة قالت: كان بمكة يهودى يتجر فيها فلما كانت الليلة، التى ولد فيها رسول الله ﷺ قال: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا: لا نعلمه فقال: ولد الليلة نبى هذه الأمة الأخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس، فخرجوا باليهودى حتى أدخلوه على أمه فقالوا: أخرجي إلينا ابنك فأخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودى مغشيا عليه فلما أفاق قالوا: ويلك، ما لك؟ قال: ذهبت والله النبوة من بنى إسرائيل[1]. وهذا الحديث يدل على أنه ولد بخاتم النبوة بين كتفيه.

وخاتم النبوة: من علامات نبوته التى كان يعرفه بها أهل الكتاب ويسألون عنها، ويطلبون الوقوف عليها. وقد روى أن هرقل بعث إلى النبى ﷺ بتبوك من ينظر له خاتم النبوة ثم يخبره[2] عنه. وقد روى من حديث أبى ذر، وعتبة بن عبيد عن النبى ﷺ: «أن الملكين اللذين شقا صدره وملآه حكمة هما اللذان ختماه بخاتم النبوة»[3]. وهذا يخالف حديث عائشة. هذا، وقد رُوى أن هذا الخاتم رفع بعد موته من بين كتفيه. ولكن إسناد هذا الخبر ضعيف.

وقد روى فى صفة ولادته آيات تستغرب، فمنها ما روى عن آمنة بنت وهب أنها قالت: «**وضعته فما وقع كما وقع الصبيان، وقع واضعا يده على الأرض رافعاً** رأسه إلى السماء»[4]. وروى أيضاً: «أنه قبض قبضة من التراب بيده لما وقع

---

(١) **ضعيف**: رواه الحاكم (٢/ ٦٠١ ـ ٦٠٢) وفى سنده ابن إسحاق وهو مدلس ولم يصرح بالتحديث. وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبى بقوله: لا أى ليس بصحيح.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٤١ـ٤٤٢) وأبو يعلى (٣/ ١٧١ـ١٧٢) رقم (١٥٩٧) وعبد الله بن أحمد فى «زوائد المسند» (٤/ ٧٤، ٧٥) والبيهقى فى «الدلائل» (١/ ٢٦٦).

(٣) حديث عتبة بن عبد السلمى. رواه أحمد (٤/ ١٨٤ـ ١٨٥) والدارمى (١/ ٢٠) رقم (١٣) والحاكم (٢/ ٦١٦) وسنده حسن وقال الهيثمى فى «المجمع» (٨/ ٢٢٢) رواه أحمد والطبرانى ولم يسق المتن وإسناد أحمد حسن.

(٤) **ضعيف**: رواه ابن سعد فى «الطبقات» (١/ ٨١) من حديث ابن عباس رضى الله عنه، ورواه أبو نعيم فى «الدلائل» (ص٩٦) وسنده مرسل فقد رواه عن داود بن أبى هند. ورواه البيهقى فى «دلائل النبوة» (١/ ٨٨) بسنده مرسل أيضاً حيث ورواه عن الزهرى. ورواه ابن سعد «الطبقات» (١/ ٨١ـ٨٢) بسند مرسل عن إسحاق بن عبد الله وعن عكرمة وعن حسان بن عطية.

بالأرض»، فقال بعض القافة: إن صدق الفال ليغلبن أهل الأرض[1]. وروى: «أنه وضع تحت جفنة [2] فانفلقت عنه، ووجدوه ينظر إلى السماء»[3].

واختلفت الروايات هل ولد مختوناً؟! فروى: «أنه ولد مختوناً مسروراً»[4]، يعنى مقطوع السرة، حتى قال الحاكم: تواترت الروايات بذلك[5]. وروى أن جده ختنه[6]، وتوقف الإمام أحمد فى ذلك. قال المروذى: سئل أبو عبد الله هل ولد النبى ﷺ مختوناً؟ قال: الله أعلم، ثم قال: لا أدري[7]. قال أبو بكر عبد العزيز بن جعفر من أصحابنا: قد رُوى: «أنه ﷺ ولد مختوناً مسروراً»، ولم يجترئ أبو عبدالله على تصحيح هذا الحديث.

وأما أشهر ولادته فقد اختلفت فيه: فقيل: فى شهر رمضان. وروى عن عبدالله بن عمرو بإسناد لا يصح. وقيل: فى رجب، لا يصح، وقيل: فى ربيع الأول، وهو المشهور بين الناس حتى نقل ابن الجوزى وغيره عليه الاتفاق، ولكنه قول جمهور العلماء، ثم اختلفوا فى أى يوم كان من الشهر، فمنهم من قال: هو غير معين وإنما ولد فى يوم الإثنين من ربيع من غير تعيين لعدد ذلك اليوم من الشهر. والجمهور على أنه يوم معين منه ثم اختلفوا فقيل: لليلتين خلتا منه،

---

(١) ضعيف: رواه ابن سعد فى «الطبقات» (١/ ١٢٠) وابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (٣/ ٧٩). بسند مرسل. وفى سنده أيضاً محمد بن عمر الواقدى وهو متروك كما فى «التقريب» (٢/ ١٩٤).

(٢) الجفنة: هى القصعة الكبيرة.

(٣) ضعيف: رواه البيهقى فى «الدلائل» (١/ ١٦٣) وابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (٣/ ٨٠) بسند مرسل.

(٤) ضعيف جدا. رواه البيهقى فى «الدلائل» (١/ ١١٤) وابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (٣/ ٨٠) من حديث العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه، وفى سنده سليمان بن سلمة الخبائرى، قال أبو حاتم متروك، لايشتغل به. وقال ابن الجنيد: كان يكذب . «ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٤٧٢) والحديث ضعفه ابن القيم فى «زاد المعاد» (١/ ٨١) وقال: ذكره أبو الفرج بن الجوزى فى «الموضوعات».

(٥) وتعقبه الذهبى: فقال: ما أعلم صحة ذلك فكيف يكون متواتراً؟

(٦) ضعيف: رواه ابن عبد البر كما فى «زاد المعاد» (١/ ٨٢) وفى سنده محمد بن أبى السرى وهو لين الحديث، والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعنه.

(٧) قال ابن القيم «الزاد» (١/ ٨٢): وقد وقعت هذه المسألة بين رجلين فاضلين، صنف أحدهما مصنفاً فى أنه ولد مختوناً وأجلب فيه من الأحاديث التى لاخطام لها ولا زمام، وهو كمال الدين بن طلحة، فنقضه عليه كمال الدين بن العديم، وبين فيه أن النبى ﷺ خُتن على عادة العرب، وكان عموم هذه السُّنة للعرب قاطبة مغنيا عن نقل معين فيها، والله أعلم.

وقيل: لثمان خلت منه، وقيل: لعشر، وقيل: لاثنتى عشرة، وقيل لسبع عشرة، وقيل: لثمانى عشرة، وقيل لثمان بقين منه، وقيل: إن هذين القولين غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية، والمشهور الذى عليه الجمهور: أنه ولد يوم الإثنين ثانى عشر ربيع الأول؛ وهو قول ابن إسحاق وغيره.

وأما عام ولادته فالأكثرون أنه عام الفيل، وممن قال ذلك: قيس بن مخرمة. وقبات بن أشيم، وابن عباس، وروى عنه: أنه ولد يوم الفيل، وقيل: إن هذه الرواية وهم ، إنما الصحيح عنه أنه قال: عام الفيل. ومن العلماء من حكى الاتفاق على ذلك، وقال: كل قول يخالفه وهم. والمشهور أنه ﷺ ولد بعد الفيل بخمسين يوماً، وقيل: بعده بخمس وخمسين يوماً، وقيل: بشهر، وقيل: بأربعين يوماً، وقد قيل: أنه ولد بعد الفيل بعشر سنين، وقيل : بثلاث وعشرين سنة، وقيل: بأربعين سنة، وقيل: قبل الفيل بخمس عشرة سنة، وهذه الأقوال وهم عند جمهور العلماء، ومنها مالا يصح عمن حكى عنه،قال إبراهيم بن المنذر الحزامى: الذى لا يشك فيه أحد من علمائنا أنه ﷺ ولد عام الفيل. وقال خليفة ابن خياط: هذا هو المجمع عليه، وكانت قصة الفيل توطئة لنبوته وتقدمة لظهوره وبعثه، وقد قص الله ذلك فى كتابه فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ⑤﴾[1] فقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ استفهام تقرير لمن سمع هذا الخطاب.

وهذا يدل على اشتهار ذلك بينهم ومعرفتهم به، وأنه مما لا يخفى علمه عن العرب وخصوصا قريشا وأهل مكة، وهذا أمر اشتهر بينهم وتعارفوه، وقالوا فيه الأشعار السائرة، وقد قالت عائشة: رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين يستطعمان[2]. وفى هذه القصة ما يدل على تعظيم مكة واحترامها واحترام بيت الله الذى فيها ولادة النبى عقب ذلك، تدل على نبوته ورسالته فإنه ﷺ بعث

---

(١) سورة الفيل: الآيات ١ ـ ٥ .

(٢) **صحيح**: رواه ابن إسحاق كما فى «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠) والبيهقى فى «الدلائل» (١/ ١٢٥) ويستطعمان: أى يسألان الناس الطعام.

بتعظيم هذا البيت وحجه والصلاة إليه، فكان هذا البلد هو موطنه ومولده فاضطره قومه عند دعوتهم إلى الله تعالى إلى الخروج منه كرها بما نالوه به من الأذى، ثم إن الله تعالى ظفره بهم وأدخله عليهم قهراً فملك البلد عنوة وملك رقاب أهله ثم منَّ عليهم وأطلقهم وعفا عنهم، فكان فى تسليط نبيه ﷺ على هذا البلد وتمليكه إياه ولأمته من بعده ما دل على صحة نبوته. فإن الله حبس عن من بيده بالأذى وأهلكه ثم سلط عليه ورسوله وأمته كما قال ﷺ: **«إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين»**[1]، فإن الرسول ﷺ وأمته إنما كان قصدهم تعظيم البيت وتكريمه واحترامه ولهذا أنكر النبى ﷺ يوم الفتح على من قال: اليوم تستحل الكعبة، وقال: **«اليوم تعظم الكعبة»**[2]، وقد كان أهل الجاهلية غيروا دين إبراهيم وإسماعيل بما ابتدعوه من الشرك وتغيير بعض مناسك الحج فسلط الله ورسوله وأمته على مكة فطهروها من ذلك كله وردوا الأمر إلى دين إبراهيم الحنيف وهو الذى دعا لهم مع ابنه إسماعيل عند بناء البيت أن يبعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فبعث الله فيهم محمداً ﷺ من ولد إسماعيل بهذه الصفة فطهر البيت وما حوله من الشرك، ورد الأمر إلي دين إبراهيم الحنيف والتوحيد الذى لأجله بنى البيت كما قال تعالى: **﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئاً وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود﴾**[3].

وأما تسليط القرامطة على البيت بعد ذلك فإما كان عقوبة بسبب ذنوب الناس ولم يصلوا إلى هدمه ونقصه ومنع الناس عن حجة وزيارته كما كان يفعل أصحاب الفيل لو قدروا على هدمه وصرف الناس عن حجه. والقرامطة أخذوا

---

(١) رواه البخارى فى «اللقطة» (٢٤٣٤) باب: تعرف لقطة أهل مكة. ومسلم (٣٢٤٧) كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها. وأبو داود فى «المناسك» (٢٠١٧) باب تحريم حرم مكة. والترمذى فى «الديات» (١٤٠٥) باب: ماجاء فى حكم ولى القتيل فى القصاص والعفو والنسائى فى «العلم» فى «الكبرى» (٥٨٥٥) وابن ماجه فى «الديات» (٢٦٢٤) باب: من قتل له قتيل فهو بالخيارين إحدى ثلاث.

(٢)رواه البخارى (٤٢٨٠) كتاب المغازى، باب: أين وكز النبى ﷺ الراية يوم الفتح؟ والقائل: اليوم تستحل الكعبة هو سعد بن عبادة رضى الله عنه.

(٣) سورة الحج: آية: ٢٦.

الحجر والباب وقتلوا الحجاج وسلبوهم أموالهم، ولم يتمكنوا من منع الناس من حجة بالكلية، ولا قدروا على هدمه بالكلية، كما كان أصحاب الفيل يقصدونه. ثم أذلهم الله بعد ذلك وخذلهم وهتك أستارهم وكشف أسرارهم.

والبيت المعظم باق على حاله من التعظيم والزيارة والحج والاعتمار والصلاة إليه، لم يبطل شيء من ذلك عنه بحمد الله ومنّه، وغاية أمرهم أنهم أخافوا حج العراق حتى انقطعوا بعض السنين ثم عادوا. ولم يزل الله يمتحن عباده المؤمنين بما يشاء من المحن ولكن دينه قائم محفوظ لا يزال تقوم به أمة من أمة محمد ﷺ لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك كما قال تعالى: **﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاَّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون* هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾**[1].

وقد أخبر النبى ﷺ أن هذا البيت يحج ويعتمر بعد خروج يأجوج ومأجوج[2]، ولا يزال كذلك حتى تخربه الحبشة[3] ويلقون حجارته فى البحر[4]، وذلك بعد أن يبعث الله ريحاً طيبة تقبض أرواح المؤمنين كلهم فلا يبقى على الأرض مؤمن[5]، ويسرى بالقرآن من الصدور والمصاحف فلا يبقى فى الأرض قرآن ولا إيمان ولا شيء من الخير[6]، فبعد ذلك تقوم الساعة ولا تقوم إلا على شرار الناس»[7].

---

(١) سورة التوبة: آية: ٣٢، ٣٣.

(٢) رواه البخارى (١٥٩٣) كتاب الحج. وأحمد (٣/ ٦٤) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

(٣) رواه البخارى (١٥٩١) كتاب الحج، باب: قول الله تعالى ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام﴾ ومسلم (٧١٦٥) كتاب الفتن، باب: لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون الميت من البلاء. والنسائى فى «الحج» (٥/ ٢١٦) باب: بناء الكعبة.

(٤) رواه ابن الجوزى فى «غريب الحديث».

(٥) رواه مسلم (٧١٥٩) كتاب الفتن، باب: لاتقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة.

(٦) عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه، قال: رسول الله ﷺ: «تدرسُ الاسلام كما يدرس وَشْىُ الثوب، حتى لايُدرى ما صيام ولا صلاة ولانسك ولا صدقة وليسرى على كتاب الله عز وجل فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: «لا إله إلا الله» فنحن نقولها» رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) والحاكم (٤/ ٤٧٣) وصححه ووافقه الذهبى.

(٧) رواه مسلم (٧٢٥٩) كتاب الفتن، باب: قرب الساعة.

وقوله ﷺ: «ويوم أنزلت على فيه النبوة». يعنى إنه ﷺ نبئ يوم الإثنين، وفى المسند عن ابن عباس قال: ولد النبى ﷺ يوم الإثنين، واستنبئ يوم الإثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الإثنين. ودخل المدينة يوم الإثنين وتوفى يوم الإثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الإثنين[1]، وذكر ابن إسحاق أن النبوة نزلت يوم الجمعة. وحديث أبى قتادة[2] يرد هذا. واختلفوا: فى أى شهر كان ابتداء النبوة؟ فقيل: فى رمضان، وقيل: فى رجب، ولا يصح، وقيل: فى ربيع الأول وقيل: إنه نبئ يوم الإثنين لثمان من ربيع الأول.

وأما الإسراء فقيل كان فى رجب وضعفه غير واحد، وقيل: كان فى ربيع الأول، وهو قول إبراهيم الحربى وغيره، وأما دخول المدينة، ووفاته: فكانا فى ربيع الأول بغير خلاف مع اختلاف فى تعيين ذلك اليوم من أيام الشهر، وفى قول النبى ﷺ لما سئل عن صيام يوم الإثنين؟. «ذاك يوم ولدت فيه، وأنزلت علىّ فيه النبوة»، إشارة إلى استحباب صيام الأيام التى تتجدد فيها نعم الله علىّ عباده، فإن أعظم نعم الله على هذه الأمة إظهار محمد ﷺ لهم وبعثته وإرساله إليهم كما قال تعالى: ﴿ **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم** ﴾[3] فإن النعمة على الأمة: بإرساله أعظم من النعمة عليهم بإيجاد السماء والأرض والشمس والقمر، والرياح والليل والنهار، وإنزال المطر وإخراج النبات وغير ذلك، فإن هذه النعم كلها قد عمَّت خلقا من بنى آدم كفروا بالله وبرسله وبلقائه فبدلوا نعمة الله كفراً، فأما النعمة بإرسال محمد ﷺ فإن بها تمت مصالح الدنيا والآخرة وكمل بسببها دين الله الذى رضيه لعباده وكان قبوله سبب سعادتهم فى دنياهم وآخرتهم، فصيام يوم تجددت فيه هذه النعم من الله على عباده المؤمنين حسن جميل، وهو من باب مقابلة النعم فى أوقات تجددها بالشكر، ونظير هذا صيام يوم عاشوراء حيث أنجى الله فيه نوحاً من الغرق، ونجى فيه موسى وقومه من فرعون وجنوده وأغرقهم فى اليم، فصامه نوح وموسى شكراً لله، فصامه رسول الله ﷺ متابعة

---

(١) ضعيف: رواه أحمد (١/ ٢٧٧) والطبرانى فى «الكبير» (٢/ ٢٣٧) رقم (١٢٩٨٤)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (١/ ١٩٦) رواه أحمد والطبرانى فى «الكبير». . وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف.

(٢) وقد تقدم.

(٣) سورة آل عمران: آية: ١٦٤.

لأنبياء الله، وقال لليهود: «نحن أحق بموسى منكم»، وصامه وأمر بصيامه[1].

وقد روى أن النبى ﷺ كان يتحرى صيام يوم الإثنين ويوم الخميس، روى ذلك عنه من حديث عائشة وأبى هريرة وأسامة بن زيد[2]، وفى حديث أسامة: أنه سأله عن ذلك؟

فقال: «إنهما يوْمان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم»، وفى حديث أبى هريرة أنه سئل عن ذلك؟ فقال: «إنه يغفر فيهما لكل مسلم إلاَّ مهتجرين يقول دعهما حتى يصطلحا»، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة مرفوعاً: «**تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله إلاَّ رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال، انظروا هذين حتى يصطلحا**»[3]، ويروى من حديث أبى أمامة مرفوعاً: «**ترفع الأعمال يوم الإثنين والخميس فيغفر للمستغفرين ويترك أهل الحقد كما هم**»[4]. وفى المسند عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «**أن أعمال بنى آدم تعرض علىّ كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم**»[5]. كان بعض التابعين يبكى إلى امرأته يوم الخميس وتبكى إليه، ويقول: اليوم تعرض أعمالنا على الله عز وجل. يا من يبهرج بعلمه على من تبهرج والناقد بصير، يا من يسوف بتطويل أمله إلى كم تسوف والعمر قصير.

---

(١) رواه البخارى (٢٠٠٤) كتاب الصوم، باب: صيام يوم عاشوراء. ومسلم (٢٦١٧) كتاب الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء. وأحمد (١/ ٢٩١) والنسائى فى «الكبرى» فى «الصيام» (٢٨٣٤).

(٢) حديث عائشة رضى الله عنها صحيح، رواه أحمد (٦/ ٨٠و٨٩و١٠٦) والنسائى (٤/ ١٥٣و٢٠٢و٢٠٣) والترمذى (٧٤٥) وابن ماجه (١٧٣٩) وابن حبان (٣٦٤٣ـإحسان) وحديث أبى هريرة، ورواه أحمد (٢/ ٣٢٩) والترمذى (٧٤٧) والدرامى (٢/ ٣٣). وابن امجة (١٧٤٠) وسنده حسن وحديث أسامة بن زيد. رواه أحمد (٥/ ٢٠١) النسائى (٤/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) باسناد حسن.

(٣) رواه مسلم (٦٤٢٤) كتاب البر والصلة، باب: النهى عن الشحناء والتهاجر.

(٤) **ضعيف جداً**: رواه الطبرانى فى «الكبير» (٠ـ١/ ١١) رقم (١٩٧٧٦) والبزار (٤/ ٢٨٨) رقم (١٤٦٠ـ البحر الزخار) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٨/ ٦٥) رواه الطبرانى والبزار، وفيه على بن يزيد الألهانى وهو متروك.

(٥) **ضعيف**: رواه أحمد (٢/ ٤٨٤) والبخارى فى «الأدب المفرد» (٦١) وفى سنده الخزرج بن عثمان وهو مختلف فيه والراجح ضعفه. انظر «التهذيب التهذيب» (٣/ ١٢٠).

صروف الحتف مُتْرَعةُ الكئوس	تدور على الرعايا والرءوس
فلا تتبع هواك فكل شخص	يصير إلى بلىً وإلى دُرُوس
وَخَف من هول يوم قمطريرٍ	مَخُوفٍ شرُّهُ ضنك عبُوس
فمالك غير تقوى الله زادًا	وفعْلُكَ حينُ تَقبَرُ من أنيس
فحسِّنْه ليعرض مستقيمًا	ففى الإثنين يعرض والخميس

●●●●●

فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاءَ وبين ما عنده، فاختار ما عنده»، فبكى أبو بكر وبكى وقال: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال: فعجبنا، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتين من زهرة الدنيا ماشاء وبين ماعند الله وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر هو أعلمنا به، فقال النبى ﷺ: «إن من آمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام لا تبقى فى المسجد خوخة إلاَّ سدت إلا خوخة أبى بكر رضى الله عنه»[1].

اعلم أن الموت مكتوب على كل حى، الأنبياء والرسل وغيرهم، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: **﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾**[2]، وقال: **﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾**[3] وقال: **﴿وما محمد إلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم﴾** [4] الآيتين.

خلق الله تعالى آدم من تراب الأرض ونفخ فيه من روحه فكانت روحه فى جسده وأرواح ذريته فى أجسادهم فى هذه الدار عارية وقضى عليه وعلى ذريته أنه لابد من أن يسترد أرواحهم من هذه الأجساد ويعيد أجسادهم إلى ما خلقت منه وهو التراب، ووعد أن يعيد الأجساد من الأرض مرة ثانية ثم يرد إليها الأرواح مرة

(١) رواه البخارى (٤٦٦) كتاب الصلاة، باب: الخوخة والممر فى المسجد، ومسلم (٦٠٥٣) كتاب الفضائل، باب فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه. والترمذى فى «المناقب» (٣٦٦٠) باب: لو كنت متخذاً خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً والنسائى فى «المناقب» فى «الكبرى» (٥/ ٣٥) رقم (٨١٠٣).

(٢) سورة الزمر: آية ٣٠.

(٣) سورة الأنبياء: آية ٣٤ و٣٥.

(٤) سورة آل عمران: آية ١٤٤.

ثانية تمليكاً دائماً لا رجعة فيه فى دار البقاء، قال الله تعالى: **﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾**[1] وقال **﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾**[2]، وقال: **﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً﴾**.[3]

وأرانا دليلاً فى هذه الدار على إعادة الأجساد من التراب بإنبات الزرع من الأرض وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر ودليلاً على إعادة الأرواح إلى أجسادها بعد المفارقة بقبض أرواح العباد فى منامهم وردها إليهم فى يقظتهم كما قال تعالى: **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾**[4]، وفى مسند البزار عن أنس أن النبى ﷺ قال لهم ناموا عن الصلاة: «إن هذه الأرواح عارية فى أجساد العباد فيقبضها إذا شاء ويرسلها إذا شاء»[5].

استعدِّى للموت يا نفسُ واسعى ... للنجاة فالحازمُ المستعـــــدُّ
قد تيقَّنت أنَّه ليس للحـــــىِّ ... خلودٌ ولا من الموت بُـــــدٌّ
إنما أنت مستعيرةُ ما ســـــــ ... ـــوفَ تُردين والعــوارى تُرَدُّ

●●●●●

فما أهلُ الحياة لنا بأهـــــلٍ ... ولا دارُ الحياة لنا بـــــدارِ
ومـــا أموالنا والأهلُ فيها ... ولا أولادُنا إلا عَـــوارِى
وأنفُسُنا إلى أجــلٍ قريـــبٍ ... سيأخُذُها المعيرُ من المُعارِ

مفارقة الجسد للروح لا تقع إلا بعد ألم عظيم تذوقه الروح والجسد **جميعاً**،

---

(١) سورة الأعراف: آية ٢٥ .

(٢) سورة طه: آية: ٥٥.

(٣) سورة نوح: آية: ١٧ـ ١٨.

(٤) سورة الزمر: آية ٤٢.

(٥) **ضعيف**: رواه البزار (٣٩٦ـ كشف الأستار) كتاب الصلاة، باب: فيمن نام عن صلاة أونسيها، وفى سنده عتبة بن يقظان وهو ضعيف كما فى «التقريب»(٢/ ٥).

فإن الروح قد تعلقت بهذا الجسد وألفته واشتدت إلفتها له وامتزاجها به ودخولها فيه حتى صارا كالشيء الواحد فلا يتفارقان إلاَّ بجهد شديد وألم عظيم، ولم يذق ابن آدم حياته ألماً مثله وإلى ذلك الإشارة يقول الله عزوجل: **﴿كل نفس ذائقة الموت﴾**[1]. قال الربيع بن خثيم: أكثروا ذكر هذا الموت فإنكم لم تذوقوا قبله مثله، ويتزايد الألم بمعرفة المحتضر فإن جسده إذا فارقته الروح صار جيفة مستقذرة يأكله الهوام ويبليه التراب حتى يعود تراباً، وإن الروح المفارقة له لا تدرى أين مستقرها هل هو فى الجنة أوالنار، فإن كان عاصياً مصراً على المعصية إلى الموت فربما غلب على ظنه أن روحه تصير إلى النار فتتضاعف بذلك حسرته وألمه، وربما كشف له مع ذلك عن مقعده من النار فرآه أو يبشر بذلك فيجتمع به مع كرب الموت وألمه العظيم معرفته بسوء مصيره، وهذا هو المراد بقول الله عزجل: **﴿والتفت الساق بالساق﴾**[2]، على ما فسر به كثير من السلف فيجتمع عليه سكرة الموت مع حسرة الفوت فلا يسأل عن سوء حاله، وقد سمى الله تعالى ذلك سكرة؛ لأن ألم الموت مع ما ينضم إليه يسكر صاحبه فيغيب عقله غالبا قال الله تعالى: **﴿وجاءت سكرةُ الموت بالحق﴾**[3]:

ألا للموتِ كأسٌ أى كأسٍ ... وأنتَ لكأسِهِ لابدَّ حاسِى

إلى كَمْ والمماتُ إلى قريبٍ ... تُذَكِّرُ بالممات وأنتَ ناسِى

وقد أمر النبى ﷺ بكثرة ذكر الموت فقال: **«أكثروا ذكر هادم اللذات»**[4]

---

(١) سورة آل عمران: آية: ١٨٥.

(٢) سورة القيامة: آية ٢٩.

(٣) سورة ق: آية ١٩.

(٤) **صحيح**. رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٩/ ٢٥٢) والخطيب فى «تاريخه» (١٢/ ٧٢) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه، ورواه أحمد (٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) ، الترمذى (٢٣٠٧) والنسائى (٤/ ٤) وابن ماجه (٤٢٥٨) والقضاعى فى «مسند الشهاب» (٦٦٨/ ٦٦٩/ ٦٧٠) والخطيب البغدادى فى «تاريخه» (١/ ٣٨٤) و(٩/ ٤٧٠) ونعيم بن حماد فى «زيادات الزهد» لابن المبارك (١٤٦) والحاكم (٤/ ٣٢١) وابن حبان (٢٩٩٢و٢٩٩٣و٢٩٩٤و٢٢٩٥ ـ احسان) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وسنده حسن وقوله ﷺ: «هاذم اللذات» بالذال المعجمة، بمعنى قاطعها، أو بالمهملة، من هدم البناء، والمراد: الموت، وهو هادم اللذات، إما لأن ذكره يزهد فيها، أو لأنه إذا جاء ما يُبقى من لذائذ الدنيا شيئاً.

يعنى الموت، وفى حديث مرسل أنه ﷺ مر بمجلس قد استعلاه الضحك فقال: «**شَوِّبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات، الموت**»[1]، وفى الإكثار من ذكر الموت فوائد منها: أنه يحث على الاستعداد له قبل نزوله، ويقصر الأمل، ويرضى بالقليل من الرزق، ويزهد فى الدنيا، ويرغب فى الآخرة، ويهون مصائب الدنيا، ويمنع من الأشر والبطر والتوسع فى لذات الدنيا، وفى حديث أبى ذر المرفوع الذى خرجه ابن حبان فى صحيحه وغيره: «**أن صحف موسى كانت عبراً كلها** «عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب، عجبت لمن رأى الدنيا وسرعة تقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها»[2]. وقد روى أن الكنز الذى كان للغلامين كان لوحا من الذهب مكتوب فيه هذا أيضاً، قال الحسن: إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم فالتمسوا عيشاً لا موت فيه، وقال: فضح الموت الدنيا فلم يدع لذى لب بها فرحاً، وقال غيره: ذهب الموت بلذاذة كل عيش، وسرور كل نعيم، ثم بكى وقال: واهاً لدار لا موت فيها.

اذْكُرِ المَوْتَ هادِمَ اللـــــذَّاتِ ... وتهيَّأْ لمصرعٍ سَوعفَ يأتى

غـــيره

يا غافل القلبِ عن ذكر المنيَّـاتِ ... عمَّا قليلٍ ستُلْقَى بيَنَ أمـــــواتِ
فاذكرْ محلَّكَ من قبل الحلولِ به ... وتُبْ إلى اللهِ منْ لَهْوٍ ولــــذَّاتِ
إن الحِمَامَ له وقتٌ إلى أجـــلٍ ... فاذْكُرْ مصائب أيامٍ وساعـــاتِ[3]
لا تطمئنَّ إلى الدنيا وزينتـــها ... قد آن للموت يا ذا اللُّبِّ أن يأتـى

قال بعض السلف: شيئان قطعا عنى لذاذة الدنيا: ذكر الموت، والوقوف بين يدى الله عزوجل.

---

(١) **ضعيف**: رواه ابن أبى الدنيا فى «ذكر الموت» عن عطاء الخراسانى مرسلاً.

(٢) **ضعيف جدا**: رواه ابن حبان (٣٦١ـ احسان) والطبرانى فى «الكبير» (٢/ ١٥٧) رقم (١٦٥١) وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ١٦٦ـ١٦٨) وفى سنده إبرهيم بن هشام بن يحيى الغسانى الدمشقى ، قال أبو حاتم: كذاب «الجرح والتعديل» (٢/ ١٤٢ـ ١٤٣) وقال الذهبى: متروك وكذبه أبو زرعة، كما فى «ميزان الاعتدال» (١/ ٧٣و٣٧٨٤).

(٣) الحمام : الموت .

وكيف يلذ العيش من كان موقنا بـأن المنايا بغتة ستعاجله

وكيف يلذ العيش من كان موقنا بأن إله الخلق لابد سائله

قال أبو الدرداء: كفى بالموت واعظاً، وكفى بالدهر مفرقاً، اليوم فى الدور وغداً فى القبور.

اذكر الموت وداوم ذكره إن فى الموت لذى اللب عبر

وكفى بالموت فاعلم واعظاً لمن الموت عليه قد قدر

غفلة الإنسان عن الموت مع أنه لابد له منه من العجب والموجب له طول الأمل.

كلنا فى غفلة والمـ ـوت يغدو ويروح

لبنى الدنيا من المـ ـوت غبوق وصبوح

سيصير المرء يوما جسداً ما فيه روح

بين عينى كل حى علم الموت يلوح

نح على نفسك يا مسكـ ـين إن كنت تنوح

لتموتن ولو عمـ ـرت ما عمر نوح

لما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبى من الأنبياء حتى يخير، ولذلك وقع التردد فيه فى حق المؤمن كما فى حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ: «يقول الله عزوجل: وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى فى قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته[1]، ولابد له منه». كما رواه البخارى، وقال ابن أبى مليكة: «لما قبض إبراهيم عليه السلام قال الله عز وجل له: كيف وجدت الموت؟ قال: يارب كأن نفسى تنزع بالبلى فقال: هذا وقد هونا عليك الموت». وقال أبو إسحاق: قيل لموسى عليه السلام: كيف وجدت طعم الموت قال: وجدته كسفود أدخل فى صوف فاجتذب. قال: هذا وقد هونا عليك الموت، ويروى أن عيسى عليه السلام كان إذا ذكر الموت يقطر جلده دماً،

---

(١) رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق ، باب: التواضع من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

وكان يقول للحواريين ادعوا الله أن يخفف عنى الموت فلقد خفت الموت خوفا أوقفنى مخافة الموت على الموت كيف يطمع فى البقاء وما من الأنبياء إلا من مات أم كيف يؤمن هجوم المنايا ولم يسلم الأصفياء والأحباء هيهات هيهات .

قد مات كل نبى ومات كل بنيــــه

ومات كل شريف وعاقل وسفيــــه

لا يوحشنك طريق كل الخلائق فيــــه

أول ما أعلم النبى ﷺ من انقضاء عمره باقترات أجله بنزول سورة **﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾** وقيل لابن عباس رضى الله عنهما هل كان يعلم رسول الله ﷺ متى يموت قال نعم قيل ومن أين قال إن الله تعالى جعل علامة موته فى هذه السورة **﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾** يعنى فتح مكة **﴿ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا﴾** ذلك علامة موته وقد كان نعى نفسه إلى فاطمة عليها السلام فإن المراد من هذه السورة أنك يا محمد إذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس فى دينك الذى دعوتهم إليه أفواجا فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار فإنه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ وما عندنا خير لك من الدينا فاستعد للنقلة إلينا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة نعيت لرسول الله ﷺ نفسه فأخذ فى أشد ما كان اجتهادا فى أمر الاخرة[1] وروى فى حديث أنه تعبد حتى صار كالشن البالى وكان يعرض القرآن كل عام على جبريل مرة فعرضه ذلك العام مرتين[2] وكان يعتكف العشر الأواخر من رمضان كل عام فاعتكف فى ذلك العام عشرين وأكثر من الذكر والاستغفار قالت أم سلمة كان رسول الله ﷺ فى آخر أمره لايقوم ولايقعد ولا يذهب ولا يجئ إلا قال

---

(١) حسن . رواه الطبرانى فى «الكبير» (١١/ ٣٢٨) رقم (١١٩٠٣) وفى «الأوسط» (٢/ ٢٨٤) رقم (١٩٩٦) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ٢٣) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بأسانيد وأحد أسانيده رجاله رجال الصحيح .

(٢) قالت فاطمة الزهراء رضى الله عنها: أخبرنى أبى أن جبريل كان يعارضه القرآن فى كل سنة مرة، وإنه عارضه الآن مرتين. ، وإنى لا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقى الله واصبرى. فإنه نعم السلف أنا لك رواه البخارى (٣٦٢٣) ومسلم (٦١٩٦) والنسائى فى «الوفاة» (٢) وابن ماجه (١٦٢١) .

سبحان الله وبحمده فذكرت ذلك له فقال إنى أمرت بذلك وتلا هذه السورة[1] وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل موته سبحانه الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه فقلت له أنك تدعو بدعاء لم تكن تدعو به قبل اليوم قال إن ربى أخبرى أننى سأرى علما فى أمتى وإنى إذا رأيته أن أسبح بحمده وأستغفره وقد رأيته[2] ثم تلا هذه السورة. إذا كان سيد المحسنين يؤمر بأن يختم أعماله بالحسنى فكيف يكون حال المذنب المسئ المتلوث بالذنوب المحتاج إلى التطهير من لم ينذره باقتراب أجله وحيٌ أنذره الشيب وسلب أقرانه بالموت .

كفى مؤذنا باقتراب الأجل	شباب تولى وشيب نـــــزل
وموت الأقران وهل بعده	بقاء يؤمله من عقـــــــــل
إذا ارتحلت قرناء الفتـــى	على حكم ريب المنون ارتحل

قال وهب بن الورد إن لله ملكًا ينادى فى السماء كل يوم وليلة أبناء الخمسين زرع دنا حصاده أبناء الستين هلموا إلى الحساب أبناء السبعين ماذا قدمتم وماذا أخرتم أبناء الثمانين لا عذر لكم. وعن وهب قال ينادى مناد أبناء الستين عدوا أنفسكم فى الموتى وفى صحيح البخارى عن أبى هرير عن النبى ﷺ قال أعذر الله إلى من بلغه ستين من عمره [3] وفى حديث آخر إذا كان يوم القيامة نودى أين أبناء الستين وهو العمر الذى قال الله فيـه **﴿ أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر﴾** [4] وفى الترمذى عنه ﷺ قال أعمار أمتى مابين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك[5] وفى حديث آخر معترك المنايا مابين الستين إلى

---

(١) حسن. رواه الطبرى فى «تفسيره» (٣٠/ ٣٣٥) وابن مردويه كما فى «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٩) .

(٢) صحيح. رواه أحمد (٦/ ٣٥) الطبرى في «تفسيره» (٣٠/ ٣٣٥) وعزاه السيوطى فى «الدر المنثور» (٦/ ٦٦٩) إلى مسلم وابن أبى شيبة وعزاه ابن كثير فى «تفسيره» (٨/ ٢٩٥) لمسلم .

(٣) رواه البخارى (٦٤١٩) كتاب الرقاق، باب: من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه فى العُمر .

(٤) ضعيف. رواه ابن أبى حاتم فى «تفسيره» (١٠/ ٣١٨٤) رقم (١٨٠٠٦) والطبرى فى «تفسيره» (٢٢/ ١٤١) وفى سنده ابراهيم بن الفضل المخزومى وهو ضعيف وقال النسائى: متروك «ميزان الاعتدال» (١/ ١٦٥) والآية رقم ٣٧ من سورة فاطر .

(٥) حسن. رواه الترمذى (٢٣٣١، ٣٥٥٠) وابن ماجه (٤٢٣٦) والحاكم (٢/ ٤٢٧) والبيهقى (٣/ ٣٧٠) وابن حبان (٢٩٨٠ - إحسان) وأبو يعلى (٥٩٩٠، ٦٦٥٦) والقضاعى فى «مسند الشهاب» (٢٥٢) والخطيب البغدادى فى «تاريخه» (٦/ ٣٩٧) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

السبعين[١] وفى حديث آخر «إن لكل شئ حصاداً وحصاد أمتى مابين الستين إلى السبعين» وفى هذا المعترك قبض النبى ﷺ .

قال سفيان الثورى من بلغ من رسول الله ﷺ فليتخذ لنفسه كفنا .

وان امرأ قد سار ستين حجة   إلى منهل من ورده لقريب

قال الفضيل لرجل كم أتى عليك قال ستون سنة قال له أنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ فقال الرجل إنا لله وإنا إليه راجعون فقال فضيل من علم أنه لله عبد وأنه إليه راجع فليعلم أنه موقوف وأنه مسئول فليعد للمسألة جوابا فقال له الرجل فما الحيلة قال يسيرة قال ماهى قال تحسن فيما بقى يغفر لك مامضى فإنك إن أسأت فيما بقى أخذت بما مضى ومابقى

خذ فى جد فقد تولى العمر   كم ذا التفريط قد تدانى الأمــر

أقبل فعسى يقبل منك العذر   كم تبنى كم تنقض كم ذا القـدر

وما زال ﷺ يُعرِّض باقتراب أجله فى آخر عمره فإنه لما خطب فى حجة الوداع قال للناس خذوا عنى مناسككم فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا[٢] وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع فلما رجع من حجته إلى المدينة جمع الناس بماء يدعى خمًا فى طريقه بين مكة والمدينة فخطبهم وقال أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب[٣] ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته ثم أنه لما بدأ به مرض الموت خير بين لقاء الله وبين زهرة الدنيا والبقاء فيها ماشاء الله فاختار لقاء الله وخطب الناس وأشار إليهم بذلك إشارة من غير تصريح وكان ابتداء مرضه فى أواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما

---

(١) ضعيف . رواه أبو يعلى (١١/ ٤٢٢) رقم (٦٥٤٣) والبيهقى فى «شعب الإيمان» (٧/ ٢٦٤) رقم (١٠٢٥٣) والخطيب البغدادى فى «تاريخه» (٥/ ٤٧٦) والقضاعى فى «مسند الشهاب» (٢٥١) والرامهرمزى في «الأمثال» (ص٩٠ - ٩١) وفى سنده إبراهيم بن الفضل المخزومى وهو ضعيف وقال النسائى: متروك «ميزان الاعتدال» (١/ ١٦٥) .

(٢) رواه مسلم (٣٠٧٩) كتاب الحج، باب: استحباب رمى جمرة العقبة يوم النحر. وأبو داود فى «المناسك» (١٩٧٠) باب: فى رمى الجمار. والنسائى فى «المناسك» (٥/ ٢٧٠) باب: الركوب إلى الجمار واستظلال المحرم، من حديث جابر رضى الله عنه .

(٣) رواه مسلم (٦١٠٨) كتاب الفضائل. باب: فضائل على بن أبى طالب رضى الله عنه .

فى المشهور وقيل أربعة عشر يوما وقيل اثنا عشر يوما وقيل عشرة أيام وهو غريب وكانت خطبته التى خطب بها فى حديث أبى سعيد هذا الذى نتكلم عليه ههنا فى ابتداء مرضه ففى المسند وصحيح ابن حبان عن أبى سعيد الخدرى قال خرج الينا رسول الله ﷺ فى مرضه الذى مات فيه وهو معصوب الرأس فقام على المنبر فقال إن عبدًا عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة قال فلم يفطن لها أحد من القوم إلا أبو بكر فقال بأبى وأمى بل نفديك باموالنا وأنفسنا وأولادنا قال ثم هبط عن المنبر فما رؤى عليه حتى الساعة [1] وفى المسند عن أبى مويهبة أن النبى ﷺ خرج ليلة إلى البقيع فاستغفر لأهل البقيع وقال ليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى ثم قال يا أبا موبهية أنى قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة ثم انصرف فابتدأه وجعه الذى قبضه الله فيه [2] لما قويت معرفة الرسول ﷺ بربه ازداد حبه له وشوقه إلى لقائه فلما خير بين البقاء فى الدنيا وبين لقاء ربه اختار لقاءه على خزائن الدنيا والبقاء فيها.

سئل الشبلى هل يقنع المحب بشئ من حبيبه دون مشاهدته فأنشد

والله لو انك توجتنى	بتاج كسرى ملك المشرق
ولو بأموال الورى جدت لى	أموال من باد ومن قد بقى
وقلت لى لا نلتقى ساعة	اخترت يا مولاى أن نلتقى

لما عرّضَ الرسول ﷺ على المنبر باختياره للقاء على البقاء ولم يصرح خفى المعنى على كثير ممن سمع ولم يفهم المقصود غير صاحبه الخصيص به ﴿**ثانى اثنين اذهما فى الغار**﴾[3] وكان أعلم الأمة بمقاصد الرسول ﷺ فلما فهم المقصود من هذه الاشارة بكى وقال بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا فسكن الرسول ﷺ

(١) صحيح. رواه احمد (٣/ ٩١) والدارمى (١/ ٥٠) رقم (٧٧) والحاكم (٤/ ٢٨٢) وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) صحيح . رواه أحمد (٣/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩) والطبرانى فى «الكبير» (٢٢/ ٣٤٧) رقم (٨٧٢) والدارمى (١/ ٥٧) رقم (٧٨) والحاكم (٣/ ٥٥ ـ ٥٦) والبيهقى فى «الدلائل» (٧/ ٣١٢) وأبو نعيم فى «الحلية» (٢/ ٢٧) والدولابى فى «الكنى»(١/ ٥٧ ـ ٥٨)وابن اسحاق كما فى«السيرة النبوية»لابن هشام (٢/ ٢٠٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٣) سورة التوبة : آية ٤٠ .

جزعه وأخذ فى مدحه والثناء عليه على المنبر ليعلم الناس كلهم فضله ولا يقع عليه اختلاف فى خلافته فقال:«**ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر**»[1] وفى رواية أخرى انه قال :«**ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ماخلا أبا بكر فإن له عندنا يدًا يكافئه الله يوم القيامة بها وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر**»[2] خرجه الترمذى ثم قال رسول الله ﷺ «لو كنت متخذا من أهل الارض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام» [3] لما كان رسول الله ﷺ خليل الله لم يصلح له أن يخالل مخلوقا فإن الخليل من جرت محبة خليله منه مجرى الروح ولا يصلح هذا لبشر كما قيل:

قد تخللت ملك الروح منى   وبذا سمى الخليل خليلا

ولهذا المعنى قيل ان ابراهيم الخليل عليه السلام أمر بذبح ولده ولم يكن المقصود إراقة دم الولد بل تفريغ محل الخلة لمن لا يصلح أن يزاحمه فيها أحد

أروح وقد ختمت على فؤادى   بحبك أن يحل به سواكا
فلو أنى استطعت غضضت طرفى   فلم أنظر به حتى أراكا

ثم قال ﷺ : «**لا يبقين خوخة فى المسجد الا سدت الاخوخة أبى بكر**» وفى رواية «سدوا هذه الابواب الشارعة فى المسجد إلا باب أبى بكر» وفى هذا الإشارة إلى أن أبا بكر هو الامام بعده فإن الإمام يحتاج إلى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين المصلين فى المسجد ثم أكد هذا المعنى بأمره صريحا أن يصلى بالناس أبو بكر فروجع فى ذلك [4] فغضب وقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فولاه امامة الصلاة دون غيره وأبقى استطراقه من داره إلى مكان الصلاة وسد استطراق غيره وفى ذلك إشارة واضحة إلى استخلافه

---

(١) رواه البخارى فى «الصلاة» (٤٦٦) باب الخوخة والممر فى المسجد. ومسلم (٦٠٥٣) كتاب الفضائل، باب: فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه. والترمذى فى «المناقب» (٣٦٦٠) باب: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً والنسائى فى «المناقب» فى «الكبرى» (٥/ ٣٥) رقم (٨١٠٣).

(٢) ضعيف. رواه الترمذى (٣٦٦١) وفى سنده محبوب بن محرز وهو لين الحديث كما فى «التقريب» (٢/ ٢٣١) وداود بن يزيد الأودى ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ٢٣٥) ويزيد بن عبد الرحمن الأودى مقبول كما فى «التقريب» (٢/ ٣٦٨).

(٣) متفق عليه، وقد تقدم.

(٤) راجعته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها خشية أن يجد الناس في نفوسهم على أبى بكر . .

على الأمة دون غيره ولهذا قالت الصحابة عند بيعة أبى بكر رضيه رسول الله ﷺ لديننا فكيف لا نرضاه لدنيانا، ولما قال أبو بكر قد أقلتكم بيعتى قال على لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله ﷺ فمن ذا يؤخرك لما انطوى بساط النبوة من الأرض بوفاة الرسول ﷺ لم يبق على وجه الارض أكمل من درجة الصديقية وأبو بكر رأس الصديقين فلهذا استحق خلافة الرسول والقيام مقامه وكان النبى ﷺ قد عزم على أن يكتب لابى بكر كتابًا لئلا يُختلف عليه ثم أعرض عن ذلك لعلمه أنه لا يقع غيره وقال (**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**)[1] وربما كان ترك ذلك لئلا يتوهم متوهم ان نصه على خلافته كانت مكافأة ليده التى كانت له والولايات كلها لا يقصد بها مصلحة المولى بل مصلحة المسلمين عامة وكان أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من مرضه وجع رأسه ولهذا خطب وقد عصب رأسه بعضابة دسماء وكان صداع الرأس والشقيقة يعتريه كثيرًا فى حياته ويتألم منه أيامًا وصداع الرأس من علامات أهل الايمان وأهل الجنة وقد روى عن النبى ﷺ انه وصف أهل النار فقال (**هم الذين لا يألمون رؤسهم**)[2] ودخل عليه أعرابى فقال له (**يا أعرابى هل أخذك هذا الصداع فقال وما الصداع قال عروق تضرب على الانسان فى رأسه فقال ما وجدت هذا فلما ولى الأعرابى قال النبى ﷺ من أحب أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا**) [3] خرجه الامام أحمد والنسائى وقال كعب أجد فى التوراة لولا أن يحزن عبدى المؤمن لعصبت الكافربعصابة من حـــديد لا يصدع أبدًا وفى المسند عن عائشة رضى الله عنها قالت دخـــل علىّ رسول الله ﷺ فى اليوم الذى بدئ فيه فقلت وارأساه فقال: **وددت أن ذلك كان وأنا حـــى فهيأتك ودفنتك فقلت غيراء كأنى بك فى ذلك اليوم عروسًا ببعض نسائك فقال أنا وارأساه ادعو لى أباك وأخاك حتى أكتب لأبى بـــكر كتابًا** فإنى أخـاف أن يقول

---

(١) رواه مسلم (٦٠٦٤٠) كتاب الفضائل ،باب: فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

(٢) ضعيف. رواه أحمد (٢/٥٠٨) والطيالسى(٢٥٥١) والبيهقى فى «شعب الايمان»(٧/١٧٨) رقم (٩٩١٢) والعقيلى فى «الضعفاء» (١/١٦١) وفى سنده البراء بن يزيد الغنوى وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/٩٥). ومعنى لا يألمون رؤسهم أى لا يصيبهم وجع الراس، ولا يألمون رؤسهم على غرار قولهم ألم بطنه أى أوجعه، أو أصابه الوجع.

(٣) حسن. رواه أحمد (٢/٣٣٢) والنسائى فى «الكبرى» فى «الطب» (٤/٣٥٣) رقم)٧٤٩١) والبزار(١/٣٦٩) رقم (٧٧٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

قائل ويتمنى متمن ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر[1] وخرجه البخارى بمعناه ولفظه أن عائشة رضى الله عنها قالت وارأساه فقال رسول الله ﷺ **ذاك لو كان وأنا حى فاستغفرلك وأدعو لك** قالت عائشة واثكلاه والله أنى لأظنك تحب موتى ولو كان ذلك لظلت آخر يومك معرسًا ببعض أزواجك فقال النبى ﷺ **بل أنا وارأساه** وذكر بقية الحديث [2] وفى المسند أيضا عنها قالت كان رسول الله ﷺ اذا مر ببابى كثيرًا ما يلقى الكلمة ينفع الله بها فمر ذات يوم فلم يقل شيئا مرتين أو ثلاثا قلت يا جارية ضعى لى وسادة على الباب وعصبت رأسى فمر بى وقال: **يا عائشة ما شأنك فقلت** اشتكى رأسى فقال: **أنا وارأساه** فذهب فلم يلبث إلا يسيرًا حتى جئ به محمولاً فى كساء فدخل على فبعث إلى النساء وقال إنى اشتكيت إنى لا أستطيع أن أدور بينكن فأذن لى فلأكن عند عائشة)[3]وفيه أيضا عنها قالت رجع إلى النبى ﷺ ذات يوم من جنازة بالبقيع وأنا أجد صداعًا فى رأسى وأنا أقول وارأساه ثم قال: **ما ضرك لومت قبلى فغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك** فقلت لكأنى بك والله لو فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتى فاعرست فيه ببعض نسائك فتبسم رسول الله ﷺ ثم بدئ فى وجعه الذى مات فيه[4] فقد تبين أن أول مرضه كان صداع الرأس والظاهر أنه كان مع حمى فان الحمى اشتدت به فى مرضه فكان يجلس فى مخضب ويصب عليه الماء من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن يتبرد بذلك[5] و كان عليه قطيفة فكانت حرارة الحمى تصيب من وضع يده عليه من فوقها فقيل له فى ذلك فقال: **إنا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الاجر**[6]

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٦/ ١٤٤).

(٢) رواه البخارى (٥٦٦٦) كتاب المرضى ،باب: ما رُخص للمريض أن يقول. إنى وجع، أو وارأساه.

(٣) حسن . رواه أحمد (٦/ ٢١٩) .

(٤) حسن . رواه أحمد (٦/ ٢٢٨) والدارمى (١/ ٥١) رقم (٨٠) والنسائى فى «كتاب الوفاة» (٣) وابن ماجه (١٤٦٥) والدارقطنى (٢/ ٧٤) وابن حبان (٦٥٨٦) وابن اسحاق كما فى (السيرة النبوية) لابن هشام (٢/ ٢٠١) والبيهقى (٣/ ٣٩٦) وفى «الدلائل» (٧/ ١٦٨ ـ ١٦٩).

(٥) رواه البخارى (١٩٨) كتاب الوضوء، باب: الغسل والوضوء فى المخصب. وقال الحافظ ابن حجر: قال الخطابى: يشبه أن يكون خص السبع تبركاً بهذا العدد لأن له دخولاً فى كثير من أمور الشريعة وأصل الخلقة. وفى رواية للطبرانى فى هذا الحديث« من آبار شتى» والظاهر أن ذلك للتداوى لقوله فى رواية أخرى فى الصحيح « لعلى أستريح فاعهد» أى أوصى.

(٦) **صحيح**. رواه أبو يعلى (٢/ ٣١٣) رقم (١٤٤) وابن ماجه (٤٠٢٤) والحاكم (٤/ ٣٠٧) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: دخلت على النبى ﷺ وهو يوعك. فوضعت يدى عليه ، فوجدت حرّه بين يَدَىَّ فوق اللحاف ، فقلت: يا رسول الله ما أشدها عليك، قال« إنا كذلك يُضَعَّفُ لنا البلاء =

وقال: **إني أوعك كما يوعك رجلان منكم** [١] ومن شدة وجعه كان يغمى عليه فى مرضه ثم يفيق وحصل له ذلك غير مرة فأغمى عليه مرة وظنوا أن وجعه ذات الجنب فلدوه فلما أفاق أنكر ذلك وأمر أن يلد من لده وقال (**إن الله لم يكن ليسلطها علي** [٢] يعنى ذات الجنب ولكنه من الأكلة التى أكلتها يوم خيبر يعنى أنه نقض عليه سم الشاة التى أهدتها له اليهودية فأكل منها يومئذ فكان ذلك يثور عليه احيانا فقال فى مرض موته مازالت أكلة خيبر تعاودنى فهذا أوان انقطاع أبهرى [٣] وكان ابن مسعود وغيره يقولون إنه مات شهيدًا من السم. وقالت عائشة: ما رأيت أحدًا كان أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ [٤] وكان عنده فى مرضه سبعة

= ويضعف لنا الأجر» قلت: يا رسول الله أى الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: « الأنبياء » قلت: يا رسول الله ثم من؟ قال: « ثم الصالحون. إنْ كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يُحَوِّ بها وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء».

(١) رواه البخارى فى «المرض» (٥٦٤٧) باب: شدة المرض. ومسلم فى «البر والصلة» (٦٤٣٧) باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن وأحمد (١/ ٣٨١، ٤٤١) والنسائى فى «الكبرى فى «الطب» (٧٥٠٣و٧٥٠٥). من حديث ابن مسعود رضى الله عنه . والوعك الحمى، وقيل: ألمها

(٢) رواه البخارى (٤٤٥٨) كتاب المغازى، باب: مرض النبى ﷺ. ومسلم (٥٦٥٧) كتاب الطب، باب: كراهة التداوى باللدود. وأحمد (٦/ ٥٣) من حديث عائشة رضى الله عنها. .

قال النووى: اللدود بفتح اللام هو الدواء الذى يُصب فى أحد جانبى فم المريض ويُسقاه ، لم ويدخل هناك بأصبع وغيرها ويحنك به. . . وإنما أمر ﷺ بلدهم عقوبة لهم حين خالفوه فى إشارته إليهم لا تلدونى، ففيه أن الاشارة المفهمة تصريح العبارة فى نحو هذه المسألة: وفيه تعذير المتعدى بنحو من فعله الذى تعدى به إلا أن يكون فعلاً محرماً .

وقال الحافظ ابن حجر: قال ابن العربى: أراد أن لا يأتوا يوم القيامة وعليهم حقه فيقعوا فى خطب عظيم، وتعقب بأنه كان يمكن العفو لأنه كان لا ينتهم لنفسه، والذى يظهر أنه أراد بذلك تأديبهم لئلا يعودوا، فكان ذلك تأديباً لا قصاصاً ولا انتقاماً. قيل وإنما كره اللد مع أنه كان يتداوى لأنه تحقق أنه يموت فى مرضه ومن حقق ذلك كُرِه له التداوى. قلت: وفيه نظر، والذى يظهر أن ذلك كان قبل التخيير والتحقق، وإنما أنكر التداوى لأنه كان غير ملائم لدائه، لأنه ظنوا أن به ذات الجنب فداووه بما يلائمها ولم يكن به ذلك كما هو ظاهر فى سياق الخبر كما ترى، والله أعلم . «الفتح» (٧/ ٧٥٤). .

(٣) حسن. رواه الحاكم (٣/ ٥٨) والبيهقى فى «الدلائل» (٧/ ١٧٢) والبخارى تعليقاً (٤٤٢٨). وروى أحمد (٦/ ١٨) وعبد الرزاق (١٩٨١٥) وأبو داود (٤٥١٣) والحاكم (٣/ ٢١٩) بسند صحيح عن أم مبشر قالت: دخلت على رسول الله ﷺ فى وجعه الذى قبض فيه فقلت بأبى أنت يا رسول الله ما تتهم بنفسك فإنى لا أتهم بابنى إلا الطعام الذى أكله معك بخيبر ـ وكان ابنها بشر بن البراء بن معرور مات قبل النبى ﷺ وآله وسلم ـ فقال رسول الله ﷺ : « **وأنا لا أتهم غيرها هذا أوان انقطاع أبهرى**» قال الحافظ ابن حجر: قال أهل اللغة: الأبهر عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه. وقال الخطابى: يقال إن القلب متصل به «الفتح» (٧/ ٨٣٧).

(٤) رواه البخارى فى «المرضى» (٥٦٤٦) باب: شدة المرض. ومسلم (٦٤٣٥) باب: شدة المرض. ومسلم (٦٤٣٥) كتاب البر والصلة ،باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن. وأحمد (٦/ ١٧٣) والنسائى فى كتاب «الوفاة» (١١) وابن ماجه فى «الجنائز» (١٦٢٢) باب : ماجاء فى ذكر مرض رسول الله ﷺ .

دنانير فكان يأمرهم بالصدقة بها ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه فدعا بها فوضعها في كفه وقال: **ما ظن محمد بربه لو لقى الله وعنده هذه ثم تصدق بها كلها** [1] فكيف يكون حال من لقى الله وعنده دماء المسلمين وأموالهم المحرمة وما ظنه بربه ولم يكن عندهم فى مرضه دهن للمصباح يوقد فيه فلما اشتد وجعه ليلة الاثنين أرسلت عائشة بالمصباح الى امرأة من النساء فقالت قطرى لنا فى مصباحنا من عكة السمن فان رسول الله ﷺ أمسى فى جديد الموت وكان عند عائشة ازار غليظ مما يصنع باليمن وكساء من الملبدة فكانت تقسم بالله أن رسول الله ﷺ قبض فيهما [2] ودخلت عليه فاطمة عليها السلام فى مرضه فسارها بشئ فبكت ثم سارها فضحكت فسئلت عن ذلك فقالت لا أفشى سر رسول الله ﷺ فلما توفى سئلت فقالت أخبرنى أنه يموت فى مرضه فبكيت ثم أخبرنى انى أول أهله لحوقا به وأنى سيدة نساء العالمين فضحكت [3] فلما احتضر ﷺ اشتد به الأمر فقالت عائشة ما أغبط أحداً يهون عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ [4] قالت وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعنى على سكرات الموت قالت وجعل يقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات [5] وفى حديث مرسل أنه قال اللهم انك تأخـــذ الروح من بين العصب والقصب والانامل اللهم فاعنى على الموت وهونه علىّ [6] ولما ثقل النبى ﷺ جعل

---

(١) حسن. رواه أحمد (٦/ ٤٩و٨٦و١٠٤و١٨٢) وابن حيان (٧١٥ ـ و٣٢١٢و٢١١٣ إحسان) والبغوى فى «شرح السنة» ـ(٦/ ١٥٦) رقم (١٦٥٨) والبيهقى فى «شعب الايمان» (٧/ ٣١٦) رقم (١٠٤٣٤)..

(٢) رواه البخارى (٥٨١٨) كتاب اللباس ،باب: الاكسية والخمائص. ومسلم (٥٣٤٣) كتاب اللباس والزينة، باب: التواضع فى اللباس. وأحمد (٦/ ٣٢, ١٣١) وأبو داود فى «اللباس» (٤٠٣٦) باب: لباس الغليظ والترمذى فى «اللباس» (١٧٣٣) باب: ما جاء فى ليس الصوف. وابن ماجه فى «اللباس» (٣٥٥١) باب: لباس رسول الله ﷺ.

(٣) رواه البخارى فى «المناقب» (٣٦٤٣) باب: علامات النبوة فى الإسلام. ومسلم (٦١٩٦) كتاب الفضائل، باب: فضائل فاطمة بنت النبى ﷺ. والنسائي فى «الوفاة» (٢) وابن ماجه فى «الجنائز» (١٦٢١) باب: ما جاء فى ذكر مرض رسول الله ﷺ

(٤) رواه البخارى (٤٤٤٦) كتاب المغازى، باب: مرض النبى ﷺ ووفاته.

(٥) **ضعيف**. رواه أحمد (٦/ ٦٤، ٧٠، ٧٧، ١٥١) والترمذى (٩٧٨) وفى «الشمائل» (٣٢٤) والنسائى فى كتاب الوفاة (٢٥) وفى «عمل اليوم والليلة» (١١٠١) وابن ماجه (١٦٢٣) والحاكم (٣/ ٥٦ ٠ ٥٧) وابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٢٥٨) وفى سنده موسى بن سرجس وهو مستور كما فى «التقريب» (٢/ ٢٨٣). والحديث رواه البخارى من طريق آخر ولكن دون قوله «اللهم أعنى على سكرات الموت».

(٦) **ضعيف لإرساله**. رواه ابن أبى الدنيا فى «ذكر الموت» عن طعمة بن غيلان الجعفي كما فى «كنز العمال» (٣٧٦٨).

يتغشاه الكرب قالت فاطمة عليها السلام واكرب أبتاه فقال لها لا كرب على أبيك بعد اليوم [١] وفى حديث خرجه ابن ماجه انه ﷺ قال لفاطمة انه قد حضر من أبيك ما ليس الله بتارك منه أحد الموافاة يوم القيامة [٢] ولم يقبض ﷺ حتى خير مرة أخرى بين الدنيا والآخرة قالت عائشة كان النبى ﷺ يقول انه لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخبر فلما نزل به ورأسه على فخذى غشى عليه ساعة ثم أفاق فاشخص بصره الى سقف البيت ثم قال: **اللهم الرفيق الأعلى** فقلت الآن لا يختارنا وعلمت أنه **الحديث الذى كان يحدثنا هو صحيح فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها**[٣] وفى رواية انه قال اللهم اغفرلى وارحمنى وألحقنى بالرفيق الأعلى [٤] وفى رواية انه أصابه بحة شديدة فسمعته يقول **﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾** قالت فظننت انه خير[٥]. وهذه الروايات مخرجة فى صحيح البخارى وغيره. وقد روى ما يدل على أنه قبض ثم رأى مقعده من الجنة ثم ردت إليه نفسه ثم خُير، ففى المسند عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يقول: «**ما من نبى إلاّ يقبض نفسه، ثم يرى الثواب، ثم ترد إليه فيخير بين أن ترد إليه أو يلحق**»، فكنت قد حفظت ذلك منه، فإنى لمسندته إلى صدرى فنظرت إليه حتى مالت عنقه فقلت: قد قضى، قالت: فعرفت الذى قال: فنظرت إليه حتى ارتفع ونظر فقالت: إذا والله لا يختارنا، فقال: مع الرفيق الأعلى فى الجنة **﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾**. إلى آخر الآية [٦]، وفى

---

(١) رواه البخارى (٤٤٦٢) كتاب المغازى ، باب مرض النبى ﷺ ووفاته .

(٢) حسن. رواه الترمذى فى «الشمائل» (٣٣٤) والبيهقى فى «الدلائل» (٧/ ٢١٢) وابن ماجه(١٦٢٩) كتاب الجنائز باب: ذكر وفاته ودفنه ﷺ والذهبى فى «سير أعلام النبلاء »(١٤/ ٥١٧) وفى سنده عبد الله بن الزبير بن معبد الباهلى وهو مقبول كما فى «التقريب» (١/ ٤١٥) ولكن تابعه المبارك بن فضالة.

(٣) رواه البخارى (٤٤٣٧) كتاب المغازى، باب: مرض النبى ﷺ ووفاته. ومسلم (٦١٨٠) كتاب الفضائل، باب: فضائل عائشة رضى الله عنها.

(٤) رواه البخارى (٤٤٤٠) كتاب المغازى، باب: مرض النبى ﷺ ووفاته . ومسلم (٦١٧٦) كتاب الفضائل ،باب: فضائل عائشة رضى الله عنها. وأحمد (٦/ ٢٣١) والترمذى فى «الدعوات» (٣٤٩٦) والنسائى فى كتاب «الوفاة» (٢٩) وفى «عمل اليوم والليلة» (١١٠٣).

(٥) رواه البخارى (٤٤٣٥) كتاب المغازى ،باب: مرض النبى ﷺ ووفاته. ومسلم (٦١٧٨) كتاب الفضائل ،باب: فضائل عائشة رضى الله عنها والنسائى فى كتاب «الوفاة» (٢٧) وفى «عمل اليوم والليلة» (١١٠٢) وابن ماجه فى «الجنائز»(١٦٢٠) باب: ما جاء فى ذكر مرض رسول الله ﷺ والآية رقم ٦٩ من سورة النساء.

(٦) ضعيف. رواه أحمد (٦/ ٧٤) وفى سنده المطلب بن عبد الله بن حنطب وهو لم يدرك عائشة وروايته عنها مرسلة كما قال أبو حاتم الرازى فى «المراسيل» (٢١٠) وفى «الجرح والتعديل) (٨/ ترجمة ١٦٤٤).

صحيح ابن حبان عنها قالت: أغمى على رسول الله ﷺ ورأسه فى حجرى فجعلت أمسحه وأدعو له بالشفاء فلما أفاق قال: «**لا بل أسأل الله الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل وإسرافيل**[1]»، وفيه وفى المسند عنها: أنها كانت ترقيه في مرضه الذى مات فيه فقال: «**ارفعى يدك فإنها كانت تنفعنى فى المدة**»[2] . قال الحسن لما كرهت الأنبياء الموت هون الله ذلك عليهم بلقاء الله وبكل ما أحبوا من تحفة أو كرامة حتى أن نفس أحدهم لتنزع من بين جنبيه وهو يحب ذلك، لما قد مثل له. وفى المسند عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: «**إنه ليهون علىَّ الموت إنى رأيت بياض كف عائشة فى الجنة**»[3]، وخرّجه ابن سعد وغيره مرسلاً، إنه ﷺ قال: «**لقد أريتها فى الجنة ليهون بذلك علىّ موتى كأنى أرى كفيها**»[4] يعنى عائشة، كان النبى ﷺ يحب عائشة رضى الله عنها حبًّا شديداً حتى لا يكاد يصبر عنها فمثلت له بين يديه فى الجنة ليهون عليه موته فإن العيش إنما يطيب باجتماع الأحبة، وقد سأله رجل: «**أى النساء أحب إليك؟ فقال: عائشة، فقال له فمن الرجال؟ قال أبوها**[5]. ولهذا قال لها فى ابتداء مرضه لما قالت: وارأساه: «**وددت أن ذلك كان وأنا حى فأصلى عليك وأدفنك**»[6]، فعظم ذلك عليها وظنت أنه يحب فراقها وإنما كان يريد تعجيلها بين يديه ليقرب اجتماعهما، وقد كانت عائشة مضغت له ﷺ سواكاً وطيبته بريقها ثم دفعته إليه فاستن به أحسن استنان ثم ذهب يتناوله فضعفت يده عنه فسقط من يده فكانت عائشة تقول: جمع الله بين ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة[7]، والحديث مخرج فى الصحيحين. وفى حديث خرّجه العقيلى أنه ﷺ قال لها فى مرضه: «**ائتينى بسواك رطب امضغيه، ثم ائتينى به أمضغه لكى يختلط ريقى بريقك لكى يهون به علىّ عند الموت**»[8] قال جعفر بن محمد عن أبيه لمّا بقى مِنَ

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان (٦٥٩١ ـ احسان) والنسائى فى «عمل اليوم والليلة» (١١٠٥)

(٢) حسن. رواه أحمد (٦/ ٢٦٠ ـ ٢٦١) وابن حيان (٢٩٦٢ ـ احسان)

(٢) ـ ضعيف. رواه احمد (٦/ ١٣٨) وفى سنده مصعب بن إسحاق بن طلحة وهو لم يوثقه غير ابن حيان ولم يرو عنه غير إسماعيل بن أبى خالد، فهو مجهول والله أعلم.

(٤) ضعيف لإرسالة. ورواه الطبرانى فى «الكبير» (٢٣/ ٣٩) رقم (٩٨) بلفظ وإنه ليهون على الموت» إنى أرتيك زوجتى فى الجنة» وفى إسناده الإمام أبو حنيفة النعمان وهو مع جلالته وإمامته فى الفقه إلا أنه ضعيف فى الحديث.

(٥) رواه البخارى فى «فضائل الصحابة» (٣٦٦٢) باب: قول النبى ﷺ:«لو كنت متخذاً خليلاً». ومسلم (٦٠٦٠) كتاب الفضائل، باب: فضائل أبى بكر الصديق. والترمذى فى «المناقب»(٣٨٨٥) باب: فضل عائشة رضى الله عنها.

(٦) صحيح. رواه أحمد (٦/ ١٤٤) والنسائى فى «كتاب الوفاة» (٥) من حديث عائشة رضى الله عنها.

(٧)رواه البخارى (٤٤٥٠و٤٤٥١) كتاب المغازى ،باب مرض النبىﷺ ووفاته. أحمد (٦/ ٤٨, ٢٧٤).

(٨) رواه العقيلى كما فى دائما فى السادة المتقين» (١٠/ ٢٨٨).

أجل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل عليه السلام فقال: يا أحمد إن الله قد أرسلنى إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك، وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك: كيف تجدك؟ فقال: أجدنى يا جبريل مغموماً، وأجدنى يا جبريل مكروباً»، ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال له مثل ذلك، ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال له مثل ذلك ثم استأذن فيه ملك الموت فقال جبريل: يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمى كان قبلك ولا يستأذن على آدمى بعدك قال: «ائذن له» فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال: يا رسول الله يا أحمد إن الله أرسلنى إليك وأمرنى أن أطيعك فى كل ما تأمر إن أمرتنى أن أقبض نفسك قبضتها، وإن أمرتنى أن أتركها تركتها؟ قال: «وتفعل ذلك يا ملك الموت»، قال: بذلك أمرت، أن أطيعك فى كل ما أمرتنى به، فقال جبريل: يا أحمد إن الله قد اشتاق إليك، قال: «فامض يا ملك الموت لما أمرت به» فقال جبريل عليه السلام: «السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطئ من الأرض إنما كنت حاجتى من الدنيا» وجاءت التعزية يسمعون الصوت والحس ولا يرون الشخص: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته: **﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾[1] إن فى الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركاً من كل فائت فبالله فاتقوا، وإياه فارجوا، إنما المصاب من حرم الثواب، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**[2].

وكانت وفاته ﷺ فى يوم الإثنين فى شهر ربيع الأول بغير خلاف[3]، وكان قد كشف الستر فى ذلك اليوم والناس فى صلاة الصبح خلف أبى بكر فهم المسلمون أن يفتنوا من فرحهم برؤيته ﷺ حين نظروا إلى وجهه كأنه ورقة مصحف وظنوا أنه يخرج للصلاة فأشار إليهم أن مكانكم ثم أرخى الستر وتوفى ﷺ من ذلك اليوم[4]، وظن المسلمون أنه ﷺ قد برئ من مرضه لما أصبح

(١) سورة آل عمران: آية ١٨٥

(٢) ضعيف جداً وإن لم يكن موضوعاً. رواه الطبرانى فى «الكبير» (٣/ ١٣٩ - ١٤٠) رقم (٢٨٩٠) موصولاً عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن حسن عن الحسين رضى الله عنه وفى سنده عبد الله ابن ميمون القداح، وهو منكر الحديث، متروك كما فى «التقريب» ١٠/ ٤٥٥). والحديث رواه البيهقى فى «دلائل النبوة» (٧/ ٢١٠ - ٢١١) من طريق آخر وفى سنده الحسين بن حميد بن الربيع الكوفى وهو كذاب. انظر ترجمته فى «تاريخ بغداد (٨/ ٣٨) و«لسان الميزان» (٢/ ٣٤٤) و«الكامل» لابن عدى (٢/ ٣٦٨).

(٣) قال الحافظ ابن حجر وكانت وفاته ﷺ يوم الإثنين بلا خلاف من ربيع الأول وكاد يكون إجماعا الفتح» (٧/ ٧٣٦)

(٤) رواه البخارى (٦٨٠)، كتاب الأذان، باب: أهل العلم والفضل أحق بالإمامة. و(٤٤٤٨) كتاب المغازى، باب: مرض النبى ﷺ ووفاته. ومسلم (٩١٩) كتاب الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر. واحمد (٣/ ١٦٣) والترمذى فى «الشمائل» (٣٢٢) من حديث أنس رضى الله عنه.

يوم الإثنين مفيقاً فخرج أبو بكر إلى منزله بالسنح خارج المدينة، فلما ارتفع الضحى من ذلك اليوم توفى رسول الله ﷺ، وقيل توفى حين زاغت الشمس، والأول أصح، وأنه توفى حين اشتد الضحى من يوم الإثنين فى مثل الوقت الذى دخل فيه المدينة حين هاجر إليها.

واختلفوا فى تعيين ذلك اليوم من الشهر، فقيل: كان أوله، وقيل: ثانية، قيل: ثانى عشرة، وقيل: ثالث عشرة، وقيل خامس عشرة، والمشهور بين الناس: إنه كان ثانى عشر ربيع الأول، وقد رد ذلك السهيلى وغيره بأن وقفة حجة الوداع فى السنة العاشرة كانت الجمعة كان أول ذى الحجة فيها الخميس ومتى كان كذلك لم يصح أن يكون يوم الإثنين ثانى عشر ربيع الأول سواء حسبت الشهور الثلاثة أعنى: ذا الحجة ومحرماً وصفراً كلها كاملة أو ناقصة أو بعضها كاملة وبعضها ناقصة، ولكن أجيب عن هذا بجواب حسن وهو أن ابن إسحاق ذكر أن النبى ﷺ توفى لاثنتى عشرة ليلة من ربيع الأول وهذا ممكن فإن العرب تؤرخ بالليالى دون الأيام ولكن لا تؤرخ إلاَّ بليلة مضى يومها فيكون اليوم تبعاً لليلة، وكل ليلة لم يمض يومها لم يعتد بها، كذلك إذا ذكروا الليالى فى عدد فإنهم يريدون بها الليالى مع أيامها، فإذا قالوا عشر ليال فمرادهم بأيامها، ومن هنا يتبين صحة قول الجمهور فى أن عدة الوفاة أربعة أشهر وعشر ليال بأيامها، وأن اليوم العاشر من جملة تمام العدة خلافاً للأوزاعى، وكذلك قال الجمهور فى أشهر الحج: إنها شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة، وأن يوم النحر داخل فيها لهذا المعنى خلافاً للشافعى وحينئذ، فيوم الإثنين الذى توفى فيه النبى ﷺ كان ثالث عشر الشهر لكن لما لم يكن يومه قد مضى لم يؤرخ بليلته إنما أرخوا بليلة الأحد ويومها وهو الثانى عشر فلذلك قال ابن إسحاق توفى لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول والله أعلم[1].

واختلفوا فى وقت دفنه فقيل: دفن من ساعته. وفيه بُعد، وقيل: من ليلة الثلاثاء، وقيل: يوم الثلاثاء، وقيل: ليلة الأربعاء[2]، ولما توفى ﷺ اضطرب المسلمون فمنهم من دهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم ينطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال: إنما بعث إليه كما بعث إلى موسى، وكان من هؤلاء عمر، وبلغ الخبر أبا بكر فأقبل مسرعاً حتى دخل بيت عائشة ورسول الله ﷺ مسجى فكشف عن وجهه الثوب وأكب

(١) ورجح الحافظ ابن حجر فى «الفتح» أن يوم الوفاة هو اليوم الثانى من ربيع الأول، ولم يرتض هذا التأويل الذى ذكره ابن رجب ـ رحمه الله ـ والله أعلم.

(٢) والراجح أنه ﷺ دفن ليلة الأربعاء، وأما الغسل والكفن فحصل يوم الثلاثاء. والله أعلم.

عليه وقبل جبهته مراراً وهو يبكي وهو يقول: وانبياه، واخليلاه، واصفياه، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله رسول الله ﷺ، وقال: والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد متها، ثم دخل المسجد وعمر يكلم الناس وهم مجتمعون عليه فتكلم أبو بكر وتشهد وحمد الله فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال: من كان يعبد محمداً فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت وتلا: **﴿وما محمد إلاَّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقَلَبتم على أعقابكم﴾** (1)... الآية. فاستيقنَ الناس كلهم بموته وكأنهم لم يسمعوا هذه الآية من قبل أن يتلوها أبو بكر فتلقاها الناس منه فما يسمع أحد إلا يتلوها (2)، وقالت فاطمة عليها السلام: يا أبتاه أجاب ربا دعاه. يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه، يا أبتاه من ربه ما أدناه (3)، وعاشت بعده ستة أشهر فما ضحكت فى تلك المدة وحق لها ذلك.

على مثل ليلى يقتل المـــــرء نفسه   وإن كان من ليلى على الهجر طاويا

كل المصائب تهون عند هذه المصيبة. فى سنن ابن ماجة أنه ﷺ قال فى مرضه: «يا أيها الناس إنْ أحد من الناس أو المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بى عن المصيبة التى تصيبه بغيرى، فإن أحداً من أمتى لن يصاب بمصيبة بعدى أشد عليه من مصيبتى(4)»، قال أبو الجوزاء(5): كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه ويقول: يا عبد الله، اتق الله، فإن فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

اصبر لكل مصيبة وتجلد   واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صَبَرَ الكرام فإنها   نُوَبٌ تنوبُ اليوم تكشف فى غد(6)

---

(1) سورة آل عمران: اية ١٤٤.

(2) رواه البخارى (٤٥٢) و٤٥٣، ٤٤٥٤) كتاب المغازى باب: مرض النبى ﷺ ووفاته. دون قول أبى بكر وانبياه، واخليلاه، واصفياه وهذه الزيادة رواها أحمد (٦/ ٣١، ٢١٩) والترمذى فى «الشمائل» (٣٢٨) بسند حسن.

(3) رواه البخارى (٤٤٦٢) كتاب المغازى، باب: مرض النبى ﷺ ووفاته.

(4) حسن. رواه ابن ماجه (١٥٩٩) كتاب الجنائز باب: ما جاء فى الصبر على المصيبة، وفى سنده موسى ابن عبيدة الزبدى، وهو ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ٢٨٦) ولكن للحديث شواهد تقويه. وانظر «الصحيحة» (١١٠٦)

(5) أبو الجوزاء: هو أوس بن عبد الله الربعى البصرى ،من كبار العلماء، وكان أحد العُبَّاد الذين قاموا على الحجاج فقيل إنه قتل يوم الجماجم «سير أعلام النبلاء» (٤٠/ ٣٧١)

(6) النُّوَب: جمع نائبة وحمى المصيبة.

وإذا أتتك مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصابك بالنبى محمد [(١)]

ولبعضهم:

تذكرت لما فرق الدهر بيننا ... فعزيت نفسى بالنبى محمد
وقلت لها إن المنايا سبيلنا ... فمن لم يمت فى يومه مات فى غد

كانت الجمادات تتصدع من ألم مفارقة الرسول ﷺ فكيف بقلوب المؤمنين، لما فقده الجذع الذى كان يخطب إليه قبل اتخاذ المنبر حَنّ إليه وصاح كما يصيح الصبى فنزل إليه فاعتنقه فحعل يهدى كما يهدى[(٢)] الصبى الذى يسكن عند بكائه، فقال: لو لم أعتنقه لحن إلىّ يوم القيامة [(٣)]. كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خشبة تَحِنُّ إلى رسول الله ﷺ فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه، وروى أن بلالاً كان يؤذن بعد وفاة النبى ﷺ قبل دفنه فإذا قال: أشهد أن محمداً رسول الله، ارتج المسجد بالبكاء والنحيب، فلما دفن ترك بلال الأذان.

ما أمر عيش من فارق الأحباب، وخصوصا من كانت رؤيته حياة الألباب.

لو ذاق طعم الفراق رضوى ... لكاد من وجده يميـــــد
قدْ حمَّلونى عذاب شـــوق ... يعجز عن حمله الحديد

لما دفن الرسول ﷺ قالت فاطمة: كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ[(٤)]، قال أنس: لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذى دفن فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن رسول الله ﷺ التراب وإنا لفى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا[(٥)].

---

(١) تشجى: تحزن.

(٢) أى يُهَّدأ، فاسقط الهمزة.

(٣) **صحيح**. رواه أحمد (١/ ٢٤٩, ٢٦٣, ٢٦٧) وابن ماجه (١٤١٥) والطبرانى (١٢, ١٨٧)رقم (١١٢٨٤) والدارمى (١/ ٣٢) رقم (٣٨) وأبو نعيم فى «دلائل النبوة» (ص ١٤٢) وابن سعد فى «الطبقات» (١/ ٢٥٢) من حديث ابن عباس رضى الله عنه.

(٤) رواه البخارى (٤٤٦٢) كتاب المغازى، باب: مرض النبى ﷺ ووفاته. من حديث أنس رضى الله عنه.

(٥) **صحيح**. رواه أحمد (٣/ ٢٢١, ٢٦٨) والترمذى (٣٦١٨) وفى «الشمائل» (٣٢٩) وابن ماجه(١٦٣١) والحاكم (٣/ ٥٧) وابن حبان (٦٦٣٤ ـ احسان) وابن سعد (٢٧٤٢) والبغوى فى شرح السنة (٣٨٣٤) وقول أنس رضى الله عنه: أنكرنا قلوبنا: هذا تعبير عن اللوعة بفقد أكرم الرسل ﷺ ، وأنها ساعة شديدة حتى أنكروا أنفسهم من شدة الحزن وانقطاع الوحى وفقد الصحبة.

لیبك رسول الله من كان باكيا — فلا تنس قبراً بالمدينة ثاوياً
جزى الله عنا كل خير محمداً — فقد كان مهديا وقد كان هادياً
وكان رسول الله روحاً ورحمة — ونوراً وبرهاناً من الله بادياً
وكان رسول الله بالخير آمراً — وكان عن الفحشاء والسوء ناهياً
وكان رسول الله بالقسط قائماً — وكان لما استرعاه مولاه راعياً[1]
وكان رسول الله يدعو إلى الهدى — فلبى رسول الله لبيه داعياً
أينسى أبر الناس بالناس كلهم — وأكرمهم بيتاً وشعباً وواديأ
أينسى رسول الله أكرم من مشى — وآثاره بالمسجدين كما هيأ
تكدر من بعد النبى محمد — عليه السلام كل ما كان صافياً
ركنا إلى الدنيا الدنية بعده — وكشفت الأطماع منا مساوياً
وكم من منار كان أوضحه لنا — ومِن علم أمسى وأصبح عافياً[2]
إذا المرء لم يلبس ثياباً من التُقى — تقلب عرياناً وإن كان كاسياً
وخير خصال المرء طاعة ربه — ولا خير فيمن كان لله عاصياً

●●●●●

(١) القسط: العدل

(٢)العلم: العلامة، وأراد به هنا ما يقتدى به. والعافى: الدارس.

وظيفة شهر رجب

خرَّجا فى الصحيحين من حديث أبى بكرة أن النبى ﷺ خطب فى حجة الوداع فقال فى خطبته: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان»[1]، وذكر الحديث. قال الله عزوجل: ﴿**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم**﴾[2]، فأخبر سبحانه أنه منذ خلق السموات والأرض وخلق الليل والنهار يدوران فى الفلك وخلق ما فى السماء من الشمس والقمر والنجوم، وجعل الشمس والقمر يسبحان فى الفلك وينشأ منهما ظلمة الليل وبياض النهار فمن حينئذ جعل السنة اثنى عشر شهراً بحسب الهلال، فالسنة فى الشرع مقدورة بسير القمر وطلوعه لا بسير الشمس وانتقالها كما يفعله أهل الكتاب، وجعل الله تعالى من هذه الأشهر أربعة أشهر حرما وقد فسرها النبى ﷺ فى هذا الحديث وذكر أنها ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو شهر رجب، وهذا قد يستدل به من يقول إنها من سنتين وقد روى من حديث ابن عمر مرفوعاً: «أولهم رجب[3]»، وفى إسناده موسى بن عبيدة وفيه ضعف شديد من قبل حفظه. وقد حكى عن أهل المدينة أنهم جعلوها من سنتين وأن أولها ذو القعدة ثم ذو الحجة ثم المحرم ثم رجب فيكون رجب آخرها، وعن بعض المدنيين: أن أولها رجب ثم ذو القعدة ثم ذو الحجة ثم المحرم، وعن بعض أهل الكوفة: أنها من سنة واحدة أولها المحرم ثم رجب ثم ذو القعدة ثم ذو الحجة، واختلف فى أى هذه الأشهر الحرم أفضل؟ فقيل: رجب، قاله بعض الشافعية

---

(١) رواه البخارى فى «المغازى» (٤٤٠٦) باب: حجة الوداع. ومسلم (٤٣٠٤) كتاب الحدود، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال.

(٢) سورة النور: آية ٣٦.

(٣) ضعيف. رواه الطبرى فى «تفسيره» (١٠/١٢٤) وفى سنده موسى بن عبيدة وهو ضعيف كما فى «التقريب» (٢/٢٨٦)

وضعفه النووى وغيره، وقيل: المحرم، قاله الحسن ورجحه النووى، وقيل: ذو الحجة، روى عن سعيد بن جبير وغيره، وهو أظهر والله أعلم.

وقوله ﷺ : «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً »، مراده بذلك إبطال ما كانت الجاهلية تفعله من النسىء كما قال تعالى: ﴿**إنما النسىء زيادة فى الكفر يُضل به الذين كفروا يُحلونه عاماً ويُحرمونه عاماً ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله**[1]﴾، وقد اختلف فى تفسير النسىء فقالت طائفة: كانوا يبدلون بعض الأشهر الحرم بغيرها من الأشهر فيحرمونها بدلها ويحلون ما أرادوا تحليله من الأشهر الحرم إذا احتاجوا إلى ذلك ولكن لا يزيدون فى عدد الأشهر الهلالية شيئاً، ثم من أهل هذه المقالة من قال: كانوا يحلون المحرم فيستحلون القتال فيه لطول مدة التحريم عليهم بتوالى ثلاثة أشهر محرمة، ثم يحرمون صفر مكانه، فكأنهم يقترضونه ثم يوفونه، ومنهم من قال: كانوا يحلون المحرم مع صفر من عام ويسمونهما صفرين ثم يحرمونهما من عام قابل ويسمونهما محرمين، قاله ابن زيد بن أسلم ، وقيل: بل كانوا ربما احتاجوا إلى صفر أيضاً فأحلوه وجعلوا مكانه ربيعاً، ثم يدور كذلك التحريم والتحليل والتأخير إلى أن جاء الإسلام ووافق حجة الوداع صار رجوع التحريم إلى محرم الحقيقى وهذا هو الذى رجحه أبو عبيد، وعلى هذا فالتغيير إنما وقع فى عين الأشهر الحرم خاصة، وقالت طائفة أخرى: بل كانوا يزيدون فى عدد شهور السنة، وظاهر الآية يشعر بذلك حيث قال الله تعالى: ﴿**إنّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً**﴾ فذكر هذا توطئة لهدم النسىء وإبطاله، ثم مَن هؤلاء من قال: كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً، قاله مجاهد وأبو مالك، قال أبو مالك: كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً، ويجعلون المحرم صفراً.

وقال مجاهد: كانوا يسقطون المحرم ثم يقولون: صفرين لصفر وربيع الأول وربيع الآخر، ثم يقولون: شهر ربيع، ثم يقولون: لرمضان شعبان ولشوال رمضان، ولذى القعدة شوال، ولذى الحجة ذو القعدة على وجه ما ابتدأوا، وللمحرم ذو الحجة فيعدون ما ناسؤوا على مستقبله على وجه ما ابتدأوا، وعنه[2]

---

(١) سورة التوبة: آية ٣٧

(٢) أى مجاهد.

قال: كانت الجاهلية يحجون فى كل شهر من شهور السنة عامين فوافق حج رسول الله ﷺ فى ذى الحجة فقال: «**هذا يوم استدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**». ومن هؤلاء من قال: كانت الجاهلية يجعلون الشهور اثنى عشر شهراً وخمسة أيام قاله إياس بن معاوية. وهذا العدد قريب من عدد السنة الرومية، ولهذا جاء فى مراسيل عكرمة بن خالد أن النبى ﷺ قال فى خطبته يوم النحر: «والشهر هكذا وهكذا وهكذا، وخنس إبهامه فى الثالثة: وهكذا وهكذا وهكذا»، يعنى ثلاثين[1]، فأشار إلى أن الشهر هلالى ثم تارة ينقص وتارة يتم، ولعل أهل النسيء كانوا يتمون الشهور كلها ويزيدون عليها والله أعلم، وقد قيل: إن ربيعة ومضر كانوا يحرمون أربعة أشهر من السنة مع اختلافهم فى تعيين رجب منها كما سنذكره إن شاء الله تعالى، وكانت بنوعوف بن لؤى يحرمون من السنة ثمانية أشهر وهذا مبالغة فى الزيادة على ما حرم الله.

واختلفوا فى أى عام عاد الحج إلى ذى الحجة على وجهه، واستدار الزمان فيه كهيئته فقالت طائفة: إنما عاد على وجهه فى حجة الوداع، وأما حجة أبى بكر الصديق فكانت قد وقعت فى ذى القعدة، هذا قول مجاهد وعكرمة بن خالد وغيرهما، وقد قيل: أنه اجتمع فى ذلك العام حج الأمم كلها فى وقت واحد فلذلك سمى يوم الحج الأكبر. وقالت طائفة: بل وقعت حجة الصديق فى ذى الحجة قاله الإمام أحمد، وأنكر قول مجاهد، واستدل: أن النبى ﷺ أمر عليا فنادى يوم النحر لا يحج بعد العام مشرك[2]، وفى رواية واليوم يوم الحج الأكبر، وقد قال الله تعالى: ﴿**وأذانٌ مِّن الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله**﴾[3]، فسماه يوم الحج الأكبر وهذا يدل على أن النداء وقع فى ذى الحجة. وخرج الطبرانى فى أوسطه من حديث عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان العرب يحلون عاماً شهراً، وعاماً شهرين، ولا يصيبون الحج إلاَّ فى كل ستة وعشرين سنة مرة واحدة: وهو النسيء الذى ذكره

---

(١) مرسل، وأصل الحديث فى الصحيحين من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

(٢) رواه البخارى فى «الحج» (١٦٢٢) باب: لا يطوف بالبيت عريان.. ومسلم (٣٢٢٥) كتاب الحج، باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. وأبو داود وفى «المناسك» (١٩٤٦) باب: يوم الحج الأكبر. والنسائى فى «المناسك» (٥/ ٢٣٤) باب: قوله عز وجل ﴿**خذوا زينتكم عند كل مسجد**﴾

(٣) سورة التوبة : آية ٣.

الله فى كتابه، فلما كان حج أبى بكر الصديق بالناس وافق فى ذلك العام الحج فسماه الله يوم الحج الأكبر ثم حج النبى ﷺ فى العام المقبل فاستقبل الناس الأهلة فقال رسول الله ﷺ : «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**»[1]، وقيل بل استدارة الزمان كهيئته كان من عام الفتح.

وخرّج البزار فى مسنده من حديث سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال لهم يوم الفتح: «إن هذا العام الحج الأكبر، قد اجتمع حج المسلمين وحج المشركين فى ثلاثة أيام متتابعات، واجتمع حج اليهود والنصارى فى ستة أيام متتابعات، ولم يجتمع منذ خلق الله السموات والأرض ولا يجتمع بعد العام حتى تقوم الساعة»[2]، وفى إسناده يوسف السمتى وهو ضعيف جدا.

واختلفوا لم سميت هذه الأشهر الأربعة حرماً؟ فقيل: لعظم حرمتها وحرمة الذنب فيها، قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : اختص الله أربعة أشهر جعلهن حرماً، وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، وجعل العمل الصالح والأجر أعظم، قال كعب: اختار الله الزمان فأحبه إلى الله الأشهر الحرم. وقد روى مرفوعاً ولا يصح رفعه، وقد قيل: فى قوله تعالى: ﴿**فَلَا تظلموا فيهن أنفسكم**﴾ أن المراد فى الأشهر الحرم. وقيل: بل فى جميع شهور السنة. وقيل: إنما سميت حرماً؛ لتحريم القتال فيها، وكان ذلك معروفاً فى الجاهلية، وقيل: إنه كان من عهد إبراهيم عليه السلام، وقيل: إن سبب تحريم هذه الأشهر الأربعة بين العرب لأجل التمكن من الحج والعمرة فحرم شهر ذى الحجة لوقوع الحج فيه، وحرم معه شهر ذى القعدة للسير فيه إلى الحج، وشهر المحرم للرجوع فيه من الحج حتى يأمن الحاج على نفسه ومن حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه. وحرم شهر رجب للاعتمار فيه فى وسط السنة فيعتمر فيه من كان قريباً من مكة، وقد شرع الله فى أول الإسلام تحريم القتال فى الشهر الحرام، قال تعالى: ﴿**لا**

---

(١) حسن. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٣/ ١٩٦) رقم (٢٩٠٩).

(٢) ضعيف جدا رواه البزار (١٨٢٦ ـ كشف الأستار) وفى سنده يوسف بن خالد السمتى وهو متروك كما فى والتقريب» (٢/ ٣٨٠) رواه الطبرانى فى «الكبير» (٧/ ٢٠٨). رقم (٧٠٤٠) وفى سنده مجهول.

تُحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وَصَدّ عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل﴾[2]، وخرّج ابن أبى حاتم بإسناده عن جندب بن عبد الله: أن النبى ﷺ بعث رهطاً وبعث عليهم عبد الله بن جحش فلقوا ابن الحضرمى فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك من رجب أو من جمادى فقال المشركون للمسلمين: قتلتم فى الشهر الحرام فأنزل الله عزوجل: ﴿يَسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير﴾[3]. . . . الآية، وروى السدّى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس، وعن مُرة عن ابن مسعود فى هذه الآية فذكروا هذه القصة مبسوطة، وقالوا فيها: فقال المشركون: يزعم محمد أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام؟ فقال المسلمون: إنما قتلناه فى جمادى. وقيل فى أول رجب، وآخر ليلة من جمادى وغمد المسلمين سيوفهم حين دخل شهر رجب، وأنزل الله تعالى تعبيراً لأهل مكة: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير﴾. لا يحل وما صنعتم أنتم يا معشر المشركين أكبر من القتل فى الشهر الحرام حين كفرتم بالله وصددتم عن محمد وأصحابه، وإخراج أهل المسجد الحرام حين أخرجوا منه محمداً ﷺ أكبر من القتل عند الله، وقد روى عن ابن عباس هذا المعنى من رواية العوفى عنه، ومن رواية أبى سعد البقال عن عكرمة عنه، ومن رواية الكلبى عن أبى صالح عنه، وذكر ابن إسحاق أن ذلك كان فى آخر يوم من رجب وأنهم خافوا إن أخروا القتال أن يسبقهم المشركون فيدخلوا الحرم ولم يأخذ من غنيمتهم شيئاً»، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام فقال من بمكة من المسلمين: إنما قتلوهم فى شعبان[4] فلما أكثر الناس فى ذلك نزل قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام

---

(١) سورة المائدة: آية ٢

(٢) سورة البقرة : آية ٢١٧.

(٣) صحيح رواه ابن حاتم فى «تفسير» (٢/ ٣٨٤) رقم (٢٠٢٢) والطبرى فى تفسيره (٢/ ٣٤٩ - ٣٥٠) وأبو يعلى (٣/ ١٠٢) رقم (١٥٣٤) والطبرانى فى «الكبير» (٢/ ١٦٢) رقم (١٦٧٠) والبيهقى فى «السنن الكبرى» (٩/ ١١)

(٤) مرسل: رواه الطبرى فى «تفسير» (٢/ ٢٠٢) والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٣٠/ ١٨) عن عروة بن الزبير رحمة الله.

قتال فيه﴾.. الآية. وروى نحو هذا السياق عن عروة والزهرى وغيرهما، وقيل بأنها كانت أول غنيمة غنمها المسلمون، وقال عبد الله بن جحش فى ذلك وقيل: إنها لأبى بكر الصديق رضى الله عنه :

تعـدون قتلاً فى الحـرام عظيمةً ... وأعظمُ منه لو يرى الرشدَ راشدُ

صـدودكُـمُ عـما يـقـولُ محمدٌ ... وكـفـربــه والله راءٍ وشـاهــدُ

وإخراجُكُم من مسجد الله أهلَهُ ... لئلا يُرى لله فى البيـت ساجـدُ

وقد اختلف العلماء فى حكم القتال فى الأشهر الحرم هل تحريمه باقٍ أو نسخ، فالجمهور على أنه نسخ تحريمه، ونص على نسخه الإمام أحمد وغيره من الأئمة، وذهبت طائفة من السلف: منهم عطاء: إلى بقاء تحريمه، ورجحه بعض المتأخرين واستدلوا بآية المائدة[1]، والمائدة من آخر ما نزل من القرآن، وقد روى: «أحلوا حلالها وحرموا حرامها»[2]، وقيل: ليس فيها منسوخ، وفى المسند أن عائشة رضى الله عنها قالت: «هى آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه»[3]، وروى الإمام أحمد فى مسنده حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا ليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر قال: «لم يكن رسول الله ﷺ يغزو فى الشهر الحرام إلاَّ أن يغزى ويغزو، فإذا حضره أقام حتى ينسلخ»[4]، وذكر بعضهم أن النبى ﷺ حاصر الطائف فى شوال فلما دخل ذو القعدة لم يقاتل بل صابرهم ثم رجع، وكذلك فى عمرة الحديبية لم يقاتل حتى بلغه أن عثمان قتل فبايع على القتال، ثم لمّا بلغه أن ذلك لا حقيقة له كف، واستدل الجمهور بأن الصحابة اشتغلوا بعد النبى ﷺ بفتح البلاد ومواصلة القتال والجهاد، ولم ينقل عن أحد منهم أنه توقف عن القتال وهو طالب

---

(١) وهى قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تحلو شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد﴾ (المائدة: ٢)

(٢) ضعيف رواه أبو عبيد فى «فضائل القرآن» كما فى «الدرالمنثور» (٢/ ٤٤٩) وسنده منقطع.

(٣) صحيح. رواه أحمد (٦/ ١٨٨) والنسائى فى «التفسير » فى «الكبرى» (٦/ ٣٣٣) رقم (١١١٣٨) والحاكم (٢/ ٣١١) والبيهقى (٧/ ١٧٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٤) صحيح. رواه أحمد (٣/ ٣٣٤ و٣٤٥).

له فى شىء من الأشهر الحرم وهذا يدل على إجماعهم على نسخ ذلك، والله أعلم.

ومن عجائب الأشهر الحرم ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنه ذكر عجائب الدنيا فعد منها بأرض عاد عمود نحاس عليه شجرة من نحاس فإذا كان فى الأشهر الحرم قطر منها الماء فملؤا منه حياضهم وسقوا مواشيهم وزروعهم، فإذا ذهب الأشهر الحرم انقطع الماء.

وقوله ﷺ: ورجب مضر» سمى رجب رجباً؛ لأنه كان يرجب أى يعظم، كذا قال الأصمعى والمفضل والفراء، وقيل: لأن الملائكة تترجب للتسبيح والتحميد فيه، وفى ذلك حديث مرفوع إلا أنه موضوع، وأما إضافته إلى مضر فقيل: لأن مضر كانت تزيد فى تعظيمه واحترامه فنسب إليهم لذلك. وقيل: بل كانت ربيعة تحرم رمضان وتحرم مضر رجباً فلذلك سماه رجب مضر، وحقق ذلك بقوله الذى بين جمادى وشعبان، وذكر بعضهم أن لشهر رجب أربعة عشر اسماً: شهر الله، ورجب، ورجب مضر، ومنصل الأسنة، والأصم، والأصب، ومنفس، ومطهر، ومعلى. ومقيم، وهرم، ومقشقش، ومبرىء، وفرد، وذكر غيره: أن له سبعة عشر اسماً فزاد: رجم بالميم، ومنصل الآلة، وهى الحربة، ومنزع الأسنة.

ويتعلق بشهر رجب أحكام كثيرة، فمنها ما كان فى الجاهلية، واختلف العلماء فى استمراره فى الإسلام كالقتال وقد سبق ذكره، وكالذبائح فإنهم كانوا فى الجاهلية يذبحون ذبيحة يسمونها العتيرة واختلف العلماء فى حكمها فى الإسلام فالأكثرون على أن الإسلام أبطلها، وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا فرع ولا عتيرة»[1]، ومنهم من قال: بل هى

(١) رواه البخارى فى «العقيقة» (٥٤٧٤) باب: العتيرة. ومسلم (٥٠٢٤) كتاب الأضاحى، باب: الفرع والعتيرة. وأبو داود فى (الأضاحى» (٢٨٣١) باب: فى العتيرة، والنسائى فى «الفرع والعتيرة» (٧/ ١٦٧) والترمذى فى «الأضاحى » (١٥١٢) باب: ما جاء فى الفرع والعتيرة» وابن ماجه فى «الذبائح» (٢٣٦٨) باب: الفرع والعتيرة».

قال النووى: والفرع أول النتاج كان ينتج لهم فيذبحونه قالوا: والعتيرة ذبيحة كانوا يذبجونها فى العشر الأول من رجب ويسمونها الرجبية أيضاً. واتفق العلماء على تفسير العتيرة بهذا، وأما الفرع ، قال الشافعى وأصحابه وآخرون: هو أول نتاج البهيمة كانوا يذبحونه ولا يملكونه رجاء البركة فى الأم وكثرة نسلها، وهكذا فسره كثيرون من أهل اللغة وغيرهم. وقال كثيرون منهم هو أول النتاج كانوا يذبحونه لآلتهم، وهى طواغيتهم، وكذا جاء فى هذا التفسير فى صحيح البخارى وسنن أبى داود، وقيل: هو=

مستحبة منهم ابن سيرين، وحكاه الإمام أحمد عن أهل البصرة ورجحه طائفة من أهل الحديث المتأخرين ونقل حنبل عن أحمد نحوه، وفى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه عن خنف بن سليم الغامدى أن النبى ﷺ قال بعرفة: «إن على أهل كل بيت فى كل عام أضحية أو عتيرة» وهى التى يسمونها الرجبية[1].

وفى النسائى عن نبيشة أنهم قالوا: يا رسول الله إنا كنا نعتر فيه فى الجاهلية يعنى فى رجب؟ قال: «اذبحوا لله فى أى شهر كان وبروا لله، وأطعموا»[2]، وروى الحرث بن عمرو: أن النبى ﷺ سئل عن الفرع والعتائر؟ فقال: «من شاء فرع، ومن شاء لم يفرع، ومن شاء عتر ومن شاء لم يعتر»[3]. وفى حديث آخر قال: «العتيرة حق»[4]. وفى النسائى عن أبى رزين قال: قلت يا رسول الله كنا نذبح ذبائح فى الجاهلية يعنى فى رجب فنأكل ونطعم من جاءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «لابأس به»[5]. وخرّج الطبرانى بإسناده عن ابن عباس قال: استأذنت

= أول النتاج لمن بلغت إبله مائة يذبحونه ، وقال شمير: قال أبو مالك : كان الرجل إذا بلغت إبله مائة قدم بكراً فنحره لصنمه، ويسمونه الفرع اهـ «شرح النووى على صحيح مسلم» (٦/ ٤٨٤) باختصار يسير.

(١) **ضعيف**. رواه أحمد (٤/ ٢١٥, ٥/ ٧٦) وأبو داود (٢٧٨٨) والترمذى (١٥١٨) والنسائى (٧/ ١٦٨) وابن ماجه (٣١٢٥) وفى سنده أبى رملة واسمه عامر وهو لا يعرف كما قال الحافظ فى «التقريب» (١/ ٣٩٠).

(٢) صحيح . رواه أحمد (٥/ ٧٥ ـ ٧٦) وأبو داود(٢٨٣٠) والنسائى (٧/ ١٦٩, ١٧١) والحاكم (٤/ ٢٣٥) والبيهقى (٩/ ٣١٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٣) **ضعيف**. رواه احمد (٣/ ٤٨٥) والنسائى (٧/ ١٦٨)والطحاوى فى «مشكل الآثار» (١/ ٤٦٦) والحاكم (٤/ ٢٣٦) والبيهقى (٩/ ٣١٢) وفى سنده يحى بن زرارة وهو مقبول كما فى «التقريب» (٢/ ٣٤٧) وأبوه زراره بن كريم الهمى: قال عبد الحق الأشبيلى فى «الأحكام الكبرى»: وزرارة هذا لا يحتج بحديثه قال ابن القطان: يعنى لا يعرف.

(٤) **حسن**. رواه أحمد (٢/ ١٨٢ ـ ١٨٣) وأبو داود (٢٨٤٢) والنسائى (٧/ ١٦٨) والحاكم (٤/ ٢٣٦) والبيهقى (٩/ ٣١٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما.

ومعنى قول النبى ﷺ «العتيرة حق» قال الشافعى معناه أنه ليس بباطل، وقد جاء على وفق كلام السائل ولا يعارضه حديث «لافرع ولاعتيرة» فإنه معناه أنهما ليسا بواجبين قاله السيوطى فى حاشيته على سنن النسائى (٧/ ١٦٨).

(٥) **حسن لغيره**. رواه النسائى (٧/ ١٧١) والبيهقى (٩/ ٣١٢) وفى سنده وكيع بن عدس وهو مقبول كما فى «التقريب» (٢/ ٣٣١) ولكن يشهد له الأحاديث السابقة.

قريش رسول الله ﷺ فى العتيرة؟ فقال: «اعتر كعتر الجاهلية، ولكن من أحب منكم أن يذبح لله فيأكل ويتصدق فليفعل»[(١)]، وهؤلاء جمعوا بين هذه الأحاديث وبين حديث: «لا فرع ولا عتيرة»، بأن المنهى عنه هو ما كان يفعله أهل الجاهلية من الذبح لغير الله، وحمله سفيان بن عيينة على أن المراد به نفى الوجوب، ومن العلماء من قال: حديث أبى هريرة أصح من هذه الأحاديث وأثبت فيكون العمل عليه دونها، وهذه طريقة الإمام أحمد، وروى مبارك بن فضالة عن الحسن قال: ليس فى الإسلام عتيرة إنما كانت العتيرة فى الجاهلية، كان أحدهم يصوم رجب ويعتر فيه، ويشبه الذبح فى رجب اتخاذه موسماً وعيداً كأكل الحلوى ونحوها، وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يكره أن يتخذ رجب عيداً[(٢)]، وروى عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء قال: «كان النبى ﷺ ينهى عن صيام رجب كله لئلا يتخذ عيداً»[(٣)]، وعن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتتخذوا شهراً عيداً، ولا يوماً عيداً»[(٤)]. وأصل هذا: أنه لا يشرع أن يتخذ المسلمون عيداً إلاَّ ما جاءت الشريعة بإتخاذه عيداً، وهو يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق وهى أعياد العام، ويوم الجمعة وهو عيد الأسبوع وما عدا ذلك فاتخاذه عيداً وموسماً بدعة لا أصل له فى الشريعة.

ومن أحكام رجب ما ورد فيه من الصلاة والزكاة والصيام والاعتمار، فأما الصلاة فلم يصح فى شهر رجب صلاة مخصوصة تختص به، والأحاديث المروية فى فضل صلاة الرغائب فى أول ليلة جمعة من شهر رجب كذب وباطل لا تصح، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء. وممن ذكر ذلك من أعيان العلماء المتأخرين من الحفاظ أبو إسماعيل الأنصارى، وأبو بكر بن السمعانى، وأبو الفضل ابن ناصر، وأبو الفرج بن الجوزى وغيرهم، وإنما لم يذكرها المتقدمون لأنها أحدثت بعدهم، وأول ما ظهرت بعد الأربعمائة فلذلك لم يعرفها المتقدمون ولم

---

(١) **ضعيف**. رواه الطبرانى فى «الكبير» (١١/ ٢٣٢) رقم (١١٥٨٦) وفى سنده إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ٣١) وداود بن الحصين ثقة إلا فى عكرمة وهذا الحديث من رواية داود عن عكرمة.

(٢) **ضعيف**. رواه عبد الرزاق (٤/ ٢٩٢) رقم (٧٨٥٤) وفى سنده ابن جريج وهو مدلس وقد عنعنه.

(٣) **ضعيف لإرساله**.

(٤) **ضعيف لإرساله**. رواه عبد الرزاق (٤/ ٢٩١) رقم (٧٨٥٣)

يتكلموا فيها[1]، وأما الصيام فلم يصح فى فضل صوم رجب بخصوصه شىء عن النبى ﷺ ولا عن أصحابه، ولكن روى عن أبى قلابة قال: فى الجنة قصر لصوام رجب[2]، قال البيهقى: أبو قلابة من كبار التابعين لا يقول مثله إلاّ عن بلاغ، وإنما ورد فى صيام الأشهر الحرم كلها حديث مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها: أن النبى ﷺ قال له: «صم من الحرم واترك» قالها ثلاثاً[3] وخرجه أبوداود

(١) صلاة الرغائب موضوعه كما قال المصنف، وصورة هذه الصلاة كما يزعمون أن الرسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يصوم أول خميس من رجب، ثم يصلى فيما بين العشاء والعتمة اثنتى عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، ويقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و﴿**إنا أنزلناه فى ليلة القدر**﴾ ثلاث مرات. و﴿**قل هو الله أحد**﴾ اثنتى عشرة مرة. فإذا فرغ من صلاته صلى علىّ سبعين، يقول: اللهم صل على محمد النبى الأمى وعلى آله، ثم يسجد ويقول فى سجوده سبعين مرة: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز والأكرم، ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثلما قال فى السجدة الأولى، ثم يسأل حاجته فى سجوده، فإنها تقضى، قال رسول الله ﷺ: «لا يصلى أحد هذه الصلاة إلا غفر له الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الشجر ويشفع يوم القيامة فى سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار».

وقد أورد الغزالى هذه الصلاة فى «إحيائه» وقال: فهذه صلاة مستحبة وتعقبه الحافظ العراقى فقال: الحديث فى صلاة الرغائب أورده رزين فى كتابه وهو حديث موضوع.

وجاء فى «كشف الظنون» اختلق بعض الكذابين فى القرن الثالث حديثاً فى فضلها ثم اشتهر فى القرن الرابع، فممن نص على فضلها أبو طالب المكى. وتبعه الغزالى معتمداً على الحديث الموضوع.

وقال العز بن عبد السلام: مما يدل على ابتداع هذه الصلاة، أن العلماء الذين هم أعلام الدين، وأئمة المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين وغيرهم ممن دون الكتب فى الشريعة، مع شدة حرصهم على تعليم الناس الفرائض والسنن لم ينقل عن أحد منهم أنه ذكر هذه الصلاة ولا دوّنها فى كتابه، ولا تعرض لها فى مجالسه، وانظر رسالة «مساجلة علمية بين الإمامين الجليلين العزبن عبد السلام وابن الصلاح حول صلاة الرغائب المبتدعة.».

(٢) باطل. رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» (٣/٣٦٨) رقم (٣٨٠٢) والأصبهانى فى «الترغيب والترهيب» (١٨٤٨) والحديث من قول أبى قلابة وليس من أخبار النبى ﷺ. وأما قول البيهقى: إن أبا قلابة لا يقول هذا الكلام إلا عن بلاغ فهو غير سديد، لأنه يمكن أن يقال هذا الكلام فى كل أثر ورد عن تابعى، بل الصواب أن يقال: إن مثل هذه الأمور لا تقبل إلا إذا وردت بسند صحيح عن النبى ﷺ.

(٣) ضعيف. رواه أحمد (٥/٢٨) وأبو داود (٢٤٢٨) والنسائى (٢/١٣٩) وابن ماجة (١٧٤١) والبيهقى (٤/٢٩١) وفى سنده مجيبة الباهلية وهو مجهول وقيل هى امرأة من الصحابة وفى سنده أيضاً اضطراب فقد رواه النسائي وقال: «عن مجيبة الباهلى عن عمه» وقال ابن ماجة «عن أبى مجيبة الباهلى عن أبيه أو عن عمه» وذكره أبو القاسم البغوى فى «معجم الصحابة» وقال فيه «عن مجيبة ـ يعنى الباهلية ـ قالت: حدثنى أبى أو عمى» وسمى أباها عبد الله بن الحارث، وقال سكن البصرة، روى عن النبى ﷺ =

وغيره، وخرجه ابن ماجة وعنده: «صم أشهر الحرم» وقد كان بعض السلف يصوم الأشهر الحرم كلها، منهم ابن عمر والحسن البصرى وأبو إسحاق السبيعى، وقال الثورى: الأشهر الحرم أحب إلىّ أن أصوم فيها، وجاء فى حديث خرَّجه ابن ماجه أن أسامة بن زيد كان يصوم الأشهر الحرم فقال له رسول الله ﷺ: «صم شوالاً»، فترك أشهر الحرم وصام شوالاً حتى مات[1]، وفى إسناده انقطاع، وخرج ابن ماجة أيضاً بإسناد فيه ضعف عن ابن عباس: «أن النبى ﷺ نهى عن صيام رجب»[2]. والصحيح وقفه على ابن عباس. ورواه عطاء عن النبى ﷺ مرسلاً، وقد سبق لفظه، وروى عبد الرزاق فى كتابه عن داود بن قيس عن زيد بن أسلم: ذُكر لرسول الله ﷺ قوم يصومون رجباً فقال: «أين هم من شعبان»[3]، وروى أزهر بن سعيد الجمحى عن أمه أنها سألت عائشة عن صوم رجب فقالت: «إن كنت صائمة فعليك بشعبان» وروى مرفوعاً، ووقفه أصح، وروى عن عمر رضى الله عنه: أنه كان يضرب أكف الرجال فى صوم رجب حتى يضعوها فى الطعام، ويقول: ما رجب؟ إن رجباً كان يعظمه أهل الجاهلية فلما كان الإسلام ترك[4]، وفى رواية كره أن يكون صيامه سنة، وعن أبى بكرة: أنه رأى أهله يتهيأون لصيام رجب فقال لهم أجعلتم رجب كرمضان، وألقى السلال وكسر الكيزان.

وعن ابن عباس: أنه كره أن يصام رجب كله. وعن ابن عمر وابن عباس أنهما كانا يريان أن يفطر منه أياماً. وكرهه أنس أيضاً وسعيد بن جبير. وكره صيام رجب كله يحيى بن سعيد الأنصارى والإمام أحمد وقال: يفطر منه يوماً أو يومين وحكاه عن ابن عمر وابن عباس، وقال الشافعى فى القديم: أكره أن يتخذ الرجل

= حديثاً. . وذكر هذا الحديث.

قال المنذرى فى مختصر سنن أبى داود» (٣/٣٠٦) أشار بعض شيوخنا إلى تضعيفه من أجل هذا الاختلاف وهو متوجه.

(١) **ضعيف**. رواه ابن ماجة (١٧٤٤) وفى سنده انقطاع بين محمد بن إبراهيم التيمى وبين أسامة بن زيد.

(٢) **ضعيف**. رواه ابن ماجة (١٧٤٣) وفى سنده داود بن عطاء وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/٢٣٣)

(٣) **ضعيف** لإرساله. رواه عبد الرزاق (٨٧٥٨) وابن أبى شيبة (٢/٥١٣/٢)

(٤) **صحيح**. رواه ابن أبى شيبة (٢/٥١٣/١)

صوم شهر يكمله كما يكمل رمضان واحتج بحديث عائشة: «ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل شهراً قط إلاَّ رمضان»[1]، قال: وكذلك يوماً من بين الأيام. وقال: إنما كرهته أن لا يتأسى رجل جاهل فيظن أن ذلك واجب، وإنَّ فعل فحسن، وتزول كراهة إفراد رجب بالصوم بأن يصوم معه شهراً آخر تطوعاً عند بعض أصحابنا، مثل أن يصوم الأشهر الحرم، أو يصوم رجب وشعبان.

وقد تقدم عن ابن عمر وغيره صيام الأشهر الحرم، والمنصوص عن أحمد أنه لا يصومه بتمامه إلاَّ من صام الدهر، وروى عن ابن عمر ما يدل عليه فإنه بلغه أن قوماً أنكروا عليه أنه حرم صوم رجب فقال: كيف بمن يصوم الدهر. وهذا يدل على: أنه لا يصام رجب إلاَّ مع صوم الدهر. وروى يوسف بن عطية عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن عائشة: «أن النبى ﷺ لم يصم بعد رمضان إلاَّ رجباً وشعبان»، ويوسف ضعيف جدًّا، وروى أبو يوسف القاضى عن ابن أبى ليلى عن أخيه عيسى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عائشة: «أن النبى ﷺ كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وربما أخر ذلك حتى يقضيه فى رجب وشعبان». ورواه عمرو بن أبى قيس عن ابن أبى ليلى فلم يذكر فيه «رجبا»، وهو أصح.

وأما الزكاة فقد اعتاد أهل هذه البلاد إخراج الزكاة فى شهر رجب ولا أصل لذلك فى السنة ولا عرف عن أحد من السلف، ولكن روى عن عثمان أنه خطب الناس على المنبر فقال: إن هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فليؤد دينه وليزك ما بقى[2]، خرجه مالك فى الموطأ، وقد قيل: إن ذلك الشهر الذى كانوا يخرجون فيه زكاتهم نُسِىَ ولم يعرف، وقيل: بل كان شهر المحرم لأنه رأس الحول. وقد ذكر الفقهاء من أصحابنا وغيرهم أن الإمام يبعث سعاته لأخذ الزكاة فى المحرم، وقيل بل كان شهر رمضان لفضله وفضل الصدقة فيه وبكل حال فإنما تجب الزكاة إذا تم الحول على النصاب، فكل أحد له حول يخصه بحسب وقت ملكه للنصاب فإذا تم حوله وجب عليه إخراج زكاته فى أى شهر كان، فإن عجل زكاته قبل

(١) رواه مسلم (٢٦٨٠) كتاب الصيام، باب صيام النبى ﷺ فى غير رمضان. والترمذى فى «الصوم» (٧٦٨) باب: ما جاء فى سرد الصوم. والنسائى فى «الصوم» (١٩٩/٤) باب: صوم النبى ﷺ بأبى هو وأمى.

(٢) صحيح. رواه مالك فى«الموطأ» (١/ ٢٥٣/ ١٧)

الحول أجزأه عند جمهور العلماء، وسواء كان تعجيله لاغتنام زمان فاضل أو لاغتنام الصدقة على من لايجد مثله فى الحاجة أو كان لمشقة إخراج الزكاة عليه عند تمام الحول جملة، فيكون التفريق فى طول الحول أرفق به، وقد صرح مجاهد بجواز التعجيل على هذا الوجه وهو مقتضى إطلاق الأكثرين. وخالف فى هذه الصورة إسحاق[1] نقله عنه ابن منصور، وأما إذا حال الحول فليس له التأخير بعد ذلك عند الأكثرين، وعن أحمد يجوز تأخيرها لانتظار قوم لا يجد مثلهم فى الحاجة. وأجاز مالك وأحمد فى رواية نقلها إلى بلد فاضل، فعلى قياس هذا لا يبعد جواز تأخيرها إلى زمن فاضل لا يوجد مثله كرمضان ونحوه، وروى يزيد الرقاشى عن أنس: أن المسلمين كانوا يخرجون زكاتهم فى شعبان تقوية على الاستعداد لرمضان، وفى الإسناد ضعف[2].

وأما الاعتمار فى رجب فقد روى ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ اعتمر فى رجب فأنكرت ذلك عائشة عليه وهو يسمع فسكت[3]، واستحب الاعتمار فى رجب عمر بن الخطاب وغيره، وكانت عائشة تفعله وابن عمر أيضاً. ونقل ابن سيرين عن السلف أنهم كانوا يفعلونه، فإن أفضل الأنساك أن يؤتى بالحج فى سفرة والعمرة فى سفرة أخرى فى غير أشهر الحج وذلك من جملة إتمام الحج والعمرة المأمور به، كذلك قاله جمهور الصحابة كعمر وعثمان وعلى وغيرهم.

وقد روى أنه كان فى شهر رجب حوادث عظيمة ولم يصح شىء من ذلك فروى أن النبى ﷺ ولد فى أول ليلة منه، وأنه بعث فى السابع والعشرين منه، وقيل فى الخامس والعشرين ولا يصح شىء من ذلك.

وروى بإسناد لا يصح عن القاسم بن محمد: أن الإسراء بالنبى ﷺ كان

---

(١) هو اسحاق بن راهويه (٢) يزيد الرقاشى ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ٣٦١).

(٣) رواه البخارى فى «العمرة» (١٧٧٥) باب: كم اعتمر النبى ﷺ. ومسلم (٢٩٨٣ و٢٩٨٤) كتاب الحج، باب: بيان عدد عُمر النبى ﷺ وزمانهن.
وأبو داود فى المناسك» (١٩٩٢) باب: العمرة والترمذى فى «الحج» (٩٣٦) باب: ما جاء فى عمرة رجب والنسائى فى «الكبرى» (٢/ ٤٧٠/ ٤٢١٧) كتاب الحج باب: كم اعتمر النبى ﷺ وابن ماجة فى «المناسك» (٢٩٩٨) باب: العمرة فى رجب.

فى سابع وعشرين من رجب.

وأنكر ذلك إبراهيم الحربى وغيره، وروى عن قيس بن عباد قال: فى اليوم العاشر من رجب: **﴿يَمحو الله ما يَشاء ويُثبت﴾**[1]. وكان أهل الجاهلية يتحرون الدعاء فيه على الظالم، وكان يستجاب لهم ولهم فى ذلك أخبار مشهورة قد ذكرها ابن أبى الدنيا فى كتاب مجاب الدعوة وغيره. وقد ذكر ذلك لعمر بن الخطاب فقال عمر: «إن الله كان يصْنع بهم ذلك ليحجز بعضهم عن بعض، وإن الله جعل الساعة موعدهم **﴿والساعة أدهى وأمر﴾**[2]، وروى زائدة بن أبى الرقاد عن زياد التميمى عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل رجب قال: اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان»[3] .وروى عن أبى إسماعيل الأنصارى أنه قال: لم يصح فى فضل رجب غير هذا الحديث، وفى قوله نظر فإن هذا الإسناد فيه ضعف، وفى هذا الحديث دليل على استحباب الدعاء بالبقاء إلى الأزمان الفاضلة لإدراك الأعمال الصالحة فيها فإن المؤمن لا يزيده عمره إلاَّ خيراً، وخير الناس من طال عمره وحسن عمله، وكان السلف يستحبون أن يموتوا عقب عمل صالح من صوم رمضان أو رجوع من حج. وكان يقال: من مات كذلك غفر له. كان بعض العلماء الصالحين قد مرض قبل شهر رجب فقال: إنى دعوت الله أن يؤخر وفاتى إلى شهر رجب فإنه بلغنى أن لله فيه عتقاء. فبلّغه الله ذلك ومات فى شهر رجب.

شهر رجب مفتاح أشهر الخير والبركة. قال أبو بكر الوراق البلخى: شهر رجب شهر للزرع. وشعبان شهر السقى للزرع، وشهر رمضان شهر حصاد الزرع، وعنه قال: مثل شهر رجب مثل الريح، ومثل شعبان مثل الغيم، ومثل رمضان مثل الفطر. وقال بعضهم: السنة مثل الشجرة وشهر رجب أيام توريقها، وشعبان أيام تفريعها، ورمضان أيام قطفها، والمؤمنون قطافها، جدير بمن سود صحيفته

(١) سورة الرعد: آية ٣٩ .
(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى «مجابو الدعوة» (٢٠).
(٣) ضعيف .رواه أحمد (١/ ٢٥٩) والطبرانى فى «الأوسط» (٣٩٣٩) وفى «الدعاء» (٩١١) وابن السنى فى «عمل اليوم والليلة» (٦٥٩) وأبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ٢٦٩) والبيهقى فى «شعب الإيمان» (٣/ ٣٧٥) رقم (٣٨١٥) وفى سنده زائدة بن أبى الرقاد الباهلى، وهو منكر الحديث كما فى «التقريب» (١/ ٢٥٦)

بالذنوب أن يبيضها بالتوبة فى هذا الشهر، ومن ضيع عمره فى البطالة أن يغتنم فيه ما بقى من العمر.

بَيِّض صحيفتك السوداء فى رجب ... بصالح العمل المُنْجى من اللهب
شهرٌ حرامٌ أتى من أشهر حرم ... إذا دعاَ اللهَ داعٍ فيه لم يَخِبِ
طوبى لعبدٍ زكى فيه له عمل ... فكيف فيه عن الفحشاء والريب

انتهاز الفرصة بالعمل فى هذا الشهر غنيمة واغتنام أوقاته بالطاعات له فضيلة عظيمة:

يا عبد أقبل منيباً واغتنم رجباً ... فإن عفوى عمن تاب قد وجبا
فى هذه الأشهر الأبواب قد فتحت ... للتائبين فكلٌّ نحوْنا هربا
حطوا الركائب فى أبواب رحمتنا ... بحسن ظن فكلٌّ نال ما طلبا
وقد نثرنا عليهم من تعطُّفنا ... نثار حُسنٍ قبول فاز من نَهَبا

●●●●●

وظائف شهر شعبان ويشتمل على مجالس

المجلس الأول فى صيامه

خرَّج الإمام أحمد والنسائى من حديث أسامة بن زيد قال: «كان رسول الله ﷺ يصوم الأيام يسرد حتى نقول لا يفطر ويفطر الأيام حتى لا يكاد يصوم إلاَّ يومين من الجمعة إن كانا فى صيامه وإلاَّ صامهما، ولم يكن يصوم من الشهور ما يصوم من شعبان»، فقلت: يا رسول الله إنك تصوم حتى لا تكاد تفطر وتفطر حتى لا تكاد تصوم إلاَّ يومين إن دخلا فى صيامك وإلاَّ صمتهما؟ قال: «أى يومين» قلت: يوم الإثنين ويوم الخميس. قال: «ذانك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، وأحب أن يعرض عملى وأنا صائم» قلت: ولم أرك تصوم من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع الأعمال فيه إلى رب العالمين عز وجل فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم»[1]، قد تضمن هذا الحديث ذكر صيام رسول الله ﷺ من جميع السنة وصيامه من أيام الأسبوع، وصيامه من شهور السنة، فأما صيامه من السنة فكان يسرد الصوم أحياناً، والفطر أحياناً فيصوم حتى يقال: لا يفطر ويفطر حتى يقال: لا يصوم.

وقد روى ذلك أيضاً عائشة وابن عباس وأنس وغيرهم، ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم»[2]. وفيهما عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يصوم إذا صام حتى يقول القائل: لا والله لايفطر، ويفطر إذا فطر حتى يقول القائل: لا والله لا يصوم»[3]، وفيهما عن أنس أنه سئل عن صيام النبى ﷺ

---

(١) حسن. رواه أحمد (٥/ ٢٠١)

(٢) رواه البخارى (١٩٦٩) كتاب الصوم، باب: صوم شعبان ومسلم (٢٦٧٧) كتاب الصيام ، باب: صوم النبى ﷺ فى غير رمضان. والنسائى فى «الصوم» (٤/ ١٩٩) باب: صوم النبى ﷺ بأبى هو وأمى.

(٣) رواه البخارى (١٩٧١) كتاب الصوم، باب: مايذكر من صوم النبى ﷺ وإفطاره. ومسلم (٢٦٨٠) كتاب الصيام، باب: صوم النبى ﷺ فى غير رمضان. والنسائى فى «الصوم» (٤/ ١٩٩) باب: صوم النبى ﷺ بأبى هو وأمى. وابن ماجة فى «الصوم» (١٧١١) باب: ما جاء فى صيام النبى ﷺ .

فقال: ما كنت أحب أن أراه من الشهر صائماً إلاَّ رأيته ولا مفطراً إلاَّ رأيته، ولا من الليل قائماً إلا رأيته ولا نائماً إلا رأيته[1]. ولمسلم عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى يقال: قد صام ، ويفطر حتى يقال: قد أفطر»[2].

وقد كان رسول الله ﷺ ينكر على من يسرد صوم الدهر ولا يفطر منه ويخبر عن نفسه: أنه لا يفعل ذلك، ففى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو: أن النبى ﷺ قال له: «أتصوم النهار، وتقوم الليل؟» قال: نعم، فقال النبى ﷺ : «لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأنام، وأمسّ النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منّى»[3]، وفيهما عن أنس: «أن نفرا من أصحاب النبى ﷺ قال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش فبلغ ذلك النبى ﷺ فخطب وقال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، لكنى أصلى وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»[4] وخرجه النسائى وزاد فيه: وقال بعضهم: أصوم ولا أفطر، وفى مسند الإمام أحمد عن رجل من الصحابة قال: ذكر لرسول الله ﷺ مولاة لبنى عبد المطلب فقيل: إنها قامت الليل، وتصوم النهار، فقال النبى ﷺ : «لكنى أنا أنام وأصلى، وأصوم وأفطر، فمن اقتدى بى فهو منى، ومن رغب عن سنتى فليس منّى، وإن لكل عمل شدة وفترة، فمن كانت فترته إلى بدعة فقد ضل، ومن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى»[5]. وفى المسند وسنن أبى داود عن عائشة رضى الله عنهما أن عثمان بن مظعون أراد التبتل فقال له رسول الله ﷺ : «أترغب عن سنتى؟» قال: لا والله ولكن سنتك أريد، قال: «فإنى أنام وأصلى، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق

---

(١) رواه البخارى (١٩٧٣) كتاب الصوم، باب: ما يذكر من صوم النبى ﷺ وإفطاره.

(٢) رواه مسلم (٢٦٨٣) كتاب الصيام، باب صيام النبى ﷺ فى غير رمضان.

(٣) رواه البخارى (١٩٧٧) كتاب الصوم، باب: حق الأهل فى الصوم ومسلم (٢٦٨٩) كتاب الصوم، باب: النهى عن صوم الدهر لمن تضرر به. والترمذى فى «الصوم» (٧٧٠) باب: ما جاء فى سرد الصوم» والنسائى فى «الصيام» (٤/ ٢١٣، ٢١٤) باب: صوم عشرة أيام من الشهر. وابن ماجة فى «الصيام» (١٧٠٦) باب: ما جاء فى صيام الدهر. وليس فى الحديث «لكنى أصوم وافطر.. إلخ.

(٤) رواه البخارى (٥٠٦٣) كتاب النكاح، باب الترغيب فى النكاح. ومسلم (٣٣٤٣) كتاب النكاح، باب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج. وأحمد (٣/ ٢٤١) والنسائى (٦/ ٦٠).

(٥) **صحيح**. رواه أحمد (٥/ ٤٠٩) والطحاوى فى «مشكل الآثار» (٢/ ٨٨).

الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقا، وإن لضيفك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، فصم وأفطر، وصل ونم»[1]، وقد قال عكرمة وغيره: إن عثمان بن مظعون وعلى بن أبى طالب والمقداد وسالماً مولى أبى حذيفة فى جماعة تبتلوا فجلسوا فى البيوت واعتزلوا النساء وحرموا طيبات الطعام واللباس إلاَّ ما يأكل، ويلبس أهل السياحة من بنى إسرائيل وهموا بالاختصاء وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت فيهم: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾**[2].

وفى صحيح البخارى أن سلمان زار أبا الدرداء وكان النبى ﷺ قد آخى بينهما فرأى أم الدرداء متبذلة فقال: «ما شأنك متبذلة؟» فقالت: إن أخاك أبا الدرداء لا حاجة له في الدنيا، فلما جاء أبو الدرداء قرب له طعاماً قال له: كل، فقال: إنى صائم فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان: نم، ثم ذهب ليقوم فقال له: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن فقاما فصليا. فقال سلمان: إن لنفسك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا. فأعط كل ذى حق حقه، فأتيا النبى ﷺ فذكروا ذلك له فقال: «صدق سلمان»[3]، وفى رواية فى غير الصحيح قال: «ثكلت سلمان أمه لقد أُشبع من العلم»[4]، وهكذا قال النبى ﷺ لعبد الله بن عمرو ابن العاص لما كان يصوم الدهر فنهاه وأمره أن يصوم صوم داود يصوم يوماً ويفطر يوماً وقال له: لا أفضل من ذلك[5]. وقد ورد النهى عن صيام الدهر والتشديد فيه. وهذا كله يدل على أن أفضل الصيام أن لا يستدام بل يعاقب بينه وبين الفطر وهذا هو الصحيح من قولي العلماء، وهو مذهب أحمد وغيره. وقيل لعمر: إن فلاناً

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٦/٢٦٨) وأبو داود (١٣٦٩) والبزار (١٤٥٧ ـ كشف الأستار)

(٢) **ضعيف** لإرساله. رواه الطبرى فى تفسيره (٧/١١) والآية رقم (٨٧) من سورة المائدة.

(٣) رواه البخارى (١٩٦٨) كتاب الصوم، باب: من أقسم على أخيه ليفطر فى التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له.

(٤) **ضعيف**. رواه ابن أبى شيبة (٧/٥٣٦/١) وسنده مرسل.

(٥) رواه البخارى (١٩٧٦) كتاب الصوم، باب صوم الدهر. ومسلم (٢٦٨٤) كتاب الصيام، باب: النهى عن صوم الدهر وأبو داود فى «الصوم» (٢٤٢٧) باب: فى صوم الدهر تطوعاً والنسائى فى «الصيام» (٤/٢١١) باب: صوم يوم وإفطار يوم.

يصوم الدهر، فجعل يقرع رأسه بقناة معه ويقول: كل يادهر، كل يا دهر، خرَّجه عبد الرزاق[1].

وقد أشار النبى ﷺ إلى الحكمة فى ذلك من وجوه، منها: قوله ﷺ فى صيام الدهر: «لا صام ولا أفطر»[2]، يعنى أنه لا يجد مشقة الصيام ولا فقد الطعام والشراب والشهوة؛ لأنه صار الصيام له عادة مألوفة فربما تضرر بتركه فإذا صام تارة وأفطر أخرى حصل له بالصيام مقصوده بترك هذه الشهوات. وفى نفسه داعية إليها، وذلك أفضل من أن يتركها ونفسه لا تتوق إليها. ومنها قوله ﷺ فى حق داود عليه السلام: «كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى»[3]، يشير إلى إنه كان لا يضعفه صيامه عن ملاقاة عدوه ومجاهدته فى سبيل الله. ولهذا روى عن النبى ﷺ أنه قال لأصحابه يوم الفتح وكان فى رمضان: «إن هذا يوم قتال فأفطروا»[4] وكان عمر إذا بعث سرية قال لهم: لا تصوموا فإن التقوى على الجهاد أفضل من الصوم.

فأفضل الصيام أن لا يضعف البدن حتى يعجز عمَّا هو أفضل منه من القيام بحقوق الله تعالى أو حقوق عباده اللازمة، فإن أضعف عن شيء من ذلك مما هو أفضل منه كان تركه أفضل. فالأول: مثل أن يضعف الصيام عن الصلاة أو عن الذكر أو عن العلم كما قيل فى النهى عن صيام الجمعة، ويوم عرفة بعرفة أنه يضعف عن الذكر والدعاء في هذين اليومين وكان ابن مسعود يُقل الصوم ويقول: إنه يمنعنى من قراءة القرآن، وقراءة القرآن أحب إلىّ، فقراءة القرآن أفضل من الصيام، نص عليه سفيان الثورى وغيره من الأئمة، وكذلك تعلم العلم النافع

(١) وكذا رواه ابن أبى شيبة (٢/ ٤٩٢/٨).

(٢) عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قبل له: إن فلاناً لا يفطر نهاراً الدهر إلا ليلاً فقال ﷺ: «لا صام ولا أفطر» رواه أحمد (٤/ ٤٢٦ و٤٣١) والنسائى (٤/ ٢٠٦) وابن خزيمة (٢١٥١) وابن حبان (٣٥٨٢ - إحسان) والحاكم (١/ ٤٣٥) وصححه ووافقه الذهبى وهو كما قالا.

(٣) رواه البخارى (١٩٧٧) كتاب الصوم، باب: حق الأهل فى الصوم. ومسلم (٢٦٨٩) كتاب الصيام، باب: النهى عن صوم الدهر. والترمذى فى «الصوم» (٧٧٠) باب: ما جاء فى سرد الصوم. والنسائي (٤/ ٢١٣ -٢١٤) كتاب الصيام، باب: صوم عشرة أيام من الشهر. وابن ماجة فى «الصيام» (١٧٠٦) باب: ما جاء فى صيام الدهر.

(٤) **مرسل**. رواه ابن سعد فى «**الطبقات**» (٢/ ١٠٧) عن عبيد بن عمير. ط دار الكتب العلمية، بيروت.

وتعليمه أفضل من الصيام، وقد نص الأئمة الأربعة على أن طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، والصلاة أفضل من الصيام المتطوع به، فيكون العلم أفضل من الصيام بطريق الأولى فإن العلم مصباح يستضاء به فى ظلمة الجهل والهوى، فمن سار فى طريق على غير مصباح لم يأمن أن يقع فى بئر بوار فيعطب، قال ابن سيرين: إن قوماً تركوا العلم واتخذوا محاريب فصلوا وصاموا بغير علم والله ما عمل أحد بغير علم إلاَّ كان ما يفسد أكثر مما يصلح. والثانى: مثل أن يضعف الصيام عن الكسب للعيال أو القيام بحقوق الزوجات فيكون تركه أفضل،وإليه الإشارة بقوله ﷺ : «إن لأهلك عليك حقا».

ومنها: ما أشار إليه ﷺ بقوله: «إن لنفسك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه»، يشير إلى أن النفس وديعة لله عند ابن آدم وهو مأمور أن يقوم بحقها.

ومن حقها اللطف بها حتى توصل صاحبها إلى المنزل، قال الحسن: نفوسكم مطاياكم إلى ربكم، فأصلحوا مطاياكم توصلكم إلى ربكم. فمن وفّى نفسه حظها من المباح بنية التقوى به على تقويتها على أعمال الطاعات كان مأجورا فى ذلك. كما قال معاذ بن جبل: إنى أحتسب نومتى كما أحتسب قومتى. ومن قصّر فى حقها حتى ضعفت وتضررت كان ظالماً لها وإلى هذا أشار النبى ﷺ بقوله لعبد الله ابن عمرو بن العاص: «إنك إذا فعلت ذلك نفهت له النفس، وهجمت له العين»[1] ومعنى نفهت: كلّت وأعيت. ومعنى هجمت العين: غارت. وقال لأعرابى جاءه فأسلم ثم أتاه من عام قابل وقد تغير فلم يعرفه فلما عرفه سأله عن حاله؟ قال: «ما أكلت بعدك طعاماً بنهار» فقال له النبى ﷺ : «ومن أمرك أن تعذب نفسك؟!»[2]. فمن عذب نفسه بأن حمّلها مالا تطيق من الصيام ونحوه فربما أثر

---

(١) رواه البخارى (١٩٧٩) كتاب الصوم، باب: صوم داود عليه السلام. ومسلم (٢٦٩١) كتاب الصيام باب: النهى عن صوم الدهر.

(٢) **ضعيف**. رواه أحمد (٢٨٥) وأبو داود (٢٤٢٨) والنسائي (٢/ ١٣٩) وابن ماجة (١٧٤١) والبيهقى (٤/ ٢٩١) وفى سنده مجيبة الباهلية وهو مجهولة وقيل هى امرأة من الصحابة وفى السند أيضاً اضطراب فقد رواه النسائى وقال: «عن مجيبة عن عمه» وقال ابن ماجة «عن أبى مجيبة الباهلى عن أبيه أو عن عمه» وذكره أبو القاسم البغوى فى «معجم الصحابة» وقال وفيه «عن مجيبة ـ يعنى الباهلية ـ قالت: حدثنى أبى أو عمى» وسمى أباها عبد الله بن الحارث، وقال: سكن البصرة، روى عن النبى ﷺ حديثا. . . وذكر هذا الحديث. قال المنذرى فى «مختصر سنن أبى داود» (٣/ ٣٠٦) أشار بعض شيوخنا إلى تضعيفه من أجل هذا الاختلاف وهو متوجه.

ذلك فى ضعف بدنه وعقله فيفوته من الطاعات الفاضلة أكثر مما حصله بتعذيبه نفسه بالصيام.

وكان النبى ﷺ يتوسط فى إعطاء نفسه حقها ويعدل فيها غاية العدل فيصوم ويفطر، ويقوم وينام وينكح النساء، ويأكل ما يجد من الطيبات كالحلواء والعسل ولحم الدجاج، وتارة يجوع حتى يربط على بطنه الحجر وقال: «عرض علىّ ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يارب، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»[1]. فاختار لنفسه أفضل الأحوال ليجمع بين مقامى الشكر والصبر والرضا، ومنها ما أشار إليه بقوله ﷺ لعبد الله بن عمر: «ولعله أن يطول بك حياة»، يعنى أن من تكلف الاجتهاد فى العبادة فقد تحمله قوة الشباب ما دامت باقية، فإذا ذهب الشباب وجاء المشيب والكبر عَجز عن حمل ذلك، فإن صابره وجاهد واستمر فربما هلك بدنه وإن قطع فقد فاته أحب الأعمال إلى الله وهو المداومة على العمل، ولهذا قال النبى ﷺ : «**اكلفوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا**»[2]، وقال ﷺ : «أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»[3]. فمن عمل عملاً يقوى عليه بدنه فى طول عمره فى قوته وضعفه استقام سيره، ومن حمل ما لا يطيق فإنه قد يحدث له مرض يمنعه من العمل بالكلية وقد يسأم ويضجر فيقطع العمل فيصير كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. وأما صيام النبى ﷺ من الأيام أعنى أيام الأسبوع فكان يتحرى صيام الإثنين والخميس»، وكذا روى عن عائشة رضى الله عنها: «أن النبى ﷺ كان يتحرى صيام الإثنين والخميس»[4]، خرجه الإمام أحمد والنسائى وابن ماجه والترمذى وحسّنه. وخرج ابن ماجة من حديث أبى هريرة

---

(١) ضعيف رواه أحمد (٥/ ٢٥٤) والترمذى (٢٣٤٧) والطبرانى فى «الكبير» (٨/ ٢٤٤) رقم (٧٨٣٥) وفى سنده على بن يزيد الألهانى وهو ضعيف كما فى التقريب » (٢/ ٤٦) وعبيد الله بن زهر وفيه ضعف.

(٢، ٣) رواه البخارى (٤٣) كتاب الايمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه.

قال الحافظ: والملال استثقال الشىء ونفور النفس عنه بعد محبته، وهو محال على الله تعالى باتفاق. قال الاسماعيلى وجماعة من المحققين: إنما أطلق هذا على جهة المقابلة اللفظية مجازاً كما قال تعالى ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾ وأنظاره».. وقال الهروى: معناه لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا فى الرغبة إليه. «فتح البارى» (١/ ١٢٦)

(٤) سبق تخريجه.

قال: «كان النبى ﷺ يصوم الإثنين والخميس». فقيل له: يا رسول الله إنك تصوم الإثنين والخميس؟ فقال: «إن يوم الإثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم إلاَّ مهتجرين، فيقول: دعوهما حتى يصطلحا»[1]، وخرّجه الإمام أحمد. وعنده: «أن رسول الله ﷺ كان أكثر ما يصوم الإثنين والخميس فقيل له؟: قال: «إن الأعمال تعرض كل إثنين وخميس فيغفر لكل مسلم أو لكل مؤمن إلاَّ المتهاجرين فيقول: أخّرْهما»[2] وخرّجه الترمذى ولفظه قال: «تعرض الأعمال يوم الإثنين ويوم الخميس فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم»[3]. وروى موقوفاً على أبى هريرة، ورجّح بعضهم وقفه، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة مرفوعاً: «تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلاَّ رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء يقول: «إنظروا هذين حتى يصطلحا»[4]، ويروى بإسناد فيه ضعف عن أبى أمامة مرفوعاً ترفع الأعمال يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر للمستغفرين ويترك أهل الحقد بحقدهم[5]، وروى على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله عز وجل: ﴿ما يلفظ من قول إلاَّ لديه رقيب عتيد﴾[6]، قال: يكتب كل ما تكلم به من خير وشر حتى أنه ليكتب قوله: أكلت وشربت، وذهبت وجئت ورأيت حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر منه ماكان فيه خير أو شر وألقى سائره، فذلك قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾[7] خرَّجه ابن أبى حاتم[8] وغيره.

فهذا يدل على اختصاص يوم الخميس بعرض الأعمال لا يوجد فى غيره، وكان إبراهيم النخعى يبكى إلى امرأته يوم الخميس وتبكى إليه ويقول: اليوم تعرض

(١) صحيح. رواه ابن ماجة (١٧٤٠) كتاب الصيام باب: صيام يوم الإثنين والخميس

(٢) حسن. رواه أحمد (٢/ ٣٢٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٣) حسن. رواه الترمذى (٧٤٧) كتاب الصوم، باب: ما جاء فى صوم الإثنين والخميس.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سورة ق: آية ١٨.

(٧) سورة الرعد: آية ٣٩

(٨) ضعيف. رواه ابن أبى حاتم كما فى «الدر المنثور» (٦/ ١١٨) وفى سنده انقطاع بين على بن طلحة وابن عباس رضى الله عنه.

أعمالنا على الله عزوجل. فهذا بعرض خاص فى هذين اليومين غير العرض العام كل يوم فإن ذلك عرض دائم بكرة وعشياً، ويدل على ذلك ما فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر فيسأل الذين باتوا فيكم وهو أعلم: كيف تركتم عبادى فيقولون: أتيناهم وهو يصلون وتركناهم وهم يصلون»[١]، وفى صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعرى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع الله عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقة»[٢]، ويروى عن ابن مسعود قال: إن مقدار كل يوم من أيامكم عند ربكم اثنتا عشرة ساعة فتعرض عليه أعمالكم بالأمس أول النهار اليوم فينظر فيها ثلاث ساعات، وذكر باقيه، كان الضحاك يبكي آخر النهار ويقول: لا أدرى ما رفع من عملى. يا من عمله معروض على من يعلم السر وأخفى لا تبهرج فإن الناقد بصير.

وحديث أسامة فيه: أن النبى ﷺ كان إذا سرد الفطر يصوم الإثنين والخميس»[٣]، فدل على مواظبة النبى ﷺ على صيامهما، وقد كان أسامة يصومهما حضراً وسفراً لهذا. وفى مسند الإمام أحمد وسنن النسائى عن عبد الله ابن عمرو أن النبى ﷺ أمره أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر فقال له: إنى أقوى على أكثر من ذلك قال: «فصم من الجمعة يوم الإثنين والخميس»، قال: إنى أقوى على أكثر من ذلك، قال: «فصم صيام داود»[٤]. وفى مسند الإمام أحمد من رواية عثمان بن رشيد حدثنى أنس بن سيرين قال: أتينا أنس بن مالك فى يوم خميس فدعا بمائدة فدعاهم إلى الغداء فتغدى بعض القوم وأمسك بعض ثم أتوه

---

(١) رواه البخارى فى «الصلاة» (٥٥٥) باب: فضل صلاة العصر.. ومسلم (١٤٠٥) كتاب الصلاة، باب: فضل صلاتى الصبح والعصر. والنسائي فى «الصلاة» (١/ ٢٤١) باب: فضل صلاة الجماعة.

(٢) رواه مسلم (٤٣٨) كتاب الايمان باب: فى قوله عليه السلام إن الله لا ينام. وابن ماجة فى «المقدمة» (١٩٥) باب: فيما أنكرت الجهمية.

(٣) حسن. رواه أحمد (٥/ ٢٠١) والنسائي (٤/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) كتاب الصوم، باب: صوم النبى ﷺ.

(٤) حسن. رواه أحمد (٢/ ٢٠٠ ـ ٢٠١)

يوم الخميس ففعل مثلها فقال أنس: لعلكم أثنائيون لعلكم خميسيون. كان رسول الله ﷺ يصوم حتى يقال: لا يفطر، ويفطر حتى يقال: لا يصوم[1]؛ وظاهر هذا الحديث يخالف حديث أسامة، وأن النبى ﷺ إنما كان يصوم الإثنين والخميس إذا دخلا فى صيامه ولم يكن يتحرى صيامهما فى أيام سرد فطره، ولكن عثمان بن رشيد ضعيف ضعفه ابن معين وغيره، وحديث أسامة أصح منه، وقد روى من حديث أم سلمة أن النبى ﷺ كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام أول خميس والإثنين والإثنين[2]، وفى رواية بالعكس الإثنين والخميس والخميس[3]. وأكثر العلماء على استحباب صيام الإثنين والخميس، وروى كراهته عن أنس بن مالك من غير وجه عنه، وكان مجاهد يفعله ثم تركه وكرهه، وكره أبو جعفر محمد بن على صيام الإثنين، وكرهت طائفة صيام يوم معين كلما مر بالإنسان، روى عن عمران بن حصين وابن عباس والشعبى والنخعى ونقله ابن القاسم عن مالك وقال الشافعى فى القديم أكره ذلك، قال: وإنما كرهته لئلا يتأسّى جاهل فيظن أن ذلك واجب، قال: فإن فعل فحسن، يعنى على غير اعتقاد الوجوب.

وإنما صيام النبى ﷺ من أشهر السنة فكان يصوم من شعبان ما لا يصوم من غيره من الشهور، وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلاَّ رمضان، وما رأيته فى شهر أكثر صياماً منه فى شعبان»[4]، زاد البخارى فى رواية: «كان يصوم شعبان كله»[5]، ولمسلم

---

(1) ضعيف. رواه احمد (٢/ ٢٣٠) وفى سنده عثمان بن رشيد وهو ضعيف كما فى ميزان الاعتدال» (٣/ ٥٠٥٥).

(2) شاذ. رواه النسائي (٤/ ٢٢١) كتاب الصوم باب: كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر.

(3) صحيح. رواه النسائى (٤/ ٢٢١) وأبو داود (٢٤٣٧) واحمد (٥/ ٢٧١ و٦/ ٢٨٨ و٤٢٣)

(4) رواه البخارى فى «الصوم» (١٩٦٩) باب صوم شعبان ومسلم (٢٦٧٧) كتاب الصيام، باب: صيام النبى ﷺ وأبو داود فى «الصوم» (٢٤٣٤) باب: كيف كان يصوم النبى ﷺ والنسائي فى «الصوم» (٤/ ١٩٩) باب: صوم النبى ﷺ بأبى هو وامى.

(5) رواه البخارى (١٩٧٠) كتاب الصوم، باب: صوم شعبان.

فى رواية: «كان يصوم شعبان كله، وكان يصوم شعبان إلاَّ قليلاً»[1]، وفى رواية النسائى عن عائشة قالت: «كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصوم شعبان، كان يصله برمضان»[2]، وعنها وعن أم سلمة قالتا: «كان رسول الله ﷺ يصوم شعبان إلاَّ قليلاً بل كان يصومه كله»[3]، وعن أم سلمة قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلاَّ شعبان ورمضان»[4]، وقد رجع طائفة من العلماء منهم ابن المبارك وغيره: أن النبى ﷺ لم يستكمل صيام شعبان، وإنما كان يصوم أكثره، ويشهد له ما فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما علمته - تعنى النبى ﷺ - صام شهراً كله إلاَّ رمضان[5]، وفى رواية له أيضاً عنها قالت: «ما رأيته صام شهراً كاملاً منذ قدم المدينة إلاَّ أن يكون رمضان»[6]، وفى رواية له أيضاً: أنها قالت: لا أعلم نبى الله ﷺ قرأ القرآن كله فى ليلة، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان[7]. وفى رواية له أيضاً قالت: ما رأيته قام ليلة حتى الصباح ولا صام شهراً متتابعاً إلاَّ رمضان، وفى الصحيحين عن ابن عباس قال: ما صام رسول الله ﷺ شهراً كاملاً غير رمضان[8]. وكان ابن عباس يكره

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٨) كتاب الصيام، باب صيام النبى ﷺ فى غير رمضان. والنسائى فى «الصوم» (٤/ ١٥١) باب: ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر عائشة فيه. وابن ماجة فى «الصيام» (١٧١٠) باب: ما جاء فى صيام النبى ﷺ.

(٢) صحيح رواه أحمد (٦/ ١٨٨) والنسائي (٤/ ١٩٩) كتاب الصوم، باب: صوم النبى ﷺ بأبى هو وأمى. وأبو داود فى «الصوم» (٢٤٣١) باب: فى صوم شعبان. والحاكم (١/ ٤٣٤).

(٣) حسن. رواه الترمذى عقب الحديث (٧٣٦) كتاب الصوم باب: ما جاء فى وصال شعبان برمضان. والنسائى فى «الصوم» (٤/ ٢٠٠) باب صوم النبى ﷺ بأبى هو وأمى.

(٤) حسن. رواه الترمذى فى «الصوم» (٧٣٦) باب: وصال شعبان برمضان. والنسائى فى «الصوم» (٤/ ٢٠٠) باب: صوم النبى ﷺ بأبى هو وأمى.

(٥) رواه مسلم (٢٦٧٣) كتاب الصيام، باب: صيام النبى ﷺ فى غير رمضان. والنسائى فى «الصوم» (٤/ ١٥٢) باب: ذكر اختلاف الناقلين لخبر عائشة فيه.

(٦) رواه مسلم (٢٦٧٥) كتاب الصيام، بابصيام النبى ﷺ فى غير رمضان. والترمذى فى «الصوم» (٧٦٨) باب ما جاء فى سرد الصوم. والنسائى فى الصوم (٤/ ١٩٩) باب: صوم النبى ﷺ بأبى هو وأمى.

(٧) رواه مسلم (١٧٠٨) كتاب الصلاة، باب: جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض وأحمد (٦/ ٩١) وأبو داود (١٣٤٢) كتاب الصلاة.، باب: حتى صلاة الليل. والنسائى فى «الصلاة» (٣/ ١٩٩) باب: قيام الليل.

(٨) رواه البخارى فى «الصوم» (١٩٧١) باب: ما يذكر من صوم النبى ﷺ وافطاره. ومسلم (٢٦٨٠) كتاب الصيام، باب: صيام النبى ﷺ فى غير رمضان والنسائي فى «الصوم» (٤/ ١٩٩) باب: صوم النبى ﷺ بأبى هو وأمى. وابن ماجة فى «الصوم» (١٧١١) باب: ما جاء فى صيام النبى ﷺ.

أن يصوم شهراً كاملاً غير رمضان، وروى عبد الرزاق فى كتابه عن ابن جريج عن عطاء قال: كان ابن عباس ينهى عن صيام الشهر كاملاً ويقول: ليصمه إلاَّ أياماً، وكان ينهى عن إفراد اليوم كلما مر به، وعن صيام الأيام المعلومة، وكان يقول: لا تصم أياما معلومة(1).

فإن قيل: فكيف كان النبى ﷺ يخص شعبان بصيام التطوع فيه مع أنه قال: «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم؟» فالجواب: أن جماعة من الناس أجابوا عن ذلك بأجوبة غير قوية لاعتقادهم أن صيام المحرم والأشهر الحرم أفضل من شعبان كما صرح به الشافعية وغيرهم، والأظهر خلاف ذلك، وأن صيام شعبان أفضل من صيام الأشهر الحرم، ويدل على ذلك ما خرَّجه الترمذى من حديث أنس سئل النبى ﷺ: أى الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال: «شعبان»، تعظيماً لرمضان(2)، وفى إسناده مقال، وفى سنن ابن ماجة: «أن أسامة كان يصوم الأشهر الحرم، فقال له رسول الله ﷺ: «صم شوالاً»، فترك الأشهر الحرم، فكان يصوم شوالاً حتى مات(3)، وفى إسناده إرسال. وقد روى من وجه آخر يعضده. فهذا نص فى تفضيل صيام شوال على صيام الأشهر الحرم، وإنما كان كذلك لأنه يلى رمضان من بعده كما أن شعبان يليه من قبله، وشعبان أفضل لصيام النبى ﷺ له دون شوال فإذا كان صيام شوال أفضل من الأشهر الحرم فلأن يكون صوم شعبان أفضل بطريق الأولى، فظهر بهذا أن أفضل التطوع ما كان قريباً من رمضان قبله وبعده، وذلك يلتحق بصيام رمضان لقربه منه، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها، فيلتحق بالفرائض فى الفضل وهى تكملة لنقص الفرائض، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده. فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة، فكذلك صيام ما قبل رمضان

---

(1) رواه عبد الرزاق فى «المصنف» (4/ 292 رقم (7855).

(2) ضعيف. رواه الترمذى (663) كتاب الزكاة. باب: ما جاء فى فضل الصدقة. والبيهقى فى «الشعب» (3/ 377) رقم (3819) وفى سنده صدقة بن موسى، قال الترمذى: هذا حديث غريب [أى ضعيف] وصدقة بن موسى ليس عندهم بذاك القوى.

(3) ضعيف. رواه ابن ماجة (1744) كتاب الصيام، باب: صيام أشهر الحرم. وفى سنده انقطاع بين محمد ابن إبراهيم بن الحارث التيمى وبين أسامة بن زيد.

وبعده أفضل من صيام ما بعد منه، ويكون قوله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان المحرم**»: محمولاً على التطوع المطلق بالصيام، فأما ما قبل رمضان وبعده فإن يلتحق به فى الفضل كما أن قوله فى تمام الحديث: «**وأفضل الصلاة بعد المكتوبة: قيام الليل**»، إنما أريد به تفضيل قيام الليل على التطوع المطلق دون السنن الرواتب عند جمهور العلماء خلافاً لبعض الشافعية والله أعلم فإن قيل: فقد قال النبى ﷺ: «**أفضل الصيام صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً**»، ولم يصم كذلك، بل كان يصوم سرداً، ويفطرسرداً، ويصوم شعبان، وكل اثنين وخميس؟ قيل: صيام داود الذى فضله النبى ﷺ على الصيام قد فسره النبى ﷺ فى حديث آخر بأنه صوم شطر الدهر وكان صيام النبى ﷺ إذا جمع يبلغ صيام نصف الدهر أو يزيد عليه، وقد كان يصوم مع ما سبق ذكره يوم عاشوراء، أو تسع ذى الحجة وإنما كان يفرق صيامه ولا يصوم يوماً ويفطر يوماً؛ لأنه كان يتحرى صيام الأوقات الفاضلة. ولا يضر تفريق الصيام والفطر أكثر من يوم ويوم إذا كان القصد به التقوى على ما هو أفضل من الصيام من أداء الرسالة وتبليغها والجهاد عليها والقيام بحقوقها فكان صيام يوم وفطر يوم يضعفه عن ذلك، ولهذا لما سئل النبى ﷺ فى حديث أبى قتادة عمن يصوم يوماً ويفطر يومين؟ قال: «ووددت أنى طوقت ذلك»[1]، وقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص لما كبر يسرد الفطر أحياناً ليتقوى به على الصيام ثم يعود فيصوم ما فاته محافظة على ما فارق عليه النبى ﷺ من صيام شطر الدهر، فحصل للنبى ﷺ أجر صيام شطر الدهر وأزيد منه بصيامه المتفرق، وحصل له أجر تتابع الصيام بتمنيه لذلك، وإنما عاقه عنه الاشتغال بما هو أهم منه وأفضل والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٠) كتاب الصيام، باب: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر.. وأحمد (٥/ ٣١١) وأبو داود فى «الصوم» (٢٤٢٥) باب: فى صوم الدهر تطوعاً والترمذى فى «الصوم» (٧٤٩) باب: ما جاء في فضل صوم عرفة. والنسائى فى «الصيام» (٤/ ٢٠٧) باب: ذكر الاختلاف فى صيام داود عليه السلام.

ومعنى قوله «وددت أنى طوقْتُ ذلك»: أى ليته جُعل ذلك داخلاً فى طاقتى وقدرتى «النهاية» (٧/ ١٤٤).

وقد ظهر بما ذكرناه وجه صيام النبى ﷺ لشعبان دون غيره من الشهور، وفيه معان أخر: وقد ذكر منها النبى ﷺ فى حديث أسامة[1] معنيين: أحدهما: «أنه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان»، يشير إلى أنه لما اكتنفه شهران عظيمان الشهر الحرام وشهر الصيام اشتغل الناس بهما عنه فصار مغفولاً عنه، وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيامه؛ لأنه شهر حرام وليس كذلك، وروى ابن وهب قال: حدثنا معاوية بن صالح عن أزهر بن سعد[2] عن أبيه عن عائشة قالت: ذكر لرسول الله ﷺ ناس يصومون رجبا؟ فقال: «فأين هم عن شعبان»[3]. وفى قوله: «يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان»، إشارة إلى أن بعض ما يشتهر فضله من الأزمان أو الأماكن أو الأشخاص قد يكون غيره أفضل منه إما مطلقاً أو لخصوصية فيه لا يتفطن لها أكثر الناس فيشغلون بالمشهور عنه ويفوتون تحصيل فضيلة ما ليس بمشهور عندهم، وفيه دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة. وأن ذلك محبوب لله عزوجل كما كان طائفة من السلف يستحبون إحياء ما بين العشاءين بالصلاة ويقولون: هى ساعة غفلة. ولذلك فضل القيام فى وسط الليل المشمول الغفلة لأكثر الناس فيه عن الذكر، وقد قال النبى ﷺ: «**إن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الليلة فكن**»، ولهذا المعنى كان النبى ﷺ يريد أن يؤخر العشاء إلى نصف الليل وإنما علل ترك ذلك لخشية المشقة على الناس، ولما خرج على أصحابه وهم ينتظرونه لصلاة العشاء

---

(١) عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصوم الأيام يسرد حتى يقال: لا يفطر ويفطر الأيام حتى لا يكاد أن يصوم إلا يومين من الجمعة إن كانا فى صيامه وإلا صامهما ولم يكن يصوم من شهر من الشهور ما يصوم من شعبان، فقلت: يا رسول الله إنك تصوم لا تكاد أن تفطر وتفطر حتى لا تكاد أن تصوم إلا يومين إن دخلا فى صيامك وإلا صمتهما قال: أى يومين؟ قال: قلت يوم الإثنين ويوم الخميس قال: ذانك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين وأحب أن يعرض عملى وأنا صائم، قال: قلت: ولم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان هو شهر يرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فاحب أن يرفع عملى وأنا صائم» رواه أحمد (٥/ ٢٠١) والنسائى (٤/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) وإسناده حسن.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب أزهر بن سعيد الحرازى الحميرى، فقد روى عنه معاوية بن صالح.

(٣) ضعيف. سعيد الحرازى والد أزهر لم أقف له على ترجمة.

قال لهم: «ما ينتظرها أحد من أهل الأرض غيركم»[1]، وفى هذا إشارة إلى فضيلة التفرد بذكر الله فى وقت من الأوقات لا يوجد فيه ذاكر له، ولهذا ورد فى فضل الذكرفى الأسواق ما ورد من الحديث المرفوع[2] والآثار الموقوفة حتى قال أبو صالح: إن الله ليضحك ممّن يذكره فى السوق، وسبب ذلك أنه ذكر فى موطن الغفلة بين أهل الغفلة، وفى حديث أبى ذر المرفوع: «ثلاثة يحبهم الله قوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به فوضعوا رؤوسهم فقام أحدهم يتملقنى ويتلو آياتى، وقوم كانوا فى سرية فانهزموا فتقدم أحدهم فلقى العدو فصبر حتى قتل، وذكر أيضاً قوماً جاءهم سائل فسألهم فلم يعطوه فإنفرد أحدهم حتى أعطاه سرا»[3]، فهؤلاء الثلاثة انفردوا عن رفقتهم بمعاملة الله سراً بينهم وبينه فأحبهم الله، فكذلك من يذكر الله فى غفلة الناس،أو من يصوم فى أيام غفلة الناس عن الصيام.

وفى إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائد: منها: أنه يكون أخفى، وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل لا سيما الصيام فإنه سر بين العبد وربه، ولهذا قيل: إنه ليس فيه رياء. وقد صام بعض السلف أربعين سنة لا يعلم به أحد كان يخرج من بيته إلى سوقه ومعه رغيفان فيتصدق بهما ويصوم فيظن أهله أنه أكلهما، ويظن أهل سوقه أنه أكل فى بيته، وكانوا يستحبون لمن صام أن يظهر ما يخفى به

---

(١) رواه البخارى (٥٦٦) كتاب الصلاة، باب: فضل العشاء. ومسلم (١٤١٦) كتاب الصلاة، باب: وقت العشاء وتأخيرها. من حديث عائشة رضى الله عنها.

(٢) حديث الدعاء عند دخول السوق. رواه الترمذى (٣٤٢٨) والحاكم (١/ ٥٣٨) وفى سنده أزهر بن سنان وهو ضعيف. وللحديث طرق أخرى عند ابن ماجة (٢٢٣٥) وابن السنى فى «عمل اليوم والليلة» (١٨٢) والحاكم (١/ ٥٣٩) و«الزهد» لأحمد (ص٢١٤) وحسنه الألبانى بمجموع طرقه فى تعليقه على الكلم الطيب لابن تيمية ص١٣٢.

ونص الحديث عن عمر رضى الله عنه قال أن رسول الله ﷺ قال: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحى ويميت، وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة».

(٣) ضعيف. رواه أحمد (٥/ ١٥١ و١٥٣ و١٧٦) والنسائي (٣/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨ و ٥/ ٨٤) والترمذى (٢٥٦٨) وابن خزيمة (٢٤٥٦) والحاكم (١/ ٤١٦ و٢/ ١١٣) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى وقال الترمذى: حسن صحيح !!

قلت: بل الحديث ضعيف ففى سنده زيد بن ظبيان، قال الذهبى: ما روى عنه سوى ربعي بن خراش «الميزان» (٢/ ١٠٤) وهذا القول من الذهبى رحمه الله يعنى أن زيداً هذا مجهول. وقال عنه الحافظ: مقبول «التقريب» (١/ ٢٧٥).

صيامه، فعن ابن مسعود: أنه قال: إذا أصبحتم صياماً فأصبحوا مدهنين[1]. وقال قتادة: يستحب للصائم أن يدهن حتى تذهب عنه غبرة الصيام. وقال أبو التياح: أدركت أبى ومشيخة الحى إذا صام أحدهم ادهن، ولبس صالح ثيابه. ويروى أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: «إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته وليمسح شفتيه من دهنه حتى ينظر الناظر إليه فيرى أنه ليس بصائم». اشتهر بعض الصالحين بكثرة الصيام فكان يجتهد فى إظهار فطره للناس حتى كان يقوم يوم الجمعة والناس مجتمعون فى مسجد الجامع فيأخذ إبريقاً فيضع بلبلته فى فيه ويمصه ولا يزدرد منه شيئاً ويبقى ساعة كذلك ينظر الناس إليه فيظنون أنه يشرب الماء وما دخل فى حلقه منه شىء. كم ستر الصادقون أحوالهم وريح الصدق ينم عليهم ريح الصيام أطيب من ريح المسك تستنشقه قلوب المؤمنين وإن خفى، وكلما طالت عليه المدة ازدادت قوة ريحه.

كم أكتُم حبَّكمُ عن الأغيار ... الدَّمْعُ يذيع فى الهوى أسـرارى

كم أستركُم هتكتموا ستارى ... من يخفى فى الهوى لهيب النار

ما أسر أحد سريرة إلاَّ ألبسه الله رداءها علانية.

وهبنى كتمت السر أو قلت غيره ... أتخفى على أهل القلوب السرائر

أبى ذاك السر فى الوجه ناطـق ... وأن ضمير القلب فى العين ظاهر

ومنها: أنه أشق على النفوس: وأفضل الأعمال أشقها على النفوس، وسبب ذلك أن النفوس تتأسى بما تشاهده من أحوال أبناء الجنس فإذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم كثر أهل الطاعة لكثرة المقتدين بهم فسهلت الطاعات، وإذا كثرت الغفلات وأهلها تأسى بهم عموم الناس، فيشق على نفوس المستيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدون بهم فيها، ولهذا المعنى قال النبى ﷺ: «**للعامل منهم أجر خمسين منكم، إنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون**»[2]. وقال: «**بدأ الإسلام غريباً**

---

(١) رواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (٢/ ٥١٣)

(٢) حسن. رواه أبو داود (٤٣٤١) والترمذى (٣٠٥٨) وابن ماجة (٤٠١٤) وأبو نعيم فى الحلية » (٢/ ٣٠) وابن حبان (٣٨٥ ـ إحسان) والبيهقى فى «السنن» (١٠/ ٩١ و٩٢) والبغوى فى «شرح السنة» (٤١٥٦) من حديث أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه، وفى سنده ضعف ولكن يشهد له حديث ابن مسعود رضى الله عنه، رواه الطبرانى فى «الكبير» (١٠/ ٢٢٥) رقم (١٠٣٩٤) والبزار (١/ ٣٧٨) وسنده صحيح.

وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»[1]، وفى رواية قيل: ومن الغرباء: «**قال الذين يصلحون إذا فسد الناس**»[2]، وفى صحيح مسلم من حديث معقل بن يسار عن النبى ﷺ قال: «**العبادة فى الهرج كالهجرة إلىّ**»[3]وخرّجه الإمام أحمد ولفظه: «**العبادة فى الفتنة كالهجرة إلىّ**»[4]، وسبب ذلك أن الناس فى زمن الفتن يتبعون أهواءهم ولا يرجعون إلى دين فيكون حالهم شبيهاً بحال الجاهلية فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع مراضيه ويجتنب مساخطه كان بمنزلة من هاجرمن بين أهل الجاهلية إلى رسول الله ﷺ مؤمناً به متبعاً لأوامره مجتنباً لنواهيه، ومنها أن المنفرد بالطاعة من أهل المعاصى والغفلة قد يدفع به البلاء عن الناس كلهم فكأنه يحميهم ويدافع عنهم، وفى حديث ابن عمر الذى رويناه فى جزء ابن عرفة مرفوعاً: «ذاكر الله فى الغافلين كالذي يقاتل عن الفارين، وذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الشجر الذى تحات ورقه من الصرير ـ والصرير: البرد الشديد ـ وذاكر الله فى الغافلين يغفر له بعدد كل رطب ويابس، وذاكر الله فى الغافلين يعرف مقعده فى الجنة»[5]، قال بعض السلف: ذاكر الله فى الغافلين كمثل الذى يحمى الفئة المنهزمة، ولولا من يذكر الله فى غفلة الناس لهلك الناس، رأى جماعة من المتقدمين فى منامهم كأن ملائكة نزلت إلى بلاد شتى فقال بعضهم لبعض: اخسفوا بهذه القرية فقال بعضهم: كيف نخسف بها وفلان فيها قائم يصلى، ورأى بعض المتقدمين فى منامه من ينشد ويقول:

---

(١) رواه مسلم (٣٦٥) كتاب الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا. وابن ماجة فى «الفتن» (٣٩٨٦) باب بدأ الاسلام غريبا. من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٢) **حسن**. رواه الطبرانى فى «الكبير» (٦/ ١٦٤) رقم (٥٨٦٧) وفى الأوسط (٣/ ٢٥٠) رقم (٣٠٥٦) وفى «الصغير» (١/ ١٠٤) والقضاعي فى مسند الشهاب، (١٠٥٥) من حديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه. ورواه الآجرى فى «الغرباء» (١) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٧٢٥٧) كتاب الفتن، باب: فضل العبادة فى الهرج. والترمذى فى «الفتن» (٢٢٠١) باب: ما جاء فى الهرج والعبادة فيه. وابن ماجة فى «الفتن» (٣٩٨٥) باب: الوقوف عند الشبهات.

(٤) **حسن**. رواه أحمد (٥/ ٢٧)

(٥) **ضعيف**. رواه الحسن بن عرفة فى «جزئه» (٩٦/ ١ـ٢) كما فى الضعيفة» (٢/ ١٢٠) و أبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ١٨١) والبيهقى فى «شعب الإيمان» (١/ ٤١١) رقم (٥٦٥) وفى سنده عمران بن مسلم القصير قال الذهبى فى «الميزان » (٣/ ٢٤٢). قال البخارى: منكر الحديث. ثم أورد له الذهبى هذا الخبر.

لولا الـذيـن لـهـم ورد يـصلـونـــا وآخرون لهم سرد يصومونـــا

لدكدكت أرضكم من تحتكم سَحَراً لانكـم قـوم سوء ماتطـيعونا

وفى مسند البزار عن أبى هريرة مرفوعا مهلا عن الله مهلا فلولا عباد ركع وأطفال رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا[1] ولبعضهم فى المعنى.

لولا عباد للإله ركـــــــع وصبية من اليتامى رضـــع

ومهملاتٌ فى الفلاة رتع صب عليكم العذابُ الموجعُ

وقد قيل فى تأويل قوله تعالى ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**﴾[2] أنه يدخل فيها دفعه عن العصاة بأهل الطاعة وجاء فى الأثران الله يدفع بالرجل الصالح عن أهله وولده وذريته ومن حوله وفى بعض الآثار يقول الله عز وجل أحب العباد إلى المتحابون بجلالى المشاؤن فى الأرض بالنصيحة الماشون على أقدامهم إلى الجمعات وفى رواية المتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار فإذا أردت انزال عذاب بأهل الأرض فنظرت إليهم صرفت العذاب عن الناس وقال مكحول مادام فى الناس خمسة عشر يستغفر كل منهم الله كل يوم خمسا وعشرين مرة لم يهلكوا بعذاب عامة والآثار فى هذا المعنى كثيرة جدا وقد روى فى صيام النبى ﷺ شعبان معنى آخر وهو أنه تنسخ فيه الآجال فروى بإسناد فيه ضعف عن عائشة قالت كان أكثر صيام رسول الله ﷺ فى شعبان فقلت يارسول الله أرى أكثر صيامك فى شعبان قال أن هذا الشهر يكتب فيه لملك الموت من يقبض فأنا لا أحب أن ينسخ اسمى إلا وأنا صائم[3]، وقد روى مرسلا وقيل أنه أصح وفى حديث آخر مرسل تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى أن

---

(١) ضعيف. رواه البزار (٣٢١٢) وأبو يعلى (١١/ ٢٨٧) رقم (٦٤,٢) والطبرانى فى «الأوسط» (٧/ ١٣٤) رقم (٧٠٨٥) والبيهقى فى «السنن الكبرى» (٣/ ٣٤٥) والخطيب البغدادى فى تاريخه (٦/ ٦٤) وفى سنده إبراهيم بن خثيم بن عراك، وهو ضعيف، وقال النسائى: متروك. «الميزان» (١/ ٨١).

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥١.

(٣) ضعيف. رواه أبو يعلى (٨/ ٣١١ و٣١٢) رقم (٤٩١١) وفى سنده سويد بن سعيد ومسلم بن خالد. الزنجى وفيهما ضعف، وطريف بن دفاع ذكره البخارى فى «تاريخه» وابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً. ونقل الذهبى عن العقيلى أنه لينه.

الرجل لينكح ويولد له ولقد خرج اسمه فى الموتى [١] وروى فى ذلك معنى آخر وهو أن النبى ﷺ كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وربما أخر ذلك حتى يقضيه بصوم شعبان [٢] رواه ابن أبى ليلى عن أخيه عيسى عن أبيهما عن عائشة رضى الله عنها خرجه الطبرانى ورواه غيره وزاد قالت عائشة فربما أردت أن أصوم فلم أطلق حتى إذا صام صمت معه وقد يشكل على هذا مافى صحيح مسلم عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ ثلاثة أيام من كل شهر لا يبالى من أية كان [٣] وفيه أيضا عنها قالت ماعلمته تعنى النبى ﷺ صام شهرا كاملا إلا رمضان ولا أفطره كله حتى يصوم منه حتى مضى لسبيله [٤] وقد يجمع بينهما بأنه قد يكون صومه فى بعض الشهور لا يبلغ ثلاثة أيام فيكمل مافاته من ذلك فى شعبان أوانه كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام مع الإثنين والخميس فيؤخر الثلاثة خاصة حتى يقضيها فى شعبان مع صومه إلاثنين والخميس وبكل حال فكان النبى ﷺ عمه ديمة وكان إذا فاته شىء من نوافله قضاه كما كان يقضى مافاته من سنن الصلاة ومافاته من قيام الليل بالنهار وكان إذا دخل شعبان وعليه بقية صيام تطوع لم يصمه قضاه فى شعبان حتى يستكمل نوافله بالصوم قبل دخول رمضان فكانت عائشة حينئذ تغتنم قضاءه لنوافله فتقضى ماعليها من فرض رمضان حينئذ لفطرها فيه بالحيض وكانت فى غيره من الشهور مشتغلة بالنبى ﷺ فإن المرأة لا تصوم وبعلها شاهد إلا باذنه فمن دخل عليه شعبان وقد بقى عليه من نوافل صيامه فى العام استحب له قضاؤها فيه حتى يكمل نوافل صيامه بين الرمضانيين ومن كان عليه شىء من قضاء

---

(١) **ضعيف لإرساله** رواه البيهقى فى الشعب(٣/ ٣٨٦) رقم (٣٨٣٩) موقوفا على عثمان بن محمد بن المغيرة ابن الأخنس،ورواه الطبرى فى «تفسيره (٢٥/ ١٠٩) مرفوعاً إلى النبى ﷺ وسنده ضعيف؛لأن عثمان بن محمد بن المغيرة لم يدرك النبى ﷺ .

(٢) **ضعيف**. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٢/ ٣٢٠) رقم (٢٩٠٨) وفى سنده محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى وهو سىء الحفظ جداً كما فى التقريب » (٢/ ١٨٤).

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٨) كتاب الصيام، باب: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر. وأبو داود فى «الصوم» (٢٤٥٣) باب: من قال: لا يبالى من أى الشهر. والترمذى فى «الصيام» (٧٦٣) باب: ما جاء فى صوم ثلاثة أيام من كل شهر وابن ماجة فى الصيام (١٧٠٩) باب ماجاء فى صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

(٤) رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب الصيام، باب صيام النبى ﷺ فى غير رمضان. والنسائى فى «الصيام» (٤/ ١٥٢) باب: ذكر اختلاف الفاظ الناقلين لخبر عائشة.

رمضان وجب عليه قضاؤه مع القدرة ولا يجوز له تأخيره لعذر مستمر بين الرمضانين كان عليه قضاؤه بعد رمضان الثانى ولا شيء عليه مع القضاء وإن كان ذلك لغير عذر فقيل يقضى ويطعم مع القضاء لكل يوم مسكينا وهو قول مالك والشافعى وأحمد اتباعا لآثار وردت بذلك وقيل يقضى ولا طعام عليه وهو قول أبى حنيفة، وقيل يطعم ولايقضى وهو ضعيف وقد قيل فى صوم شعبان معنى آخر وهو أن صيامه كالتمرين بن على صيام رمضان لئلا يدخل فى صوم رمضان على مشقة وكلفة بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده ووجد بصياح شعبان قبله حلاوة الصيام ولذته فيدخل فى صيام رمضان بقوة ونشاط ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان شرع فيه ما يشرع فى رمضان من الصيام وقراءة القرآن ليحصل التأهب لتلقى رمضان وترتاض النفوس بذلك على طاعة الرحمن روينا بإسناد ضعيف عن أنس قال كان المسلمون إذا دخل شعبان انكبوا على المصاحف فقرؤها وأخرجوا زكاة أموالهم تقوية للضعيف والمسكين على صيام رمضان وقال سلمة بن كهيل كان يقال شهر شعبان شهر القراء وكان حبيب بن أبى ثابت إذا دخل شعبان قال هذا شهر القراء وكان عمرو بن قيس الملائى إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن قال الحسن بن سهل قال شعبان يارب جعلتنى بين شهرين عظيمين فمالى قال جعلت فيك قراءة القرآن يامن فرطفى الأوقات الشريفة وضيعها وأودعها الأعمال السيئة وبئس ما استودعها.

مضى رجبٌ وما أحسنتَ فيه	وهذا شهرُ شعبانَ المباركْ
فيامن ضَيَّع الأوقات جهلاً	بحرمتها أَفِقْ واحذر بَوَارَكْ
فسوف تفارقُ اللذاتَ قسراً	ويُخْلِى الموت كُرْهاً منك دارَكْ
تداركْ ما استطعتَ من الخطايا	بتوبةِ مخلصٍ واجعلْ مَدَارَكْ
على طلبِ السلامة من جحيمٍ	فخيرُ ذوى الجرائمِ مَنْ تدارك

●●●●●

خرَّج الإمام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**إذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى رمضان**»[1]، وصححه الترمذى وغيره. واختلف العلماء فى صحة هذا الحديث ثم فى العمل به: فأما تصحيحه فصححه غير واحد منهم الترمذى وابن حبان والحاكم والطحاوى وابن عبد البر، وتكلم فيه من هو أكبر من هؤلاء وأعلم، وقالوا: هو حديث منكر منهم عبدالرحمن بن مهدى والإمام أحمد وأبو زرعة الرازى والأثرم، وقال الإمام أحمد: لم يرو العلاء حديثاً أنكر منه. وردّه بحديث: «**لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين**»[2]، فإن مفهومه جواز التقدم بأكثر من يومين، وقال الأثرم: الأحاديث كلها تخالفه يشير إلى أحاديث صيام النبى ﷺ شعبان كله ووصله برمضان، ونهيه عن التقدم على رمضان بيومين فصار الحديث حينئذ شاذاً مخالفاً للأحاديث الصحيحة. وقال الطحاوى هو منسوخ، وحكى الإجماع علي ترك العمل به، وأكثر العلماء على أنه لا يعمل به، وقد أخذ به آخرون منهم الشافعى وأصحابه ونهوا عن ابتداء التطوع بالصيام بعد نصف شعبان لمن ليس له عادة ووافقهم بعض المتأخرين من أصحابنا [3] ثم اختلفوا فى علة النهى، فمنهم من قال: خشية أن يزاد فى شهر رمضان ما ليس منه بعيدٌ جدا فيما بعد النصف، وإنما يحتمل هذا فى التقديم بيوم أو يومين، ومنهم من قال: النهى للتقوى على صيام

---

(١) صحيح رواه أحمد (٢/٤٤٢) وعبد الرزاق (٧٣٢٥) وأبو داود (٢٣٧٧) وابن أبى شيبة (٣/٢١) والدارمى (٢/١٧) والترمذى (٧٣٨) وابن ماجة (١٦٥١) وابن حبان (٣٥٩٠ - إحسان) والبيهقى فى «السنن» (٤/٢٠٩) والبغوى فى «شرح السنة» (١٧٢١)

(٢) رواه البخارى (١٩١٤) كتاب الصوم، باب: لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين. ومسلم (٢٤٧٨ و٢٤٧٩) كتاب الصيام، باب: لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين. واحمد (٢/٥٢١) وأبو داود فى «الصوم» (٢٣٣٥) باب: فيمن يصل شعبان برمضان. والترمذي فى «الصوم» (٦٨٥) باب: ما جاء لا تقدموا الشهر بصوم.

(٣) وقال بعض أهل العلم: معنى الحديث أن يكون الرجل مفطراً، فإذا بقى من شعبان شىء أخذ فى الصوم لحال شهر رمضان.

رمضان شفقة أن يضعفه ذلك عن صيام رمضان، وروى ذلك عن وكيع ويردهُ هذا صيام النبى ﷺ شعبان كله أو أكثره ووصله برمضان، هذا كله فى الصيام بعد نصف شعبان.

وأما صيام يوم النصف منه فغير منهى عنه فإنه من جملة أيام البيض الغر المندوب إلى صيامها من كل شهر، وقد ورد الأمر بصيامه من شعبان بخصوصه: ففى سنن ابن ماجه بإسناد ضعيف عن على عن النبى ﷺ: «إذا كان ليلة نصف شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلىالسماء الدنيا فيقول: ألا مستغفر فأغفر له، ألا مسترزق فأرزقه، ألا مبتلى فأعافيه، ألا كذا، ألا كذا، حتى يطلع الفجر»[1]، وفى فضل ليلة نصف شعبان أحاديث أخر متعددة. وقد اختلف فيها فضعفها الأكثرون وصحح ابن حبان بعضها، وخرَّجه فى صحيحه، ومن أمثلها حديث عائشة قالت: فقدت النبى ﷺ فخرجت فإذا هو بالبقيع رافعاً رأسه إلى السماء فقال: «أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله» فقلت: يا رسول الله ظننت أنك أتيت بعض نسائك فقال: «إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب»[2] خرّجه الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه، وذكر الترمذى عن البخارى أنه ضعفه، وخرج ابن ماجه من حديث أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «**إن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلاَّ لمشرك**

---

(١) **ضعيف جداً إن لم يكن موضوعاً**. رواه ابن ماجة (١٣٨٨) ومن طريقه ابن الجوزى فى «العلل» (٢/ ٥٦١) والبيهقى فى «شعب الايمان» (٣/ ٣٧٨) رقم (٣٨٢٢) وفى«فضائل الأوقات» (٢٤) وفى سنده ابن أبى سبرة، قال فى «التقريب» (٢/ ٣٩٧): رموه بالوضع. وقال البوصيرى فى «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٤٦) هذا اسناد فيه ابن أبى سبرة، واسمه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبى سبرة، قال أحمد وابن معين: يضع الحديث.

(٢) **ضعيف**. رواه أحمد (٦/ ٢٣٨) والترمذى (٧٣٩) وابن ماجة (١٣٨٩) واللالكائى فى« أصول الاعتقاد (٧٦٤) والبيهقى فى «شعب الايمان) (٣/ ٣٧٩) رقم (٣٨٢٥ و٣٨٢٦) وفى سنده الحجاج بن أرطأة وهو مدلس وقد عنعنه وقال الترمذى: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج. وسمعت محمداً (يعنى البخارى) يُضَعِّفُ هذا الحديث. وقال : يحى بن أبى كثير لم يسمع من عروة. والحجاج ابن أرطأة لم يسمع من يحيى بن أبى كثير.

أو مشاحن»[1] وخرَّج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: «**إن الله ليطلع إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلاَّ اثنين مشاحن أو قاتل نفس»**[2]، وخرّجه ابن حبان فى صحيحه معاذ مرفوعا[3]، ويروى من حديث عثمان بن أبى العاص مرفوعاً: «**إذا كان ليلة النصف من شعبان نادى مناد: هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه فلا يسأل أحد شيئاً إلاَّ أعطيه إلاَّ زانية بفرجها، أو مشرك»**[4]، وفى الباب أحاديث أخر فيها ضعف. ويروى عن نوف البكالى أن عليا عليه السلام خرج ليلة النصف من شعبان فأكثر الخروج فيها ينظر إلى السماء فقال: إن داود عليه السلام خرج ذات ليلة فى مثل هذه الساعة فنظر إلى السماء فقال: إن هذه الساعة ما دعى الله أحدٌ إلا أجابه، ولا استغفره أحد من هذه الليلة إلاغفر له، ما لم يكن عشارا أو ساحراً، أو شاعراً أو كاهناً، أو عريفاً أو شرطياً، أو جابيا أو صاحب كوبة أو غرطبة. قال نوف: الكوبة: الطبل: والغرطبة: الطنبور. اللهم رب داود اغفر لمن دعاك فى هذه الليلة ولمن استغفرك فيها. وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن

---

(١) **حسن بشواهده.** رواه ابن ماجة (١٣٩٠) والبيهقى فى شعب الإيمان» (٣/ ٣٨٢) رقم (٣٨٣٤) وفى سنده الوليد بن مسلم وهو مدلس وقد عنعنه، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف، وفيه عبد الرحمن بن عرزب وهو مجهول كما فى «التقريب» (١/ ٤٩١) وقال السندى فى حاشيته على ابن ماجة: ابن عزرب لم يلق أبا موسى قاله المنذرى. ولكن للحديث شواهد يتقوى بها: منها حديث معاذ بن جبل. رواه الطبرانى فى «الكبير» (٢٠/ ١٠٨، ـ١٠٩) رقم (٢١٥) وفى «مسند الشاميين» (٢٠٥) وابن أبى عاصم فى «السنة » (٥١٢) والبيهقى فى «الشعب» (٣٨٣٣) وابن حبان (٥٦٦٥ ـ إحسان) وأبو نعيم فى «الحلية» (٥/ ١٩١). ومنها حديث أبى ثعلبة الخشنى. رواه ابن أبى عاصم فى «السنة» (٥١١) واللالكائى فى «شرح أصول الاعتقاد» (٧٦٠) والبيهقى فى « الشعب» (٣٨٣٢) وحديث عبد الله بن عمر رواه أحمد (٢/ ١٧٦) ومنها حديث أبى هريرة. رواه البزار (٢٠٤٦) وحديث أبى بكر الصديق. رواه البزار (٢٠٤٥) وابن خزيمة فى «التوحيد (ص٩٠) وابن أبى عاصم فى «السنة» (٧٥٠) وأبو نعيم فى «أخبار أصبهان» (٢/ ٢) والبيهقى فى شعب الإيمان» (٣٨٢٧و ٣٨٢٨) وحديث عوف بن مالك. رواه البزار (٢٠٤٨)، ومنها حديث عثمان بن أبى العاص. رواه البزار (٢٠٤٨) ومنها حديث عثمان بن أبى العاص. رواه البيهقى فى «شعب الايمان» (٣/ ٣٨٣) رقم (٣٨٣٦) وهذه الشواهد وإن كان فى كل واحد منها مقال إلا أنها يقوى بعضها بعضاً. . والله أعلم وانظر «الصحيحة» (١١٤٤)

(٢) **حسن بشواهده.** رواه أحمد (٢/ ١٧٦) وانظر الشواهد السابقة.

(٣) **حسن بشواهده.** رواه الطبرانى فى «الكبير» (٢٠/ ١٠٨ ـ ١٠٩) رقم (٢١٥) وابن أبى عاصم فى «السنة» (٥١٢) وابن حبان (٥٦٦٥ ـ إحسان وأبو نعيم فى «الحلية» (٥/ ١٩١) وانظر الشواهد السابقة.

(٤) **حسن بشواهده.** رواه البيهقى فى شعب الإيمان »(٣/ ٣٨٣) رقم (٣٨٣٦) وانظر الشواهد السابقة.

معدان، ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم يعظمونها ويجتهدون فيها فى العبادة وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها، وقد قيل أنه بلغهم فى ذلك آثار إسرائيلية فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختلف الناس فى ذلك، فمنهم من قبله منهم وافقهم على تعظيمها، منهم طائفة من عباد أهل البصرة وغيرهم، وأنكر ذلك أكثر علماء الحجاز منهم عطاء وابن أبى مليكة ونقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة وهو قول أصحاب مالك وغيرهم وقالوا: ذلك كله بدعة.

واختلف علماء أهل الشام فى صفة إحيائها على قولين: أحدهما: أنه يستحب إحياؤها جماعة فى المساجد. كان خالد بن معدان ولقمان بن عامر وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون فى المسجد ليلتهم تلك، ووافقهم إسحاق بن راهويه على ذلك وقال فى قيامها فى المساجد جماعة: ليس ذلك ببدعة، نقله عنه حرب الكرمانى فى مسائله، والثانى: أنه يكره الاجتماع فيها فى المساجد للصلاة والقصص والدعاء ولا يكره أن يصلى الرجل فيها لخاصة نفسه، وهذا قول الأوزاعى إمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم، وهذا هو الأقرب إن شاء الله تعالى. وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامله إلى البصرة عليك بأربع ليال من السنة فإن الله يفرغ فيهن الرحمة إفراغاً أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة الأضحى، وفى صحته عنه نظر. وقال الشافعى رضى الله عنه: بلغنا أن الدعاء يستجاب فى خمس ليال: ليلة الجمعة، والعيدين، وأول رجب، ونصف شعبان، وقال: واستحب كل ما حكيت فى هذه الليالى. ولا يعرف للإمام أحمد كلام فى ليلة نصف شعبان، ويتخرج فى استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين عنه قيام ليلتى العيد فأنه فى رواية لم يستحب قيامها جماعة؛ لأنه لم ينقل عن النبى ﷺ وأصحابه، واستحبها فى رواية لفعل عبد الرحمن بن يزيد بن الأسود لذلك وهو من التابعين، فكذلك قيام ليلة النصف لم يثبت فيها شىء عن النبى ﷺ ولا عن أصحابه وثبت فيها عن طائفة من التابعين من أعيان فقهاء أهل الشام، وروى عن كعب قال: إن الله تعالى يبعث ليلة النصف من شعبان جبريل عليه السلام إلى

الجنة فيأمرها أن تتزين ويقول: إن الله تعالى قد أعتق فى ليلتك هذه عدد نجوم السماء، وعدد أيام الدنيا ولياليها، وعدد ورق الشجر، وزنة الجبال، وعدد الرمال، وروى سعيد بن منصور حدثنا أبو معشر عن أبى حازم ومحمد بن قيس عن عطاء بن يسار قال: ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان. ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيغفر لعباده كلهم إلاَّ لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم، فيا من أعتق فيها من النار هنيئاً لك المنحة الجسيمة. ويا أيها المردود فيها جبر الله مصيبتك هذه فإنها مصيبة عظيمة.

بكيتُ على نفسى وحُقَّ لى البُكا	وما أنا من تَضييع عمرى فى شَكٍّ
لئن قلتُ إنى فى صنيعى محسنٌ	فإنى فى قولى لذلك ذو افك
ليالىَ شعبانٍ وليلةُ نصفه	بأيِّة حالٍ قد تنزَّلَ لى صكى
وحقى لعمرى أن أديم تضرعى	لعل إله الخلق يَسْمَحُ بالفكٍّ

فينبغى للمؤمن أن يتفرغ فى تلك الليلة لذكر الله تعالى ودعائه بغفران الذنوب وستر العيوب وتفريج الكروب وأن يقدم على ذلك التوبة فإن الله تعالى يتوب فيها على من يتوب.

فقم ليلة النصف الشريف مصليا	فأشرف هذا الشهر ليلة نصفه
فكم من فتى قد بات فى النصف آمناً	وقد نسخت فيه صحيفة حتفه
فبادر بفعل الخير قبل انقضائه	وحاذر هجوم الموت فيه بصرفه
وصم يومها لله وأحسن رجاءه	لتظفر عند الكرب منه بلطفه

ويتعين على المسلم أن يجتنب الذنوب التى تمنع من المغفرة وقبول الدعاء فى تلك الليلة، وقد روى: أنها: الشرك، وقتل النفس، والزنا، وهذه الثلاثة أعظم الذنوب عند الله كما فى حديث ابن مسعود المتفق على صحته أنه سأل النبى ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك» قال: ثم أى؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قال: ثم أى؟قال: «أن تزانى حلية جارك». فأنزل الله تعالى تصديق ذلك: ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون**

النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾[1] الآية. ومن الذنوب المانعة من المغفرة أيضاً الشحناء وهى حقد المسلم على أخيه بغضاً له لهوى نفسه وذلك يمنع أيضاً من المغفرة فى أكثر أوقات المغفرة والرحمة كما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً: «**تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلاً رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا**»[2]. وقد فسر الأوزاعى هذه الشحناء المانعة بالذى فى قلبه شحناء لأصحاب النبى ﷺ ،ولا ريب أن هذه الشحناء أعظم جرماً من مشاحنة الأقران بعضهم بعضاً. وعن الأوزاعى أنه قال: المشاحن كل صاحب بدعة فارق عليها الأمة. وكذا قال ابن ثوبان: المشاحن هو التارك لسنة النبى ﷺ الطاعن على أمته السافك دماءهم، وهذه الشحناء أعنى شحناء البدعة توجب الطعن على جماعة المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم كبدع الخوارج والروافض ونحوهم.

فأفضل الأعمال سلامة الصدر من أنواع الشحناء كلها وأفضلها السلامة من شحناء أهل الأهواء والبدع التى تقتضى الطعن على سلف الأمة وبغضهم والحقد عليهم واعتقاد تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم،ثم يلى ذلك سلامة القلب من الشحناء لعموم المسلمين وإرادة الخير لهم ونصيحتهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه. وقد وصف الله تعالى المؤمنين عموماً بأنهم يقولون:**﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾**[3]. وفى المسند عن أنس أن النبىﷺ قال لأصحابه: «ثلاثة أيام يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فيطلع رجل واحد فاستضافه عبد الله بن عمرو فنام عنده ثلاثاً لينظر عمله فلم يره له فى بيته كبير عمل فأخبره بالحال فقال له

---

(١) رواه البخارى (٤٤٧٧) كتاب التفسير باب: قوله تعالى **﴿ فلا تجعلوا لله نداً وأنتم تعلمون﴾**. ومسلم (٢٥١) كتاب الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب. وأحمد (١/ ٤٣٤) والنسائى (٩٠٠٧) وفى «التفسير» فى الكبرى» (٦/ ٤٢١) رقم (١١٣٦٩) والترمذى (٣١٨٣) كتاب التفسير، باب: ومن سورة الفرقان.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة الحشر: آية ١٠

هو ما ترى إلاً أنى أبيت وليس فى قلبى شىء على أحد من المسلمين فقال عبدالله: بهذا بلغ ما بلغ[1]، وفى سنن ابن ماجة عن عبد الله بن عمرو قال: قيل: يا رسول الله أى الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان»، قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: «هوالتقى النقى الذى لا إثم فيه ولا بغى، ولا غل ولا حسد»[2]، قال بعض السلف: أفضل الأعمال سلامة الصدور. وسخاوة النفوس، والنصيحة للأمة. وبهذه الخصال بلغ من بلغ لا بكثرة الاجتهاد فى الصوم والصلاة. إخوانى اجتنبوا الذنوب التى تحرم العبد مغفرة مولاه الغفار فى مواسم الرحمة والتوبة والاستغفار، أما الشرك فإنّه**﴿ مَن يشرك بالله فقد حرم اللهُ عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾**[3]، وأما القتل فلو اجتمع أهل السموات وأهل الأرض على قتل رجل مسلم بغير حق لأكبهم الله جميعاً فى النار. وأما الزنا فحذار حذار من التعرض لسخط الجبار، الخلق كلهم عبيد الله وإماؤه والله يغار لا أحد أغير من الله أن يزنى عبده أو تزنى أمته. فمن أجل ذلك حرم الفواحش وأمر بغض الأبصار، وأما الشحناء فيا من أضمر لأخيه السوء وقصد له الإضرار: **﴿لا تحسبن الله غافلاً عمًّا يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾**[4].

يكفيك حرمان المغفرة فى أوقات مغفرة الأوزار.

خاب عبد بـــارزَ المو   لى بأسبابِ المعاصى
ويْحُه ممـــا جـــناه   لم يخف يوم القصاص
يومُ فيه تُرْعَدُ الأقد   ام من شيَبْ النَّواصى

---

(١) ضعيف رواه عبد الرزاق (١١/٢٨٧) رقم (٢٠٥٥٩) و أحمد (٣/١٦٦) والنسائي فى «عمل اليوم والليلة» (٨٦٩) والبغوى فى شرح السنة» (٣٥٣٥) والبيهقى من «شعب الإيمان» (٥/٢٦٤) رقم (٦٦٠٥) وقال الحافظ المزى فى «تحفة الأشراف» (١/٣٩٥): قال حمزة بن محمد الكنانى الحافظ: لم يسمعه الزهرى من أنس، رواه عن رجل عن أنس كذلك رواه عقيل وإسحاق بن راشد وغير واحد عن الزهرى وهو الصواب اهـ ،وقال الدارقطنى: لم يسمع الزهرى من أنس حديث «يطلع عليكم رجل من هذا القبح من أهل الجنة» «العلل» (٤/الورقة ٣٥) نقلاً عن «تهذيب الكمال» (٢٦/٤٢١) وذكر البيهقى فى «الشعب» أن شعيباً رواه عن الزهرى حدثنى من لا أتهم عن أنس بن مالك. وقال الحافظ ابن حجر فى «النكت الظراف على تحفة الأشراف»: ورويناه فى «مكارم الأخلاق» وفى عدة أمكنة عن عبد الرزاق، وقد ظهر أنه معلول.

(٢) **صحيح**. رواه ابن ماجة (٤٢١٦) كتاب الزهد، باب: الورع والتقوى.

(٣) سورة المائدة: آية ٧٢.   (٤) سورة إبراهيم: آية ٤٢.

لى ذنوبٌ فى ازدياد وحياةٌ فــى إنتقاص
فمتى أعملُ ما أعلمُ لــى فيه خــلاصى

وقد روى عن عكرمة وغيره من المفسرين فى قوله تعالى: ﴿**فيها يفرق كُلّ أمر حكيم**﴾[1] أنها ليلة النصف من شعبان، والجمهور على أنها ليلة القدر وهو الصحيح. وقال عطاء بن يسار: إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال: اقبض من فى هذه الصحيفة فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبنى البنيان وإنَّ اسمه قد نسخ فى الموتى ما ينتظر به ملك الموت إلاَّ أن يؤمر به فيقبضه. يا مغروراً بطول الأمل يا مسروراً بسوء العمل كن من الموت على وجل فما تدرى متى يهجم الأجل.

كُلُّ امرئ مصبَّحٌ فى أهْله والموتُ أدنى من شِرَاك نَعْله

قال بعض السلف: كم من مستقبل يوماً لا يستكمله، ومن مؤمل غداً لا يدركه، إنكم لو رأيتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

أؤمل أن أخلد والمنايا تدور علىَّ من كل النواحى
وما أدرى وإن أمسيت يوما لعلى لا أعيش إلى الصباح

كم ممن راح فى طلب الدنيا أو غداً أصبح من سكان القبور غداً

كأنك بالمضى إلى سبيلك وقد جد المجهز فى رحيلك
وجىء بغاسل فاستعجلوه بقولهم له افرغ من غسيلك
ولم تحمل سوى كفن وقطن إليهم من كثيرك أو قليلك
وقد مد الرجال إليك نعشاً فأنت عليه ممدود بطولك
وصلوا ثم إنهم تداعوا لحملك من بكورك أو أصيلك
فلما أسلموك نزلت قبرا ومن لك بالسلامة فى نزولك
أعانك يوم تدخله رحيم رءوف بالعباد على دخولك
فسوف تجاور الموتى طويلاً فذرنى من قصيرك أو طويلك
أخىّ لقد نصحتك فاستمع لى وبالله استعنت على قبولك
ألست ترى المنايا كل حين تصيبك فى أخيك وفى خليلك

(١) سورة الدخان: آية ٤.

المجلس الثالث فى صيام آخر شعبان

ثبت فى الصحيحين عن عمران بن حصين أن النبى ﷺ قال لرجل: «هل صمت من سرر هذا الشهر شيئاً؟ قال: لا، قال: «فإذا أفطرت فصم يومين»[1].

وفى رواية للبخارى أظنه يعنى رمضان، وفى رواية لمسلم وعلقها البخارى: «هل صمت من سرر شعبان شيئاً» وفى رواية: «فإذا أفطرت من رمضان فصم يومين مكانه»[2]، وفى رواية: «يوماً أو يومين» شك شعبة[3]، وروى: «من سرار الشهر». وقد اختلف فى تفسير السرار، والمشهور أنه آخر الشهر، يقال: سرار الشهر، وسِراره بكسر السين وفتحها ذكره ابن السكيت وغيره. وقيل: إن الفتح أفصح قاله الفراء. وسمى آخر الشهر سِرارا؛ لاسترار القمر فيه، وممن فسر السرار بآخر الشهر أبو عبيد وغيره من الأئمة. وكذلك بوب عليه البخارى صيام آخر الشهر، وأشكل هذا على كثير من العلماء فإن فى الصحيحين أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **لا تقدموا رمضان بيوم أو يومين إلاّ من كان يصوم صوماً فليصمه**»[4]، فقال كثير من العلماء كأبى عبيد ومن تابعه كالخطابى وأكثر شراح الحديث: أن هذا الرجل الذى سأله النبى ﷺ كان يعلم أن له عادة بصيامه أو كان قد نذره فلذلك أمره بقضائه، وقالت طائفة: حديث عمران يدل على أنه يجوز صيام يوم الشك وآخر شعبان مطلقا سواء وافق عادة أو لم يوافق وإنما ينهى عنه إذا صامه بنية الرمضانية احتياطا، وهذا مذهب مالك، وذكر أنه القول الذى أدرك عليه أهل العلم حتى قال محمد بن مسلمة من أصحابه: يكره الأمر بفطره لئلا يعتقد وجوب الفطر قبل الشهر كما وجب بعده. وحكى ابن عبدالبر هذا القول عن أكثر علماء الأمصار. وذكر محمد بن ناصر الحافظ: إن هذا

---

(١) رواه البخارى (١٩٨٣) كتاب الصوم، باب: الصوم من آخر الشهر ومسلم (٢٧٠٥) كتاب الصيام، باب: صوم سرر شعبان وأحمد (٤/٤٢٨) وأبو داود فى «الصوم» (٢٣٢٨) باب: فى التقدم.

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٦) كتاب الصيام، باب: صوم سرر شعبان.

(٣) رواه مسلم (٢٧٠٧) كتاب الصيام، باب: صوم سرر شعبان.

(٤) سبق تخريجه

هو مذهب أحمد أيضاً وغلط فى نقله هذا عن أحمد ولكن يشكل على هذا حديث أبى هريرة رضى الله عنه وقوله: «محمد بن ناصر الحافظ: إلا من كان يصوم صوماً فليصمه»، وقد ذكر الشافعى فى كتاب مختلف الحديث احتمالاً فى معنى قوله: «إلا من كان يصوم صوما فليصمه»، وفى رواية: «إلا أن يوافق ذلك صوماً كان يصومه أحدكم» أن المراد بموافقة العادة صيامه على عادة الناس فى التطوع بالصيام دون صيامه بنية الرمضانية للاحتياط.

وقالت طائفة: سر الشهر: أوله، وخرَّج أبو داود فى باب تقدم رمضان من حديث معاوية أنه قال: إنى متقدم الشهر فمن شاء فليتقدم فسئل عن ذلك فقال: سمعت النبى ﷺ يقول: «صوموا الشهر وسره»[1]، ثم حكى أبو داود عن الأوزاعى وسعيد بن عبد العزيز: أن سر الشهر أوله، قال أبو داود: وقال بعضهم: سره وسطه، وفرق الأزهرى بين سرار الشهر وسره، فقال: سراره وسرره آخره، وسره وسطه وهى أيام البيض، وسر كل شىء جوفه. وفى رواية لمسلم فى حديث عمران بن حصين المذكور: «هل صمت من سرة هذا الشهر» وفسر ذلك: بأيام البيض، قلت: لا يصح أن يفسر سرر الشهر وسراره بأوله؛ لأن أول الشهر يشتهر فيه الهلال ويرى من أول الليل؛ ولذلك سمى الشهر شهراً لاشتهاره وظهوره فتسمية ليالى الاشتهار ليالى السرار قلب للغة والعرف، وقد أنكر العلماء ما حكاه أبو داود عن الأوزاعى منهم الخطابى وروى بإسناده عن الوليد عن الأوزاعى قال: سر الشهر: آخر، وقال الهروى: المعروف أن سر الشهر آخره. وفسر الخطابى حديث معاوية: «صوموا الشهر وسره» بأن المراد بالشهر الهلال فيكون المعنى صوموا أول الشهر وآخره، فلذلك أمر معاوية بصيام آخر الشهر، قلت: لما روى معاوية «صوموا الشهر وسره» وصام آخر الشهر عُلم أنه فسر السر بالآخر. والأظهر أن المراد بالشهر شهر رمضان كله والمراد بسره آخر شعبان كما فى رواية البخارى فى حديث عمران أظنه يعنى رمضان، وأضاف السرر إلى رمضان وإن لم يكن منه،

---

(١) ضعيف. رواه أبو داود (٢٣٢٩) والبيهقى فى «السنن الكبرى» (٤/ ٢١٠ ـ ٢١١) وفى سنده المغيرة بن فروة، وهو مقبول كما فى التقريب» (٢/ ٢٧٠) والوليد بن مسلم وهو يدلس تدليس التسوية ولم يصرح بالسماع.

كما سمى رمضان شهر عيد، وإن كان العيد ليس منه لكنه يعقبه، فدل حديث عمران وحديث معاوية على استحباب صيام آخر شعبان وإنما أمر بقضائه فى أول شوال؛ لأن كلا من الوقتين صيام يلى شهر رمضان فهو ملتحق برمضان فى الفضل فمن فاته ما قبله صامه فيما بعده كما كان النبى ﷺ يصوم شعبان وندب إلى صيام شوال.

وإنما يشكل على هذا حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى نهى النبى ﷺ عن تقدم رمضان بيوم أو يومين إلاَّ من له عادة، أو من كان يصوم صوماً، وأكثر العلماء على أنه نهى عن التقدم إلاَّ من كانت له عادة بالتطوع فيه وهو ظاهر الحديث، ولم يذكر أكثر العلماء فى تفسيره بذلك اختلافاً وهو الذى اختاره الشافعى فى تفسيره ولم يرجح ذلك الاحتمال المتقدم، وعلى هذا فيرجع حديث أبى هريرة على حديث عمران فإن حديث أبى هريرة فيه نهى عام للأمة عموماً فهو تشريع عام للأمة فيعمل به. وأما حديث عمران، فهى قضية عين فى حق رجل معين فيتعين حمله على صورة صيام لا ينهى عن التقدم به جمعا بين الحديثين، وأحسن ما حمل عليه أن هذا الرجل الذى سأله النبى ﷺ كان قد علم منه ﷺ أنه كان يصوم شعبان أو أكثره موافقة لصيام النبى ﷺ ، وكان قد أفطر فيه بعضه فسأله عن صيام آخره، فلما أخبره أنه لم يصم آخره أمره بأن يصوم بدله بعد يوم الفطر؛ لأن صيام أول شوال كصيام آخر شعبان وكلاهما حريم لرمضان. وفيه دليل على استحباب قضاء ما فات من التطوع بالصيام وأن يكون فى أيام مشابهة للأيام التى فات فيها الصيام فى الفضل، وفيه دليل على أنه يجوز لمن صام شعبان أو أكثره أن يصله برمضان من غير فصل بينهما.

فصيام آخر شعبان له ثلاثة أحوال:

أحدها: أن يصومه بنية الرمضانية احتياطاً لرمضان فهذا منهى عنه، وقد فعله بعض الصحابة وكأنهم لم يبلغهم النهى عنه، وفرَّق ابن عمر بين يوم الغيم والصحو فى يوم الثلاثين من شعبان، وتبعه الإمام أحمد.

والثانى: أن يصام بنية الندب أو قضاء عن رمضان أو عن كفارة ونحو ذلك

فجوزه الجمهور، ونهى عنه من أمر بالفصل بين شعبان ورمضان بفطر يوم مطلقاً وهم طائفة من السلف، وحكى كراهته أيضاً عن أبى حنيفة والشافعى وفيه نظر.

والثالث: أن يصام بنية التطوع المطلق فكرهه من أمر بالفصل بين شعبان ورمضان بالفطر منهم الحسن وإن وافق صوماً كان يصومه ورخص فيه مالك ومن وافقه وفرق الشافعى والأوزاعى وأحمد وغيرهم بين أن يوافق عادة أو لا، وكذلك يفرق بين من تقدم صيامه بأكثر من يومين ووصله برمضان فلا يكره أيضاً إلاَّ عند من كره الابتداء بالتطوع بالصيام بعد نصف شعبان فإنه ينهى عنه إلاَّ أن يبتدئ الصيام قبل النصف ثم يصله برمضان، وفى الجملة فحديث أبى هريرة هو المعمول به فى هذا الباب عند كثير من العلماء وأنه يكره التقدم قبل رمضان بالتطوع بالصيام بيوم أو يومين لمن ليس له به عادة ولا سبق منه صيام قبل ذلك فى شعبان متصلاً بآخره.

ولكراهة التقدم ثلاثة معان: أحدها: أنه على وجه الاحتياط لرمضان فينهى عن التقدم قبله لئلا يزاد فى صيام رمضان ما ليس منه كما نهى عن صيام يوم العيد لهذا المعنى، حذرا مما وقع فيه أهل الكتاب فى صيامهم فزادوا فيه بآرائهم وأهوائهم، وخرَّج الطبرانى وغيره عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن ناساً كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبى ﷺ فأنزل الله عزوجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله**﴾[1] قالت عائشة: إنما الصوم صوم الناس، والفطر فطر الناس. ومع هذا فكان من السلف من يتقدم للاحتياط والحديث حجة عليه. ولهذا نهى عن صيام يوم الشك قال عمار: من صامه فقد عصى أبا القاسم ﷺ. ويوم الشك هو اليوم الذى يشك فيه هل هو من رمضان أو غيره فكان من المتقدمين من يصومه احتياطاً، ورخص فيه بعض الحنفية للعلماء فى أنفسهم خاصة دون العامة لئلا يعتقدوا وجوبه بناء على أصلهم فى أن صوم رمضان يجزئ بنية الصيام المطلق والنفل؛ ويوم الشك هو الذى تحدث فيه برؤيته من لم يقبل قوله. فأما يوم الغيم فمن العلماء من جعله يوم شك، ونهى عن صيامه وهو قول الأكثرين؛

---

(١) ضعيف جدا. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٣/ ١٣٤) رقم (٢٧١٣) وفى سنده يحيى بن الحارث التيمى وهو متروك كما قال الهيثمى فى «المجمع» (٥/ ٦٢).

ومنهم من صامه احتياطاً وهو قول ابن عمر، وكان الإمام أحمد يتابعه على ذلك وعنه فى صيامه ثلاث روايات مشهورات. ثالثها لا يصام إلاَّ مع الإمام وجماعة المسلمين لئلا يقع الافتيات عليهم والانفراد عنهم. وقال إسحاق: لا يصام يوم الغيم ولكن يتلوم بالأكل فيه إلى ضحوة النهار خشية أن يشهد برؤيته بخلاف حال الصحو فإنه يأكل فيه من غدوة.

والمعنى الثانى: الفصل بين صيام الفرض والنفل فإن جنس الفصل بين الفرائض والنوافل مشروع، ولهذا حرم صيام يوم العيد ونهى النبى ﷺ أن توصل صلاة مفروضة بصلاة حتى يفصل بينهما بسلام أو كلام وخصوصا سنة الفجر قبلها فإنه يشرع الفصل بينها وبين الفريضة ولهذا يشرع صلاتها فى البيت والاضطجاع بعدها ولما رأى النبى ﷺ رجلاً يصلى وقد أقيمت صلاة الفجر: «آلصبح أربعاً»[1] وفى المسند: أنه ﷺ قال: «افصلوا بينها وبين المكتوبة ولا تجعلوها كصلاة الظهر»[2]، وفى سنن أبى داود: إن رجلاً صلى مع النبى ﷺ فلما سلم قام يشفع فوثب إليه عمر فأخذ بمنكبيه فهزه ثم قال: اجلس فإنه لم يهلك أهل الكتاب إلاَّ أنه لم يكن لصلاتهم فصل فرفع النبى ﷺ بصره فقال: «أصاب الله بك يا ابن الخطاب»[3] ،ومن علل بهذا فمنهم من كره وصل صوم شعبان برمضان مطلقاً، وروى عن ابن عمر قال: لو صمت الدهر كله لأفطرت الذى بينهما، وروى فيه حديث مرفوع لا يصح. والجمهور على جواز صيام ما وافق عادة؛ لأن الزيادة إنما تخشى إذا لم يعرف سبب الصيام.

والمعنى الثالث: إنه أمر بذلك للتقّوى على صيام رمضان فإن مواصلة الصيام قد تضعف عن صيام الفرض فإذا حصل الفطر قبله بيوم أو يومين كان أقرب إلى

---

(١) رواه البخارى (٦٦٣) كتاب الصلاة، باب: إذا اقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة. ومسلم (١٦١٩) كتاب الصلاة، باب: كراهة النافلة بعد شروع المؤذن. واحمد (٥/ ٣٤٥) والنسائي في «الصلاة» (٢/ ١١٦) باب: ما يكره من الصلاة عند الإقامة وابن ماجة فى «الصلاة» (١١٥٣) باب: ما جاء فى: إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة. من حديث عبد الله بن بحينة رضى الله عنه.

(٢) **صحيح**. رواه أحمد (٥/ ٣٤٥).

(٣) **ضعيف**. رواه أبو داود (١٠٠٧) والحاكم (١/ ٢٧٠) وقال: صحيح على شرط مسلم !! وتعقبه الذهبى بقوله: المنهال ضعفه ابن معين واشعث فيه لين والحديث منكر.

التقوى على صيام رمضان وفي هذا التعليل نظر فإنه لا يكره التقدم بأكثر من ذلك ولا لمن صام الشهر كله وهو أبلغ فى معنى الضعف لكن الفطر بنية التقوى لصيام رمضان حسن لمن أضعفه مواصلة الصيام، كما كان عبد الله بن عمرو بن العاص يسرد الفطر أحياناً ثم يسرد الصوم ليتقوى بفطره على صومه. ومنه قول بعض الصحابة: إنى أحتسب نومتى كما أحتسب قومتي، وفى الحديث المرفوع: «الطاعم الشاكر كالصائم الصابر»[1] خرّجه الترمذى وغيره، ولربما ظن بعض الجهال أن الفطر قبل رمضان يراد به اغتنام الأكل لتأخذ النفوس حظها من الشهوات قبل أن تمنع من ذلك بالصيام ولهذا يقولون هى أيام توديع للأكل وتسمى تنحيسا واشتقاقه من الأيام النحسات، ومن قال: هو تنهيس بالهاء فهو خطأ منه ذكره ابن درستويه النحوى، وذكر أن أصل ذلك متلقى من النصارى فإنهم يفعلونه عند قرب صيامهم وهذا كله خطأ وجهل ممن ظنه، وربما لم يقتصر كثير منهم على اغتنام الشهوات المباحة بل يتعدى إلى المحرمات وهذا هو الخسران المبين وأنشد بعضهم فى هذا

إذا العشرون من شعبان ولت   فواصل شرب ليـلك بالنـهـار
ولا تشـرب بـأقـداح صغــار   فإن الوقت ضاق على الصغار

وقال آخر:

جـــاء شعبان منذراً بالصيام   فاسقيانى راحـــاً بماء الغمام

ومن كانت هذه حاله فالبهائم أعقل منه وله نصيب من قوله تعالى: **﴿ولقد ذَرأنا لجهنم كثيراً مِن الجنِّ والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها﴾**[2] الآية، وربما كره كثير منهم صيام رمضان حتى إن بعض السفهاء من الشعراء كان يسبه وكان للرشيد ابنٌ سفيه فقال مرةً:

---

(١) صحيح بطرقه. رواه الترمذى (٢٤٨٦) وعبد الرزاق (١٩٥٧٣) وأحمد (٢/ ٢٨٣ و٢٨٩) وابن ماجه (١٧٦٤) والحاكم (١/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣ و٤/ ١٣٦) وابن خزيمة (١٨٩٨ و١٨٩٩) وابن حبان (٣١٥ ـ إحسان) والبيهقى (٤/ ٣٠٦) والبغوى فى «شرح السنة» (٢٨٣٢) والبخارى فى «التاريخ الكبير» (١/ ١٤٢ و١٤٣) وعلقه البخارى فى كتاب الأطعمة باب: ٥٦، فقال: باب الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر، فيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ وانظر «الصحيحة» (٦٥٥).

(٢) سورة الأعراف: آية ١٧٩

دعاني شهر الصوم لا كان من شهر ولا صمت شهراً بعده آخر الدهر

فلو كان يعديني الأنام بقدرة على الشهر لا ستعديت جهدى على الشهر

فأخذه داء الصرع فكان يصرع فى كل يوم مرات متعددة، ومات قبل أن يدركه رمضان آخر. وهؤلاء السفهاء يستثقلون رمضان لاستثقالهم العبادات فيه من الصلاة والصيام، فكثير من هؤلاء الجهال لا يصلى إلاّ فى رمضان إذا صام، وكثير منهم لا يجتنب كبائر الذنوب إلاّ فى رمضان فيطول عليه ويشق على نفسه مفارقتها لمألوفها فهو يعد الأيام والليالى ليعود إلى المعصية، وهؤلاء مصرون على ما فعلوا وهم يعلمون، فهم هلكى ومنهم من لا يصبر على المعاصى فهو يواقعها فى رمضان، وحكاية محمد بن هارون البلخى مشهورة وقد رويت من وجوه: وهو أنه كان مصرا على شرب الخمر فجاء فى آخر يوم من شعبان وهو سكران فعاتبته أمه وهى تسجر تنوراً فحملها فألقاها فى التنور فاحترقت وكان بعد ذلك قد تاب وتعبد فرؤى له فى النوم أن الله قد غفر للحاج كلهم سواه. فمن أراد الله به خيراً حبب إليه الإيمان وزينه فى قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان«فصار من الراشدين، ومن أراد به شرا خلى بينه وبين نفسه فأتبعه الشيطان فحّبب إليه الكفر والفسوق والعصيان فكان من الغاوين. الحذر الحذر من المعاصى فكم سلبت من نعم، وكم جلبت من نقم، وكم خرّجت من ديار، وكم أخلت دياراً من أهلها فما بقى منهم ديار، كم أخذت من العصاة بالثار، كم محت لهم من آثار.

يا صاحب الذنب لا تأمن عواقبه عواقب الذنب تخشى وهى تنتظر

فكل نفس ستجزي بالذى كسبت وليس للخلق من ديانهم وزر

أين حال هؤلاء الحمقى من قوم كان دهرهم كله رمضان ليلهم قيام ونهارهم صيام، باع قوم من السلف جارية فلما قرب شهر رمضان رأتهم يتأهبون له ويستعدون بالأطعمة وغيرها فسألتهم فقالوا نتهيأ لصيام رمضان، فقالت: وأنتم لا تصومون إلاّ رمضان لقد كنت عند قوم كل زمانهم رمضان ردونى عليهم، باع الحسن بن صالح جارية له فلما انتصف الليل قامت فنادتهم: يا أهل الدار الصلاة الصلاة قالوا: طلع الفجر؟ قالت:وأنتم لا تصلون إلاّ المكتوبة ثم جاءت الحسن

فقالت: بعتنى على قوم سوء لا يصلون إلاَّ المكتوبة ردنى ردنى، قال بعض السلف: صم الدنيا واجعل فطرك الموت، الدنيا كلها شهر صيام المتقين يصومون فيه عن الشهوات المحرمات فإذا جاءهم الموت فقد انقضى شهر صيامهم واستهلوا عيد فطرهم.

وقد صمت عن لذات دهرى كلها	ويـــوم لقاكم ذاك فطر صيامى

من صام اليوم عن شهواته أفطر عليها بعد مماته، ومن تعجل ما حرم عليه قبل وفاته عوقب بحرمانه فى الآخرة وفواته، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[1] الآية، وقول النبى ﷺ: «من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة[2] ومن لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة»[3].

أنت فى دار شتات	فتأهـــب لشتاتـــك
واجعل الدنيا كيوم	صمته عن شهواتك
وليكن فطرك عند اللـ	ـه فى يوم وفاتك

فى حديث مرفوع خرَّجه ابن أبى الدنيا: «لو يعلم العباد ما فى رمضان لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها»[4]، وكان النبى ﷺ يبشّر أصحابه بقدوم رمضان كما خرَّجه الإمام أحمد والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان

---

(١)سورة الأحقاف: آية ٢٠

(٢) رواه البخارى (٥٥٧٥) كتاب الأشربة، باب: قول الله تعالى ﴿إنما الخمر والميسر . . .﴾ ومسلم (٥١٢٤) كتاب الأشربة باب: عقوبة من شرب الخمر إذا لم يتب منها. والنسائي فى «الأشربة» (٨/ ٣١٧) باب: توبة شارب الخمر من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

(٣) رواه البخارى (٥٨٣٢) كتاب اللباس، باب: لبس الحرير للرجال، وقدر ما يجوز منه. ومسلم (٥٣٢٦) كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم لبس الحرير. والنسائي فى «الكبرى» (٥/ ٤٦٥) رقم (٩٥٨٢) وابن ماجة فى «اللباس» (٣٥٨٨) باب: كراهية لبس الحرير.

(٤) **ضعيف جداً إن لم يكن موضوعاً.** رواه أبو يعلى (٥٢٧٣) والطبرانى فى «الكبير» (٢٢/ ٣٨٨) رقم (٩٦٧) وابن خزيمة (١٨٨٦) والبيهقى فى شعب الإيمان » (٣/ ٣١٣) رقم (٣٦٣٤) وابن الجوزى فى «الموضوعات» (٢/ ١٨٩) من حديث أبى مسعود الغفارى، وفى سنده جرير بن أيوب البجلى، قال عنه البخارى: منكر، وقال ابن معين: ليس بشىء وقال الفضل بن دكين: كان يضع الحديث، وقال النسائي والدارقطنى: متروك.

النبى ﷺ يبشّر أصحابه يقول: «قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم»[(١)]، قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل فى تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان كيف لا يبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان، كيف لا يبشر المذنب بغلق أبواب النيران، كيف لا يبشر العاقل بوقت يغل فيه الشياطين من أين يشبه هذا الزمان زمان، وفى حديث آخر: «أتاكم رمضان سيد الشهور فمرحباً به وأهلاً»[(٢)].

جاء شهر الصيام بالبركات   فأكرم به من زائر هو آت

وروى «أن النبى ﷺ كان يدعو ببلوغ رمضان فكان إذا دخل رجب يقول: «اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان»[(٣)]، خرَّجه الطبرانى وغيره من حديث أنس. قال معلى بن الفضل: كانوا يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم. وقال يحيى بن أبى كثير كان من دعائهم: اللهم سلمنى إلى رمضان وسلم لى رمضان وتسلمه منى متقبلاً، بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمة عظيمة على من أقدره الله عليه، ويدل عليه حديث الثلاثة الذين استشهد اثنان منهم ثم مات الثالث على فراشه بعدهما فرؤى فى النوم سابقاً لهما فقال النبى ﷺ: «أليس صلى بعدهما كذا وكذا صلاة، وأدرك رمضان فصامه؟، فوالذى نفسى بيده إن بينهما لا بعدهما مما بين السماء والأرض»[(٤)]، خرّجه الإمام أحمد وغيره، ومن رحَم فى رمضان فهو المرحوم، ومن حرم خيره فهو المحروم، ومن لم يتزود لمعاده فيه فهو ملوم.

---

(١) **صحيح**. رواه احمد (٢/ ٢٣٠ و٣٨٥ و٤٢٥) والنسائي (٤/ ١٢٩) وابن أبى شيبة (٢/ ٤١٩) رقم (١)

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ. ورواه البيهقى فى شعب الإيمان» عن أبى سعيد الخدرى (٣/ ٣١٤) رقم (٣٦٣٧) وقال: فى إسناده ضعف. ورواه ابن أبى شيبة كما فى كنز العمال» (٨/ ٤٨٢) والطبرانى فى «الكبير» (٩/ ٢٣٢) رقم (٩٠٠٠) والبيهقى فى الشعب» (٣/ ٣١٤) رقم (٣٦٣٨) موقوفاً على ابن مسعود رضى الله عنه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) **ضعيف**. رواه أحمد (١/ ١٦٣) وابن ماجة (٣٩٢٥) وابن حبان (٢٩٨٢ ـ إحسان) والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) وفى سنده انقطاع بين أبى سلمة بن عبد الرحمن وبين طلحة بن عبيد الله قال البوصيرى فى «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢١٨): هذا إسناد رجاله ثقات وهو منقطع، قال على بن المدينى وابن معين: أبو سلمة لم يسمع من طلحة بن عبيد الله شيئاً.

أتى رمضان مزرعة العباد　　لتطهير القلوب من الفساد

فأد حقوقه قولاً وفعلاً　　وزادك فاتخذه للمعاد

فمن زرع الحبوب وما سقاها　　تأوَّه نادماً يوم الحصاد

يا من طالت غيبته عنّا قد قربت أيام المصالحة، يا من دامت خسارته قد أقبلت أيام التجارة الرابحة، من لم يربح فى هذا الشهر ففى أى وقت يربح، من لم يقرب فيه من مولاه فهو على بعده لا يبرح.

أناس أعرضوا عنا　　بلا جرم ولا معنى

أساؤا ظنهم فينا　　فهلا أحسنوا الظنا

فإن عادوا لنا عدنا　　وإن خانوا فما خنا

فإن كانــوا قــد　　فإنا عنهــم أغنا

كم يُنَادى حى على الفلاح وأنت خاسر، كم تدعى إلى الصلاح وأنت على الفساد مثابر.

إذا رمضان أتــى مقبلاً　　فأقبــل فبالخير يستقبل

لعلك تخطئه قــابلاً　　وتأتى بعــذر فلا يقبـل

كم ممن أَمَّلَ أن يصوم هذا الشهر فخانه أمله فصار قبله إلى ظلمة القبر، كم من مستقبل يوماً لا يستكمله، ومؤمل غداً لا يدركه إنكم لو أبصرتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره، خطب عمر بن عبد العزيز آخر خطبة خطبها فقال فيها: إنكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى، وإن لكم معادا ينزل الله فيه للفصل بين عباده، فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شىء وحرم جنة عرضها السموات والأرض،ألا ترون إنكم فى أسلاب الهالكين وسيرتها بعدكم الباقون كذلك حتى إلى خير الوارثين، وفى كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله فتودعونه وتدعونه فى صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وسكن التراب وواجه الحساب، غنيا عما خلف فقيراً إلى ما أسلف، فاتقوا الله عباد الله قبل

نزول الموت وانقضاء مواقيته؛ وإنى لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما علم عندى ولكن أستغفر الله وأتوب إليه ثم رفع طرف ردائه وبكى حتى شهق، ثم نزل فما عاد إلى المنبر بعدها حتى مات رحمة الله عليه.

يا ذا الذى ما كفاه الذنب فى رجب ... حتى عصى ربه فى شهر شعبان

لقد أظلك شهر الصوم بعدهما ... فلا تصيره أيضـــا شهر عصيان

واتل القرآن وسبح فيه مجتهدا ... فإنـــــه شهر تسبيح وقـــــرآن

واحمل على جسد ترجو النجاة له ... فسوف تضـــــرمُ أجسادٌ بنيران

كم كنت تعرف ممن صام فى سلف ... من بين أهـــــل وجيران وإخوان

أفناهم المـــوت واستبقاك بعدهم ... حيا فما أقرب القاصى من الدانى

ومعجب بثياب العيد يقطعها ... فأصبحت فى غد أثواب أكفان

حتى متى يعمر الإنسان مسكنه ... مَصيرُ مصير مَسْكَنِه قبرٌ لإنسان

●●●●●

وظائف شهر رمضان المعظم وفيه مجالس

المجلس الأول فى فضل الصيام

ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلاَّ الصيام فإنه لى وأنا أجزى به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»(١)، وفى رواية: «كل عمل ابن آدم له إلاَّ الصيام فإنه لى»(٢). وفى رواية للبخارى: «لكل عمل كفارة، والصوم لى وأنا أجزى به»(٣)، وخرجه الإمام أحمد من هذا الوجه ولفظه: «كل عمل ابن آدم له كفارة إلا الصوم والصوم لى وأنا أجزى به».

فعلى الرواية الأولى: يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلاَّ الصيام، فإنه لا ينحصر تضعيفه فى هذا العدد بل يضاعفه الله عز وجل أضعافا كثيرة بغير حصر عدد، فإن الصيام من الصبر، وقد قال الله تعالى: ﴿**إنما يوفَّى الصابرون أَجْرَهُم بغير حساب**﴾(٤). ولهذا ورد عن النبى ﷺ أنه سمى شهر رمضان شهر الصبر، وفى حديث آخر عنه ﷺ قال: «الصوم نصف الصبر»(٥) خرّجه الترمذى.

والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله ، وصبر على أقدار الله المؤلمة، وتجتمع الثلاثة فى الصوم فإن فيه صبرا على طاعة الله،

---

(١) رواه البخارى (١٨٩٤) كتاب الصوم، باب: فضل الصوم. ومسلم (٢٦٦٤) كتاب الصيام، باب: فضل الصيام. والنسائي فى «الصيام» (٤/ ١٦٢) وابن ماجة فى «الصيام» (١٦٣٨) باب: ما جاء فى فضل الصيام.

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٣) والبخارى (١٩٠٤) والنسائي(٤/ ١٦٣، ١٦٤)

(٣) **صحيح**. رواه أحمد (٢/ ٥٠٤)

(٤) سورة الزمر: آية ١٠.

(٥) **ضعيف**. رواه أحمد (٤/ ٢٦٠ و٥/ ٣٦٣ و٣٧٠ و٣٧٢) والترمذى (٣٥١٩) وفى سنده جرى النهدى وهو ابن كليب ولم يرو عنه غير أبى اسحاق السبيعى فهو فى عداد المجهولين. وقال الحافظ فى «التقريب» (١/ ١٢٨): مقبول.

وصبرا عما حرم الله على الصائم من الشهوات، وصبرا على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن وهذا الألم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه كما قال الله تعالى فى المجاهدين: ﴿**ذَلك بأنّهم لا يصيبهم ظمأ ولا نَصب ولا مَخَمصة فى سبيل الله ولا يطؤن مَوطأ يغيظ الكفار ولا ينالون مَن عدو نيلا إلاَّ كتب لهم به عمل صالح إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين**﴾[1]. وفى حديث سلمان المرفوع الذى أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه فى فضل شهر رمضان: «وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة»[2]، وفى الطبرانى عن ابن عمر مرفوعاً: «الصيام لله لا يعلم ثواب عمله إلاَّ الله عز وجل»[3] وروى مرسلاً وهو أصح.

واعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب، منها شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل كالحرم ولذلك تضاعف الصلاة فى مسجدَىْ مكة والمدينة كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ قال: «صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلاَّ المسجد الحرام»[4]. وفى رواية: «فإنه أفضل»، وكذلك روى: «أن الصيام يضاعف بالحرم»، وفى سنن ابن ماجه بإسناد ضعيف عن ابن عباس مرفوعاً: «من أدرك رمضان بمكة فصامه وقام منه ما تيسر كتب الله له مائة ألف شهر رمضان فيما سواه»[5]؛ وذكر له ثواباً كثيراً، ومنها:

---

(١) سورة التوبة: آية ١٢٠

(٢) **ضعيف**. رواه ابن خزيمة (٣/ ١٩١) رقم (١٨٨٧) وفى سنده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ٣٧).

(٣) **ضعيف**. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (١/ ٢٦٥) رقم (٨٦٥) وفى سنده يحيى بن المتوكل، أبو عقيل، وهو ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ٣٥٦)

(٤) رواه البخارى (١١٩) كتاب فضل الصلاة، باب: فضل الصلاة الحج، باب: فضل الصلاة بمسجدى مكة والمدينة. والترمذى فى «الصلاة» (٣٢٥) باب: ما جاء فى أى المساجد أفضل. والنسائى فى «المساجد» (٢/ ٣٥) باب: فضل مسجد النبى ﷺ والصلاة فيه. وابن ماجة فى الصلاة» (١٤٠٤) باب: ما جاء فى فضل الصلاة فى المسجد الحرام ومسجد النبى ﷺ.

(٥) **ضعيف جداً إن لم يكن موضوعاً**. رواه ابن ماجة (٣١١٧) والبيهقى فى شعب الإيمان «(٣/ ٤٨٧) رقم (٤١٤٩) وفى سنده عبد الرحيم بن زيد العمى، قال ابن معين فيه: كذاب خبيث وقال النسائى: ليس بثقة ولا مأمون. وقال ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ١٦١): «يروى عن أبيه العجائب لا يشك من الحديث صناعته أنها معمولة أو مقلوبة كلها» وقال بن أبى حاتم فى «العلل» (١/ ٢٥٠): هذا حديث منكر، وعبد الرحيم بن زيد متروك الحديث.

شرف الزمان كشهر رمضان، وعشر ذى الحجة، وفى حديث سلمان الفارسى المرفوع الذى أشرنا إليه فى فضل شهر رمضان: «من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كم أدّى سبعين فريضة فيما سواه»(١)، وفى الترمذى عن أنس: سئل النبى ﷺ أى الصدقة أفضل؟ قال: «صدقة فى رمضان»(٢) وفى الصحيحين عن النبى ﷺ قال: «عمرة فى رمضان تعدل بحجة»، أو قال: «حجة معى»(٣)، وورد فى حديث آخر: «أن عمل الصائم مضاعف»(٤)، وذكر أبو بكر بن أبى مريم عن أشياخه أنهم كانوا يقولون: إذا حضر شهر رمضان فانبسطوا فيه بالنفقة فإن النفقة فيه مضاعفة كالنفقة فى سبيل الله، وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة فى غيره، قال النخعى: صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم، وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة، فلما كان الصيام فى نفسه مضاعفاً أجره بالنسبة إلى سائر الأعمال كان صيام شهر رمضان مضاعفاً على سائر الصيام لشرف زمانه، وكونه هو الصوم الذى فرضه الله على عباده وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التى بنى الإسلام عليها، وقد يضاعف الثواب بأسباب أخر، منها شرف العامل عند الله وقربه منه وكثرة تقواه، كما يضاعف أجر هذه الأمة على أجور من قبلهم من الأمم وأعطوا كفلين من الأجر.

وأما على الرواية الثانية، فاستثناء الصيام من بين الأعمال يرجع إلى أن سائر

---

(١) سبق تخريجه

(٢) ضعيف رواه الترمذى (٦٦٣) وفى سنده صدقة بن موسى، قال الذهبى فى «الضعفاء»: ضعفوه. وقال الحافظ: صدوق له أوهام «التقريب» (١/٣٦٦) وقال الترمذى: هذا حديث غريب [أى ضعيف] وصدقة بن موسى ليس عندهم بذاك القوى.

(٣) رواه البخارى فى «العمرة» (١٧٨٢) باب: عمرة فى رمضان ومسلم (٢٩٨٥) كتاب الحج، باب: فضل العمرة فى رمضان. والنسائى فى «الصوم» (٤/ ٣٠) باب: الرخصة فى أن يقال لشهر رمضان رمضان.

(٤) ضعيف جداً. رواه البيهقى فى شعب الايمان» (٣/ ٤١٥) رقم (٣٩٣٨) والديلمى فى «زهر الفردوس» (٤/ ١١٠) وقال المناوى فى «فيض القدير» (٥/ ٢٩١) أخرجه البيهقى وقال: معروف بن حسان أحد رجاله ضعيف وسليمان بن عمر النخعى أضعف منه، وقال الحافظ العراقى ضعيف وسليمان بن عمر النخعى أضعف منه وقال الحافظ العراقى: فيه سليمان النخعى أحد الكذابين وأقول (المناوى): وفيه أيضاً عبد الملك بن عمير أورده الذهبى فى الضعفاء، وقال أحمد: مضطرب الحديث، وقال ابن معين مختلط، وقال أبو حاتم ليس بحافظ.

الأعمال للعباد، والصيام اختصه الله تعالى لنفسه من بين أعمال عباده وأضافه إليه. وسيأتى ذكر توجيه هذا الاختصاص إن شاء الله تعالى.

وأما على الرواية الثالثة، فالاستثناء يعود إلى التكفير بالأعمال ومن أحسن ما قيل فى ذلك ما قاله سفيان بن عيينة رحمه الله قال: هذا من أجود الأحاديث وأحكمها: «إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلاَّ الصوم فيتحمل الله عز وجل ما بقى عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة»[1]، خرَّجه البيهقى فى شعب الإيمان وغيره، وعلى هذا فيكون المعنى: أن الصيام لله عزوجل فلا سبيل لأحد إلى أخذ أجره من الصيام بل أجره مدخر لصاحبه عند الله عزوجل، وحينئذ فقد يقال: إن سائر الأعمال قد يكفر بها ذنوب صاحبها فلا يبقى لها أجر فإنه روى: «أنه يوازن يوم القيامة بين الحسنات والسيئات ويقص بعضها من بعض فإن بقى من الحسنات حسنة دخل بها صاحبها إلى الجنة»، قاله سعيد بن جبير وغيره، وفيه حديث مرفوع خرَّجه الحاكم من حديث ابن عباس مرفوعاً [2] فيحتمل أن يقال فى الصوم: إنه لا يسقط ثوابه بمقاصة ولا غيرها بل يوفر أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة فيوفى أجره فيها.

وأما قوله: «فإنه لى» فإن الله خص الصيام بإضافته إلى نفسه دون سائر الأعمال وقد كثر القول فى معنى ذلك من الفقهاء والصوفية وغيرهم، وذكروا فيه وجوها كثيرة: ومن أحسن ما ذكر فيه وجهان: **أحدهما**: أن الصيام هو مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التى جبلت على الميل إليها لله عزوجل ولا يوجد ذلك فى عبادة أخرى غير الصيام؛ لأن الإحرام إنما يترك فيه الجماع ودواعيه من الطيب دون سائر الشهوات من الأكل والشرب وكذلك الاعتكاف مع أنه تابع للصيام، وأما الصلاة فإنه وإن ترك المصلى فيها جميع الشهوات إلاَّ أن مدتها لا

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان» (٣/ ٢٩٥) رقم (٣٥٨٣) عن أيوب بن حسان الواسطى قال: سمعت رجلاً يسأل سفيان بن عيينة فقال: يا أبا محمد ما تقول فى ما يرويه النبى ﷺ عن ربه تعالى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به» فقال ابن عيينة: هذا من أجود الأحاديث وأحكمها، إذا كان يوم القيامة . . فذكره. .

(٢) **ضعيف**. رواه الحاكم (٤/ ٢٥٢) والطبرى فى «تفسيره» (٢٦ /١٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى !! قلت: فى سنده الغطريف أبوهارون لم يوثقه غير ابن حبان (٧/ ٣١٣)وذكره ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٧/ ٥٨) ولم يذكر راوياً عنه إلا الحكم بن أبان ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، فهو مجهول.

تطول فلا يجد المصلى فقد الطعام والشراب فى صلاته، بل قد نهى أن يصلى ونفسه تشوق إلى طعام بحضرته حتى يتناول منه ما يسكن نفسه، ولهذا أمر بتقديم العشاء على الصلاة،[1] وذهبت طائفة من العلماء إلى إباحة شرب الماء فى صلاة التطوع وكان ابن الزبير يفعله فى صلاته وهو رواية عن الإمام أحمد، وهذا بخلاف الصيام فإنه يستوعب النهار كله فيجد الصائم فَقْد هذه الشهوات وتشوق نفسه إليها وخصوصا فى نهار الصيف لشدة حره وطوله، ولهذا رُوى: «أن من خصال الإيمان الصوم فى الصيف»، وقد كان رسول الله ﷺ يصوم رمضان فى السفر فى شدة الحر دون أصحابه كما قاله أبو الدرداء: كنّا مع النبى ﷺ فى رمضان فى سفر وأحدنا يضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلاّ رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة[2]، وفى الموطأ: إنه ﷺ كان بالعرج يصب الماء على رأسه وهو صائم من العطش أو الحر[3]، فإذا اشتد توقان النفس إلى ما تشتهيه مع قدرتها عليه ثم تركته لله عزوجل فى موضع لا يطلع عليه إلاّ الله كان ذلك دليلاً على صحة الإيمان، فإن الصائم يعلم أن له ربّاً يطلع عليه فى خلوته، وقد حرم عليه أن يتناول شهواته المجبول على الميل إليها فى الخلوة فأطاع ربه وامتثل أمره واجتنب نهيه خوفاً من عقابه ورغبة فى ثوابه فشكر الله تعالى له ذلك واختص لنفسه عمله هذا من بين سائر أعماله؛ ولهذا قال بعد ذلك: «إنه إنما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى»، قال بعض السلف: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره. لما علم المؤمن الصائم أن رضا مولاه فى ترك شهواته قدم رضا مولاه على هواه فصارت لذته فى ترك شهوته لله لإيمانه باطلاع الله. وثوابه وعقابه أعظم من لذته فى تناولها فى الخلوة إيثارا لرضا ربه على هوى نفسه بل المؤمن يكره ذلك فى خلوته أشد من كراهته لألم الضرب، ولهذا كثير من المؤمنين لو ضرب على أن يفطر فى شهر رمضان لغير عذر لم يفعل لعلمه لكراهة

---

(١) عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إذا حضر العَشَاءَ وأقيمت الصلاة، فابدؤا بالعشاء» رواه مسلم.

(٢) رواه البخارى (١٩٤٥) كتاب الصوم. ومسلم (٢٥٨٩) كتاب الصيام، باب: التخيير فى الصوم والفطر فى السفر. وأحمد (٥/ ١٩٤) وابن ماجة فى «الصوم» (١٦٦٣) باب: ما جاء فى الصوم فى السفر.

(٣) صحيح. رواه مالك فى «الموطأ» (١/ ٢٩٤/ ٢٢)

الله لفطره فى هذا الشهر، وهذا من علامات الإيمان أن يكره المؤمن ما يلائمه من شهواته إذا علم أن الله يكره فتصير لذته فيما يرضى مولاه وإن كان مخالفاً لهواه، ويكون ألمه فيما يكره مولاه وإن كان موافقاً لهواه، وإذا كان هذا فيما حرم لعارض الصوم من الطعام والشراب ومباشرة النساء فينبغى أن يتأكد ذلك فيما حرم على الإطلاق: كالزنا، وشرب الخمر، وأخذ الأموال أو الأعراض بغير حق، وسفك الدماء المحرمة فإن هذا يسخطُه الله على كل حال وفى كل زمان ومكان، فإذا كمل إيمان المؤمن كره ذلك كله أعظم من كراهته للقتل والضرب، ولهذا جعل النبى ﷺ من علامات وجود حلاوة الإيمان أن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يلقى فى النار[1]، وقال يوسف عليه السلام: ﴿ربِّ السجن أحب إلىَّ مما يدعوننى إليه﴾[2]، سئل ذو النون المصرى متى أحب ربى؟ قال: إذا كان ما يكرهه أمر عندك من الصبر، وقال غيره: ليس من أعلام المحبة أن تحب ما يكرهه حبيبك، وكثير من الناس يمشى على العوائد دون ما يوجبه الإيمان ويقتضيه، فلهذا كثير منه لو ضرب ما أفطر فى رمضان لغير عذر، ومن جهالهم من لا يفطر لعذر ولو تضرر بالصوم مع أن الله يحب منه أن يقبل رخصته جريا على العادة، وقد اعتاد مع ذلك ما حرم الله من الزنا وشرب الخمر وأخذ الأموال والأعراض أو الدماء بغير حق فهذا يجرى على عوائده فى ذلك كله لا على مقتضى الإيمان، ومن عمل بمقتضى الإيمان صارت لذته فى مصابرة نفسه عما تميل نفسه إليه إذا كان فيه سخط الله، وربما يرتقى إلى أن يكره جميع ما يكرهه الله منه، وينفّر منه وإن كان ملائماً للنفوس كما قيل:

إن كان رضاكُمْ فى سَهَرى   فسلام الله على وَسَنى

وقال آخر:

فما لِجُرحٍ إذا أرضاكم ألَمُ

---

(١) عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكر أن يقذف فى النار» رواه البخارى (١٦) كتاب الإيمان، باب: حلاوة الإيمان. ومسلم (١٦٤) كتاب الإيمان، باب: خصال الإيمان.

(٢) سورة يوسف: آية ٣٣.

عذابُه فيك عَـــذْبُ وبُعْدُهُ فيك قُــرْبُ

وأنت عندى كروحى بل أنت منها أحب

حسبى من الحب إنى لـما تحب أحـب

الوجه الثانى: أن الصيام سر بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره؛ لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلاَّ الله، وترك لتناول الشهوات التى يستخفى بتناولها فى العادة. ولذلك قيل: لا تكتبه الحفظة، وقيل إنه ليس فيه رياء، كذا قاله الإمام أحمد وغيره، وفيه حديث مرفوع مرسل[1]. وهذا الوجه اختيار أبى عبيد وغيره وقد يرجع إلى الأول فإن من ترك ما تدعوه نفسه إليه لله عز وجل حيث لا يطلع عليه غير من أمره أو نهاه دل على صحة إيمانه والله تعالى يحب من عباده أن يعاملوه سرا بينهم وبينه، وأهل محبته يحبون أن يعاملوه سرا بينهم وبينه بحيث لا يطلع على معاملتهم إياه سواه حتى كان بعضهم يود لو تمكن من عبادة لا تشعر بها الملائكة الحفظة، وقال بعضهم: لما اطلع على بعض سرائره إنما كانت تطيب الحياة لما كانت المعاملة بينى وبينه سرا، ثم دعا لنفسه بالموت فمات المحبون يغارون من اطلاع الأغيار على الأسرار التى بينهم وبين من يحبهم ويحبونه.

نسيم صبا نجد متى جئت حاملاً تحيتهم، فاطو الحديث عن الركب

ولا تذع السر المصـــون فإننى أغار على ذكر الأحبة من صحبى

وقوله: «ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى»: فيه إشارة إلى المعنى الذى ذكرناه، وأن الصائم يقرب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من الطعام والشراب والنكاح وهذه أعظم شهوات النفس، وفى التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد: منها: كسر النفس فإن الشبع والرى ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة، ومنها تخلى القلب للفكر والذكر، فإن تناول هذه الشهوات

---

(١) ضعيف. رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» (٣/ ٣٠٠) رقم (٩٥٩٣) عن الزهرى أن الرسول ﷺ قال: «ليس فى الصيام رياء» وسنده ضعيف لارساله ورواه البيهقى مرفوعاً من حديث أبى هريرة عقب الحديث السابق ورواه ابن منيع وأبو نعيم والديلمى كما فى «فيض القدير» (٤/ ٢٥١) وفى سنده منصور بن عمار وهو منكر الحديث كما قال ابن عدى. وقال الدارقطنى: يروى عن ضعفاء أحاديث لا يتابع عليها.

قد تَقّسى القلب وتعميه وتحول بين العبد وبين الذكر والفكر وتستدعى الغفلة، وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب ويوجب رقته، ويزيل قسوته ويخليه للذكر والفكر. ومنها أن الغنى يعرف قدر نعمة الله عليه بإقداره له على ما منعه كثيراً من الفقراء من فضول الطعام والشراب والنكاح فإنه بامتناعه من ذلك فى وقت مخصوص وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من منع من ذلك على الإطلاق فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك، ومنها أن الصيام يضيق مجارى الدم التى هى مجارى الشيطان من ابن آدم فإن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فتسكن بالصيام وساوس الشيطان وتنكسر سورة الشهوة والغضب، ولهذا جعل النبى ﷺ الصوم «وجاء» لقطعه عن شهوة النكاح.

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك هذه الشهوات المباحة فى غير حالة الصيام إلاَّ بعد التقرب إليه بترك ما حرم الله فى كل حال من الكذب والظلم والعدوان على الناس فى دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ولهذا قال النبى ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»(1)، خرَّجه البخارى، وفى حديث آخر: «ليس الصيام من الطعام والشراب إنما الصيام من اللغو والرفث»(2)، وقال الحافظ أبو موسى المدينى: على شرط مسلم. قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام. وقال جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.

إذا لم يكن فى السمع منى تصاون وفى بصرى غضٌ وفى منطقى صَمْتُ

(1) رواه البخارى فى «الصوم» (١٩٠٣) باب: من لم يدع قول الزور والعمل به. وأحمد (٢/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣ و٥٠٥) وأبو داود فى الصوم» (٢٣٦٢) باب: الغيبة للصائم. والترمذى فى الصوم» (٧٠٧) باب: ما جاء فى التشديد فى الغيبة للصائم. والنسائى فى «الصيام» فى «الكبرى» (٢/ ٢٣٨) رقم (٣٢٤٥) وابن ماجه فى «الصوم» (١٦٨٩) باب: ما جاء فى العيبة والرفث للصائم.

(2) **صحيح**. رواه ابن خزيمة (٣/ ٢٤٢) رقم (١٩٩٦) والحاكم (١/ ٤٣٠ ـ ٤٣١) وصححه ووافقه الذهبى. من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

فحظى إذاً من صومى الجوعُ والظمأ ... فإن قلتُ إنى صمتُ يومى فما صُمْتُ

وقال النبى ﷺ: «رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر»[1]، وسر هذا أن التقرب إلى الله تعالى بترك المباحات لا يكمل إلاَّ بعد التقرب إليه بترك المحرمات، فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب إلى الله تعالى بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل وإن كان صومه مجزئاً عند الجمهور بحيث لا يؤمر بإعادته؛ لأن العمل إنما يبطل بارتكاب ما نهى عنه فيه لخصوصه دون ارتكاب ما نهى عنه لغير معنى يختص به، هذا هو قول جمهور العلماء[2]، وفى مسند الإمام أحمد أن امرأتين صامتاً فى عهد النبى ﷺ فكادتا أن تموتا من العطش فذكر ذلك للنبى ﷺ فأعرض ثم ذكرتا له فدعاهما فأمرهما أن تتقيآ، فقاءتا ملء قدح قيحا ودما وصديداً ولحما عبيطا[3]، فقال النبى ﷺ: «إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس»[4]، ولهذا المعنى والله أعلم ورد فى القرآن بعد ذكر تحريم الطعام والشراب فكان إشارة إلى أن من امتثل أمر الله فى اجتناب الطعام والشراب فى نهار صومه فليمتثل أمره فى اجتناب أكل الأموال بالباطل فإنه محرم بكل حال لا يباح فى وقت من الأوقات.

وقوله ﷺ: «وللصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه»، أما فرحة الصائم عند فطره فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح، فإذا منعت من ذلك فى وقت من الأوقات ثم أبيح لها فى وقت آخر فرحت بإباحة ما منعت منه وخصوصاً عند اشتداد الحاجة إليه، فإن النفوس تفرح بذلك طبعا فإن كان ذلك محبوبا لله كان محبوباً شرعاً، والصائم عند فطره كذلك، فكما أن الله تعالى حرم على الصائم فى نهار الصيام تناول هذه الشهوات

---

(١) **حسن**. رواه أحمد (٢/ ٣٧٣ و٤٤١) والنسائي فى «الصيام» فى «الكبرى» (٢/ ٢٣٩) رقم (٣٢٤٩ و٣٢٥٠) وابن جزيمة (٣/ ٢٤٢) رقم (١٩٩٧) والدارمى (٢/ ٣٠١) والحاكم (١/ ٤٣١) والبغوى فى «شرح السنة» (١٧٤٧) والبيهقى فى السنن» (٤/ ٢٧٠) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) كذا فى الأصل، ولعله هو قول جمهور العلماء.

(٣) اللحم العبيط: الطرى غير النضيج ٣٦٣ -

(٤) ضعيف رواه أحمد (٥/ ٤٣١) وفى سنده مجهول.

فقد أذن له فيها فى ليل الصيام بل أحب منه المبادرة إلى تناولها فى أول الليل وآخره فأحب عباده إليه أعجلهم فطرا، والله وملائكته يصلون على المتسحرين[1]، فالصائم ترك شهواته لله بالنهار تقرباً إلى الله وطاعة له ويبادر إليها فى الليل تقرباً إلى الله وطاعة له فما تركها إلاَّ بأمر ربه ولا عاد إليها إلاَّ بأمر ربه فهو مطيع له فى الحالين، ولهذا نهى عن الوصال فى الصيام، فإذا بادر الصائم إلى الفطر تقرباً إلى مولاه وأكل وشرب وحمد الله فإنه يرجى له المغفرة أو بلوغ الرضوان بذلك. وفى الحديث: «**إن الله ليرضى عن عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها**»[2]، وربما استجيب دعاؤه عند ذلك كما جاء فى الحديث المرفوع الذى خرَّجه ابن ماجه: «**إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد**»[3]، وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على القيام والصيام كان مثاباً على ذلك، كما أنه إذا نوى بنومه فى الليل والنهار التقوى على العمل كان نومه عبادة»، وفى حديث مرفوع: «**نوم الصائم عبادة**»[4] قالت حفصة بنت سيرين: قال أبو العالية: الصائم فى عبادة ما لم يغتب أحدا وإن كان نائماً على فراشه[5]، فكانت حفصه تقول: ياحبذا عبادة وأنا نائمة على فراشى، خرَّجه عبد الرزاق، فالصائم فى ليله ونهاره فى عبادة ويستجاب دعاؤه فى صيامه وعند فطره فهو فى نهاره صائم صابر وفى

---

(١) عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «السحور أكله بركة، فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين» رواه احمد (٣/ ١٢ و٤٤) وسنده حسن.

(٢) رواه مسلم (٦٧٩٩) كتاب الدعوات، باب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب والترمذى فى «الأطعمة» (١٨١٦) باب: ما جاء فى الحمد على الطعام.

(٣) **ضعيف**. رواه ابن ماجة (١٧٥٣) وابن السنى فى «عمل اليوم والليلة» (٤٧٥) والحاكم (١/ ٤٢٢) وفى سنده اسحاق بن عبيد الله بن أبى المهاجر المخزومى، وهو مجهول، وانظر «الإرواء» (٩٢١).

(٤) **ضعيف**. رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» (٣/ ٤١٥) رقم (٣٩٣٨) و(٣٩٣٩) من حديث عبد الله بن أبى أوفى وقال: معروف بن حسان ضعيف وسليمان بن عمرو النخعى أضعف منه.
ورواه أبو نعيم فى «الحلية» (٥/ ٨٣) عن ابن مسعود رضى الله عنه وسنده ضعيف.

(٥) وقد روى هذا الحديث مرفوعاً ولا يصح. رواه ابن عدى فى «الكامل» (٥/ ٢٨٤) والديلمى كما فى «جمع الجوامع» (١١٠٥٦) عن أبى هريرة رضى الله عنه. وفى سنده عبد الرحيم بن هارون، وهو ضعيف جدا، أورده الذهبى فى «الضعفاء والمتروكين» وقال: كذبة الدارقطنى، وقال الحافظ فى «التقريب» (١/ ٥٠٥): ضعيف، كذبه الدارقطنى. ورواه الديلمى كما فى« جمع الجوامع» (١١٠٥٥) عن أنس رضى الله عنه ورمز له السيوطى بالضعف، وقال المناوى فى «فيض القدير» (٤/ ٢٣١) فيه محمد بن احمد بن سهيل. قال الذهبى فى «الضعفاء» قال ابن عدى: ممن يضع الحديث. ورواه الديلمى كما فى «الجامع الصغير»(٢/ ٤٩) عن ابن عباس رضى الله عنه ورمز له السيوطى بالضعف.

ليله طاعم شاكر وفى الحديث الذى خرّجه الترمذى وغيره: «**الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر**»[1]، ومن فهم هذا الذى أشرنا إليه لم يتوقف فى معنى فرح الصائم عند فطره على الوجه المشار إليه من فضل الله ورحمته، فيدخل فى قول الله تعالى: ﴿**قُل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**﴾[2] ولكن شرط ذلك أن يكون فطره على حلال فإن كان فطره على حرام كان ممن صام عمَّا أحل الله، وأفطر على ما حرم الله، ولم يستجب له دعاء، كما قال النبى ﷺ فى الذى يطيل السفر يمد يديه إلى السماء يا رب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذّى بالحرام فأنّى يستجاب لذلك[3].

وأما فرحه عند لقاء ربه: فيما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخراً فيجده أحوج ما كان إليه كما قال تعالى: ﴿**وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**يومَ تجد كُلّ نفس ما عملت من خير محضرا**﴾[5]، وقال: ﴿**فَمنْ يعمل مثقال ذرة خيراً يره**﴾[6] وقد تقدم قول ابن عيينة: أن ثواب الصيام لا يأخذه الغرماء فى المظالم بل يدخره الله عنده للصائم حتى يدخله به الجنة، وفى المسند عن عقبة بن عامر عن النبى ﷺ قال: «**ليس من عمل يوم إلا يختم عليه**»[7]، وعن عيسى عليه السلام قال: «إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما، فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر، وفى يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها، فالمتقون يجدون فى خزائنهم العز والكرامة، والمذنبون يجدون فى خزائنهم الحسرة والندامة».

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة يونس: آية ٥٨.

(٣) رواه مسلم (٢٣٠٨) كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب. وأحمد (٢/٣٢٨) والترمذى فى التفسير» (٢٩٨٩) باب: من سورة البقرة عن حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٤) سورة المزمل: آية ٢٠.

(٥) سورة آل عمران: آية ٣٠.

(٦) سورة المزمل: آية ٧.

(٧) حسن. رواه أحمد (٤/١٤٦) والطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ٢٨٤) رقم (٧٨٢) وابن أبى الدنيا فى «المرض والكفارات كما فى «السلسلة الصحيحة» (٥/٢٢٦) والحاكم (٤/٣٠٨ ـ ٣٠٩) والبغوى فى «شرح السنة» (١٤٢٨).

والصائمون على طبقتين: إحداهما: من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله تعالى يرجو عنده عوض ذلك فى الجنة فهذا قد تاجر مع الله وعامله والله تعالى **﴿لا يُضيع أجرْ من أحسن عملاً﴾** ولا يخيب معه من عامله بل يربح عليه أعظم الربح، وقال رسول الله ﷺ: «إنك لن تدع شيئاً اتقاء الله إلا أتاك الله خيرا منه»[1] خرَّجه الإمام أحمد، فهذا الصائم يعطى فى الجنة ما شاء الله من طعام وشراب ونساء. قال الله تعالى: **﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية﴾**[2] قال مجاهد وغيره: نزلت فى الصائمين. قال يعقوب بن يوسف الحنفى: بلغنا أن الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة: يا أوليائى طالما نظرت إليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وجفت بطونكم كونوا اليوم فى نعيمكم وتعاطوا الكأس فيما بينكم: **﴿وكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية﴾**، وقال الحسن: تقول الحوراء لولىّ الله وهو متكئ معها على نهر العسل تعاطيه الكأس: إن الله نظر إليك فى يوم صائف بعيد ما بين الطرفين وأنت فى ظمأها حرة من جهد العطش فباهى بك الملائكة وقال: انظروا إلى عبدى ترك زوجته وشهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى رغبة فيما عندى اشهدوا أنى قد غفرت له فغفر لك يومئذ وزوجنيك. وفى الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون لا يدخل منه غيرهم»[3] وفى رواية: «فإذا دخلوا أغلق»، وفى رواية: «من دخل منه شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً»[4] وفى حديث عبد الرحمن بن سمرة عن النبى ﷺ فى منامه الطويل قال: «ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشاً كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيام رمضان فسقاه وأرواه»[5]، خرَّجه الطبرانى وغيره، وروى ابن أبى الدنيا بإسناد فيه ضعف عن

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٥/ ٧٨ و٧٩) والبيهقى من شعب الإيمان» (٥/ ٥٣) رقم (٥٧٤٨).

(٢) سورة الحاقة: آية ٢٤.

(٣) رواه البخاري (١٨٩٦) كتاب الصوم، باب: الريان للصائمين ومسلم (٢٦٦٦) كتاب الصيام، باب: فضل الصيام من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه.

(٤) **صحيح**. رواه ابن ماجة (١٦٤٠) كتاب الصيام، باب: ما جاء فى فضل الصيام.

(٥) **ضعيف**. رواه الطبرانى فى الأحاديث الطوال» (٣٩) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٧/ ١٨٠) رواه الطبرانى بإسنادين فى أحدهما سليمان بن احمد الواسطى وفى الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومى وكلاهما ضعيف.

أنس مرفوعا: «الصائمون ينفح من أفواههم ريح المسك ويوضع لهم مائدة تحت العرش يأكلون منها، والناس فى الحساب»[1].

وعن أنس موقوفاً: «إن لله مائدة لم تر مثلها عين ولم تسمع أذن ولا خطر على قلب بشر لا يقعد عليها إلاَّ الصائمون»[2]. وعن بعض السلف قال: بلغنا أنه يوضع للصوام مائدة يأكلون عليها والناس فى الحساب فيقولون: يا رب نحن نحاسب وهم يأكلون، فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطرتم وقاموا ونمتم، ورأى بعضهم بشر بن الحارث فى المنام وبين يديه مائدة وهو يأكل ويقال له: كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب. كان بعض الصالحين قد صام حتى انحنى وانقطع صوته فمات ، فرآه بعض أصحابه الصالحين فى المنام فسأله عن حاله فضحك وأنشد.

قد كسى حلة البهاء وطافت　　بأباريق حـوله الخـدام

ثم حلى وقيل يا قارئ ارقا　　فلعمرى لقد براك الصيام

اجتاز بعض الصالحين بمناد ينادى على السحور فى رمضان: يا ما خبأنا للصوام فتنبه بهذه الكلمة، وأكثر من الصيام، رأى بعض العارفين فى منامه كأنه أدخل الجنة فسمع قائلاً يقول له: هل تذكر أنك صمت لله يوماً قط فقال: نعم قال فأخذتنى صوانئ النار من الجنة، من ترك لله فى الدنيا طعاماً وشراباً وشهوة مدة يسيرة عوضه الله عنده طعاماً وشراباً لا ينفد وأزواجاً لا يمتن أبداً. شهر رمضان فيه يزوج الصائمون، فى الحديث: «إن الجنة لتزخرف وتنجد من الحول إلي الحول لدخول رمضان فتقول الحور: يا رب اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك أزواجاً تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا»[3]. وفى حديث آخر: «أن الحور ينادين فى شهر رمضان: هل من خاطب إلى الله فنزوجه».

---

(١) ضعيف. رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب «الجوع» (١٣٩) وفى سنده مجهول.

(٢) ورواه الطبرانى فى «الأوسط» (٩/ ١٧٠) رقم (٩٤٤٣) مرفوعاً من حديث أنس رضى الله عنه وقال الهيثمى فى المجمع» (٣/ ١٨٢) فيه عبد المجيد بن كثير الحرانى ولم أجد من ترجمة.

(٣) ضعيف جدا. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٧/ ٤٤) رقم (٦٨٠٠) عن ابن عمر رضى الله عنهما. وفى سنده الوليد بن الوليد القلانسى، قال الدارقطنى وغيره متروك«الميزان» (٤/ ٩٤١٧).

مهور الحور العين: طول التهجد وهو حاصل فى رمضان أكثر من غيره كان بعض الصالحين كثير التهجد وهو حاصل فى رمضان أكثر من غيره كان بعض الصالحين كثير التهجد والصيام فصلى ليلة فى المسجد ودعا فغلبته عيناه فرأى فى منامه جماعة علم أنهم ليسوا من الآدميين بأيديهم أطباق عليها أرغفة بياض الثلج فوق كل رغيف در كأمثال الزمان فقالوا: كل، فقال: إنى أريد الصوم قالوا له يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل، قال: فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدر لاحتمله فقالوا له : دعه نغرسه لك شجراً ينبت لك خيراً من هذا، قال: أين؟ قالوا: فى دار لا تخرب، وثمر لا يتغير، وملك لا ينقطع، وثياب لا تبلى، فيها رضوى، وعينا، وقرة أعين أزواج رضيات مرضيات راضيات لا يغرن ولا يغرن فعليك بالانكماش فيما أنت فإنما هى غفوة حتى ترتحل فتنزل الدار فما مكث بعد هذه الرؤيا إلاً جمعتين حتى توفى، فرآه ليلة وفاته فى المنام بعض أصحابه الذين حدثهم برؤياه وهو يقول: لا تعجب من شجر غرس لى فى يوم حدثتك، وقد حمل فقال له: ما حمل؟ قال: لاتسأل لا يقدر أحد على صفته لم ير مثل الكريم إذا حل به مطيع». يا قوم ألا خاطب فى هذا الشهر إلى الرحمن، ألا راغب فيما أعده الله للطائعين فى الجنان، ألا طالب لما أخبر به من النعيم المقيم مع أنه ليس الخبر كالعيان.

مَنْ يُرِدْ مُلْكَ الجنانِ	فليَدعْ عنه التَّوانى
وليقُمْ فى ظلمةِ الليـ	ـلِ إلىَ نور القران
وليصلْ صوماً بصومٍ	إنَّ هذا العيش فانى
إنما العيشُ جوارُ اللـ	ـه فى دارِ الأمانِ

الطبقة الثانية من الصائمين: من يصوم فى الدنيا عمّا سوى الله فيحفظ الرأس وما حوى، ويحفظ البطن وما وعى، ويذكر الموت والبلى، ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا؛ فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته.

أهل الخصوص من الصوام صومهم   صون اللسان عن البهتان والكـذب

والعـارفـون وأهـل الإنـس صومهم صون القلوب عن الأغيار والحجب

العارفون لايسليهم عن رؤية مولاهم قصر ولا يرويهم دون مشاهدته نهر هممهم أجل من ذلك.

كــبُرتْ هـمَّـةُ عبـدٍ طمعَتْ فـى أن تراكَ
مَنْ يَصُمْ عن مُفطراتٍ فصيامى عمن سواك

من صام عن شهواته فى الدنيا أدركها غداً فى الجنة، ومن صام عمّا سوى الله فعيده يوم لقائه، **﴿من كان يرجو لقاءَ الله فإنَّ أجل الله لآت﴾**[1].

وقد صمت عن لذات دهرى كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامى

رؤى بشر[2] فى المنام فسئل عن حاله؟ فقال: علم قلة رغبتى فى الطعام فأباحنى النظر إليه، وقيل لبعضهم: أين نطلبك فى الآخرة؟ قال: فى زمرة الناظرين إلى الله، قيل له: كيف علمت ذلك؟ قال: بغض طرفى له عن كل محرم، وباجتنابى فيه كل منكر ومأثم، وقد سألته أن يجعل جنتى النظر إليه.

يا حبيب القلوب مـالـى سـواكا ارحم اليوم مذنبا قد أتاكا
ليس لى فى الجنان مولاى رأس غيــر أنــى أريدهـا لأراكا

يا معشر التائبين صوموا اليوم عن شهوات الهوى لتدركوا عيد الفطر يوم اللقاء، لا يطولن عليكم الأمل باستبطاء الأجل فإن معظم نهار الصيام قد ذهب وعيد اللقاء قد اقترب.

إن يوماً جامعاً شملى بهم ذاك عيدى ليس لى عيد سواه

وقوله: «ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»: خلوف الفم: رائحة ما يتصاعد منه من الأبخرة لخلو المعدة من الطعام بالصيام، وهى رائحة مستكرهة فى مشام الناس فى الدنيا لكنها طيبة عند الله حيث كانت ناشئة عن

---

(١) سورة العنكبوت: آية ٥.

(٢) هو بشر الحافى.

طاعته وابتغاء مرضاته؛كما أن دم الشهيد يجيء يوم القيامة يثغب دماً لونه لون الدم وريحه ريح المسك، وبهذا استدل من كره السواك للصائم أو لم يستحبه من العلماء وأول من علمناه استدل بذلك عطاء بن أبى رباح، وروى عن أبى هريرة : أنه استدل به لكن من وجه لا يثبت، وفى المسألة خلاف مشهور بين العلماء وإنما كرهه من كرهه فى آخر نهار الصوم؛ لأنه وقت خلو المعدة وتصاعد الأبخرة. وهل يدخل وقت الكراهة بصلاة العصر؟ أو بزوال الشمس؟ أو بفعل صلاة الظهر فى أول وقتها؟ على أقوال ثلاثة: والثالث: هو المنصوص عن أحمد.

وفى طيب ريح خلوف الصائم عند الله عز وجل معنيان: أحدهما: أن الصيام لما كان سرا بين العبد وبين ربه فى الدنيا أظهره الله فى الآخرة علانية للخلق ليشتهر بذلك أهل الصيام ويعرفون بصيامهم بين الناس جزاء لإخفائهم صيامهم فى الدنيا، وروى أبو الشيخ الأصبهانى بإسناد فيه ضعف عن أنس مرفوعا: «يخرج الصائمون من قبورهم يعرفون بريح أفواههم، أفواههم أطيب من ريح المسك»[1].

قال مكحول: يروح أهل الجنة برائحة فيقولون: ربنا ما وجدنا ريحا منذ دخلنا الجنة أطيب من هذه الريح فيقال: هذه رائحة أفواه الصوام وقد تفوح رائحة الصيام فى الدنيا وتستنشق قبل الآخرة. وهو نوعان: **أحدهما**: ما يدرك بالحواس الظاهرة، كان عبد الله بن غالب من العباد المجتهدين فى الصلاة والصيام فلما دفن كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك فرؤى فى المنام فسئل عن تلك الرائحة التي توجد من قبره فقال: تلك رائحة التلاوة والظمأ. **والنوع الثانى**: ما تستنشقه الأرواح والقلوب فيوجب ذلك للصائمين المخلصين المودة والمحبة فى قلوب المؤمنين. وفى حديث الحارث الأشعرى عن النبى ﷺ: «أن زكريا عليه السلام قال لبنى إسرائيل: آمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل فى عصابة معه صرة

---

(١) **ضعيف**. رواه أبو الشيخ بن حبان فى «الثواب» كما فى «الدرر المنثور» (١/ ١٨٢)، والديلمى كما فى كنز العمال» (٨/ ٢٣٦٤٤)

فيها مسك فكلهم تعجبه ريحه، وأن ريح الصيام أطيب عند الله من ريح المسك»[1]. خرَّجه الترمذى وغيره لما كان أمر المخلصين بصيامهم لمولاهم سرا بينه وبينهم أظهر الله سرّهم لعباده فصار علانية فصار هذا التّجلى والإظهار جزاء لذلك الصون والإسرار وفى الحديث: «ما أسر أحد سريرة إلاَّ ألبسه الله رداءها علانية»[2]، قال يوسف بن أسباط: أوحى الله تعالى إلى نبى من الأنبياء قل لقومك يخفون لى أعمالهم وعلىّ إظهارها لهم.

تذلل أرباب الهوى فى الهوى عز	وفقرهم نـحو الحبيب هو الكنز
وسـتـرهـم فـيـه السـرائـر شهرة	وغير تلاف النفس فيه هو العجز

والمعنى الثانى: أن من عبد الله وأطاعه وطلب رضاه فى الدنيا بعمل فنشأ من عمله آثار مكروهة للنفوس فى الدنيا فإن تلك الآثار غير مكروهة عند الله بل هى محبوبة له وطيبة عنده لكونها نشأت عن طاعته واتباع مرضاته فإخباره بذلك للعاملين فى الدنيا فيه تطييب لقلوبهم لئلا يكره منهم ما وجد فى الدنيا، قال بعض السلف: وعد الله موسى ثلاثين ليلة أن يكمله على رأسها فصام ثلاثين يوماً، ثم وجد من فيه خلوفاً فكره أن يناجى ربه على تلك الحال، فأخذ سواكاً فاستاك به، فلما أتى لموعد الله إياه قال له: يا موسى أما علمت إن خلوف فم الصائم أطيب عندنا من ريح المسك، ارجع فصم عشرة أخرى، ولهذا المعنى كان دم الشهيد ريحه يوم القيامة كريح المسك وغبار المجاهدين فى سبيل الله ذريرة أهل الجنة. ورد فى حديث مرسل: «كل شىء ناقص فى عرف الناس فى الدنيا حتى إذا انتسب إلى طاعته ورضاه فهو الكامل فى الحقيقة، خلوف أفواه الصائمين له أطيب من ريح المسك». عُرى المحرمين لزيارة بيته أجمل من لباس الحلل. نوح المذنبين على أنفسهم من خشيته أفضل من التسبيح.

---

(١) صحيح. رواه أحمد (٤/ ١٣٠ و٢٠٢) والترمذى (٢٨٦٣ و٢٨٦٤) والطبرانى فى «الكبير» (١٤٨/٥) رقم (٣٤٢٧) والطيالسى (١١٦١ و١١٦٢) وأبو يعلى (١٥٧١) وابن خزيمة (٩٣٠) والحاكم (١١٧/١ - ١١٨) وابن حبان (٦٢٣٣ - إحسان).

(٢) موضوع. رواه الطبرانى فى «الكبير» (٢/ ١٧١) رقم (١٧٠٢) وفى «الأوسط» (٨/ ٤٤) رقم (٧٩٠٦) وقال الهيثمى فى المجمع» (١٠/ ٢٢٥) فيه حامد بن آدم وهو كذاب. اهـ وفيه أيضا محمد بن عبيد الله العزرمى وهو متروك.

انكسار المخبتين لعظمته هو الجبر، ذل الخائفين من سطوته هو العز، تهتك المحبين فى محبته أحسن من الستر، بذل النفوس للقتل فى سبيله هو الحياة. جوع الصائمين لأجله هو الشبع، عطشهم فى طلب مرضاته هو الرى، نصب المجتهدين فى خدمته هو الراحة.

ذل الفتى فى الحبَ مُكْرَمةٌ　　وخضوعه لحبيبه شرَفُ

هبت اليوم على القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب سعى سمسار المواعظ للمهجورين فى الصلح، وصلت البشارة للمتقطعين بالوصل، وللمذنبين بالعفو، والمستوجبين النار بالعتق، لما سلسل الشيطان فى شهر رمضان، وخمدت نيران الشهوات بالصيام انعزل سلطان الهوى وصارت الدولة لحكام العقل بالعدل، فلم يبق للعاصى عذر، يا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعى، يا شموس التقوى والإيمان اطلعى، يا صحائف أعمال الصائمين ارتفعى، ياقلوب الصائمين اخشعى، يا أقدام المتهجدين اسجدى لربك واركعى، يا عيون المجتهدين لا تهجعى، يا ذنوب التائبين لا ترجعى، يا أرض الهوى ابلعى ماءك ويا سماء النفوس أقلعى. يا بروق العشاق للعشاق المعى، يا خواطر العارفين ارتعى، يا همم المحبين بغير الله لا تقنعى، يا جنيد[1] اطرب، يا شبلى[2] احضر، يا رابعة[3] اسمعى، قد مُدت فى هذه الأيام موائد الإنعام للصوام فما منكم إلاَّ من دعى: **﴿يا قَومَنَا أجيبوا داعَى الله﴾**[4]، ويا همم المؤمنين اسرعى، فطوبى لمن أجاب فأصاب ، وويل لمن طرد عن الباب وما دعى.

سألتك يابانة الأجرعى　　متى رفع من لعلعى
وهل مر قلبى مع الطا　　عنين أم خار ضعفاً فلم يتبعى
(حلنا ووافقنا الصادقون　　ولم يتخلف سوى مدَّعى

وقال آخر:

ليت شعرى إن جئتهم يقبلونى　　أم تراهم عن بابهم يصرفونى
أم ترانى إذا وقف لديهم　　يأذنوا بالدخول أم يطردونى

---

(١) هو الجنيد بن محمد البغدادى الصوفى

(٢) هو أبو بكر الشبلى، دلف بن مجدر، كان بن العباد وسلك مسلك التصوف.

(٣) هى رابعة العدوية.

(٤) سورة الأحقاف: آية ٣١.

فى «الصحيحين» عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «كان النبى ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة»[1] وخرَّجه الإمام أحمد بزيادة فى آخره وهى: «لا يسأل عن شىء إلاَّ أعطاه»، الجود: هو سعة العطاء وكثرته والله تعالى يوصف بالجود، وفى الترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ: «إن الله جواد يحب الجود، كريم يحب الكرم»[2]، وفيه أيضا من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «عن ربه قال: يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فى صعيد واحد فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كل سائل منكم، ما نقص ذلك من ملكى إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه ذلك بأنى جوَّاد واجد ماجد أفعل ما أريد، عطائى كلام، وعذابى كلام إنما أمرى لشىء إذا أردت أن أقول له: «كن فيكون»[3]، وفى الأثر المشهور عن فضيل بن عياض: «أن الله تعالى يقول كل ليلة: أنا الجواد ومنى الجود أنا الكريم ومنى الكرم»، فالله سبحانه وتعالى أجود الأجودين وجوده يتضاعف فى أوقات خاصة كشهر رمضان وفيه أنزل قوله: **﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعانى﴾**[4] وفى الحديث الذى خرَّجه الترمذى وغيره: «أنه ينادى فيه مناد يا باغى الخير هلم، ويا باغى الشر

---

(١) رواه البخارى فى «بدء الوحى» (٦). ومسلم (٥٨٩٦) كتاب الفضائل، باب: كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة وأحمد (٢/ ٣٨٨ و٣٦٣) والنسائى فى «الصوم» (٤/ ١٢٥) باب: الفضل والجود فى شهر رمضان. وفى «فضائل القرآن» (١٨) باب: عرض جبريل القرآن (ص٢٨، ٢٩)

(٢) ضعيف جدا. رواه الترمذى (٢٧٩٩) كتاب الأدب، باب: ما جاء فى النظافة. وفى سنده خالد بن إلياس أو إياس وهو متروك كما فى «التقريب» (١/ ٢١١)

(٣) حسن.. رواه أحمد (٥/ ١٥٤) والترمذى (٢٤٩٥) وابن ماجة (٤٢٥٧) والبيهقى فى «شعب الإيمان» (٥/ ٤٠٦) رقم (٧٠٨٩) والحديث رواه مسلم (٦٤٥٠) كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم دون زيادة «بأنى جواد ماجد...» إلخ

(٤) سورة البقرة: آية ١٨٦.

الذى خرَّجه الترمذى وغيره: «أنه ينادى فيه مناد يا باغى الخير هلم، ويا باغى الشرأقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة »[1]، ولما كان الله عزوجل قد جبل نبيه ﷺ على أكمل الأخلاق وأشرفها كما فى حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[2]، وذكره مالك فى الموطأ بلاغاً: «فكان رسول الله ﷺ أجود الناس كلهم» وخرَّج ابن عدى بإسناد فيه ضعف من حديث أنس مرفوعاً: «**ألا أخبركم بالأجود الأجود الله الأجود الأجود، وأنا الأجود بنى آدم وأجودهم من بعدى رجل علّم علماً فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده، ورجل جاد بنفسه فى سبيل الله** »[3]، فدلك هذا على أنه ﷺ أجود بنى آدم على الإطلاق، كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم فى جميع الأوصاف الحميدة. وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى فى إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم، ولم يزل ﷺ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ، ولهذا قالت له خديجة فى أول مبعثه: والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتقرى الضيف، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق[4]، ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت أضعافاً كثيرة، وفى الصحيحين عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ

---

(١) حسن. رواه الترمذى (٦٨٢) وابن ماجة (١٦٤٢) وابن خزيمة (١٨٨٣) والحاكم (١/ ٤٢١) والبغوى فى «شرح السنة» (١٧٠٥) والبيهقى «السنن» (٤/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤) وابن حبان (٣٤٣٥ ـ إحسان)

(٢) حسن رواه البخارى فى «الأدب المفرد» (٢٧٣) وأحمد (٢/ ٣٨١) والحاكم (٢/ ٦١٣) والبيهقى فى «شعب الإيمان» (٦/ ٢٣٠) رقم (٧٩٧٨) والخرائطى فى «مكارم الأخلاق» (١) وابن أبى الدنيا فى «مكارم الأخلاق» (١٣) ورواه مالك فى «الموطأ» (٢/ ٩٠٤/ ٨) بلاغاً، وقال ابن عبد البر: هو حديث صحيح متصل من وجوه صحاح. عن أبى هريرة وغيره.

(٣) ضعيف. رواه أبو يعلى (٥/ ١٧٦) رقم (٢٧٩٠) وابن عدى فى «الكامل» (١/ ٣٥٨) وابن الجوزى فى «الموضوعات» (١/ ٢٣٠) وفى سنده محمد بن إبراهيم الشامى، وهو منكر الحديث وقال ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ٣٠١) شيخ كان يدور بالعراق، ويحاور عبادان، يضع الحديث على الشاميين» ثم أورد له هذا الحديث وفى السند سويد بن عبد العزيز وهو لين الحديث، ونوح بن ذكوان وأخوه أيوب بن ذكوان ضعيفان، والحسن البصرى مدلس وقد عنعنه.

(٤) رواه البخارى فى «تفسيره» (٤٩٥٣) تفسير سورة «اقرأ باسم ربك». ومسلم (٣٩٦) كتاب الإيمان، باب: بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ. وأحمد (٦/ ٢٣٢) من حديث عائشة رضى الله عنها.

أحسن الناس وأشجع الناس ، وأجود الناس»[١]، وفى صحيح مسلم عنه قال: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلاّ أعطاه، فجاء رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة»[٢]، وفى رواية: «أن رجلا سأل النبى ﷺ غنماً بين جبلين، فأعطاه إياه فأتى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطى عطاءً ما يخاف الفقر» قال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلاّ الدنيا فما يمسى حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها[٣]، وفيه أيضا عن صفوان بن أمية قال: لقد أعطانى رسول الله ﷺ ما أعطانى وأنه لمن أبغض الناس إلى فما برح يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلى[٤]، قال ابن شهاب: أعطاه يوم حنين مائة من النعم ثم مائة ثم مائة. وفى مغازى الواقدى: أن النبى ﷺ أعطى صفوان يومئذ وادياً مملوءا إبلا ونعماً، فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبى. وفى الصحيحين عن جبير بن مطعم: «أن الأعراب علقوا بالنبى ﷺ مرجعه من حنين يسألونه أن يقسم بينهم فقال: لو كان لى عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلاً، ولا كذوباً، ولا جباناً»[٥]، وفيهما عن جابر قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فقال: لا، وإنه قال لجابر: «لو جاءنا مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا، وقال : بيديه جميعاً»[٦]، وخرج البخارى من حديث سهل بن سعد: إن شملة أهديت للنبى ﷺ فلبسها وهو محتاج إليها فسأله إياها رجل فأعطاه، فلامه الناس وقالوا: كان محتاجاً إليها وقد علمت أنه لا يرد سائلاً فقال: إنما سألتها

---

(١) رواه البخارى (٦٠٣٣) كتاب الأدب، باب: حسن الخلق. ومسلم (٥٨٩٣) كتاب الفضائل، باب: فى شجاعة النبى ﷺ والترمذى فى «الجهاد» (١٦٨٧) باب: ما جاء فى الخروج عند الفزع. والنسائى فى «السير» فى «الكبرى» (٥/٢٥٧) رقم (٨٨٢٩) وابن ماجة فى «الجهاد» (٢٧٧٢) باب: الخروج فى النفير.

(٢) رواه مسلم (٥٩٠٦) كتاب الفضائل، باب: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه.

(٣) رواه مسلم (٥٩٠٧)

(٤) رواه مسلم (٥٩٠٨) كتاب الفضائل، باب: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه. والترمذى فى «الزكاة» (٦٦٦) باب: ما جاء فى إعطاء المؤلفة قلوبهم.

(٥) رواه البخارى (٢٨٢١) كتاب الجهاد والسير، باب: الشجاعة فى الحرب والجبن.

(٦) رواه البخارى (٢٥٩٨) كتاب الهبة، باب إذا وهب هبة أو وعد ثم مات. ومسلم (٥٩٠٩) كتاب الفضائل، باب: فى سخائه ﷺ.

لتكون كفنى فكانت كفنه[١]، وكان جوده ﷺ كله لله، وفى ابتغاء مرضاته فإنه كان يبذل المال إما لفقير، أو محتاج، أو ينفقه فى سبيل الله أو يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام بإسلامه، وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده فيعطى عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش فى نفسه عيش الفقراء، فيأتى عليه الشهر والشهران لا يوقد فى بيته نار، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع، وكان قد أتاه صبى مرة فشكت إليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادماً يكفيها مؤنة بيتها فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها، وقال: «لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع»[٢]، وكان جوده ﷺ يتضاعف فى شهر رمضان على غيره من الشهور، كما أن وجود ربه يتضاعف فيه أيضاً، فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة وكان على ذلك من قبل البعثة وذكر ابن إسحاق عن وهب بن كيسان عن عبيد بن عمير قال: كان رسول الله ﷺ يجاور فى حراء من كل سنة شهراً يطعم من جاءه من المساكين، حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله به ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه فيها وذلك الشهر شهر رمضان، خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره معه أهله حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله تعالى برسالته ورحم العباد بها، جاءه جبريل من الله عزوجل ثم كان بعد الرسالة جوده فى رمضان أضعاف ما كان قبل ذلك، فإنه كان يلتقى هو وجبريل عليه السلام وهو أفضل الملائكة وأكرمهم ويدارسه الكتاب الذى جاء به إليه وهو أشرف الكتب وأفضلها وهو يحث على الإحسان ومكارم الأخلاق، وقد كان رسول الله ﷺ هذا الكتاب له خلقاً بحيث يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه ويسارع إلى ما حث عليه ويمتنع مما زجر عنه، فلهذا كان يتضاعف جوده وإفضاله فى هذا الشهر لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم الذى يحث على المكارم والجود ولاشك إن

---

(١) رواه البخارى (١٢٧٧) كتاب الجنائز، باب: من استعدَّ الكفن فى زمن النبى ﷺ فلم يُنكرْ عليه.

(٢) رواه البخارى (٦٣١٨) كتاب الدعوات، باب: التكبير والتسبيح عند المنام. ومسلم (٦٧٨٤) كتاب الدعوات، باب: التسبيح أول النهار وعند النوم. وأبو داود فى «الأدب» (٥٠٦٢) باب: فى التسبيح عند النوم.. وأحمد (١/ ٧٩ و١٠٦ ـ ١٠٧) وقوله ﷺ «لا أعطيك وأدع أهل الصفة...» إلخ عند أحمد فقط..

المخالطة تؤثر وتورث أخلاقاً من المخالطة. كان بعض الشعراء قد امتدح ملكا جواداً فأعطاه جائزة سنية فخرج بها من عنده وفرقها كلها على الناس فأنشد:

لمسْتُ بكَفِّى كَفَّه أبتغى الغنى ولم أدْرِ أن الجودَ من كفه يُعْدى

فبلغ ذلك الملك فأضعف له الجائزة، وقد قال بعض الشعراء يمتدح بعض الأجواد ولا يصلح أن يكون ذلك إلاَّ لرسول الله ﷺ.

تعَّودَ بَسْطَ الكف حتى لو أنَّه	ثَنَاها لِقَبْضٍ لم تُجْبهُ أناملُه
تراه إذا ما جئته متهللاً	كأنك تعطيه الذى أنت سائله
هو البحر من أى النواحى أتيته	فلجَّتُه المعروفُ والجودُ ساحلُه
ولو لم يكن فى كفه غير روحه	لجاد بها فليتق الله سَائله

سمع الشبلى قائلاً يقول: يا الله يا جوَّاد، فتأوه وصاح وقال: كيف يمكننى أن أصف الحق بالجود ومخلوق يقول فى شكله، فذكر هذه الأبيات ثم بكى وقال: بلى يا جوَّاد فإنك أوجدت تلك الجوارح، وبسطت تلك الهمم، فأنت الجواد كل الجواد فإنهم يعطون عن محدود وعطائك لاحد له ولا صفة فيا جوَّاداً يعلو كل جواد وبه جاد كل من جاد.

وفى تضاعف جوده ﷺ فى شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة: منها: شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه، وفى الترمذى عن أنس مرفوعاً: «**أفضل الصدقة صدقة فى رمضان**»[1].

ومنها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعاتهم فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، كما أن من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلفه فى أهله فقد غزا، وفى حديث زيد بن خالد عن النبى ﷺ قال: «**من فطر صائماً فله مثل أجره من**

---

(١) ضعيف. رواه الترمذي (٦٦٣) كتاب الزكاة، باب: ما جاء فى فضل الصدقة. والبيهقى فى« شعب الإيمان» (٤/ ٣٠٥) رقم (٨٥١٧) وقال الترمذى: هذا حديث غريب [أى ضعيف] وصدقه بن موسى ليس عندهم بذاك القوى.

غير أن ينقص من أجر الصائم شيء»[1]، خرَّجه الإمام أحمد والنسائى والترمذى وابن ماجه وخرَّجه الطبرانى من حديث عائشة وزاد: «**وما عمل الصائم من أعمال البر إلاَّ كان لصاحب الطعام ما دام قوة الطعام فيه**»[2] وخرَّج ابن خزيمة فى صحيحه من حديث سلمان مرفوعاً حديثاً فى فضل شهر رمضان، وفيه: «وهو شهر المواساة وشهر يزاد فيه في رزق المؤمن، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء»، قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم؟ قال: «**يعطى الله هذا** الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمرة أو شربة ماء ومن أشبع فيه صائما سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة»[3].

ومنها: أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار لا سيما فى ليلة القدر والله تعالى يرحم من عباده الرحماء كما قال ﷺ : «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[4]، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه بالعطاء والفضل والجزاء من جنس العمل.

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة كما فى حديث على رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجنة غرفا يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها**» قالوا: لمن هى يا رسول الله ؟ قال: «**لمن طيب الكلام،**

---

(١) **صحيح**.رواه أحمد (٤/ ١١٤ ـ ١١٥) والنسائي فى «الكبرى» (٢/ ٢٥٦) رقم (٣٣٣١) والترمذى (٨٠٧) وابن ماجة (١٧٤٦) وقال الترمذى: حسن صحيح.

(٢) **ضعيف جداً**. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٧١٣٦) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣/ ١٥٧) فيه الحكم بن عبد الله الايلى وهو متروك.

(٣) **ضعيف**. رواه ابن خزيمة (٣/ ١٩١) رقم (١٨٨٧) وفى سنده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف كما فى التقريب» (٢/ ٣٧).

(٤) رواه البخارى (١٢٨٤) كتاب الجنائز، باب: قول النبى ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه. ومسلم (٢١٠٠) كتاب الجنائز، باب: البكاء: على الميت، وأبو داود فى «الجنائز» (٣١٢٥) باب: فى البكاء على الميت، والنسائى فى «الجنائز» (٤/ ٢١) باب: الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة. وأحمد (٥/ ٢٠٤) وابن ماجة فى «الجنائز» باب: ما جاء فى البكاء على الميت من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنه.

وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»[١]. وهذه الخصال كلها تكون فى رمضان فيجتمع فيه للمؤمن الصيام والقيام والصدقة وطيب الكلام فإنه ينهى فيه الصائم عن اللغو والرفث؛ والصيام والصلاة والصدقة توصل صاحبها إلى الله عزوجل، قال بعض السلف: الصلاة توصل صاحبها إلى نصف الطريق، والصيام يوصله إلى باب الملك، والصدقة تأخذ بيده فتدخله على الملك. وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**من أصبح منكم اليوم صائما؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «من تبع منكم اليوم جنازة؟»، قال أبو بكر: أنا ،قال: «من تصدق بصدقة؟»، قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم مريضا؟»، قال أبو بكر: أنا، قال: «ما اجتمعن فى امرئ إلاَّ دخل الجنة»**[٢].

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ فى تكفير الخطايا واتقاء جهنم والمباعدة عنها وخصوصاً إن ضمّ إلى ذلك قيام الليل فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصيام جنة»[٣]. وفى رواية: «**جنّة أحدكم من النار كجنته من القتال**»[٤]، وفى حديث معاذ عن النبى ﷺ قال: «**الصدقة تطفئ الخطيئة كما**

---

(١) حسن. رواه أحمد (٥/ ٣٤٣) وعبد الرزاق (٢٠٨٨٣) والطبرانى فى «الكبير» (٣/ ٣٤٢) رقم (٣٤٦٦) والبيهقى فى «السنن» (٤/ ٣٠٠) والبغوى فى «شرح السنة» (٩٢٧) وابن حبان (٥٠٩) إحسان) من حديث أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه وفى سنده ابن معانق وثقة ابن حبان والعجلى، وقال الدارقطنى لا شيء «ميزان الاعتدال» (٤/ ١٠٦١٧) وللحديث شاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رواه أحمد (٢/ ١٧٣) والحاكم (١/ ٣٢١) وصححه ووافقه الذهبى. وله شاهد آخر من حديث على بن أبى طالب رواه احمد (١/ ١٥٦) والترمذى (٢٥٢٧) وفى سنده عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث الواسطى وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ٤٧٢) وبالجملة فالحديث حسن بشواهده . والله أعلم.

(٢) رواه مسلم (٢٣٣٦) كتاب الزكاة، باب: من جمع الصدقة وأعمال البر.

(٣) رواه البخارى (١٩٠٤) كتاب الصوم، باب: هل يقول إنى صائم إذا شتم. ومسلم (٢٦٦٣) كتاب الصيام، باب: فصل الصيام. وأحمد (٢/ ٢٧٣) والنسائي فى «الصوم» (٤/ ١٦٣ ـ ١٦٤) باب: ذكر الاختلاف على أبى صالح فى هذا الحديث.

(٤) صحيح. . رواه احمد (٤/ ٢٣ و٢١٧) والنسائي (٤/ ١٦٧) فى «الكبرى» (٢٥٤٠) وابن ماجة (١٦٣٩) وابن حبان (٣٦٤٩ ـ إحسان) والبيهقى فى «الشعب» (٣٥٧٣) من حديث عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه .

يطفئ الماء النار، وقيام الرجل من جوف الليل[1] »يعنى أنه يطفئ الخطيئة، أيضا وقد صرح بذلك فى رواية الإمام أحمد. وفى الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»[2]. كان أبو الدرداء يقول: صلوا فى ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، صوموا يوماً شديدا حره لحر يوم النشور، تصدقوا بصدقة لشر يوم عسير.

ومنها أن الصيام لابد أن يقع فيه خلل أو نقص، وتكفير الصيام للذنوب مشروط بالتحفظ مما ينبغى التحفظ منه كما ورد ذلك فى حديث خرَّجه ابن حبان فى صحيحه[3]، وعامة صيام الناس لا يجتمع فى صومه التحفظ كما ينبغى،

---

(١) **ضعيف**. رواه احمد (٥/ ٢٣١) والترمذى (٢٦١٦) وابن ماجة (٣٩٧٣) وقال الترمذى: حسن صحيح!! ولكن تغقبه المصنف فى «جامع العلوم والحكم» (ص٤٠٣ ـ ٤٠٤) وقال: وفيما قاله رحمه الله نظر من وجهين: أحدهما أنه لم يثبت سماع أبى وائل من معاذ وإن كان قد أدركه بالسن، وكان معاذ بالشام وأبو وائل بالكوفة، وما زال الأئمة كأحمد وغيره يستدلون على انتفاء السماع بمثل هذا، وقد قال أبو حاتم الرازى فى سماع أبى وائل من أبى الدرداء: قد أدركه وكان بالكوفة وأبو الدرداء بالشام، يعنى أنه لم يصح منه سماع. وقد حكى أبو زرعة الدمشقى عن قوم أنهم توقفوا فى سماع أبى وائل من عمر أو نفوه فسماعه من معاذ أبعد.

والثانى: أنه قد رواه حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ، خرجه الإمام أحمد مختصراً، قال الدارقطنى: وهو أشبه بالصواب؛لأن الحديث معروف من رواية شهر على اختلاف عليه فيه. قلت: رواية شهر عن معاذ مرسلة يقينا، وشهر مختلف فى توثيقه وتضعيفه، وقد خرجه الإمام أحمد أيضا من رواية عروة بن النزال بن عروة وميمون بن أبى شبيب كلاهما عن معاذ ولم يسمع عروه ولا ميمون من معاذ وله طرق أخرى عن معاذ كلها ضعيفة. اهـ قلت: رواية شهر بن حوشب عن معاذ رواها احمد (٥/٢٤٨) وقد وصلها احمد (٥/ ٢٣٥ و٢٣٦ و٢٤٥ ـ ٢٤٦) من طرق عن شهرثنا ابن غنم عن معاذ به. وشهر ضعيف لسوء حفظه.

وأما رواية عروة بن النزال وميمون بن أبى شبيب كلاهما عن معاذ فقد رواها احمد (٥/ ٢٣٣ و٢٣٧) والنسائي فى «الكبرى» (٢/ ٩٣) رقم (٢٥٣٦) من طريق شعبة عن الحكم قال: سمعت عروة بن النزال أو النزال بن عروة يحدث عن معاذ بن جبل، قال شعبة: فقلت له: سمعه من معاذ؟ قال: لم يسمعه منه وقد أدركه. ا هـ.

قلت: وعروة هذا قال الذهبى فى «الميزان» (٣/ ٦٥): لا يعرف وقال عن ميمون بن أبى شبيب: قال ابن معين ضعيف «الميزان» (٤/ ٢٣٣).

(٢) رواه البخارى (٦٥٣٩) كتاب الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذب. ومسلم (٢٣١٠) كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة. والترمذى فى« صفة القيامة» (٢٤١٥) باب: فى القيامة، وابن ماجة فى «المقدمة» (١٨٥) باب: فيما أنكرت الجهمية.

(٣) وهو حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: «من صام رمضان وعرف حدوده، وتحفظ مما ينبغى أن يتحفظ، كفر ما قبله» رواه ابن حبان (٣٤٣٣ ـ إحسان) واحمد (٣/ ٥٥) وأبو يعلى (١٠٥٨) والبيهقى فى «السنن» (٤/ ٣٠٤) وابن المبارك فى «الزهد» (٩٨) زيادات نعيم بن حماد وسنده ضعيف، فيه عبد الله ابن قريط وهو مجهول كما فى «الإكمال» للحسينى (ص ٢٤٧).

ولهذا نهى أن يقول الرجل: صمت رمضان كله، أو قمته كله فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل، ولهذا وجب فى آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث والصيام والصدقة لهما مدخل فى كفارات الإيمان ومحظورات الإحرام وكفارة الوطء فى رمضان، ولهذا كان الله تعالى قد خير المسلمين فى ابتداء الأمر بين الصيام وإطعام المسكين ثم نسخ ذلك وبقى الإطعام لمن يعجز عن الصيام لكبره، ومن أخر قضاء رمضان حتي أدركه رمضان آخر فإنه يقضيه ويضم إليه إطعام مسكين لكل يوم تقوية له عند أكثر العلماء كما أفتى به الصحابة، وكذلك من أفطر لأجل غيره كالحامل والمرضع على قول طائفة من العلماء.

ومنها: أن الصائم يدع طعامه وشرابه لله فإذا أعان الصائمين على التقوى على طعامهم وشرابهم كان بمنزلة من ترك شهوة لله وآثر بها أو واسى منها، ولهذا يشرع له تفطير الصوَّام معه إذا أفطر؛ لأن الطعام يكون محبوباً له حينئذ فيواسى منه حتى يكون ممن أطعم الطعام على حبه، ويكون فى ذلك شكر لله على نعمة إباحة الطعام والشراب له، ورده عليه بعد منعه إياه فإن هذه النعمة إنما عرف قدرها عند المنع منها، وسئل بعض السلف: لم شرع الصيام؟ قال: ليذوق الغنى طعم الجوع فلا ينسى الجائع. وهذا من بعض حكم الصوم وفوائده. وقد ذكرنا فيما تقدم حديث سلمان وفيه: «**وهو شهر المواساة**»[1]، فمن لم يقدر فيه على درجة الإيثار على نفسه فلا يعجز عن درجة أهل المواساة، كان كثير من السلف يواسون من إفطارهم أو يؤثرون به ويطوون. كان ابن عمر يصوم ولا يفطر إلاَّ مع المساكين فإذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه السائل فيرجع وقد أكل أهله ما بقى فى الجفنة فيصبح صائماً ولم يأكل شيئاً، واشتهى بعض الصالحين من السلف طعاماً، وكان صائماً فوضع بين يديه عند فطوره فسمع سائلاً يقول: من يقرض الملى الوفى الغنى؟ فقال: عبده المعدم من الحسنات فقام فأخذ الصحفة فخرج بها إليه وبات طاويا، وجاء سائل إلى الإمام أحمد فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره

(١) سبق تخريجه.

ثم طوى وأصبح صائماً، وكان الحسن[1] يطعم إخوانه وهو صائم تطوعاً ويجلس يروحهم وهم يأكلون، وكان ابن المبارك يطعم إخوانه فى السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم سلام الله على تلك الأرواح، رحمة الله على تلك الأشباح لم يبق منهم إلاَّ أخبار وآثاركم بين من يمنع الحق الواجب عليه وبين أهل الإيثار.

لا تعرضن لذكرنا فى ذكرهم   ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

وله فوائد أخر، قال الشافعى رضى الله عنه: أحب للرجل الزيادة بالجود فى شهر رمضان اقتداء برسول الله ﷺ ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم،وكذا قال القاضى أبو يعلى وغيره من أصحابنا أيضاً. ودل الحديث أيضاً على استحباب دراسة القرآن فى رمضان والاجتماع على ذلك وعرض القرآن على من هو أحفظ له. وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن فى شهر رمضان، وفى حديث فاطمة عليها السلام عن أبيها ﷺ: أنه أخبرها أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة، وأنه عارضه فى عام وفاته مرتين[2]، وفى حديث ابن عباس أن المدارسة بينه وبين جبريل كان ليلاً[3]، يدل على استحباب الإكثار من التلاوة فى رمضان ليلاً فإن الليل تنقطع فيه الشواغل ويجتمع فيه الهم ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما قال تعالى: **﴿إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا﴾**[4]، وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن كما قال تعالى: **﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن﴾**[5]، وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما: إنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى ليلة القدر ويشهد لذلك قوله تعالى: **﴿إنا أنزلناه**

---

(١)هو الحسن البصرى.

(٢) رواه البخارى (٣٦٢٣) كتاب المناقب باب: علامات النبوة فى الإسلام. ومسلم (٦١٩٦) كتاب الفضائل، باب: من فضائل فاطمة بنت النبى عليها السلام،والنسائي فى كتاب «الوفاة» (٢) وابن ماجة فى «الجنائز» (١٦٣١) باب: ما جاء فى ذكر مرض رسول الله ﷺ.

(٣) رواه البخارى (٦) كتاب بدء الوحى وفى كتاب الصوم (١٩٠٢) باب: أجود ما كان النبى ﷺ يكون فى رمضان.

(٤) سورة المزمل :آية ٦.

(٥)سورة البقرة: آية ١٨٥

في ليلة القدر﴾[1]، وقوله: **﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾**[2]، وقد سبق عن عبيد ابن عمير: أن النبي ﷺ بدئ بالوحي ونزول القرآن عليه في شهر رمضان. وفي المسند عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ أنه قال: نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان[3]. وقد كان النبي ﷺ يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره، وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان قال: فقرأ بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران لا يمر بآية تخويف إلاَّ وقف وسأل فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فأذنه بالصلاة،[4] خرجه الإمام أحمد وخرجه النسائي، وعنده أنه ما صلى إلا أربع ركعات[5]، وكان عمر قد أمر أبيٍّ بن كعب وتميما الداري أن يقوما بالناس في شهر رمضان فكان القارئ يقرأ بالمائتين في ركعة حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلاَّ عند الفجر، وفي رواية أنهم كانوا يربطون الحبال بين السواري ثم يتعلقون بها، وروى أن عمر جمع ثلاثة قراء فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ بالناس ثلاثين، وأوسطهم بخمس وعشرين، وأبطأهم بعشرين، ثم كان في زمن التابعين يقرءون بالبقرة في قيام رمضان في ثمان ركعات فإذا قرأ بها في اثنتي عشرة ركعة رأوا أنه قد خفف، قال ابن منصور: سئل إسحاق بن راهويه كم يقرأ في قيام شهر رمضان، فلم يرخص في دون عشر آيات فقيل له: إنهم لا يرضون؟ فقال: لا رضوا، فلا تؤمنهم إذا لم يرضوا بعشر آيات من البقرة، ثم إذا صرت إلى الآيات الخفاف فبقدر عشر آيات من البقرة يعني في كل ركعة وكذلك كره مالك أن يقرأ دون عشر آيات، وسئل الإمام أحمد عمًّا روى عن عمر كما تقدم ذكره في السريع القراءة والبطيء فقال: في هذا مشقة على الناس، ولا سيما في هذه الليالي القصار وإنما الأمر على ما يحتمله الناس، وقال أحمد لبعض

---

(1) سورة القدر: آية 1 (2) سورة الدخان: آية ٣.

(3) حسن. رواه أحمد (٤/١٠٧) والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٧٥) رقم (١٨٥) والبيهقي في «السنن» (٩/ ٣١٧) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

(4) رواه مسلم (١٧٨٣) كتاب الصلاة باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل في الركوع والسجود وابن ماجة

(5) صحيح. رواه أحمد (٥/ ٤٠٠) وأبو داود (٨٧٤) والنسائي في «الكبرى» (١/ ٤٣٤) رقم (١٣٧٩).

أصحابه وكان يصلى بهم فى رمضان، هؤلاء قوم ضَعْفى اقرأ خمساً ستاً سبعاً، قال: فقرأت فختمت ليلة سبع وعشرين. وقد روى الحسن: أن الذى أمره عمر أن يصلى بالناس كان يقرأ خمس آيات، ست آيات، وكلام الإمام أحمد يدل على أنه يراعى فى القراءة حال المأمومين فلا يشق عليهم، وقاله أيضاً غيره من الفقهاء من أصحاب أبى حنيفة وغيرهم، وقد روى عن أبى ذر أن النبى ﷺ قام بهم ليلة ثلاث وعشرين إلى ثلث الليل، وليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، فقالوا له: لو نفلتنا بقية ليلتنا فقال: إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له بقية ليلته»[1]، خرجه أهل السنن وحسنه الترمذى، وهذا يدل على أن قيام ثلث الليل ونصفه يكتب به قيام ليلة، لكن مع الإمام، وكان الإمام أحمد يأخذ بهذا الحديث ويصلى مع الإمام حتى ينصرف ولا ينصرف حتى ينصرف الإمام، وقال بعض السلف: من قام نصف الليل فقد قام الليل، وفى سنن أبى داود عن عبدالله ابن عمرو عن النبى ﷺ قال: **«من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»**[2] يعنى أنه يكتب له قنطار من الأجر ـ يروى من حديث تميم وأنس مرفوعاً: **«من قرأ بمائة آية فى ليلة كتب له قيام ليلة»**[3]، وفى إسنادهما ضعف، وروى حديث تميم موقوفاً عليه وهو أصح وعن ابن مسعود قال: من قرأ فى ليلة خمسين آية لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ بمائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب له قنطار[4]، ومن أراد أن يزيد فى القراءة ويطيل وكان يصلى لنفسه فليطول ما شاء؛ كما قاله النبى ﷺ، كذلك من صلى بجماعة يرضون بصلاته، وكان بعض

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٥/ ١٥٩ ـ ١٦٠ و١٦٣) وأبو داود (١٣٧٥) والنسائى (٣/ ٨٣ ـ ٨٤ و٢٠٢ ـ ٢٠٣) والترمذى (٨٠٦) وابن ماجة (١٣٢٧) وابن خزيمة (٢٢٠٦) والدارمى (٢/ ٢٦ ـ ٢٧) وابن الجارود (٤٠٣) وابن حبان (٢٥٤٧ ـ احسان) وابن أبى شيبة (٢/ ٩٠/ ٢) والطحاوى فى« شرح المعانى» (١/ ٢٠٦) وابن نصر فى «قيام الليل» (ص٨٩) والبيهقى (٢/ ٤٩٤) وقال الترمذى: حسن صحيح.

(٢) حسن. رواه أبو داود (١٣٩٨) وابن خزيمة (١١٤٤) وابن السنى فى «عمل اليوم والليلة» (٧٠١) وابن حبان (٢٥٧٢ ـ إحسان.

(٣) حسن. رواه أحمد (٤/ ١٠٣) والدارمى (٢/ ٥٥٦) رقم (٣٤٥٠) والنسائى فى «الكبرى» (٦/ ١٨٠) رقم (١٠٥٥٣) من حديث تميم الدارى رضى الله عنه.

(٤) صحيح موقوف، رواه الطبرانى فى الكبير» (٩/ ١٥٨) رقم (٨٧٢٧) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٢/ ٢٦٨): رجاله ثقات.

السلف يختم فى قيام رمضان فى كل ثلاث ليال وبعضهم فى كل سبع منهم قتادة، وبعضهم فى كل عشرة منهم أبو رجاء العطاردى، وكان السلف يتلون القرآن فى شهر رمضان فى الصلاة وغيرها، كان الأسود[1] يقرأ فى كل ليلتين فى رمضان، وكان النخعى[2] يفعل ذلك فى العشر الأواخر منه خاصة، وفى بقية الشهر فى ثلاث وكان قتادة يختم فى كل سبع دائما، وفى رمضان فى كل ثلاث، وفى العشر الأواخر كل ليلة، وكان للشافعى فى رمضان ستون ختمة يقرؤها فى غير الصلاة، وعن أبى حنيفة نحوه وكان قتادة يدرس القرآن فى شهر رمضان، وكان الزهرى إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام، قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف، قال عبد الرزاق: كان سفيان الثورى: إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن، وكانت عائشة رضى الله عنها تقرأ فى المصحف أول النهار فى شهر رمضان فإذا طلعت الشمس نامت. وقال سفيان: كان زبيد اليامىُّ إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه أصحابه، وإنما ورد النهى عن قراءة القرآن فى أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما فى الأوقات المفضلة كشهر رمضان وخصوصا الليالى التى يطلب فيها ليلة القدر أو فى الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناما للزمان والمكان وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره. واعلم أن المؤمن يجتمع له فى شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام فمن جمع بين هذين الجهادين ووفى بحقوقهما وصبر عليهما وفى أجره بغير حساب. قال كعب: ينادى يوم القيامة منادٍ بأن كل حارث يعطى بحرثه ويزاد غير أهل القرآن والصيام يعطون أجورهم بغير حساب، ويشفعان له أيضاً عند الله عزوجل، كما فى المسند عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: «**الصيام والقيام يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أى رب، منعته الطعام والشراب بالنهار، ويقول بالقرآن: منعته النوم بالليل فشفعنى فيه**

(١) هو عطور الأسود الحبشى.

(٢) هو إبراهيم بن يزيد النخعى.

فيشفعان»[1]، فالصيام يشفع لمن منعه الطعام، والشهوات المحرمة كلها سواء كان تحريمها يختص بالصيام كشهوة الطعام والشراب والنكاح ومقدماتها أو لا يختص كشهوة فضول الكلام المحرم، والنظر المحرم. والسماع المحرم، والكسب المحرم فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها فإنه يشفع له عند الله يوم القيامة، ويقول: يارب منعته شهواته فشفعنى فيه فهذا لمن حفظ صيامه ومنعه من شهواته، فأما من ضيع صيامه ولم يمنعه مما حرمه الله عليه فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ويقول له: ضيعك الله كما ضيعتنى. كما ورد مثل ذلك فى الصلاة، قال بعض السلف: إذا احتضر المؤمن يقال للملك: شم رأسه قال: أجد فى رأسه القرآن، فيقال: شم قلبه، فيقول: أجد فى قلبه الصيام، فيقال: شم قدميه، فيقول: أجد فى قدميه القيام، فيقال: حفظ نفسه حفظه الله عزوجل، وكذلك القرآن إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل، فأما من قرأ القرآن وقام به فقد قام بحقه فيشفع له، وقد ذكر النبى ﷺ رجلاً فقال: ذاك لا يتوسد القرآن[2] ـ يعنى لا ينام عليه فيصير له كالوسادة ـ. وخرج الإمام أحمد من حديث بريدة مرفوعاً: «أن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حتى ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب[4] فيقول: هل تعرفنى أنا صاحبك الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك وكل تاجر من وراء تجارته فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار ثم يقال له: اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها. فهو فى صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلا»[4]. وفى حديث عبادة بن الصامت الطويل: «إن القرآن يأتى

---

(١) **حسن**. رواه أحمد (٢/ ١٧٤) والطبرانى فى «الكبير» كما فى «المجمع» (٣/ ١٨١) وابن نصر فى قيام الليل «(ص٢٣) والحاكم (١/ ٥٥٤) البيهقى فى شعب الإيمان» كما فى «الجامع الصغير» للسيوطى. وابن المبارك فى «الزهد» (٣٨٥ ـ زوائد نعيم) وأبو نعيم فى «الحلية» (٨/ ١٦١) والجوزقانى فى الاباطيل«(٦٨٣).

(٢) **صحيح**. رواه أحمد (٣/ ٤٤٩) والطبرانى فى الكبير» (٧/ ١٧٦) رقم ٦٦٥٤١) والنسائي فى «الكبرى» (١/ ٤١٢) رقم (١٣٠٥) من حديث السائب بن يزيد رضى الله عنه. وقال الحافظ فى «الاصابة» (٢/ ١٤٧) صحيح أخرجه النسائي فى الكبرى من طريق الزهرى عن السائب بن يزيد.

(٣) الشاحب: المتغير اللون

(٤) **حسن**. رواه أحمد (٥/ ٣٤٨) وابن أبى شيبة (٧/ ١٧٠/ ٢) وابن ماجة (٣٧٨١) مختصرا.

صاحبه فى القبر فيقول له: أنا الذى كنت أسهر ليلك وأظمئ نهارك، وأمنعك شهوتك وسمعك وبصرك فستجدنى من الأخلاء خليل صدق ثم يصعد فيسأل له فراشاً ودثاراً فيؤمر له بفراش من الجنة وقنديل من الجنة وياسمين من الجنة ثم يدفع القرآن فى قبلة القبر فيوسع عليه ما شاء الله من ذلك». قال ابن مسعود: ينبغى لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون، ونهاره إذ الناس يفطرون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبورعه إذ الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، قال محمد بن كعب: كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه يشير إلى سهره وطول تهجده. قال وهيب بن الورد: قيل لرجل ألا تنام؟ قال: إن عجائب القرآن أطرن نومي. وصحب رجل رجلاً شهرين فلم يره نائماً فقال: ما لى لا أراك نائماً قال: إن عجائب القرآن أطرن نومى. ما أخرج من أعجوبة إلاً وقعت فى أخرى، قال أحمد بن أبى الحوارى: إنى لأقرأ القرآن وأنظر فى آية فيحير عقلى بها وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشىء من الدنيا وهم يتلون كلام الله، أما إنهم لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحا بما قد رزقوا. أنشد ذو النون المصرى:

منع القرآنُ بوعدِهِ ووعيده ... مُقَلَ العيُون بليلها لا تهجعُ

فهموا عن الملك العظيم كلامه ... فهماً تذلُّ له الرقابُ وتَخْضَعُ

فأما من كان معه القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار فإنه ينتصب القرآن خصما له يطالبه بحقوقه التى ضيعها، وخرَّج الإمام أحمد من حديث سمرة: «أن النبى ﷺ رأى فى منامه رجلاً مستلقيا على قفاه ورجل قائم بيده فهر أو صخرة فيشدخ به رأسه فيتدهده الحجر فإذا ذهب ليأخذه عاد رأسه كما كان فيصنع به مثل ذلك، فسأل عنه؟ فقيل له: هذا رجل آتاه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة»[1]. وقد خرَّجه البخارى بغير هذا اللفظ، وفى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى

---

(١) رواه البخارى فى «الجنائز» (١٣٨٦) واحمد (٥/ ١٤) والترمذى (٢٢٩٤) من حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه.

ﷺ: «يمثل القرآن يوم القيامة رجلاً فيؤتى الرجل قد حمله فخالف أمره فيتمثل له خصماً فيقول: يارب حملته إياى فبئس حامل تعدى حدودى وضيع فرائضى وركب معصيتى وترك طاعتى فما يزال يقذف عليه الحجج حتى يقال شأنك به، فيأخذ بيده فما يرسله حتى يكبه هلى منخره فى النار، ويؤتى بالرجل الصالح كان قد حمله وحفظ أمره فيتمثل خصماً دونه فيقول: يا رب حملته إياى فخير حامل حفظ حدودى وعمل بفرائضى واجتنب معصيتى واتبع طاعتى فلا يزال يقذف له بالحجج حتى يقال: شأنك به فيأخذ بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الإستبرق ويعقد عليه تاج الملك، ويسقيه كأس الخمر»(1)، يا من ضيع عمره فى غير الطاعة، يا من فرط فى شهره بل فى دهره وأضاعه، يا من بضاعته التسويف والتفريط، وبئست البضاعة، يا من جعل خصمه القرآن، وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة.

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه ... والصور فى يوم القيامة ينفخ

رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، وقائم حظه من قيامه السهر، كل قيام لا ينهى عن الفحشاء والمنكر لا يزيد صاحبه إلاَّ بعدا، وكل صيام لا يصان عن قول الزور والعمل به لا يورث صاحبه إلاَّ مقتاً وردا، يا قوم أين آثار الصيام أين أنوار القيام.

إن كنت تنوح يا حمام البان ... للبين فأين شاهدُ الأحـــزان

أجفانُك للدموع أم أجفانـى ... لا يقبـل مُـدَّعٍ بـلا برهـــان

هذا عباد الله شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن، وفى بقيته للعابدين مستمتع، وهذا كتاب يتلى فيه بين أظهركم ويسمع وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً يتصدع، ومع هذا فلا قلب يخشع ولا عين تدمع ، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع، ولا قيام استقام فيرجى فى صاحبه أن يشفع قلوب خلت

(1) ضعيف. رواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (٧/ ١٦٩ / ١) وفى سنده ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه..

من التقوى فهى خراب بلقع ، وتراكمت عليها ظلمة الذنوب فهى لا تبصر ولا تسمع، كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة. وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشقوة لا الشاب منا ينتهى عن الصبوة ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعى الله أجابوا الدعوة وإذا تليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة. وإذا صاموا صامت منه الألسنة والأسماع والأبصار، أفما لنا فيهم أسوة؟ كما بيننا وبين حال الصفا أبعد مما بيننا وبين الصفا والمروة كلما حسنت منا الأقوال ساءت الأعمال، فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلى العظيم وحسبنا الله.

يا نفسُ فازَ الصالحون بالتُّقى	وأبصَروا الحقَ وقلبى قد عمِى
يا حُسْنَهم والليلُ قد جنَّهُم	ونورُهم يفوقُ نورَ الأنجُم
ترنموا بالذِّكر فى ليلِهم	فعيشُهم قد طابَ بالتَّرنُّم
قلوبُهم للذكر قد تفرغت	دموعُهُم كلؤلؤٍ منتظم
أسحارهُم بهم لهم قد أشرقت	وخَلعُ الغُفْرانِ خيرُ القِسَم
وَيْحك يا نفسُ ألا تَيقُّظ	ينفعُ قبل أن تزلَّ قدمى
مضَى الزمانُ فى توانٍ وهوًى	فاستدْرِكى ما قَدْ بَقِى واغْتَنمِى

●●●●●

المجلس الثالث فى ذكر العشر الأوسط من شهر رمضان وذكر نصف الشهر الأخير

فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعتكف فى العشر الأوسط من رمضان فاعتكف عاما حتى إذا كانت ليلة إحدى وعشرين وهى التى يخرج فى صبيحتها من اعتكافه قال: «من كان اعتكف معى فليعتكف العشر الأواخر وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها وقد رأيتنى أسجد فى ماء وطين من صبيحتها فالتمسوها فى العشر الأواخر والتمسوها فى كل وتر» فمطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجد على عريش فوكف المسجد فبصرت عيناى رسول الله ﷺ على جبهته أثر الماء والطين من صبح إحدى وعشرين[1]، هذا الحديث يدل على أن النبى ﷺ كان يعتكف العشر الأوسط من شهر رمضان لابتغاء ليلة القدر فيه، وهذا السياق يقتضى أن ذلك تكرر منه، وفى رواية فى الصحيحين فى هذا الحديث: أنه اعتكف العشر الأول ثم اعتكف العشر الأوسط ثم قال: «إني أتيت فقيل لى: إنهما فى العشر الأواخر، فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف»، فاعتكف الناس معه[2]، وهذا يدل على أن ذلك كان منه قبل أن يتبين له أنها فى العشر الأواخر ثم لما تبين له ذلك اعتكف العشر الأواخر حتى قبضه الله عزوجل كما رواه عنه عائشة وأبو هريرة وغيرهما، وروى أن عمر جمع جماعة من الصحابة فسألهم عن ليلة القدر فقال بعضهم: كنا نراها فى العشر الأوسط ثم بلغنا أنها فى العشر الأواخر، وسيأتى الحديث بتمامه فى موضع آخر إن شاء الله، وخرَّج ابن أبى عاصم فى كتاب الصيام وغيره من حديث خالد بن محدوج عن أنس أن النبى ﷺ قال: «التمسوها فى أول ليلة أو فى تسع، أو فى أربع عشرة»، وخالد هذا فيه ضعف، وهذا يدل على أنها تطلب فى ليلتين من العشر الأول، وفى ليلة من العشر الأوسط، وهى أربع عشرة. وقد سبق من حديث واثلة بن

---

(١) رواه البخارى فى «فضل ليلة القدر» (٢٠١٦) باب: التماس ليلة القدر فى السبع الأواخر. ومسلم (٢٧٢٣) كتاب الصيام، باب: فضل ليلة القدر. وأبو داود فى «الصلاة» (١٣٨٢) باب: فيمن قال ليلة إحدى وعشرين. والنسائى فى «الصلاة» (٣/ ٧٩) باب: ترك مسح الجبهة بعد التسليم وابن ماجة فى «الصوم» (١٧٧٥) باب: الاعتكاف فى خيمة المسجد.

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٥) كتاب الصيام، باب: فضل ليلة القدر والحث عليها.

الأسقع مرفوعاً: «أن الإنجيل أنزل لثلاث عشرة من رمضان»[(١)]، وقد ورد الأمر بطلب ليلة القدر فى النصف الأواخر من رمضان، وفى أفراد ما بقى من العشر الأوسط من هذا النصف وهما ليلتان ليلة سبع عشرة وليلة تسع عشرة.

أما الأول: فخرَّجه الطبرانى من حديث عبد الله بن أنيس أنه سأل النبى ﷺ عن ليلة القدر فقال: «رأيتها ونسيتها فتحرها فى النصف الأواخر» ثم عاد فسأله فقال: «التمسها فى ليلة ثلاث وعشرين تمضى من الشهر»[(٢)]، ولهذا المعنى ـ والله أعلم ـ كان أبى بن كعب يَقْنت فى الوتر فى ليالى النصف الأواخر لأنه يرجى فيه ليلة القدر، وأيضاً فكل زمان فاضل من ليل أو نهار فإن آخره أفضل من أوله كيوم عرفة ويوم الجمعة وكذلك الليل والنهار عموماً آخره أفضل من أوله ولذلك كانت الصلاة الوسطى صلاة العصر كما دلت الأحاديث الصحيحة عليه وآثار السلف الكثيرة تدل عليه، وكذلك عشر ذى الحجة والمحرم آخرهما أفضل من أولهما.

وأما الثانى: ففى سنن أبى داود عن ابن مسعود مرفوعا: «اطلبوها ليلة سبععشرة من رمضان، وليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت»[(٣)]، وفي رواية ليلة تسع عشرة وقيل: إن الصحيح وقفه على ابن مسعود[(٤)] فقد صح

(١) سبق تخريجه.

(٢) **ضعيف**. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٦/٣٣٨) رقم (٦٥٦٨) وفى «الكبير» (٣٤٧) قطعة من الجزء المفقود» ط دار الصميعى، وفى سنده عبد العزيز بن بلال بن عبد الله بن أنس ذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل» (٥/٣٧٨) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وأمه لم أعرف من هى وأبوه بلال بن عبدالله لم يوثقه غير ابن حبان. وعمه عطية بن عبد الله بن أنيس ذكره ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل» ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلا (٦/ ٣٨٣) وروى مسلم (٢٧٢٩) عن عبد الله بن أنيس، أن رسول الله ﷺ قال: «أريت ليلة القدر ثم انسيتها وأرانى صبحها أسجد فى ماء وطين» قال: فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلّى بنا رسول الله ﷺ ، فانصرف وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه، قال: وكان عبد الله بن أنيس يقول: ثلاث وعشرين» ورواه أحمد (٣/ ٤٩٥).

(٣) **ضعيف**. رواه أبو داود (١٣٨٤) وعنه البيهقى فى« السنن» (٤/ ٣١٠) وفى سنده ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه.

(٤) وقد رواه موقوفاً على ابن مسعود، عبد الرزاق فى «المصنف» (٧٦٩٧) والطبرانى فى «الكبير» (٩/٣٦٦) رقم (٩٥٧٩) والبيهقى فى «السنن» (٤/ ٣١٠).

عنه أنه قال: «تحروا ليلة القدر ليلة سبع عشرة صباحية بدراً وإحدى وعشرين»[١]، وفي رواية عنه قال: «ليلة سبع عشرة، فإن لم يكن ففى تسع عشرة»[٢]، وخرّج الطبرانى من رواية أبى المهزم وهو ضعيف عن أبى هريرة مرفوعاً قال: «التمسوها ليلة القدر فى سبع عشرة أو تسع عشرة أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين»، ففى هذا الحديث التماسها فى إفراد النصف الثانى كلها، ويروى من حديث عائشة: «أن النبى ﷺ كان إذا كان ليلة تسع عشرة من رمضان شد المئزر، وهجر الفراش حتى يفطر»، قال البخارى: تفرد به عمر بن مسكين ولا يتابع عليه، وقد روى عن طائفة من الصحابة أنها تطلب ليلة سبع عشرة وقالوا: إن صبيحتها كان يوم بدر روى عن على وابن مسعود وزيد بن أرقم. وزيد بن ثابت، وعمرو بن حريث، ومنه من روى عنه أنها ليلة تسع عشرة، وروى عن على وابن مسعود وزيد بن أرقم[٣]، والمشهور عند أهل السير والمغازى: أن ليلة بدر كانت ليلة سبع عشرة وكانت ليلة جمعة، وروى ذلك عن على وابن عباس وغيرهما. وعن ابن عباس رواية ضعيفة أنها كانت ليلة الإثنين وكان زيد بن ثابت لا يحيى ليلة من رمضان كما يحيى ليلة سبع عشرة، ويقول: إن الله فرق فى صبيحتها بين الحق والباطل وأذل فى صبيحتها أئمة الكفر، وحكى الإمام أحمد هذا القول عن أهل المدينة: أن ليلة القدر تطلب ليلة سبع عشرة قال فى رواية أبى داود فيمن قال لامرأته: أنت طالق ليلة القدر قال: يعتزلها إذا أدخل العشر وقيل العشر أهل المدينة يرونها فى السبع عشرة إلاَّ أن المثبت عن النبى ﷺ فى العشر الأواخر، وحكى عن عامر بن عبد الله بن الزبير أنه كان يواصل ليلة سبع عشرة وعن أهل مكة أنهم كانوا لا ينامون فيهاويعتمرون، وحُكى عن أبى يوسف ومحمد صاحبى أبى حنيفة أن ليلة القدر فى النصف الأواخر من رمضان من غير تعيين لها بليلة وإن كانت فى نفس الأمر

---

(١) صحيح موقوف. رواه الحاكم (٣/ ٢١) والطبرانى فى «الكبير» (٩/ ٢٥٣) رقم (٩٠٧٤) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٢) ضعيف. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٢/ ٧١) رقم (١٢٨٤)، وقال الهيثمى فى «المجتمع» (٣/ ١٧٦) رواه الطبرانى وفيه أبو المهزم وهو ضعيف.

(٣) انظر «فتح البارى» (٤/ ٣١٠) والدر المنثور» (٦/ ٦٣٥).

عند الله معينة، وروى عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: ليلة القدر ليلة سبع عشرة ليلة جمعة[1] خرَّجه ابن أبى شيبة، وظاهره أنها إنما تكون ليلة القدر إذا كانت ليلة جمعة لتوافق ليلة بدر، وروى أبو الشيخ الأصبهانى بإسناد جيد عن الحسن قال: أن غلاماً لعثمان بن أبى العاص قال له يا سيدى إن البحر يعذب فى هذا الشهر فى ليلة القدر قال: غذباً فإذا كانت تلك الليلة فأعلمنى قال: فلما كانت تلك الليلة أذن فنظروا فوجدوه عذبا فإذا هى ليلة سبع عشرة، وروى من حديث جابر قال: كان رسول الله ﷺ يأتى قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان أى يوم كان، خرَّجه أبو موسى المدينى.

وقد قيل: إن المعراج كان فيها أيضاً [٢]. ذكر ابن سعد عن الواقدى عن أشياخه أن المعراج كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان قبل الهجرة إلى السماء وأن الإسراء كان ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة إلى بيت المقدس. وهذا على قول من فرق بين المعراج والإسراء فجعل المعراج إلى السماء كما ذكر فى سورة النجم والإسراء إلى بيت المقدس وخاصة كما ذكر فى سورة سبحان. وقد قيل: إن ابتداء نبوة النبى ﷺ كان فى سابع عشر رمضان قال أبو جعفر بن على الباقر: نزل جبريل على رسول الله ﷺ ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له بحراء برسالة الله عزوجل يوم الإثنين لسبع عشرة خلت من رمضان، وأصح ما روى فى الحوادث فى هذه الليلة أنها ليلة بدر كما سبق أنها كانت ليلة سبع عشرة، وقيل تسع عشرة والمشهور أنها كانت ليلة سبع عشرة كما تقدم، وصبيحتها هو يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، وسمى يوم الفرقان؛ لأن الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وأظهر الحق وأهله على الباطل وحزبه، وعلت كلمة الله وتوحيده وذل أعداؤه من المشركين وأهل الكتاب، وكان ذلك فى السنة الثانية من الهجرة فإن النبى ﷺ قدم المدينة فى ربيع الأول فى أول سنة من سنى الهجرة ولم يفرض رمضان فى ذلك العام ثم صام عاشوراء وفرض عليه رمضان

---

(١) رواه ابن أبى شيبة فى المصنف ٤(٨/٤٦٨)

(٢) وهذا القول لا يصح، لأنه لم يثبت حديث عن النبى ﷺ فى تعيين ليلة الإسراء والمعراج.

هو يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، وسمى يوم الفرقان؛ لأن الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وأظهر الحق وأهله على الباطل وحزبه، وعلت كلمة الله وتوحيده وذل أعداؤه من المشركين وأهل الكتاب، وكان ذلك فى السنة الثانية من الهجرة فإن النبى ﷺ قدم المدينة فى ربيع الأول فى أول سنة من سنى الهجرة ولم يفرض رمضان فى ذلك العام ثم صام عاشوراء وفرض عليه رمضان فى ثانى سنة فهو أول رمضان صامه وصامه المسلمون معه ثم خرج النبى ﷺ لطلب عير من قريش قدمت من الشام إلى المدينة فى يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان، وأفطر فى خروجه إليها. قال ابن المسيب قال عمر: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوتين فى رمضان يوم بدر ويوم الفتح وأفطرنا فيهما.

وكان سبب خروجه حاجة أصحابه وخصوصاً المهاجرين: **﴿الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يَبتغون فضلاً من الله ورضواناً ويَنصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾**[1]. وكانت هذه العَير معها أموال كثيرة لأعدائهم الكفار الذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم ظلماً وعدواناً كما قال الله تعالى **﴿ أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وأن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارَهم بغير حق إلاَّ أن يقولوا ربنا الله﴾**[2] الآية، فقصد النبى ﷺ أن يأخذ أموال هؤلاء الظالمين المعتدين على أولياء الله وحزبه وجنده فيردها على أولياء الله وحزبه المظلومين المخرجين من ديارهم وأموالهم ليتقووا بها على عبادة الله وطاعته وجهاد أعدائه وهذا مما أحله الله لهذه الأمة فإنه أحل لهم الغنائم ولم تحل لأحد قبلهم، وكان عدة أصحاب بدر رضى الله عنهم ثلثمائة وبضعة عشر وكانوا على عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر وما جازه معه إلاَّ مؤمن. وفى سنن أبى داود من حديث عبد الله بن عمرو قال: خرج رسول الله ﷺ يوم بدر فى ثلاثمائة وخمسة عشر من المقاتلة كما خرج طالوت فدعا لهم رسول الله ﷺ حين خرجوا فقال: «اللهم إنهم حفاة فاحملهم، وإنهم عراة فاكسهم، وإنهم جياع فأشبعهم»، ففتح الله يوم بدر فأنقلبوا حين انقلبوا وما فيهم رجل إلاَّ وقد رجع بجمل أو

---

(١) سورة الحشر: آية ٨.

(٢) سورة الحج: اية ٣٩ ـ ٤٠.

جملين واكتسوا وشبعوا[١]، وكان أصحاب النبى ﷺ حين خرجوا على غاية من قلة الظهر والزاد فإنهم لم يخرجوا مستعدين لحرب ولا لقتال إنما خرجوا لطلب العير فكان معهم نحو سبعين بعيرا يعتقبونها بينهم كل ثلاثة على بعير، وكان للنبى ﷺ زميلان فكانوا يعتقبون على بعير واحد فكان زميلاه يقولان له: اركب يا رسول الله حتى نمشى عنك فيقول: «ما أنتما بأقوى على المشى منّى، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما»[٢]، ولم يكن معهما إلاّ فرسان، وقيل: ثلاثة، وقيل: فرس واحد للمقداد، وبلغ المشركين خروج النبى ﷺ لطلب العير فأخذ أبو سفيان بالعير نحو الساحل وبعث إلى مكة يخبرهم الخبر ويطلب منهم أن ينفروا لحماية عيرهم فخرجوا مستصرخين، وخرج أشرافهم ورؤساؤهم وساروا نحو بدر، واستشار النبى ﷺ المسلمين فى القتال فتكلم المهاجرين فسكت عنهم وإنما كان قصده الأنصار لأنه ظن لم يبايعوه إلاّ على نصرته على من قصده فى ديارهم، فقام سعد بن عبادة فقال: إيّانا تريد - يعنى الأنصار - والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، وقال له المقداد: لا تقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿**اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون**﴾[٣]، ولكن نقاتل عن يمينك وشمالك وبين يديك ومن خلفك، فَسُرَّ النبى ﷺ بذلك وأجمع على القتال[٤]، وبات تلك الليلة ليلة الجمعة سابع عشر رمضان قائماً يصلى ويبكى ويدعو الله ويستنصره على أعدائه، وفى المسند عن على بن أبى طالب قال: لقد رأيتنا وما فينا إلاّ نائم إلاّ رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلى ويبكى حتى أصبح[٥]، وفيه عنه أيضاً قال: أصابنا طش من مطر يعنى ليلة بدر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل بها

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٢٧٤٧) كتاب الجهاد باب: فى نفل السرية تخرج من العسكر. والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٤٩٧) وفى الدلائل» (٣/ ٣٨).

(٢) رواه مسلم (٤٥٤١) كتاب الجهاد، باب: غزوة بدر.

(٣) سورة المائدة: آية ٢٤.

(٤) رواه البخارى (٣٩٥٢) كتاب المغازى، باب: قول الله تعالى ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم...﴾ الآية.

(٥) **صحيح**. رواه أحمد (١/ ١٢٥ و١٣٨) وأبو يعلى (١/ ٢٤٢) رقم (٢٨٠) وابن خزيمة (٨٩٩) وابن حبان (٢٢٥٧ - إحسان) والبيهقى فى الدلائل «(٣/ ٣٩)

من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: «إن تهلك هذه الفئة لا تعبد»، فلما طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله ﷺ وحث على القتال[1] وأمد الله تعالى نبيه والمؤمنين بنصر من عنده وبجند من جنده كما قال تعالى: ﴿**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مُرْدفين. وما جعله الله إلاَّ بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلاَّ من عند الله**﴾[2]، وفى صحيح البخارى: أن جبريل قال للنبى ﷺ : ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة[3]، وقال الله تعالى: ﴿**ولقد نصركم اللهُ ببدر وأنتم أذلة**﴾[4]. وقال: ﴿**فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى**﴾[5]، وروى أنّ النبى ﷺ لما رآهم قال: «اللهم إن هؤلاء قريش قد جاءت بخيلائها يكذبون رسولك، فأنجز لى ما وعدتنى»، فأتاه جبريل فقال: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فأخذ قبضة من حصباء الوادى فرمى بها نحوهم وقال: «شاهت الوجوه» فلم يبق مشرك إلاَّ دخل فى عينيه ومنخره وفمه شىء، ثم كانت الهزيمة[6]. وقال حكيم بن حزام: سمعنا يوم بدر صوتا وقع من السماء كأنه صوت حصاة على طست فرمى رسول الله ﷺ تلك الرمية فانهزمنا ولما قدم الخبر على أهل مكة قالوا لمن أتاهم بالخبر: كيف حال الناس قال: لا شىء، والله إن كان إلاَّ أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلونا ويأسرونا كيف شاؤا، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ١١٧) والبيهقى «الدلائل» (٣/ ٦٢-٦٣).

(٢) سورة الأنفال: آية: ٩، ١٠.

(٣) رواه البخارى (٣٩٩٢) كتاب المغازى، باب: شهود الملائكة بدراً.

(٤) سورة آل عمران: آية ١٢٣.

(٥) سورة الأنفال: آية ١٧.

(٦) **مرسل**. رواه ابن إسحاق كما فى «السيرة النبوية» (٢/ ١٨١) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٣٥و١١٠) والطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٤٤١) وروى مسلم (٤٥٠٧) كتاب الجهاد، باب: الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبى الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه «اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم آتنى ماوعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لاتعبد فى الأرض» فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه. ورواه أبو داود فى «الجهاد» (٦٢٩٠) باب: فى فداء الأسير بالمال. والترمذى فى تفسير سورة الأنفال (٣٠٨١).

شيء.

وقتل الله صناديد كفار قريش يومئذ منهم عتبة بن ربيعة وشيبة والوليد بن عتبة وأبو جهل وغيرهم وأسروا منهم سبعين، وقصة بدر يطول استقصاؤها وهى مشهورة فى التفسير وكتب الصحاح والسنن والمسانيد والمغازى والتواريخ وغيرها وإنما المقصود ههنا التنبيه على بعض مقاصدها. وكان عدو الله إبليس قد جاء إلى المشركين فى صورة سراقة بن مالك وكانت يده فى يد الحارث بن هشام وجعل يشجعهم ويعدهم ويُمنيهم فلما رأى الملائكة هرب وألقى نفسه فى البحر، وقد أخبر الله عن ذلك بقوله تعالى: **﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلمّا تراءت الفئتان نَكَصَ على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب﴾**[1]. وفي الموطأ حديث مرسل عن النبى ﷺ قال: «ما رؤى الشيطان أحقر ولا أدحر[2] ولا أصغر من يوم عرفة إلاَّ ما رأى يوم بدر» قيل: ما رأى يوم بدر؟ قال: رأى جبريل يزع[3] الملائكة[4].

فإبليس عدو الله يسعى جهده فى إطفاء نور الله وتوحيده ويغرى بذلك أولياءه من الكفار والمنافقين فلما عجز عن ذلك بنصر الله نبيه وإظهار دينه على الدين كله رضى بإلقاء الفتن بين المسلمين واجتزى منهم بمحقرات الذنوب، حيث عجز عن ردهم عن دينهم. كما قال النبى ﷺ: «إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب، ولكن فى التحريش بينهم»[5]، خرّجه مسلم من حديث جابر،

---

(١) سورة الأنفال: آية٤٨.

(٢) أدحر: أى أبعد وأرل.

(٣) يزع: أى يصف الملائكة للقتال، ويمنعهم أن يخرج بعضهم عن بعض فى الصف، أى: يعبئهم والمعبئ يسمى وازعاً، ومنه قوله تعالى **﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون﴾** أى يحبس أولهم على آخرهم.

(٤) مرسل: رواه مالك فى «الموطأ» (١/ ٤٢٢/ ٢٤٥) وعبد الرزاق (٨٨٣٢) والبغوى فى «شرح السنة» (١٩٣٠) والبيهقى فى «الشعب» (٤٠٦٩). ووصله الحاكم وعنه البيهقى فى «الشعب» (٤٠٧٠) عن أبى الدرداء رضى الله عنه، والمحفوظ المرسل والله أعلم.

(٥) رواه مسلم (٦٩٦٥) كتاب التوبة، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس والترمذى فى «البر والصلة» (١٩٣٧) باب: ماجاء فى التباغض.

وخرَّج الإمام أحمد والنسائى، والترمذى وابن ماجة من حديث عمرو بن الأحوص قال: سمعت النبى ﷺ يقول فى حجة الوداع: «ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد فى بلدكم هذا أبداً، ولكن سيكون له طاعة فى بعض ما تحتقرون من أعمالكم فيرضى بها»[1]، وفى صحيح الحاكم عن ابن عباس أن النبى ﷺ خطب فى حجة الوداع فقال: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضكم ولكنه يرضى أن يطاع فيما سوى ذلك فيما تحاقرون من أعمالكم فيرضى بها فاحذروا، يا أيها الناس إنى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه ﷺ»[2]، ولم يعظم على إبليس شيء أكبر من بعثة محمد ﷺ وانتشار دعوته في مشارق الأرض ومغاربها فإنه أيس أن تعود أمته كلهم إلى الشرك الأكبر. قال سعيد بن جبير: لما رأى إبليس النبى ﷺ قائماً بمكة يصلى رن، ولما افتتح النبى ﷺ مكة رن رنة أخرى اجتمعت إليه ذريته فقال: «آيسوا أن تردوا أمة محمد ﷺ إلى الشرك بعد يومكم هذا ولكن افتنوهم في دينهم وأفشوا فيهم النوح والشعر»، خرَّجه ابن أبي الدنيا، وخرَّجه الطبرانى بإسناده عن مجاهد عن أبى هريرة قال: إن إبليس رن لما أنزلت فاتحة الكتاب، وأنزلت بالمدينة[3] والمعروف هذا عن مجاهد من قوله قال: «رن إبليس أربع رنات حين لعن، وحين أهبط من الجنة، وحين بعث محمد، وحين أنزلت فاتحة الكتاب، وأنزلت بالمدينة، وخرَّجه وكيع وغيره، وقال بعض التابعين لما أنزلت هذه الآية: **﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾**... الآية، بكى إبليس[4]، يشير إلى شدة حزنه بنزولها لما فيها من الفرح لأهل الذنوب فهو لا يزال فى هم وغم وحزن منذ بعث النبى ﷺ لما رأى منه ومن أمته ما يهمه ويغيظه، قال

(١) حسن: رواه الترمذى (٢١٥٩) والنسائى فى «الكبرى» (٢/ ٤٤٤ـ٤٤٥) رقم (٤١٠) والطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ٣١ـ٣٢) رقم (٥٨).

(٢) حسن. رواه الحاكم (١/ ٩٣) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

(٣) رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٥/ ١٠٠) رقم (٤٧٨٨) من قول أبى هريرة رضى الله عنه: ورواه أبو نعيم فى «الحلية» (٣/ ٢٩٩) وأبو االشيخ فى «العظمة» (١١٤١) من قول مجاهد، وهو الأشبه.

(٤) رواه عبد الرزاق فى «تفسير» (١/ ١٣٧ رقم (٤٦٢) وعنه الطبرى فى «تفسيره» (٤/ ٩٦) عن ثابت البنانى قال: بلغنى أن إبليس حين نزلت هذه الآية: **﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾** بكى

ثابت: لما بعث النبى ﷺ قال إبليس لشياطينه: لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤه فقالوا: ما ندرى؟ قال إبليس: أنا أنبئكم بالخبر، فذهب وجاء وقال: قد بعث محمد ﷺ فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبى ﷺ فيجيؤا بصحفهم ليس فيها شىء فقال: ما لكم لا تصيبون منهم شيئاً؟ قالوا: ما صحبنا قوماً قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى الصلاة فيمحى ذلك، قال: رويداً إنهم عسى أن يفتح الله لهم الدنيا هنالك تصيبون حاجتكم منهم.

وعن الحسن قال: قال إبليس: سولت لأمة محمد المعاصى فقطعوا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوباً لا يستغفرون منها ـ يعنى الأهواء ـ ولا يزال إبليس يرى فى مواسم المغفرة والعتق من النار ما يسؤه، فيوم عرفة لا يرى أصغر ولا أحقر ولا أدحر فيه منه لما يرى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلاَّ ما رؤى يوم بدر، ورُوى إنه لما رأى نزول المغفرة للأمة فى حجة الوداع يوم النحر بالمزدلفة أهوى يحثى على رأسه التراب ويدعو بالويل والثبور، فتبسم النبى ﷺ مما رأى من جزع الخبيث[1]، وفى شهر رمضان يلطف الله بأمة محمد ﷺ فيغل فيه الشياطين ومردة الجن حتى لا يقدروا على ما كانوا يقدرون عليه فى غيره من تسويل الذنوب؛ ولهذا تقل المعاصى فى شهر رمضان فى الأمة لذلك، ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين**»[2]. ولمسلم: «**فتحت أبواب الرحمة**»[3] وله أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه النبى ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وأغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين**»[4]، وخرّج منه البخارى ذكر فتح أبواب الجنة، وللترمذى وابن ماجة عنه عن النبى ﷺ قال: «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت**

---

(١) تصدير المصنف للحديث بصيغة التمريض «روى» يدل على ضعفه.

(٢) رواه البخارى (١٨٩٨و١٨٩٩) كتاب الصوم، باب: هل يقال رمضان أو شهر رمضان. ومسلم (٢٤٥٦) كتاب الصيام، باب: فضل شهر رمضان. والنسائى فى «الصيام» (٤/١٢٦ـ١٢٧) باب: فضل شهر رمضان.

(٣) رواه مسلم (٢٤٥٧) كتاب الصيام، باب: فضل شهر رمضان.

(٤) رواه مسلم (٢٤٥٠) كتاب الصيام، باب: فضل شهر رمضان.

الشياطين مردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادى مناد يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»(١)، وفى رواية للنسائى: «تغل فيه مردة الشياطين»(٢)

وللإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «أعطيت أمتى فى رمضان خمس خصال لم تعطه أمة قبلهم خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، ويزين الله كل يوم جنته، ثم يقول يوشك عبادى الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة والأذى ويصيروا إليك، وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه فى غيره، يغفر لهم فى آخر ليلة». قيل: يا رسول الله أهى ليلة القدر؟ قال: «لا ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله»(٣).

وفى ليلة القدر تنتشر الملائكة فى الأرض فيبطل سلطان الشياطين، كما قال الله تعالى: **﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر﴾**(٤). وفى المسند عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «الملائكة تلك الليلة فى الأرض أكثر من عدد الحصى»(٥)، وفى صحيح ابن حبان عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «فى ليلة القدر لا يخرج شيطانها حتى يخرج فجرها»(٦). وفى المسند من حديث عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ أنه قال: «فى ليلة القدر لا يحل لكوكب أن يرمى به حتى يصبح، وإن أمارتها أن الشمس تخرج صبيحتها مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر، ولا يحل للشيطان

---

(١) **حسن**: رواه الترمذى (٦٨٢) كتاب الصوم، وابن ماجه (١٦٤٢) كتاب الصيام، باب ماجاء فى فضل شهر رمضان .وابن خزيمة (٣/ ١٨٨) رقم (١٨٨٣).

(٢) **صحيح**:رواه النسائى (٤/ ١٣٠) كتاب الصوم، باب: فضل شهر رمضان.

(٣) **ضعيف**: رواه أحمد (٢/ ٢٩٢) والبيهقى فى «الشعب» (٣/ ٣٠٢) رقم (٣٦٠٢) وفى سنده هشام بن أبى هشام، وهو هشام بن زياد أبو المقدام، وهو ضعيف متفق عليه ضعفه وقال أبو حاتم: منكر الحديث. ومحمد بن محمد بن الأسود مستور كما في «التقريب»(٢/ ٢٠٥)

(٤) سورة القدر آية: ٤ـ٥.

(٥) **حسن**: رواه الطيالسى (٥٤٥) وعنه أحمد (٢/ ٥١٩) وابن خزيمة (٣/ ٣٣٢) رقم (٢١٩٤).

(٦) **حسن لشواهده**: رواه ابن خزيمة (٣/ ٣٣٠) رقم (٢١٩٠) وعنه ابن حبان (٣٦٨٨ ـ إحسان).

أن يخرج معها يومئذ»[١]، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن الشيطان يطلع مع الشمس كل يوم إلاَّ ليلة القدر وذلك أنها تطلع لا شعاع لها[٢]. وقال مجاهد فى قوله تعالى: **﴿سلام هى حتى مطلع الفجر﴾** قال: سلام أن يحدث فيها داء، أو يستطيع شيطان العمل فيها. وعنه قال: ليلة القدر ليلة سالمة لا يحدث فيها داء ولا يرسل فيها شيطان، وعنه قال: هى سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً ولا يحدث فيها أذى، وعن الضحاك عن ابن عباس قال: فى تلك الليلة تصفد مردة الجن وتغل عفاريت الجن وتفتح فيها أبواب السماء كلها ويقبل الله فيها التوبة لكل تائب. فلذلك قال: **﴿سلام هى حتى مطلع الفجر﴾**، ويروى عن أبّى ابن كعب رضى الله عنه قال: لا يستطيع الشيطان أن يصيب فيها أحداً بخبل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد، ولا ينفذ فيها سحر ساحر، ويروى بإسناد ضعيف عن أنس مرفوعاً: «أنه لا تسرى نجومها، ولا تنبح كلابها»، وكل هذا يدل على كف الشياطين فيها عن انتشارها فى الأرض ومنعهم من استراق السمع فيها من السماء.

ابن آدم لو عرفت قدر نفسك ما أهنتها بالمعاصى، أنت المختار من المخلوقات ولك أعدت الجنة إن اتقيت، فهى إقطاع المتقين والدنيا إقطاع إبليس، فهو فيها من المنظرين، فكيف رضيت لنفسك بالإعراض عن إقطاعك ومزاحمة إبليس على إقطاعه وأن تكون غداً معه فى النار من جملة أتباعه، إنما طردناه عن السماء لأجلك حيث تكبّر عن السجود لأبيك، وطلبنا قربك لتكون من خاصتنا وحزبنا فعاديتنا وواليت عدوناً: **﴿أفتتّخذونه وذريته أولياء مِن دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً﴾**[٣].

---

(١) حسن: رواه أحمد (٥/ ٣٢٤).

(٢) **ضعيف**. رواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (٢/ ٤٨٨/ ١) وهو من رواية سماك بن حرب عن عكرمة، ورواية سماك عن عكرمة **مضطربة** كما قال الحافظ فى «التقريب» (١/ ٣٣٢).
وفى صحيح مسلم أن أبى بن كعب سئل عن علامة ليلة القدر، فقال بالعلامة التى أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لاشعاع لها. رواه مسلم (٢٧٣١) كتاب الصيام، باب: فضل ليلة القدر والحث على طلبها.

(٣) سورة الكهف: آية ٥٠.

رَعَى الله من نَهْوَى وإنْ كان ما رعى	حَفظْنا لـه العـهدَ القديم فضيَّعا
وصاحبْتَ قوماً كُنْتُ أنـهـاكَ عنْهُم	وحقَّكَ ما أبقَيْت للصلْح مَوْضعا

أبشروا يا معاشر المسلمين فهذه أبواب الجنة الثمانية فى هذا الشهر لأجلكم قد فتحت، ونسماتها على قلوب المؤمنين قد نفحت، وأبواب الجحيم كلها لأجلكم مغلقة، وأقدام إبليس وذريته من أجلكم موثقة، ففى هذا الشهر يؤخذ من إبليس بالثأر، وتستخلص العصاة من أسره فما يبقى لهم عنده آثار، كانوا فراخه قد غذاهم بالشهوات فى أوكاره فهجروا اليوم تلك الأوكار،نقضوا معاقل حصونه بمعادل التوبة والاستغفار. خرجوا من سجنه إلى حصن التقوى والإيمان فأمنوا من عذاب النار، قصموا ظهره بكلمة التوحيد فهو يشكو ألم الانكسار فى كل موسم من مواسم الفضل يحزن ففى هذا الشهر يدعو بالويل لما يرى.

تنزل الرحمة ومغفرة الأوزار، غلب حزب الرحمن حزب الشياطين فما بقى له سلطان إلاَّ على الكفار، عزل سلطان الهوى وصارت الدولة لسلطان التقوى: **﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾**[1].

يا نداماىَ صَحَا القلبُ صَحَا	فاطردُوا عنى الِّصبا والمرحا
هَزَمَ العْقلُ جنوداً للهوى	فاسِدِى لا تعجبوا إن صَلُحا
زجر الحق فؤادى فارعوى	وأفاق القَلْبُ منِّى وصَحَا
بادرُوا التوبةَ من قَبْلِ الردَّىَ	فمنَُاديه . يُنادينا الوحا[2]

هذا عباد الله ـ شهر رمضان قد انتصف، فمن منكم حاسب نفسه فيه لله وانتصف، من منكم قام فى هذا الشهر بحقه الذى عرف، ومن منكم عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يبنى له فيها غرفاً من فوقها غرف، ألا إن شهركم قد أخذ فى النقص فزيدوا أنتم فى العمل فكأنكم به وقد انصرف فكل شهر فعسى أن يكون منه خلف، وأما شهر رمضان فمن أين لكم منه خلف.؟

---

(١) سورة الحشر: آية ٢.

(٢) الوحا: السرعة.

تَنَصَّفَ الشَّهْرُ والهفاهُ وانهَدَمَا   واختَصَّ بالفَوْزِ بالجنَّاتِ مَن خَدَما

وأصبَحَ الغافلُ المسكينُ منكسراً   مثلى فيا ويحَهُ يا عُظْمَ ما حُرِما

من فاته الزَّرْعُ فى وقت البذار فما   تراه يحصُدُ إلاَّ الهَمَّ والنَدَما

طُوبى لمن كانت التَّقوىَ بضاعتُه   فى شهرِهِ وبحبلِ الله مُعتصِماً

●●●●●

فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليلة وأيقظ أهله»[١]، هذا لفظ البخارى، ولفظ مسلم: «أحيا الليل وأيقظ أهله، وجَدَّ وشد المئزر»، وفى رواية لمسلم عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يجتهد فى العشر الأواخر مالا يجتهد فى غيره»[٢]، كان النبى ﷺ يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها فى بقية الشهر، فمنها إحياء الليل، فيحتمل أن المراد إحياء الليل كله، وقد روى من حديث عائشة من وجه فيه ضعف بلفظ: «وأحيا الليل كله»، وفى المسند من وجه آخر عنها قالت: «كان النبى ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العشر - يعنى الأخير - شمّر وشد المئزر»[٣] وخرّج الحافظ أبو نعيم بإسناده فيه ضعف عن أنس قال: «كان النبى ﷺ إذا شهد رمضان قام ونام فإذا كان أربعاً وعشرين لم يذق غمضاً»[٤]. ويحتمل أن يريد بإحياء الليل إحياء غالبه. وقد روى عن بعض المتقدمين من بنى هاشم ظنه الراوى أبا جعفر محمد بن على أنه فسر ذلك بإحياء نصف الليل، وقال: من أحيا نصف الليل فقد أحيا الليل، وقد سبق مثل هذا فى قول عائشة رضى الله عنها: «كان النبى ﷺ يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلاَّ قليلاً»[٥] ويؤيده ما فى صحيح مسلم عن عائشة قالت: ما أعلمه ﷺ

---

(١)رواه البخارى فى «فضل ليلة القدر» (٢٠٢٤) باب: العمل فى العشر الأواخر من رمضان. ومسلم (٢٧٤١) كتاب الاعتكاف، باب: الاجتهاد فى العشر الأواخر من رمضان. وأحمد (٦/ ٤١) وأبو داود فى «الصلاة» (١٣٧٦) باب: فى قيام شهر رمضان. والنسائى فى «قيام الليل» (٣/ ٢١٧) باب: الاختلاف على عائشة فى احياء الليل. وابن ماجه فى «الصوم» (١٧٦٨) باب: فى فضل العشر الأواخر من رمضان.

(٢) رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الاعتكاف، باب: الاجتهاد فى العشر الأواخر من رمضان. والترمذى فى «الصوم» (٧٩٦) وابن ماجه فى «الصوم» (١٧٦٧) باب فى فضل العشر الأواخر من رمضان.

(٣) ضعيف: رواه أحمد (٦/ ١٤٦) وفى سنده جابر بن يزيد الجعفى وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ١٢٣) ويزيد بن مرة الجعفى فيه نظر كما فى «تعجيل المنفعة» (ص٥٠٣).

(٤) ضعيف: رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ٣٠٦) وفى سنده الربيع بن صبيح وهو سيئ الحفظ وضعفه ابن معين، والنسائى وفى سنده أيضا الحسن البصرى وهو مدلس وقد عنعنه.

(٥) سبق تخريجه.

قام ليلة حتى الصباح[1]، وذكر بعض الشافعية فى إحياء ليلتى العيدين أنه تحصل فضيلة الإحياء بمعظم الليل، قال: وقيل: تحصل بساعة، وقد نقل الشافعى فى الأم عن جماعة من خيار أهل المدينة ما يؤيده. ونقل بعض أصحابهم عن ابن عباس أن إحياءها يحصل بأن يصلى العشاء فى جماعة ويعزم على أن يصلى الصبح فى جماعة، وقال مالك فى الموطأ بلغنى أن ابن المسيب قال: من شهد العشاء ليلة القدر ـ يعنى فى جماعة ـ فقد أخذ بحظه منها[2]، وكذا قال الشافعى فى القديم: من شهد العشاء والصبح ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها، وقد روى هذا من حديث أبى هريرة مرفوعاً: «من صلى العشاء الآخرة فى جماعة فى رمضان فقد أدرك ليلة القدر»[3]، خرَّجه أبو الشيخ الأصبهانى، ومن طريقه أبو موسى المدينى وذكر أنه روى من وجه آخر عن أبى هريرة نحوه، ويروى من حديث على بن أبى طالب مرفوعاً لكن إسناده ضعيف جدا، ويروى من حديث أبى جعفر محمد بن على مرسلا أن النبى ﷺ قال: «من أتى عليه رمضان صحيحاً مسلماً صام نهاره، وصلى ورداً من ليله، وغض بصره، وحفظ فرجه ولسانه ويده، وحافظ على صلاته فى الجماعة، وبكر إلى جمعة فقد صام الشهر واستكمل الأجر، وأدرك ليلة القدر، وفاز بجائزة الرب عزوجل»،[4] قال أبو جعفر: جائزة لا تشبه جوائز الأمراء، خرَّجه ابن أبى الدنيا.

ولو نذر قيام ليلة القدر لزمه أن يقوم من ليالى شهر رمضان ما يتيقن به قيامها فمن قال من العلماء: إنها فى جميع الشهر يقول: يلزمه قيام جميع ليالى الشهر، ومن قال: هى فى النصف الآخر من الشهر قال: يلزمه قيام ليالى النصف الأخير منه، ومن قال هى فى العشر الأواخر من الشهر قال: يلزمه قيام ليالى العشر كلها، وهو قول أصحابنا وإن كان نذره كذلك، وقد مضى بعض ليالى العشر فإن قلنا:

---

(١) رواه مسلم (١٧٠٨) كتاب الصلاة، باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مَرِضَ. وأحمد (٦/ ٩١) وأبو داود فى «الصلاة» (١٣٤٢و١٣٤٣و١٣٤٤و١٣٤٥) باب: فى صلاة الليل. والنسائى فى «الصلاة» (٣/ ١٩٩).

(٢) رواه مالك فى «الموطأ»(١/ ٣٢١/ ١٦) والبيهقى فى «شعب الإيمان» (٣/ ٣٣٩) رقم (٣٧٠٤).

(٣) ضعيف: رواه ابن خزيمة (٣/ ٣٣٣) رقم (٢١٩٥) والبيهقى فى «شعب الإيمان» (٣/ ٣٤٠) رقم (٣٧٠٦) وفى سنده عضبة بن أبى الحسناء وهو مجهول كما فى «ميزان الاعتدال» (٣/ ٥٦٨٥).

(٤) ضعيف لإرساله.

إنها لا تنتقل في العشر أجزاه فى نذره أن يقوم ما بقى من ليالى العشر، ويقوم من عام قابل من أول العشر إلى وقت نذره، وإن قلنا: إنها تنتقل فى العشر لم يخرج من نذره بدون قيام ليالى العشر كلها بعد عام نذره، ولو نذر قيام ليلة غير معينة لزمه قيام ليلة تامة فإن قام نصف ليلة ثم نام أجزأه أن يقوم من ليلة أخرى نصفها، قاله الأوزاعى نقله عنه الوليد بن مسلم فى كتاب النذور وهو شبيه بقول من قال من أصحابنا وغيرهم: أن الكفارة يجزئ فيها أن يعتق نصفى رقبتين.

ومنها أن النبى ﷺ كان يوقظ أهله للصلاة فى ليالى العشر دون غيره من الليالى. وفى حديث أبى ذر أن النبى ﷺ لما قام بهم ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين ذكر أنه دعا أهله ونساءه ليلة سبع وعشرين خاصة[1]، وهذا يدل على أنه يتأكد إيقاظهم فى آكد الأوتار التى ترجى فيها ليلة القدر. وخرَّج الطبرانى من حديث على: «أن النبى ﷺ كان يوقظ أهله فى العشر الأواخر من رمضان، وكل صغير وكبير يطيق الصلاة»[2]، قال سفيان الثورى: أحب إلىّ إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل ويجتهد فيه، وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك، وقد صح عن النبى ﷺ أنه كان يطرق فاطمة وعليا ليلاً فيقول لهما ألا تقومان فتصليان[3]، وكان يوقظ عائشة بالليل، إذا قضى تهجده وأراد أن يوتر، وورد الترغيب فى إيقاظ أحد الزوجين صاحبه للصلاة ونضح الماء فى وجهه[4]، وفى الموطأ أن عمر بن الخطاب كان يصلى من الليل ما شاء الله أن يصلى حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة يقول

---

(١) حسن: رواه الطيالسى (٤٦٦) وعنه البيهقى فى «شعب الإيمان» (٣/ ٣٢٩) رقم (٣٦٨٣).

(٢) ضعيف: رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٧/ ٢٥٣) رقم (٧٤٣٥) وفى سنده إسماعيل بن عمرو البجلى وهو ضعيف كما فى «الميزان» (١/ ٢٣٩) و«الكامل» لابن عدى (١/ ٣٢٢).

(٣) رواه البخارى (١١٢٧) كتاب الصلاة، باب: تحريض النبى ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب. ومسلم (١٧٨٧) كتاب الصلاة، باب: ماروى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح. والنسائى فى «الصلاة (٣/ ٢٠٥) باب: الترغيب فى قيام الليل. من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه.

(٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل يصلى، وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح فى وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت فى وجهه الماء» رواه أحمد (٢/ ٢٥٠و٤٣٦) وابن خزيمة (١١٤٨) وأبو داود (١٣٠٨و١٤٥٠) والنسائى (٣/ ٢٠٥) وابن ماجه (١٣٣٦) والحاكم (١/ ٣٠٩) وابن حبان (٢٥٦٨) والبيهقى (٢/ ٥٠١) وسنده حسن.

لهم: الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية: ﴿وأمُر أهلك بالصلاة واصْطبر عليها﴾[1]. . الآية، كانت امرأة حبيب أبى محمد تقول له بالليل: قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا.

يا نائماً بالليل كم ترقُدُ ... قم يا حبيبى قد دَنَا الموعدُ
وخذ من الليل وأوقاته ... وِرْداً إذا ما هجع الرُّقَّدُ
من نام حتَّى ينقضى ليلُه ... لَم يبلغ المنزلَ أو يجهدُ
قل لذوى الألباب أهل التُّقى ... قنطرةُ العَرْضِ لكُم موعِدُ

ومنها أن النبى ﷺ كان يشد المئزر واختلفوا فى تفسيره، فمنهم من قال: هو كناية عن شدة جده واجتهاده فى العبادة كما يقال فلان يشد وسطه ويسعى فى كذا وهذا فيه نظر فإنها قالت: جد وشد المئزر فعطفت شد المئزر على جده، والصحيح: أن المراد اعتزاله للنساء، وبذلك فسره السلف والأئمة المتقدمون منهم: سفيان الثورى، وقد ورد ذلك صريحاً من حديث عائشة وأنس وورد تفسيره بأنه لم يأو إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان[2]، وفى حديث أنس وطوى فراشه واعتزل النساء[3]. وقد كان النبى ﷺ غالباً يعتكف العشر الأواخر، والمعتكف ممنوع من قربان النساء بالنص والإجماع، وقد قالت طائفة من السلف فى تفسير قوله تعالى: ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب اللهُ لكم﴾[4] إنه طلب ليلة القدر، والمعنى فى ذلك: أن الله تعالى لما أباح مباشرة النساء فى ليالى الصيام إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود أمر مع ذلك بطلب ليلة القدر لئلا يشتغل المسلمون فى طول ليالى الشهر بالاستمتاع المباح فيفوتهم طلب ليلة القدر، فأمر مع ذلك بطلب

---

(١) صحيح: رواه مالك فى «الموطأ» (١/١١٩/٥).
(٢) عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل شهر رمضان شدّ مئذره ثم لم يات فراشه حتى ينسلخ» رواه البيهقى فى «الشعب» (٣/ ٣١٠) رقم (٣٦٢٤) وفى سنده ضعف.
(٣) سيأتى تخريجه.
(٤) سورة البقرة: آية ١٧٨.

ليلة القدر بالتهجد من الليل وخصوصا فى الليالى المرجو فيها ليلة القدر، فمن ههنا كان النبى ﷺ يصيب من أهله فى العشرين من رمضان ثم يعتزل نساءه ويتفرغ لطلب ليلة القدر فى العشر الأواخر ومنها تأخيره للفطور إلى السحور، روى عنه من حديث عائشة وأنس أنه ﷺ كان فى ليالى العشر يجعل عشاءه سحوراً، ولفظ حديث عائشة : «كان رسول الله ﷺ إذا كان رمضان قام ونام، فإذا دخل العشر شد المئزر واجتنب النساء، واغتسل بين الأذانين وجعل العشاء سحوراً»، أخرجه ابن أبى عاصم وإسناده مقارب، وحديث أنس. خرَّجه الطبرانى ولفظه: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان طوى فراشه، واعتزل النساء، وجعل عشاءه سحوراً»[1]، وفى إسناده حفص بن واقد، قال ابن عدى: هذا الحديث من أنكر ما رأيت له. وروى أيضا نحوه من حديث جابر خرَّجه أبو بكر الخطيب وفى إسناده من لا يعرف حاله. وفى الصحيحين ما يشهد لهذه الروايات ففيهما عن أبى هريرة قال: «نهى رسول الله ﷺ عَن الوصال فى الصوم» فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله؟ فقال: «وأيكم مثلى إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى»، فلما أَبَوْا أن ينتهوا عن الوصال وصل بهم يوماً ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال: «لو تأخر لزدتكم» كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا[2]. فهذا يدل على أنه واصل بالناس فى آخر الشهر، وروى عاصم بن كليب عن أبيه عن أبى هريرة قال: ما واصل النبى ﷺ وصالكم قط غير أنه أخر الفطر إلى السحور وإسناده لا بأس به، وخرّج الإمام أحمد من حديث على أن النبى ﷺ كان يواصل إلى السحر[3]. وخرّجه الطبرانى من حديث جابر أيضاً [4] وخرَّج ابن جرير الطبرى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يواصل إلى السحر ففعل ذلك بعض أصحابه فنهاه فقال: أنت تفعل

(١) ضعيف: رواه الطبرانى فى «الأوسط» وفيه حفص بن واقد البصرى قال ابن عدى: له أحاديث منكرة .

(٢) رواه البخارى (١٩٦٥) كتاب الصوم، باب: التنكيل لمن أكثر الوصال. ومسلم (٢٥٢٥) كتاب الصيام، باب: النهى عن الوصال فى الصوم.

(٣) ضعيف: رواه أحمد (١/ ٩١و١٤١) وعبد الرزاق (٤/ ٢٦٧) رقم (٧٧٥٢) وابن أبى شيبة (٢/ ٤٩٥/ ٥) والطبرانى فى «الكبير» (١/ ١٠٩) رقم (١٨٥) وقال الشيخ شاكر فى تعليقه على المسند: إسناده ضعيف من أجل عبد الأعلى أ هـ .قلت: عبد الأعلى التعلبى ضعيف.

(٤) ضعيف: رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٤/ ١١٧) رقم (٣٧٥٦) وفى سنده عبد الله بن محمد بن عقيل وفى حديثه لين كما فى «التقريب» (١/ ٤٤٨) وشريك بن عبد الله النخعى يخطأ كثيراً.

ذلك؟ فقال: «إنكم لستم مثلى، إنى أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى». وزعم ابن جرير أن النبى ﷺ لم يكن يواصل فى صيامه إلاَّ إلى السحر خاصة وأن ذلك يجوز لمن قوى عليه، ويكره لغيره، وأنكر أن يكون استدامة الصيام فى الليل كله طاعة عند أحد من العلماء. وقال: إنما كان يمسك بعضهم لمعنى آخر غير الصيام إما ليكون أنشط له على العبادة أو إيثاراً بطعامه على نفسه أو لخوف مقلق منعه طعامه أو نحو ذلك. فمقتضى كلامه: أن من واصل ولم يفطر ليكون أنشط له على العبادة من غير أن يعتقد أن إمساك الليل قربة أنه جائز وإن أمسك تعبداً بالمواصلة فإن كان إلى السحر وقوى عليه لم يكره وإلا كره؛ولذلك قال أحمد وإسحاق لا يكره الوصال إلى السحر. وفى صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: «لا تواصلوا، فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر» قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله؟ قال: «إنى لست كهيئتكم إنى أبيت لى مطعم يطعمنى وساق يسقينى»[(١)]، وظاهر هذا يدل على أنه ﷺ كان يواصل الليل كله، وقد يكون ﷺ إنما فعل ذلك؛ لأنه رآه أنشط له على الاجتهاد فى ليالى العشر ولم يكن ذلك مضعفا له عن العمل فإن الله كان يطعمه ويسقيه.

واختلف فى معنى إطعامه فقيل: إنه كان يؤتى بطعام من الجنة يأكله؛ وفى هذا نظر فإنه لو كان كذلك لم يكن مواصلاً وقد أقرهم على قولهم له إنك تواصل، لكن روى عبد الرزاق فى كتابه عن ابن جريج أخبرنى عمرو بن دينار أن النبى ﷺ نهى عن الوصال قالوا: فإنك تواصل؟قال: «وما يدريكم لعل ربى يطعمنى ويسقينى»[(٢)] وهذا مرسل، وفى رواية لمسلم من حديث أنس: «إنى أظل يطعمنى ربى ويسقينى»[(٣)]. وإنما يقال: ظل يفعل كذا إذا كان نهاراً، ولو كان أكلاً حقيقيّاً لكان منافياً للصيام. والصحيح أنه إشارة إلى ما كان الله يفتحه عليه فى صيامه وخلوته بربه لمناجاته، وذكره من مواد أُنسه ونفحات قدسه، فكان يرد

---

(١) رواه البخارى (١٩٦٣) كتاب الصوم، باب: الوصال.

(٢) ضعيف لإرساله: رواه عبد الرزاق فى «المصنف» (٤/٢٦٨) رقم (٧٧٥٦).

(٣) رواه البخارى (٧٢٤١) كتاب التمنى، باب: ما يجوز من اللو ومسلم (١١٠٣) كتاب الصيام، باب: النهى عن الوصال.

بذلك على قلبه من المعارف الإلهية والمنح الربانية ما يغذيه ويغنيه عن الطعام والشراب كما قيل:

لها أحاديثُ من ذكراك تشغلُها ... عن الطعام ويلهيها عن الزَّاد
لها بوجهك نورٌ تستضيءُ به ... وَقْتَ المسير فى أعقابها حادِى
إذا شكَتْ من كَلاَلِ السَّيْر أوعَدَها ... روحُ القُدُومِ فتحيا عند ميعادِ

الذكر قوت قلوب العارفين يغنيهم عن الطعام والشراب كما قيل:

أنت ريِّى إذا ظمئْتُ إلى المـ ... ـاءِ وقُوتى إذا أردْتُ الطَّعاما

لما جاع المجتهدون شبعوا من طعام المناجاة. فأُف لمن باع لذة المناجاة بفضل لقمة.

يا من لحشا المحبِّ بالشَّوق حشا ... ذا سِرُّ سُراك فى الدُّجا كيفَ فَشَا
هذا المــولى إلى المــماليك مَشَا ... لا كـان عيشاً أوْرَثَ القــلبَ غشا

ويتأكد تأخير الفطر فى الليالى التى ترجى فيها ليلة القدر، قال ذر بن جيش: فى ليلة سبع وعشرين من استطاع منكم أن يؤخر فطره فليفعل وليفطر على ضياح لبن. رواه بعضهم عن ذر عن أبى بن كعب مرفوعا ولا يصح؛ وضياح اللبن: وروى: ضيح ـ الضاد المعجمة والياء آخر الحروف ـ : هو اللبن الخاثر الممزوج بالماء، وروى أبو الشيخ الأصبهانى بإسناده عن على قال: إن وافق ليلة القدر وهو يأكل أورثه داء لا يفارقه حتى يموت. وخرَّجه من طريقه أبو موسى المدينى وكأنه يريد إذا وافق دخولها أكله، والله أعلم.

ومنها اغتساله بين العشاءين، وقد تقدم من حديث عائشة واغتسل بين الأذانين والمراد أذان المغرب والعشاء. وروى من حديث على أن النبى ﷺ كان يغتسل بين العشاءين كل ليلة يعنى من العشر الأواخر، وفى إسناده ضعف. وروى عن حذيفة أنه قام مع النبى ﷺ ليلة من رمضان فاغتسل النبى ﷺ وستره حذيفة وبقيت فضلة فاغتسل بها حذيفة وستره النبى ﷺ ، خرجه ابن أبى عاصم، وفى

رواية أخرى عن حذيفة قال: نام النبى ﷺ ذات ليلة من رمضان فى حجرة من جريد النخل فصب عليه دلوا من ماء. وقال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالى العشر الأواخر. وكان النخعى يغتسل فى العشر كل ليلة، ومنهم من كان يغتسل ويتطيب فى الليالى التى تكون أرجى لليلة القدر فأمر ذر بن جحش بالاغتسال ليلة سبع وعشرين من رمضان، وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه: أنه إذا كان ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيب ولبس حلة إزار أو رداء، فإذا أصبح طواهما فلم يلبسهما إلى مثلها من قابل. وكان أيوب السختيانى يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ويلبس ثوبين جديدين ويستجمر. ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هى ليلة أهل المدينة والتى تليها ليلتنا، يعنى البصريين. وقال حماد ابن سلمة: كان ثابت البنانى وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيبان ويطيبون المسجد بالنضوج والدخنة فى الليلة التى ترجى فيها ليلة القدر. وقال ثابت: كان لتميم الدارى حلة اشتراها بألف درهم وكان يلبسها فى الليلة التى ترجى فيها ليلة القدر، فتبين بهذا أنه يستحب فى الليالى التى ترجى فيها ليلة القدر التنظف والتزين، والتطيب بالغسل والطيب واللباس الحسن كما يشرع ذلك فى الجُمع والأعياد وكذلك يشرع أخذ الزينة بالثياب فى سائر الصلوات كما قال تعالى: **﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾**[1]، وقال ابن عمر: الله أحق أن يتزين له، وروى عنه مرفوعاً[2]. «ولا يكمل التزين الظاهر إلاَّ بتزين الباطن» بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى وتطهيره من أدناس الذنوب وأوضارها، فإن زينة الظاهر مع خراب الباطن لا تغنى شيئاً قال الله تعالى: **﴿يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير﴾**[3].

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عرياناً وإن كان كاسيا

لا يصلح لمناجاة الملك فى الخلوات إلاَّ من زين ظاهره وباطنه وطهرهما

---

(١) سورة الأعراف: آية ٣١.

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٩/ ١٤٤).رقم (٩٣٦٨) والطحاوى فى «شرح معانى الآثار» (١/ ٢٢١) والبيهقى فى «السنن» (٢/ ٢٣٦).

(٣) سورة الأعراف: آية ٢٦.

خصوصا لملك الملوك الذى يعلم السر وأخفى وهو لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، فمن وقف بين يديه فليزين له ظاهره باللباس وباطنه بلباس التقوى. أنشد الشبلى:

قالوا غداً العيد ماذا أنت لابسه	فقلت خلعة ساق حبه جدعا
فقر وصبرهما ثوبان تحتهما	قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به	يوم التزاور فبالثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم إن غبت يا أملى	والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعا

ومنها الاعتكاف، ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى[1]. وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين[2]، وإنما كان يعتكف النبى ﷺ فى هذا العشر التى يطلب فيها ليلة القدر قطعاً لإشغاله وتفريغاً للياليه وتخليا لمناجاة ربه، وذكره ودعائه. وكان يحتجر حصيرا يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم، ولهذا ذهب الإمام أحمد إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس حتى ولا لتعليم علم وإقراء قرآن، بل الأفضل له الانفراد بنفسه والتخلى بمناجاة ربه وذكره ودعائه، وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية. وإنما يكون فى المساجد لئلا يترك به الجمع والجماعات فإن الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهى عنها. سئل ابن عباس عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يشهد الجمعة والجماعة قال: هو فى النار، فالخلوة المشروعة لهذه الأمة هى الاعتكاف فى المساجد وخصوصا فى شهر رمضان، وخصوصا فى العشر

---

(١) رواه البخارى (٢٠٢٦) كتاب الاعتكاف، باب: الاعتكاف فى العشر الأواخر. ومسلم (٢٧٣٨) كتاب الاعتكاف، باب: اعتكاف العشر الأواخر من رمضان. وأحمد (٦/ ٢٣٢) وأبو داود فى «الصوم» (٤٢٦٢) باب الاعتكاف. والنسائى فى «الاعتكاف» فى «الكبرى» (٢/ ٢٥٧) رقم (٣٣٣٦).

(٢) رواه البخارى (٢٠٤٤) كتاب الاعتكاف، باب: الاعتكاف فى العشر الأوسط من رمضان. وأحمد (٢/ ٣٣٦ و٣٥٥و٤٠١) وأبو داود فى «الصوم» (٢٤٦٦) باب: أين يكون الاعتكاف. والنسائى فى «الاعتكاف» فى «الكبرى» (٢/ ٢٥٩) رقم (٣٣٤٣) وابن ماجه فى «الصيام» (١٧٦٩) باب: ماجاء فى الاعتكاف.

الأواخر منه كما كان النبى ﷺ يفعله، فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل مشاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقر به منه، فما بقى له همّ سوى الله، وما يرضيه عنه كما كان داود الطائى يقول فى ليله: همك عطل على الهموم وحالف بينى وبين السهاد، وشوقى إلى النظر إليك أوثق منى اللذات وحال بينى وبين الشهوات.

مـالى شغل سواه مـالى شغل ما يصرف عن قلبى هواه عذل

ما أصنع أجفان وخاب الأمل منـى بـدل ومنـه مـالى بـدل

فمعنى الاعتكاف وحقيقته: قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية. على كل حال كان بعضهم لا يزال منفردا فى بيته خاليا بربه، فقيل له: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرنى.

أوحشتنى خلواتى بك من كـل أنيسى

وتـفردت فعـاينـ ـتـك بالغيب جليسى

يا ليلة القدر للعابدين اشهدى يا أقدام القانتين اركعى لربك واسجدى يا ألسنة السائلين جدى فى المسألة واجتهدى.

يا رجال الليل جدوا رب داع لا يـرد

ما يـقـوم الليل إلاّ من له عزم وجد

ليلة القدر عند المحبين ليلة الحظوة بأنس مولاهم وقربه وإنما يفرون من ليالى البعد والهجر، كان ببغداد موضعان يقال لأحدهما: دار الملك، والأخرى: القطيعة، فجاز بعض العارفين بملاح فى سفينة فقال له: احملنى معك إلى دار الملك فقال له: الملاح ما أقصد إلاّ القطيعة، فصاح العارف لا بالله لا بالله منها أفر:

وليـلة بـت بـأكنـافها تعدل عنـدى ليلة القـدر

كانت سلاماً لسرورى بها بالوصل حتى مطلع الفجر

وليلة وصل بات منجز وعده		سميرى فيها بعد طول مطال

شفيت بها قلبا أطيـل عليله		زمانـاً فكـانت ليلة بليالـى

قال الله تعالى: **﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر* وما أدراك ما ليلة القدر* ليلة القدر خير من ألف شهر﴾**[1] ،واختلف فى ليلة القدر والحكمة فى نزول الملائكة فى هذه الليلة: إن الملوك والسادات لا يحبون أن يدخل دارهم أحد حتى يزينون دارهم بالفرش والبسط ويزينوا عبيدهم بالثياب والأسلحة فإذا كان ليلة القدر أمر الرب تبارك وتعالى الملائكة بالنزول إلى الأرض؛لأن العباد زينوا أنفسهم بالطاعات بالصوم والصلاة فى ليالى رمضان ومساجدهم بالقناديل والمصابيح فيقول الرب تعالى: أنتم طعنتم فى بنى آدم وقلتم: **﴿أتجعل فيها من يُفسد فيها﴾**[2] الآية فقلت لكم: إنى أعلم ما لا تعلمون، اذهبوا إليهم فى هذه الليلة حتى تروهم قائمين ساجدين راكعين لتعلموا أنى اخترتهم على علم على العالمين. قال مالك: بلغنى «أن رسول الله ﷺ رأى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذى بلغه غيرهم فى طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر»[3]، وروى عن مجاهد أن النبى ﷺ ذكر رجلاً من بنى إسرائيل لبس السلاح ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله هذه السورة **﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾** الذى لبس فيها ذلك الرجل السلاح فى سبيل الله ألف شهر[4]. وقال النخعى: العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر. وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[5]. وفى المسند عن عبادة بن الصامت عن

---

(١) سورة القدر: آية: ١-٣.

(٢) سورة البقرة: آية: ٣٠.

(٣) **ضعيف**: رواه مالك فى «الموطأ» (١/ ٣٢١/ ١٥) وسنده غير متصل.

(٤) **ضعيف لإرساله**: رواه البيهقى فى «السنن» (٤/ ٣٠٦) وقال: هذا مرسل. وقال الطبرى فى تفسيره (٣٠/ ٢٦٠) وأشبه الأقوال فى ذلك بظاهر التنزيل قول من قال: عملٌ فى ليلة القدر خير من عمل ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر. وأما الأقوال الأخر، فدعاوى معان باطلة، لادلالة عليها من خبر ولاعقل، ولاهى موجودة فى التنزيل.

(٥) رواه البخاوى (٣٧) كتاب الإيمان، باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان: ومسلم (١٧٤٨) كتاب الصلاة باب: الترغيب فى قيام رمضان .والنسائى فى «الصوم» فى «الكبرى» (٢/ ٨٩) رقم (٢٥١٦).

النبى ﷺ قال: «**من قامها ابتغاءها ثم وقعت له غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»[1]. وفى المسند والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال فى شهر رمضان: «فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم»[2]، قال جويبر: قلت للضحاك: أرأيت النفساء والحائض والمسافر والنائم لهم فى ليلة القدر نصيب؟ قال: نعم كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر. إخوانى المعول على القبول لا على الاجتهاد. والاعتبار ببر القلوب لا بعمل الأبدان. رب قائم حظه من قيامه السهر، كم من قائم محروم، وكم من نائم مرحوم نام وقلبه ذاكر، وهذا قام وقلبه فاجر.

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت النائم بالقائم

لكن العبد مأمور بالسعى فى اكتساب الخيرات والاجتهاد فى الأعمال الصالحات، وكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة: ﴿**فأما مَن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى**﴾[3]، فالمبادرة المبادرة إلى اغتنام العمل فيما بقى من الشهر فعسى أن يستدرك به ما فات من ضياع العمر.

تولَّى العُمُرُ فى سَهْوِ وفى لَهْوِ وفى خُسْرِ
فيا ضيعة مـا أنفـقت فى الأيـام مـن عـمرى
وما لى فى الذى ضيعت من عمرى من عـذر
فمـا أغفـلـنـا مـن واجـبـات الحـمـد والشكر
أمـا قـد خـصَّـنـا الله بـشهـرِ أيمـا شهـرِ
بشـهـرِ أنْزَلَ الـرحـمـن فيـه أشـرَفَ الـذِّكْـر

(١) ضعيف: رواه أحمد (٥/٣١٨و٣٢١و٣٢٤) وابن نصر فى «قيام الليل» (١٠٥) وفى سنده عبدالله بن محمد بن عقيل وفيه ضعف وعمر بن عبد الرحمن لم يوثقه غير ابن حبان وذكره ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٦/ ١٢٠) ولم يذكر فيه جرحاً ولاتعديلاً.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٣٠) والنسائى (٤/ ١٢٩) والبيهقى فى «الشعب» (٣/ ٣٠١) رقم (٣٦٠٠).

(٣) سورة الليل: آية ٥ ـ ١٠.

وهـل يـشبـهُـهُ شَهْـرِ وفـيـه ليلة الـقــدر

فـكـم مـن خبـر صـح بمـا فـيهـا مـن الخيـر

رَوَيْنا عَنْ ثِقاتٍ أنـهـا تـطـلـب فى الـوتْـر

فـطـوبـى لامـرىءِ يـطـلـبـها فى هـذه العَشْرِ

فـفـيـهـا تـنــزل الأمــلاك بـالأنــوار والـبرِّ

قـد قـال﴿سـلام هـى حـتـى مـطلـع الفجر﴾

ألا فـادخـروهـا إنـهـا مـن أنـفـس الـذُّخْــرِ

فـكَم مـن مُعْتَقٍ فـيـهـا مِنَ النار ولا يَدْرِى

●●●●●

المجلس الخامس فى ذكر السبع الأواخر من رمضان

فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما: أن رجالا من أصحاب النبى ﷺ أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر فقال رسول الله ﷺ: «**أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر**»[1]. وفى صحيح مسلم عنه عن النبى ﷺ قال: «**التمسوها فى العشر الأواخر فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقى**»[2]، قد ذكرنا فيما تقدم أن النبى ﷺ كان يجتهد فى شهر رمضان على طلب ليلة القدر وأنه اعتكف مرة العشر الأوائل منه، ثم طلبها فاعتكف بعد ذلك العشر الأوسط فى طلبها وإن ذلك تكرر منه غير مرة، ثم استقر أمره على اعتكاف العشر الأواخر فى طلبها وأمر بطلبها فيه، ففى الصحيحين عن عائشة ﵂ أن النبى ﷺ قال: «**تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان**»[3]. وفى رواية للبخارى: «فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان». وله من حديث ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «**التمسوها فى العشر الأواخر الغوابر من رمضان**»[4]. ولمسلم من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**التمسوها فى العشر الغوابر**»[5]. والأحاديث فى المعنى كثيرة وكان يأمر بالتماسها فى أوتار العشر الأواخر، ففى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**التمسوا ليلة القدر فى العشر الأواخر**

---

(١) رواه البخارى فى «فضل ليلة القدر» باب: التماس ليلة القدر فى السبع الأواخر. ومسلم (٢٧١٥) كتاب الصيام، باب: فضل ليلة القدر والحث على طلبها. والنسائى فى «التفسير» فى «الكبرى» (٦/ ٥١٩) رقم (١١٦٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٧١٩) كتاب الصيام، باب: فضل ليلة القدر والحث عليها.

(٣) رواه البخارى فى «صلاة التروايح» (٢٠١٧) باب: تحرى ليلة القدر فى العشر الأواخر. ومسلم (٢٧٣٠) كتاب الصيام، باب: فضل ليلة القدر والحث عليها وأحمد (٦/ ٥٦و٢٠٤).

(٤) رواه البخارى (٢٠٢١) كتاب فضل ليلة القدر، باب: تحرى ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر.

(٥) رواه مسلم (٢٧٢٢) كتاب الصيام، باب: فضل ليلة القدر والحث على طلبها. والنسائى فى «الاعتكاف» فى «الكبرى» (٢/ ٢٧٠) رقم (٣٣٩٣).

من رمضان فى تاسعة تبقى، فى سابعة تبقى، فى خامسة تبقى»[1]، وفى رواية له: «هى فى العشر فى سبع تمضين أو سبع يبقين»[2] وخرَّج الإمام أحمد والنسائى والترمذى من حديث أبى بكرة قال: ما أنا بملتمسها لشىء سمعته من رسول الله ﷺ إلاَّ فى العشر الأواخر فإنى سمعته يقول: «**التمسوها فى تسع يبقين، أو سبع يبقين، أو خمس يبقين، أو ثلاث يبقين، أو آخر ليلة**»[3]، وكان أبو بكرة يصلى فى العشرين من رمضان كصلاته فى سائر السنة فإذا دخل العشر اجتهد ثم بعد ذلك أمر بطلبها فى السبع الأواخر. وفى المسند وكتاب النسائى عن أبى ذر قال: كنت أسأل الناس عنها يعنى ليلة القدر فقلت: يا رسول الله أخبرنى عن ليلة القدر؟ أفى رمضان هى أو فى غيره؟ قال: «**بلى هى فى رمضان**»، قلت: تكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت أم هى إلى يوم القيامة؟ قال: «**بل هى إلى يوم القيامة**» قلت: فى أى رمضان هى؟ قال التمسوها فى العشر الأول والعشر الأواخر، قلت: فبأى العشرين هى؟ قال: «**فى العشر الأواخر لا تسألنى عن شىء بعدها**»، ثم حدّث رسول الله ﷺ ثم اهتبلت غفلته فقلت: يا رسول الله أقسمت بحقى لما أخبرتنى فى أى العشر هى؟ فغضب علىّ غضباً لم يغضب مثله منذ صحبته؟ وقال: «**التمسوها فى السبع الأواخر،لا تسألنى عن شىء بعدها**»[4]، وخرّجه ابن حبان فى صحيحه والحاكم، وفى رواية لهما: أنه قال: «**ألم أنهك أن تسألنى عنها، إن الله لو أذن لى أن أخبركم بها لأخبرتكم لا آمن أن تكون فى السبع الأواخر**».

---

(١) رواه البخارى (٢٠٢١) كتاب فضل ليلة القدر، باب: تحرى ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر.

(٢)رواه البخارى (٢٠٢٢).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٥/٣٦و٣٩) والترمذى (٧٩٤) والنسائى فى «الاعتكاف» فى «الكبرى» (٢/٢٧٣) رقم (٣٤٠٣و٣٤٤) والحاكم (١/٤٣٨) والبيهقى فى «الشعب» (٣/٣٢٨) رقم (٣٦٨١) وقال الترمذى: حسن صحيح. وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٤) **ضعيف**: رواه أحمد (٥/١٧١) والنسائى فى «الكبرى» (٢/٢٧٨) رقم (٣٤٢٧) وابن خزيمة (ـ٢١٦٩و٢١٧) والبزار (١٠٣٥و١٠٣٦) وابن أبى شيبة (٣/٧٤) وابن حبان (٣٦٨٤ـ إحسان) والحاكم (١/٤٣٧) والبيهقى (٤/٣٠٧) وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبى! وليس كما قالا ففى سنده مرثد بن عبد الله الزمانى قال الذهبى فى «الميزان» (٤/٨٧): فيه جهالة. وقال الحافظ فى «التقريب» (٢/٢٣٦): مقبول وذكره العقيلى فى «الضعفاء» وقال: لا يتابع على حديثه.ومالك بن مرثد وأبيه لم يخرج لهما مسلم شيئاً مع جهالة الأب كما تقدم.

ففى هذه الرواية أن بيان النبي ﷺ لليلة القدر انتهى إلى أنها فى السبع الأواخر ولم يزد على ذلك شيئاً. وهذا مما يستدل به من رجح ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين على ليلة إحدى وعشرين فإن ليلة إحدى وعشرين ليست من السبع الأواخر بلا تردد. وقد روى عن النبى ﷺ من وجوه أخر: «أنه بيّن أنها ليلة سبع وعشرين، كما سيأتى إن شاء الله تعالى واختلف فى أول السبع الأواخر فمنهم من قال أول السبع ليلة ثلاث وعشرين على حساب نقصان الشهر دون تمامه لأنه المتيقن. وروى هذا عن ابن عباس وسيأتى كلامه فيما بعد إن شاء الله تعالى. وفى صحيح البخارى عن بلال قال: إنها أول السبع من العشر الأواخر[1]، وخرّجه ابن أبى شيبة وعنده قال: ليلة ثلاث وعشرين[2]، وهذا قول مالك، قال: أرى - والله أعلم - أن التاسعة ليلة إحدى وعشرين، والسابعة ليلة ثلاث وعشرين، والخامسة ليلة خمس وعشرين. وتأوله عبد الملك بن حبيب على أنه إنما يحسب كذلك إذا كان الشهر ناقصا وليس هذا بشىء فإنه إنما أمر بالاجتهاد فى هذه الليالى على هذا الحساب وهذا لا يمكن أن يكون مراعى بنقصان الشهر فى آخره. وكان أيوب السختيانى يغتسل ليلة ثلاث وعشرين ويمس طيبا وليلة أربع وعشرين، ويقول: ليلة ثلاث وعشرين ليلة أهل المدينة، وليلة أربع وعشرين ليلتنا، يعنى أهل البصرة، وكذلك كان ثابت وحميد يفعلان، وكانت طائفة تجتهد ليلة أربع وعشرين روى عن أنس والحسن. وروى عنه قال: رَقبت الشمس عشرين سنة ليلة أربع وعشرين فكانت تطلع لا شعاع لها. وروى ابن عباس ذكره البخارى عنه وقيل: إن المحفوظ عنه أنها ليلة ثلاث وعشرين كما سبق. وقد تقدم حديث إنزال القرآن فى ليلة أربع وعشرين، وكذلك أبو سعيد الخدرى وأبو ذر حسبا الشهر تاما فيكون عندهما أول السبع الأواخر ليلة أربع وعشرين، وممن اختار هذا القول ابن عبد البر واستدل بأن الأصل تمام الشهر، ولهذا أمر النبى ﷺ بإكماله إذا غم مع احتمال نقصانه، وكذلك رجحه بعض أصحابنا. وقد تقدم من حديث أنس رضى الله عنه: «أن النبى ﷺ كان إذا كان ليلة أربع وعشرين لم يذق غمضاً» وإسناده

(١) رواه البخارى (٤٤٧٠) كتاب المغازى.

(٢) ضعيف: رواه ابن أبى شيبة فى «المنتصف» (٢/ ٤٨٩/ ٤) وفى سنده ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه.

ضعيف، وقد روى عن النبى ﷺ ما يدل على أن أول السبع البواقى ليلة ثلاث وعشرين، ففى مسند الإمام أحمد عن جابر أن عبد الله بن أنيس سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر وقد خلت اثنان وعشرون ليلة فقال رسول الله ﷺ: «التمسوها فى هذا السبع الأواخر التى بقين من الشهر»[١]. وفيه أيضا عن عبد الله بن أنيس أنهم سألوا النبى ﷺ عن ليلة القدر وذلك مساء ليلة ثلاث وعشرين فقال: «التمسوها هذه الليلة» فقال رجل من القوم: فهى إذن يا رسول الله أولى ثمان فقال رسول الله ﷺ: «إنها ليست بأولى ثمان، ولكنها أولى سبع، إن الشهر لا يتم»[٢]. وفيه أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «كم مضى من الشهر؟» قلنا: مضت ثنتان وعشرون وبقى ثمان، فقال رسول الله ﷺ: «لا بل مضت ثنتان وعشرون وبقى سبع اطلبوها الليلة»[٣]، وقد يحمل هذا على شهر خاص اطلع النبى ﷺ على نقصانه وهو بعيد، ويدل على خلافه أنه روى فى تمام حديث أبى هريرة رضى الله عنه ثم قال رسول الله ﷺ: «الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم خنس إبهامه فى الثالثة»[٤] فهذا يدل على أنه تشريع عام وإنه حسب الشهر على تقدير نقصانه أبداً؛ لأنه المتيقن كما ذهب إليه أيوب ومالك وغيرهما وعلى قولهما تكون ليلة سابعة تبقى ليلة ثلاث وعشرين وليلة خامسة تبقى ليلة خمس وعشرين وليلة تاسعة تبقى ليلة إحدى وعشرين. وقد روى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه أنه أنكر أن تحسب ليلة القدر بما مضى من الشهر، وأخبر أن الصحابة يحسبونها بما بقى منه، وهذا الاحتمال إنما يكون فى مثل قول النبى ﷺ: **«التمسوها فى التاسعة، والسابعة، والخامسة»**[٥]. وقد خرّجه البخارى من حديث عبادة رضى الله عنه ومسلم من حديث أبى سعيد[٦] فإنه يحتمل أن يراد به التاسعة والسابعة والخامسة بما يبقى وبما

---

(١) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/ ٣٣٦) وفى سنده ابن لهيعة وهو ضعيف.

(٢)**ضعيف**: رواه أحمد(٣/ ٤٩٥) ابن خزيمة (٢١٨٥و٢١٨٦) وابن نصر فى «قيام رمضان» (٢٥٥) وفى سنده عبد الله بن عبد الله بن خبيب وهو لم يروعنه غير أخوه معاذ وذكره ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٥/ ٩٠) والبخارى فى «التاريخ الكبير» (٥/ ١٢٦) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٥١).

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٦٥٦) كتاب الصيام، باب: ماجاء فى «الشهرُ تسع وعشرون».

(٥) رواه البخارى (٢٠٢٣) كتاب فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحى الناس.

(٦) رواه مسلم (٢٧٢٨) كتاب الصيام، باب: فضل ليلة القدر والحث على طلبها. وأحمد (٣/ ١٠).

يمضى، فأما حديث ابن عباس وأبى بكرة وما فى معناهما فإنها مقيدة بالباقى من الشهر فلا يحتمل أن يراد به الماضى. وحينئذٍ يتوجه الاختلاف السابق فى أنه هل يحسب على تقدير تمام الشهر أو نقصانه وحديث ابن عباس قد روى بالشك فيما مضى أو يبقى. وقد خرّجه البخارى بالوجهين وحديث أبى ذر فى قيام النبى ﷺ بهم أفراد العشر الأواخر قد خرّجه أبو داود الطيالسى بلفظ صريح أنه قام بهم أشفاع العشر الأواخر وحسبها أوتاراً بالنسبة إلى ما يبقى من الشهر وقدره تاما وجعل الليلة التى قامها حتى خشوا أن يفوتهم الفلاح ليلة ثمان وعشرين وهى الثالثة مما يبقى، وقد قيل: إن ذلك من تصرف بعض الرواة بما فهمه من المعنى والله أعلم، وعلى قياس من حسب الليالى الباقية من الشهر على تقدير نقصان الشهر فينبغى أن يكون عنده أول العشر الأواخر ليلة العشرين لاحتمال أن يكون الشهر ناقصا فلا يتحقق كونها عشر ليال بدون إدخال ليلة العشرين فيها، وقد يقال: بل العشر الأواخر عبارة عما بعد انقضاء العشرين الماضية من الشهر وسواء كانت تامة أو ناقصة فهى المعبر عنها بالعشر الأواخر وقيامها هو قيام العشر الأواخر، وهذا كما يقال: صام عشر ذى الحجة وإنما صام من تسعة أيام، ولهذا كان ابن سيرين يكره أن يقال: صام عشر ذى الحجة وقال: إنما يقال: صام التسع، ومن لم يكرهه وهم الجمهور فقد يقولون: الصيام المضاف إلى العشر هو صيام ما يمكن منه، وهو ما عدا يوم النحر ويطلق على ذلك العشر؛ لأنه أكثر العشر والله أعلم.

وقد اختلف الناس فى ليلة القدر اختلافا كثيرا فحكى عن بعضهم أنها رفعت وحديث أبى ذر يرد ذلك. وروى عن محمد بن الحنفية أنها فى كل سبع سنين مرة وفى إسناده ضعف. وعن بعضهم أنها فى كل السنة حكى عن ابن مسعود وطائفة من الكوفيين. وروى عن أبى حنيفة وقال الجمهور: هى فى رمضان كل سنة ثم منهم من قال: هى فى الشهر كله. وحُكى عن بعض المتقدمين: أنها أول ليلة منه. وقالت طائفة: هى فى النصف الثانى منه، وقد حُكى عن أبى يوسف ومحمد. وقد تقدم قول من قال: إنها ليلة بدر على اختلافهم هى ليلة سبع عشرة أو تسع عشرة. وقال الجمهور: هى منحصرة فى العشر الأواخر واختلفوا فى أى ليالى

العشر أرجى فحُكى عن الحسن ومالك أنها تطلب فى جميع ليالى العشر، أشفاعه وأوتاره ورجّحه بعض أصحابنا وقال: لأن قول النبى ﷺ: «**التمسوها فى تاسعة تبقى أو سابعة تبقى أو خامسة تبقى**» إن حملناه على تقدير كمال الشهر كانت أشفاعا، وإن حملناه على ما بقى منه حقيقة كان الأمر موقوفاً على كمال الشهر فلا يعلم قبله فإن كان تاما كانت الليالى المأمور بها بطلبها أشفاعاً وإن كان ناقصاً كانت أوتاراً فيوجب ذلك الاجتهاد فى القيام فى كلا الليلتين الشفع منها والوتر.

وقال الأكثرون: بل بعض لياليه أرجى من بعض. وقالوا: الأوتار أرجى فى الجملة، ثم اختلفوا أى الأوتار أرجى، فمنهم من قال: ليلة إحدى وعشرين، وهو المشهور عن الشافعى لحديث أبى سعيد الخدرى، وقد ذكرناه فيما سبق، وحُكى عنه أنها تطلب ليلة إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، قال فى القديم: كأنى رأيت - والله أعلم - أقوى الأحاديث فيه ليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين، وهى التى مات فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه. وقد جاء فى ليلة سبع عشرة، وليلة أربع وعشرين، وليلة سبع وعشرين انتهى. وقد روى عن على وابن مسعود رضى الله عنهما: أنها تطلبْ ليلة إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وحكى للشافعى قول آخر: أرجاها ليلة ثلاث وعشرين، وهذا قول أهل المدينة، وحكاه سفيان الثورى عن أهل مكة والمدينة. وممن روى عنه أنه كان يوقظ أهلها فيها ابن عباس وعائشة وهو قول مكحول. وروى رشدين بن سعد عن زهرة ابن معبد قال: أصابنى احتلام فى أرض العدو وأنا فى البحر ليلة ثلاث وعشرين فى رمضان فذهبت لأغتسل فسقطت فى الماء فإذا الماء عذب فناديت أصحابى أعلمهم أنى فى ماء عذب[1]. قال ابن عبد البر: هذه الليلة تعرف بليلة الجهنى بالمدينة يعنى عبد الله بن أنيس. وقد روى عنه أن النبى ﷺ أمره بقيامها. وفى صحيح مسلم عنه أن النبى ﷺ قال فى ليلة القدر: «**أريت أنى أسجد صبيحتها فى ماء وطين**» فانصرف النبى ﷺ من صلاة الصبح يوم ثلاث وعشرين وعلى جبهته أثر الماء والطين[2]. وقال سعيد بن المسيب: كان النبى ﷺ فى نفر من

(١) ضعيف: رواه ابن عبد البر فى «التهيد» (٢١/٢١٦) وفى سنده رشدين بن سعد وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/٢٥١).

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٩) كتاب الصيام، باب : فضل ليلة القدر والحث على طلبها من حديث عبد الله بن أنيس رضى الله عنه.

أصحابه فقال: «**ألا أخبركم بليلة القدر؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، فسكت ساعة قال: «**لقد قلت لكم ما قلت آنفاً وأنا أعلمها ثم أنسيتها، أرأيتم يوماً كنا بموضع كذا وكذا ـ أى ليلة هى فى غزوة غزاها ـ فقالوا: سرنا فقفلنا حتى استقام ملأ القوم على أنها ليلة ثلاث وعشرين**»(١). خرّجه عبد الرزاق فى كتابه. ورجحت طائفة ليلة أربع وعشرين وهم: الحسن وأهل البصرة، وقد روى عن أنس، وكان حميد وأيوب وثابت يحتاطون فيجمعون بين الليلتين أعنى ليلة ثلاث وأربع، ورجحت طائفة ليلة سبع وعشرين وحكاه الثورى عن أهل الكوفة وقال: نحن نقول هى ليلة سبع وعشرين لما جاءنا عن أبىّ بن كعب وممن قال بهذا أبّى بن كعب، وكان يحلف عنه ولا يستثنى وزر بن حبيش، وعبدة بن أبى لبابة. وروى عن قنان ابن عبد الله النهمى قال: سألت زراً عن ليلة القدر؟ فقال: كان عمر وحذيفة وأناس من أصحاب النبى ﷺ لا يشكّون أنها ليلة سبع وعشرين(٢)؛ خرّجه ابن أبى شيبة؛ وهو قول أحمد وإسحاق. وذهب أبو قلابة وطائفة إلى أنها تنتقل فى ليالى العشر. ورُوى عنه أنها تنتقل فى أوتاره خاصة. وممن قال بانتقالها فى ليالى العشر: المزنى وابن خزيمة، وحكاه ابن عبد البر عن مالك والثورى والشافعى وأحمد وإسحاق وأبى ثور وفى صحة ذلك عنهم بُعد، وإنما قول هؤلاء أنها فى العشر وتطلب فى لياليه كله.

واختلفوا فى أرجى لياليه كما سبق واستدل من رجح ليلة سبع وعشرين بأن أبّى بن كعب كان يحلف على ذلك ويقول بالآية أو بالعلامة التى أخبرنا بها رسول الله ﷺ أن الشمس تطلع فى صبيحتها لا شعاع لها. خرّجه مسلم وخرّجه أيضاً بلفظ آخر عن أبىّ بن كعب رضى الله عنه قال: والله إنى لأعلم أى ليلة هى هى الليلة التى أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها هى ليلة سبع وعشرين(٣)، وفى مسند

---

(١) **ضعيف لإرساله**: رواه عبد الرزاق فى «المصنف» (٤/ ٢٤٩) رقم (٧٦٨٧).

(٢) **ضعيف**: رواه ابن أبى شيبه فى «المصنف» (٢/ ٤٨٧/ ٦) وفى سنده قنان بن عبد الله النهمى وهو مقبول كما فى «التقريب» (٢/ ١٢٧).

(٣) رواه مسلم (١٧٥٤) كتاب الصلاة، باب: الترغيب فى قيام رمضان وفى كتاب الصيام (٢٧٣٢) باب: فضل ليلة القدر والحث على طلبها وأحمد (٥/ ١٣٠و ١٣١و ١٣٢) وأبو داود فى «الصلاة» (١٣٧٨) باب: فى ليلة القدر. والترمذى فى «الصوم» (٧٩٣) باب: ماجاء فى ليلة القدر.

الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله إنى شيخ كبير عليل يشق على القيام فمرنى بليلة يوفقنى الله فيها لليلة القدر قال: «**عليك بالسابعة**»(١). وإسناده على شرط البخارى، وروى الإمام أحمد أيضاً قال حدثنا يزيد بن هارون: أنبأنا شعبة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان منكم متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين، أو قال: تحروها ليلة سبع وعشرين**»(٢)، يعنى ليلة القدر، ورواه شبابة ووهب بن جرير عن شعبة مثله، ورواه أسود بن عامر عن شعبة مثله، وزاد: «**فى السبع البواقى**». قال شعبة: وأخبرنى رجل ثقة عن سفيان أنه إنما قال: «**فى السبع البواقى**» يعنى لم يقل: ليلة سبع وعشرين قال أحمد فى رواية ابنه صالح الثقة هى يحيى بن سعيد قال شعبة: فلا أدرى أيهما قال(٣)، ورواه عمرو عن شعبة وقال فى حديثه: «**ليلة سبع وعشرين**»، أو قال: «**فى السبع الأواخر**» بالشك فرجع الأمر إلى أن شعبة شك فى لفظه. ورواه حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمرو قال: كانوا لا يزالون يقصون على النبى ﷺ أنها الليلة السابعة من العشر الأواخر فقال رسول الله ﷺ: «**أرى رؤياكم أنها قد تواطأت إنها ليلة السابعة فى العشر الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها ليلة السابعة من العشر الأواخر**»؛ وكذا رواه حنبل بن إسحاق عن عارم عن حماد وكذا خرّجه الطحاوى عن إبراهيم بن مرزوق عن عارم(٤). ورواه البخارى فى صحيحه عن عارم إلا أنه لم يذكر لفظه ليلة السابعة بل قال: «**من كان متحريها فليتحرها فى العشر الأواخر**». ورواه عبدالرزاق فى كتابه عن معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى رأيت فى النوم ليلة القدر كأنها ليلة سابعة فقال رسول الله ﷺ: «**إنى أرى رؤياكم قد تواطأت، إنها**

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٤٠) والطبرانى فى «الكبير» (١١/ ٣١١) رقم (١١٨٣٦).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٧).

(٣) **شاذ**: رواه أحمد (٢/ ١٥٧-١٥٨) وقد خالف سفيان شعبة فى هذا الحديث، فرواه أحمد (٢/ ٦٢) عن سفيان بلفظ «سئل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر؟ فقال: «تحروها فى السبع الأواخر» وسفيان أثبت من شعبة.

(٤) **شاذ**، رواه الطحاوى فى «شرح معانى الآثار» (٣/ ٩١) والمحفوظها لفظ «من كان متحريها فليحترها فى العشر الأواخر» كما ذكر المصنف.

ليلة سابعة فمن كان متحريها منكم فليتحرها فى ليلة سابعة»، قال معمر: فكان أيوب يغتسل فى ليلة ثلاث وعشرين يشير إلى أنه حملها على سابعة تبقى[١].
وخرّجه الثعلبى فى تفسيره من طريق الحسن بن عبد الأعلى عن عبد الرزاق بهذا الإسناد وقال: فى حديثه ليلة سابعة تبقى. فقال رسول الله ﷺ: «**إنى أرى رؤياكم قد تواطأت على ثلاث وعشرين فمن كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين**»، وهذه الألفاظ غير محفوظة فى الحديث، والله أعلم، وفى سنن أبى داود بإسناد رجاله كلهم رجال الصحيح عن معاوية عن النبى ﷺ فى ليلة القدر ليلة سبع وعشرين[٢]، وخرّجه ابن حبان فى صحيحه وصحّحه ابن عبد البر وله علة، وهى وَقْفه على معاوية وهو أصح عند الإمام أحمد والدارقطنى، وقد اختلف أيضاً عليه فى لفظه، وفى المسند عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: متى ليلة القدر؟ فقال: «**من يذكر منكم ليلة الصهباوات**» قال عبد الله: أنا بأبى أنت وأمى وإن فى يدى لتمرات أتسحّر بهن مستتراً بمؤخرة رحل من الفجر وذلك حين طلع القمر[٣]، وخرّجه يعقوب بن شيبة فى مسنده وزاد: وذلك ليلة سبع وعشرين، وقال: صالح الإسناد، والصهباوات: موضع بقرب خيبر، وفى المسند أيضاً من وجه آخر عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن ليلة القدر فى النصف من السبع الأواخر من رمضان**»[٤] وإذا حسبنا أول السبع الأواخر ليلة أربع وعشرين كانت ليلة سبع

---

(١) **شاذ**: رواه عبد الرزاق (٤/ ٢٤٩) رقم (٧٦٨٨) وقد رواه معمر عن أيوب وهو بصرى، ورواية معمر عن أهل البصرة يخالف فيها كما قال ابن معين.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود فى «الصلاة» (١٣٨٦) باب: من قال سبع وعشرون والطبرانى فى «الكبير» (١٩/ ٣٤٩) رقم (٨١٣) وابن حبان (٣٦٨٠ـ إحسان) وابن نصر فى «قيام رمضان» (٢٥٢المقريزى» البيهقى (٤/ ٣١٢) مرفوعاً ورواه ابن أبى شيبة (٣/ ٧٦) والبيهقى (٤/ ٣١٢) كلاهما من طريق أبى داود الطيالسى موقوفاً على معاوية وقال البيهقى (٤/ ٣١٢) كلاهما من طريق أبى داود الطيالسى موقوفا على معاوية وقال البيهقى: وقفه أبو داود الطيالسى ورفعه معاذ بن معاذ .قلت: معاذ بن معاذ ثقة متقن كما فى «التقريب» (٢/ ٢٥٧) وعلى ذلك فيكون الحديث قد صح مرفوعاً وموقوفاً والله أعلم.

(٣) **ضعيف**: رواه أحمد (١/ ٣٧٦ و٣٩٦و ٤٥٣) والبيهقى فى «السنن» (٤/ ٣١٢) وفى سنده انقطاع بين أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود وأبيه.

(٤) **ضعيف**: رواه أحمد (١/ ٤٠٦ و٤٥٧) وفى سنده «أبو عقرب الأسدى» وهو مجهول كما قال الحسينى فى «تعجيل المنفعة» (ص٥٧٤) ط دار الكتب العلمية.

وعشرين نصف السبع؛ لأن قبلها ثلاث ليال، وبعدها ثلاث، ومما يرجح أن ليلة القدر ليلة سبع وعشرين أنها من السبع الأواخر التى أمر النبى ﷺ بالتماسها فيها، بالاتفاق. وفى دخول الثالثة والعشرين فى السبع اختلاف سبق ذكره. ولا خلاف أنها آكد من الخامسة والعشرين. ومما يدل على ذلك أيضا حديث أبى ذر فى قيام النبى ﷺ بهم فى أفراد السبع الأواخر وإنه قام بهم فى الثالثة والعشرين إلى ثلث الليل، وفى الخامسة إلى نصف الليل، وفى السابعة إلى آخر الليل حتى خشوا أن يفوتهم الفلاح[1]، وجمع أهله ليلتئذ وجمع الناس؛ وهذا كله يدل على تأكدها على سائر أفراد السبع والعشر.

ومما يدل على ذلك ما استشهد به ابن عباس رضى الله عنه بحضرة عمر رضى الله عنه والصحابة معه واستحسنه عمر رضى الله عنه، وقد روى من وجوه متعددة: فروى عبد الرزاق فى كتابه عن معمر عن قتادة وعاصم أنهما سمعا عكرمة يقول: قال ابن عباس رضى الله عنهما دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد ﷺ فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا أنها فى العشر الأواخر. قال ابن عباس: فقلت لعمر رضى الله عنه: إنى لأعلم أو إنى لأظن أى ليلة هى؟ قال عمر رضى الله عنه: وأى ليلة هى؟ قلت: سابعة تمضى أو سابعة تبقى من العشر الأواخر، فقال عمر رضى الله عنه: ومن أين علمت ذلك؟ قال: فقلت: إن الله خلق سبع سموات وسبع أرضين وسبعة أيام وإن الدهر يدور على سبع، وخلق الله الإنسان فى سبع، ويأكل من سبع، ويسجد على سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمى الجمار سبع لا يشاء ذكرها، فقال عمر رضى الله عنه: لقد فطنت لأمر ما فطنا له، وكان قتادة يزيد على ابن عباس فى قوله: يأكل من سبع قال هو قول الله عز وجل: ﴿**فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلاً وحدائق غلبا وفاكهة وأبا**﴾[2]. ولكن فى هذه الرواية: إنها فى سبع تمضى أو تبقى بالترديد فى ذلك؛ وخرّجه ابن شاهين من رواية عبد الواحد بن زياد عن عاصم الأحول حدثنى لاحق بن حميد وعكرمة قالا: قال عمر رضى الله عنه: من يعلم ليلة

(١) الفلاح: هو السحور.

(٢) **صحيح**: رواه عبد الرزاق من «المصنف» (٤/٢٤٦) رقم (٧٦٧٩) البيهقى فى «السنن» (٤/٣١٣)

القدر؟ فذكر الحديث بنحوه وزاد: أن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**هى فى العشر سبع تمضى أو سبع تبقى**» فخالف فى إسناده وجعلَه مرسلاً ورفع آخره، روى ابن عبد البر بإسناد صحيح من طريق سعيد بن جبير قال: كان ناس من المهاجرين وجدوا على عمر فى إدنائه ابن عباس فجمعهم ثم سألهم عن ليلة القدر فأكثروا فيها فقال بعضهم: كنّا نراها فى العشر الأوسط ثم بلغنا أنها فى العشر الأواخر فأكثروا فيها، فقال بعضهم: ليلة إحدى وعشرين، وقال بعضهم: ليلة ثلاث وعشرين، وقال بعضهم: ليلة سبع وعشرين، فقال عمر رضى الله عنه: يا ابن عباس تكلم فقال: الله أعلم، قال عمر: قد نعلم أن الله يعلم، وإنما نسألك عن علمك، فقال ابن عباس رضى الله عنهما: إنّ الله وتر يحب الوتر خلق من خلقه سبع سموات فاستوى عليهن، وخلق الأرض سبعاً، وجعل عدة الأيام سبعاً، ورمى الجمار سبعاً، وخلق الإنسان من سبع، وجعل رزقه من سبع، فقال عمر: خلق الإنسان من سبع، وجعل رزقه من سبع هذا أمر ما فهمته؟ فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين**﴾[1]، حتى بلغ آخر الآيات، وقرأ: ﴿**أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم**﴾[2]، ثم قال: والأب للدواب[3]. وخرّجه ابن سعد فى طبقاته عن إسحاق الأزرق عن عبدالملك بن أبى سليمان عن سعيد بن جبير فذكره بمعناه، وزاد فى آخره: قال: وأما ليلة القدر فما تراها إن شاء الله إلاَّ ليلة ثلاث وعشرين يمضين أو سبع يبقين، والظاهر إن هذا سمعه سعيد ابن جبير من ابن عباس فيكون متصلاً. وروى عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: دعا عمر الأشياخ من أصحاب محمد ﷺ ذات يوم فقال لهم: إن رسول الله ﷺ قال: فى ليلة القدر ما قد علمتم التمسوها فى العشر الأواخر وتراً ففى أى الوتر ترونها؟ فقال رجل برأيه: أنها تاسعة، سابعة، خامسة، ثالثة، ثم قال: يا ابن عباس تكلم فقلت: أقول برأيى قال: عن رأيك أسألك؟ فقلت: إنى سمعت رسول الله أكثر من ذكر

---

(١) سورة المؤمنون: آية ١٢.

(٢) سورة عبس: آية ٢٥-٣٢.

(٣) رواه ابن عبد البر فى «التمهيد» (٢/ ٢٠٩، ٢١٠).

السبع وذكر باقية بمعنى ما تقدم وفى آخره، قال عمر رضى الله عنه: **أعجزتم أن تقولوا مثل ما قال هذا الغلام الذى لم تستو شئون رأسه**[1]. خرّجه الإسماعيلى فى مسند عمر والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. وخرّجه الثعلبى فى تفسيره وزاد قال ابن عباس فما أراها إلاَّ ليلة ثلاث وعشرين لسبع يبقين. وخرّج على بن المدينى فى كتاب العلل المرفوع منه وقال: هو صالح وليس مما يحتج به. وروى مسلم الملاّى - وهو ضعيف - عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عمر قال له: أخبرنى برأيك عن ليلة القدر، فذكر معنى ما تقدم وفيه أن ابن عباس قال: لا أراها إلاَّ فى سبع يبقين من رمضان فقال عمر وافق رأيى رأيك. ورُوى بإسناد فيه ضعف عن محمد بن كعب عن ابن عباس: أن عمر رضى الله عنه جلس فى رهط من أصحاب النبى ﷺ فتذاكروا ليلة القدر فذكر معنى ما تقدم وزاد فيه عن ابن عباس أنه قال: وأعطى من المثانى سبعا ونهى فى كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع، وقسم الميراث فى كتابه على سبع، ونقع فى السجود من أجسادنا على سبع، وقال: فأراها فى السبع الأواخر من رمضان وليس فى شىء من هذه الروايات أنها ليلة سبع وعشرين جزما بل فى بعضها الترديد بين ثلاث وسبع. وفى بعضها: أنها ليلة ثلاث وعشرين؛ لأنها أول السبع الأواخر على رأيه وقد صح عن ابن عباس أنه كان ينضح على أهله الماء ليلة ثلاث وعشرين[2] خرّجه عبد الرزاق، وخرّجه ابن أبى عاصم مرفوعاً والموقوف أصح.

وقد استنبط طائفة من المتأخرين من القرآن أنها ليلة سبع وعشرين من موضعين: **أحدهما**: أن الله تعالى كرر ذكر ليلة القدر فى سورة القدر فى ثلاثة مواضع منها، وليلة القدر حروفها تسع حروف والتسع إذا ضربت فى ثلاثة فهى سبع وعشرون.

والثانى: أنه قال سلام هى، فكلمة(هى) هى الكلمة السابعة والعشرون من السورة فإن كلماتها كلها ثلاثون كلمة. قال ابن عطية: هذا من ملح التفسير لا من

---

(1) **صحيح**: رواه الحاكم (١/٤٣٨) وابن نصر فى «قيام الليل» (ص٢٥٣ المقريزى)و ابن عبد البر فى «التمهيد» (٢/ ٢١٠، ٢١١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(2) **صحيح**: رواه عبد الرزاق (٤/٢٤٩) رقم (٨٦٨٦) وابن أبى شيبة (٢/ ٤٩٠/ ١٩٠).

متين العلم. وهو كما قال. ومما استدل به من رجح ليلة سبع وعشرين بالآيات والعلامات التى رأيت فيها قديماً وحديثاً، وبما وقع فيها من إجابة الدعوات. فقد تقدم عن أبىّ بن كعب أنه استدل على ذلك بطلوع الشمس فى صبيحتها لا شُعاع لها، وكان عبدة ابن أبى لبابة يقول: هى ليلة سبع وعشرين. ويستدل على ذلك فإنه قد جرّب ذلك بأشياء وبالنجوم، خرّجه عبد الرزاق. وروى عن عبدة أنه ذاق ماء البحر ليلة سبع وعشرين فإذا هو عذب ذكره الإمام أحمد بإسناده[1].

وطاف بعض السلف ليلة سبع وعشرين بالبيت الحرام فرأى الملائكة فى الهواء طائفين فوق رؤوس الناس. وروى أبو موسى المدينى من طريق أبى الشيخ الأصبهانى بإسناد له عن حماد بن شعيب عن رجل منهم قال: كنت بالسواد فلما كان فى العشر الأواخر جعلت أنظر بالليل فقال لى رجل منهم: إلى أى شىء تنظر؟ قلت: إلى ليلة القدر قال: فنم فإنى سأخبرك، فلما كان ليلة سبع وعشرين جاء وأخذ بيدى فذهب بى إلى النخل فإذا النخل واضع سعفه فى الأرض فقال: لسنا نرى هذا فى السنة كلها إلاّ فى هذه الليلة. وذكر أبو موسى بأسانيد له أن رجلاً مقعداً دعا الله ليلة سبع وعشرين فأطلقه. وعن امرأة مقعدة كذلك وعن رجل بالبصرة كان أخرس ثلاثين سنة فدعا الله ليلة سبع وعشرين فأطلق لسانه فتكلم. وذكر الوزير أبو المظفر ابن هبيرة أنه رأى ليلة سبع وعشرين وكانت ليلة جمعة باباً فى السماء مفتوحاً شامى الكعبة قال: فظننته حيال الحجرة النبوية المقدسة قال: ولم يزل كذلك إلى أن التفت إلى المشرق لأنظر طلوع الفجر ثم التفت إليه فوجدته قد غاب قال: وإن وقع فى ليلة من أوتار العشر ليلة جمعة فهى أرجى من غيرها. واعلم أن جميع هذه العلامات لا توجب القطع بليلة القدر، وقد روى سلمة بن شبيب فى كتاب فضائل رمضان، حدثنا إبراهيم بن الحكم حدثنى أبّى قال: حدثنى فرقد: أن ناساً من الصحابة كانوا فى المسجد فسمعوا كلاماً من السماء ورأوا نوراً من السماء وباباً من السماء وذلك فى شهر رمضان فأخبروا رسول الله ﷺ بما رأوا فزعم أن رسول الله ﷺ قال: **«أما النور فنور رب العزة تعالى، وأما الباب فباب السماء،والكلام كلام الأنبياء فكل شهر رمضان**

---

(١)سبق تخريجه.

على هذه الحال، ولكن هذه ليلة كشف غطاؤها» وهذا مرسل ضعيف.

وأما العمل فى ليلة القدر فقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: **«من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»**[1]، وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها، والصلاة وقد أمر عائشة بالدعاء فيها أيضاً. قال سفيان الثورى: الدعاء فى تلك الليلة أحب إلىّ من الصلاة قال: وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله فى الدعاء والمسألة لعله يوافق، انتهى. ومراده أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التى لا يكثر فيها الدعاء وإن قرأ ودعا كان حسنا. وقد كان النبى ﷺ يتهجد فى ليالى رمضان ويقرأ قراءة مرتلة لا يمر بآية فيها رحمة إلاَّ سأل، ولا بآية فيها عذاب إلاَّ تعوذ، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر، وهذا أفضل الأعمال وأكملها فى ليالى العشر وغيرها والله أعلم. وقد قال الشعبى فى ليلة القدر: ليلها كنهارها، وقال الشافعى فى القديم: استحب أن يكون اجتهاده فى نهارها كاجتهاده فى ليلها. وهذا يقتضى استحباب الاجتهاد فى جميع زمان العشر الأواخر ليله ونهاره والله أعلم.

المحبون تطول عليهم الليالى فيعدونها عد الانتظار ليالى العشر فى كل عام، فإذا ظفروا بها نالوا مطلوبهم وخدموا محبوبهم.

قد مزَّقَ الحبُّ قميصَ الصبَّر	وقد غَدَوْتَ حائراً فى أمْرِى
آهِ على تلك الليالى الغُـــــرِّ	ماكُنَّ إلاَّ كليالــى القَـــدْرِ
إن عُدن لى من بعد هذا الهَجْرِ	وفَّيْتُ لله بكـــــــل نَـــذْرِ

وقام بالحمد خطيب شكــــــرى

رياح هذه الأسحار تحمل أنين المذنبين وأنفاس المحبين وقصص التائبين ثم تعود برد الجواب بلا كتاب.

أعلمتمو أن النسيم إذا سرى حمل الحديث إلى الحبيب كما جرى

(١) سبق تخريجه.

جَهِلَ العذول بأننى فى حُـــبِّهم سَهَرُ الدُّجَى عندى ألذُّ من الكرى

فإذا ورد يريد برد السحر بحمل ملطفات الألطاف لم يفهمها غير من كتبت إليه.

نسيم صبا نجد متى جئت حاملاً تحيتهم فاطو الحديث عن الركب

ولا تــذع السر المصون فإننى أغار على ذكر الأحبة من صحبى

يا يعقوب الهجر قد هبت ريح يوسف الوصل. فلو استنشقت لعدت بعد العمى بصيرا ولوجدت ما كنت لفقده فقيراً.

كان لى قلب أعيش بــــــه ضــــــاع منى فى تقلبه

رب فاردده على فقــــــد عيل صبـــــــرى فى تطلبه

وأغثنى ما دام بى رمـــــق يا غياث المستغيث بــــــه

لو قام المذنبون فى هذه الأسحار على أقدام الانكسار ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها: **﴿ياأيها العزيز مَسّنا وأهلنا الضّر وجئنا ببضاعة مُزجاة فأوف لنا الكيل وتَصدق علينا﴾**[1] لبرز لهم التوقيع عليها: **﴿لاَ تثريب عليكم اليوم يغفرَ الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾**[2].

أشكو إلى الله كمـــا قد شكى أولاد يعقوب إلـــى يوسف

قد مسنى الضــر وأنت الذى تعلم حالـى وتـــرى موقفى

بضاعتى المزجــــــاة محتاجة إلى سماح مـــن كــــريم وفى

فقد أتى المسكين مستمطـــرا جودك فارحـــم ذله واعطف

فاوف كيلـــى وتصـــدق على هذا المقل البائس الأضعـــف

قالت عائشة رضى الله عنها للنبى ﷺ: أرأيت ان وافقت ليلة القدر ما أقول

(١) سورة يوسف: آية ٨٨.
(٢) سورة يوسف: آية ٩٢.

فيها قال: «**قولى: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى**»[1]. العفو من أسماء الله تعالى، وهو يتجاوز عن سيئات عباده،الماحى لآثارها عنهم، وهو يحب العفو فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته، وكان النبى ﷺ يقول: «**أعوذ برضاك من سخطك،وعفوك من عقوبتك**»[2]. قال يحيى بن معاذ: لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه لم يبتل بالذنب أكرم الناس عليه. يشير إلى أنه ابتلى كثيراً من أوليائه وأحبابه بشىء من الذنوب ليعاملهم بالعفو فإنه يحب العفو. قال بعض السلف الصالح: لو علمت أحب الأعمال إلى الله تعالى لأجهدت نفسى فيه، فرأى قائلاً يقول له فى منامه: إنك تريد ما لا يكون، إن الله يحب أن يعفو ويغفر. وإنما أحب أن يعفو ليكون العباد كلهم تحت عفوه، ولا يدل عليه أحد منهم بعمل. وقد جاء فى حديث ابن عباس مرفوعاً: «**إن الله ينظر ليلة القدر إلى المؤمنين من أمة محمد ﷺ فيعفو عنهم ويرحمهم إلاَّ أربعة: مدمن خمر، وعاقا، ومشاحناً، وقاطع رحم**»[3]. لما عرف العارفون بجلاله خضعوا، ولما سمع المذنبون بعفوه طمعوا، ما تم إلاَّ عفو الله أو النار، لولا طمع المذنبين فى العفو لاحترقت قلوبهم باليأس من الرحمة، ولكن إذا ذكرت عفو الله استروحت إلى برد عفوه. كان بعض المتقدمين يقول فى دعائه: اللهم إن ذنوبى قد عظمت فجلت عن الصفة وإنها صغيرة فى جنب عفوك، فاعف عنى. وقال آخر منهم: جرمى عظيم، وعفوك كثير فاجمع بين جرمى، وعفوك يا كرِيم، يا كبير الذنب عفو الله

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ١٧١ و١٨٢و٢٠٨و٢٥٨) والترمذى (٣٥١٣) وابن ماجه (٣٨٥٠) والنسائى فى «عمل اليوم والليلة» (٨٧٨)، وابن السنى فى «عمل اليوم والليلة» (٧٦٧)، والحاكم (١/ ٥٣٠) وقال الترمذى: حسن صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٢) رواه مسلم (١٠٧١) كتاب الصلاة باب: ما يقال فى الركوع والسجود. وأحمد (٦/٥٨و ٢٠١) وأبو داود فى «الصلاة (٨٧٩) باب: الدعاء فى الركوع والسجود والنسائى فى «الكبرى» (١/ ٢٣١) رقم (٦٨٧)، والترمذى فى «الدعوات» (٣٤٩٣) وابن ماجه فى «الدعاء» (٣٨٤١) باب: ماتعوذ منه رسول الله ﷺ. من حديث عائشة رضى الله عنها.

(٣) **ضعيف**: رواه البيهقى فى «الشعب» (٣/ ٣٣٥) رقم (٣٦٩٥) وابن حبان فى «الثواب» كما فى «الترغيب والترهيب» (٢/ ١١٢) وفى سنده انقطاع بين الضحاك ابن مزاحم وابن عباس رضى الله عنه، والضحاك كثير الإرسال كما فى «التقريب» (١/ ٣٧٣)، وكذا فى سنده حماد بن سليمان السدوسى البصرى ولم أقف له على ترجمة والله أعلم.

من ذنبك أكبر ، أكبر الأوزار فى جنب عفو الله يصغر، وإنما أمر بسؤال العفو فى ليلة القدر بعد الاجتهاد فى الأعمال فيها وفى ليالى العشر؛ لأن العارفين يجتهدون فى الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحاً ولا حالاً ولا مقالاً فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر.

قال يحيى بن معاذ: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو.

إن كنت لا أصلح للقرب ‏‏‏‏ فشأنكم عفو عن الذنب

كان مطرف يقول فى دعائه: اللهم ارض عنا فإن لم ترض عنا فاعف عنا.

من عظمت ذنوبه فى نفسه لم يطمع فى الرضا وكان غاية أمله أن يطمع فى العفو، ومن كملت معرفته لم ير نفسه إلاَّ فى هذه المنزلة.

يا رب عبدك قد أتا ‏‏‏‏ ك وقد أساء وقد هفا
يكـفيه منـك حـياؤه ‏‏‏‏ من سوء مـا قد أسلفا
حمل الذنوب على الذنو ‏‏‏‏ ب الموبقات وأسـرفا
وقد استجار بذيل عفو ‏‏‏‏ ك من عقابك ملحفا
رب اعف وعافه ‏‏‏‏ فلأنت أولى من عفا

●●●●●

فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»**[1]. وفيهما أيضاً من حديث أبى هريرة أيضاً رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»**[2]. وللنسائى فى رواية: **«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»**[3]. وقد سبق فى قيام ليلة القدر مثل ذلك من رواية عبادة بن الصامت. والتكفير بصيامه قد ورد مشروطا بالتحفظ مما ينبغى أن يتحفظ منه، ففى المسند وصحيح ابن حبان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«من صام رمضان فعرف حدوده وتحفظ مما ينبغى له أن يتحفظ منه كفر ذلك ما قبله»**[4]. والجمهور على أن ذلك إنما يكفر الصغائر. ويدل عليه ما خرجه مسلم من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: **«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»**[5]. وفى تأويله قولان: أحدهما: أن تكفير هذه الأعمال مشروط باجتناب الكبائر، فمن لم يجتنب الكبائر لم تكفر له هذه الأعمال كبيرة ولا صغيرة. والثانى: أن المراد أن

---

(١) رواه البخارى (١٩٠١) كتاب الصوم، باب: من صام رمضان إيماناً واحتساباً. ومسلم (١٧٥٠) كتاب الصلاة باب: الترغيب فى قيام رمضان. وأحمد (٢/٢٤١و٤٧٣) والنسائى فى «الصيام» (٤/١٥٧) وفى كتاب «الإيمان» باب: قيام ليلة القدر.

(٢) رواه البخارى (٣٧) كتاب الإيمان، باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان. ومسلم (١٧٤٨) كتاب الصلاة، باب: الترغيب فى قيام رمضان وأحمد (٢/٢٨١ و٥٢٩) والنسائى فى «الصلاة» (٣/٢٠١) باب: ثواب من قام رمضان إيماناً واحتساباً.

(٣) **زيادة شاذة**. رواه النسائى فى «الكبرى» فى «الصيام» (٢/٨٨) رقم (٢٥١٢) وهذه الزيادة تفرد بها قتيبة ابن سعيد. ورواه مالك وسفيان بن عيينه ومعمر عن الزهرى دون هذه الزيادة.

(٤) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/٥٥) وأبو يعلى (١٠٥٨) وابن حبان (٣٤٣٣) وابن المبارك فى «الزهد» (٩٨- زيادات) والبيهقى فى «السنن» (٤/٣٠٤) وفى سنده عبدالله بن قريط وهو مجهول كما قال الحسينى فى «الإكمال» (ص٢٤٧).

(٥) رواه مسلم (٥٤١) كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة والترمذى فى «الصلاة» (٢١٤) باب: ماجاء فى فضل الصلوات الخمس.

هذه الفرائض تكفر الصغائر خاصة بكل حال، وسواء اجتنبت الكبائر أو لم تجتنب. وأنها لا تكفر الكبائر بحال. وقد قال ابن المنذر فى قيام ليلة القدر: إنه يرجى به مغفرة الذنوب كبائرها وصغائرها. وقال غيره مثل ذلك فى الصوم أيضاً. والجمهور على أن الكبائر لا بد لها من توبة نصوح. وهذه المسائل قد ذكرناها مستوفاة فى مواضع أخر. فدل حديث أبى هريرة رضى الله عنه على: أن هذه الأسباب الثلاثة كل واحد منها مكفر لما سلف من الذنوب وهى: صيام رمضان، وقيامه، وقيام ليلة القدر.

فقيام ليلة القدر بمجرده يكفر الذنوب لمن وقعت له كما فى حديث عبادة بن الصامت وقد سبق ذكره، وسواء كانت فى أول العشر أو أوسطه أو آخره وسواء شعر بها أو لم يشعر، ولا يتأخر تكفير الذنوب بها إلى انقضاء الشهر، وأما صيام رمضان وقيامه فيتوقف التكفير بهما على تمام الشهر، فإذا تم الشهر فقد كمل للمؤمن صيام رمضان وقيامه فيترتب له على ذلك مغفرة ما تقدم من ذنبه بتمام السببين وهما صيامه وقيامه. وقد يقال: إنه يغفر لهم عند استكمال القيام فى آخر ليلة من رمضان بقيام رمضان، قبل تمام نهارها وتتأخر المغفرة بالصيام إلى إكمال النهار بالصوم فيغفر لهم بالصوم فى ليلة الفطر. ويدل على ذلك ما خرَّجه الإمام أحمد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**أعطيت أمتى خمس خصال فى رمضان لم يعطها أمة غيرهم، خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، ويزين الله كل يوم جنته ويقول: يوشك عبادى أن يكفوا عنهم المؤنة والأذى ويصيروا إليك، ويصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه فى غيره، ويغفر لهم فى آخر ليلة فيه**»، فقيل له: يا رسول الله أهى ليلة القدر؟ قال: «**لا ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله**»[1].

وقد روى: أن الصائمين يرجعون يوم الفطر مغفورا لهم، وأن يوم الفطر

(١) ضعيف جدا: رواه أحمد (٢/ ٢٩٢) وفى سنده هشام بن زياد بن أبى يزيد، أبو المقدام وهو متروك كما فى «التقريب» (٢/ ٣١٨) ومحمد بن محمد بن الأسود الزهرى وهو مستور كما فى «التقريب» (٢/ ٢٠٤).

يسمى يوم الجوائز، وفيه أحاديث ضعيفة، وقال الزهرى: «إذا كان يوم الفطر خرج الناس إلى الجبار اطلع الله عليهم قال: عبادى لى صمتم ولى قمتم ارجعوا مغفوراً لكم». قال مورق العجلى لبعض إخوانه فى المصلى يوم الفطر: يرجع هذا اليوم قوم كما ولدتهم أمهاتهم. وفى حديث أبى جعفر الباقر المرسل: «**من أتى عليه رمضان فصام نهاره، وصلى وردا من ليله وغض بصره وحفظ فرجه ولسانه ويده، وحافظ على صلاته فى الجماعة وبكر إلى جمعة فقد صام الشهر، واستكمل الأجر، وأدرك ليلة القدر وفاز بجائزة الرب**». قال أبو جعفر: جائزة لا تشبه جوائز الأمراء إذا أكمل الصائمون صيام رمضان وقيامه فقد وفوا ما عليهم من العمل وبقى مالهم من الأجر وهو المغفرة، فإذا خرجوا يوم عيد الفطر إلى الصلاة قسمت عليهم أجورهم، فرجعوا إلى منازلهم وقد استوفوا الأجر واستكملوه. كما فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما المرفوع: «**إذا كان يوم الفطر هبطت الملائكة إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع من خلق الله إلاَّ الجن والإنس يقولون: يا أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يعطى الجزيل ويغفر الذنب العظيم، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتى ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فيقولون: إلهنا وسيدنا أن توفيه أجره فيقول: إنى أشهدكم أنى قد جعلت ثوابهم من صيامهم وقيامهم رضائى ومغفرتى، انصرفوا مغفوراً لكم**»(١)، خرَّجه سلمة بن شبيب فى كتاب فضائل رمضان وغيره، وفى إسناده مقال. وقد روى من وجه آخر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا بعضه، وقد روى معناه مرفوعاً من وجوه أخر فيها ضعف: «**من وفى ما عليه من العمل كاملاً وفّى له الأجر كاملاً**»، ومن سلم ما عليه وفراً، تسلم ماله نقداً لا مؤخراً.

ما بعتكم مهجتى إلاَّ بوصلكم ... ولا أسلمها إلاَّ يداً بيد
فإن وفيتم بما قلتم وفيت أنا ... وإن أبيتم يكون الرهن تحت يدى

---

(١) ضعيف: رواه البيهقى فى «الشعب» (٣/ ٣٣٥) رقم (٣٦٩٥) وابن حيان فى «الثواب» كما فى «الترغيب والترهيب» (٢/ ١١٢) وفى سنده انقطاع بين الضحاك بن مزاحم وابن عباس رضى الله عنه، والضحاك كثير الإرسال كما مره «التقريب» (١/ ٣٧٣) وحماد بن سليمان السدوس البصرى لم أقف على ترجمته.

ومن نقص من العمل الذى عليه نقص من الأجر بحسب نقصه، فلا يلم إلاَّ نفسه. قال سلمان: الصلاة مكيال فمن وفّى وُفّى له. ومن طفف فقد علمتم ما قيل فى المطففين، فالصيام وسائر الأعمال على هذا المنوال من وفّاها فهو من خيار عباد الله الموفين، ومن طفف فيها فويل للمطففين، أما يستحى من يستوفى مكيال شهواته ويطفف فى مكيال صيامه وصلاته إلاَّ بعد المدين. فى الحديث: «**أسوأ الناس سرقة الذى يسرق صلاته**»[1]. إذا كان الويل لمن طفف مكيال الدنيا، فكيف حال من طفف مكيال الدين: ﴿**فَوَيل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**﴾[2].

غداً توفى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساؤا فبئس ما صنعوا

كان السلف الصالح يجتهدون فى إتمام العمل وإكماله وإتقانه ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ويخافون من رده وهؤلاء الذين: ﴿**يؤْتون ما آتوا وقُلوبهم وَجلَةَ**﴾[3].

روى عن على رضى الله عنه قال: كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله عزوجل يقول: ﴿**إنما يتقبل الله من المتقين**﴾[4]. وعن فضالة بن عبيد قال: لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل منّى مثقال حبة من خردل أحب إلىّ من الدنيا وما فيها لأن الله يقول: ﴿**إنّما يتقبل اللهُ من المتقين**﴾. قال ابن دينار: الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل. وقال عطاء السلمى: الحذر الاتقاء على العمل أن لا يكون لله. وقال عبد العزيز بن أبى رواد: أدركتهم يجتهدون فى العمل الصالح فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا. قال بعض السلف كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم. خرَّج عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى يوم عيد فطر

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣١٠) والطبرانى فى «الكبير» (٣/ ٢٧٣) رقم (٣٢٨٣) والدارمى (١/ ٣٥٠) رقم (١٣٢٨) والحاكم (١/ ٢٢٩) من حديث أبى قتادة رضى الله عنه وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٢) سورة الماعون: آية ٥.

(٣) سورة المؤمنون: آية ٦٠.

(٤) سورة المائدة: آية ٢٧.

فقال فى خطبته: أيها الناس إنكم صمتم لله ثلاثين يوماً، وقمتم ثلاثين ليلة، وخرجتم اليوم تطلبون من الله أن يتقبل منكم. كان بعض السلف يظهر عليه الحزن يوم عيد الفطر فيقال له: إنه يوم فرح وسرور فيقول: صدقتم ولكنى عبد أمرنى مولاى أن أعمل له عملاً فلا أدرى أيقبله منّى أم لا ؟ رأى وهب بن الورد قوماً يضحكون فى يوم عيد فقال: إن كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين. وإن كان لم يتقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين. وعن الحسن قال: إن الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب من اللاعب الضاحك فى اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون.

لعلك غضبان وقلبى غـــافل　　　سلام على الدارين إن كنت راضيا

روى عن على رضى الله عنه أنه كان ينادى فى آخر ليلة من شهر رمضان: ياليت شعرى من هذا المقبول فنهنيه ومن هذا المحروم فنعزيه. وعن ابن مسعود أنه كان يقول: من هذا المقبول منا فنهنيه ومن هذا المحروم منا فنعزيه، أيها المقبول هنيئا لك، أيها المردود جبر الله مصيبتك.

ليت شعرى من فيه يقبل منا　　　فيـهـنا يـا خـيـبـة المـردود

مـن تـولـى عنـه بغير قبول　　　أرغم الله أنفه بخزى شديد

ماذا فات من فاته خير رمضان وأى شىء أدرك من أدركه فيه الحرمان، كم بين من حظه فيه القبول والغفران، ومن كان حظه فيه الخيبة والخسران، رب قائم حظه من قيامه السهر وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش.

ما أصنع هكذا جرى المقدور　　　الجبر لغيرى وأنا المكسور

أسير ذنب مـقـيد مـهـجور　　　هل يمكن أن يغير المقدور

غيره:

سار القوم والشقاء يقعدنى　　　حازوا القرب والجفا يبعدنى

حسبى حسبى إلى متى تطردنى　　　أعداى دانى وكلهم يقصدنى

غيره:

أسباب هواك أوهنت أسبابى　　　من بعد جفاك فالضنى أولى بى

ضاقت حيلى وأنت تدرى ما بى فارحم فالعبد واقف بالباب

شهر رمضان تكثر فيه أساب الغفران، فمن أسباب المغفرة فيه صيامه وقيامه وقيام ليلة القدر فيه كما سبق. ومنها: تفطير الصوام والتخفيف عن المملوك وهما مذكوران فى حديث سلمان المرفوع. ومنها: الذكر. وفى حديث مرفوع: **«ذاكر الله فى رمضان مغفوراً له»**[(١)]. ومنها: الاستغفار، والاستغفار طلب المغفرة ودعاء الصائم مستجاب فى صيامه وعند فطره ولهذا كان ابن عمر إذا أفطر يقول: اللهم يا واسع المغفرة اغفر لى، وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه المرفوع فى فضل شهر رمضان ويغفر فيه إلاَّ لمن أبى. قالوا: يا أبا هريرة ومن يأبى؟ قال: يأبى أن يستغفر الله. ومنها: استغفار الملائكة للصائمين حتى يفطروا، وقد تقدم ذكره. فلما كثرت أسباب المغفرة فى رمضان، كان الذى تفوته المغفرة فيه محروماً غاية الحرمان. فى صحيح ابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ صعد المنبر فقال: **«آمين آمين آمين»** قيل: يا رسول الله إنك صعدت المنبر فقلت: آمين آمين آمين؟ فقال: **«إن جبريل أتانى فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين، ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين، ومن ذُكرتَ عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين. فقلت: آمين»**[(٢)].

وخرَّجه الإمام أحمد والترمذى وابن حبان أيضاً من وجه آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً بلفظ: **«رغم أنفه»**[(٣)]، وحسنه الترمذى وقال سعيد عن قتادة: كان يقال: من لم يغفر له فى رمضان فلن يغفر له فيما سواه. وفى حديث آخر: إذا لم يغفر له فى رمضان فمتى يغفر لمن لا يغفر له فى هذا الشهر، مَن

---

(١) موضوع. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٧/ ٢٢٦) رقم (٧٣٤٢) والبيهقى فى «الشعب» (٣/ ٣١١) رقم (٣٦٢٧) وفى سنده عبد الرحمن بن قيس الضبى. وهو متروك وكذبه أبو زرعة وغيره كما فى «التقريب» (١/ ٤٩٦) وهلال بن عبد الرحمن ضعيف كما قال الهيثمى فى «المجمع» (٣/ ١٤٣) وعلى بن زيد بن جدعان ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ٣٧).

(٢) حسن. رواه البخارى فى «الأدب المفرد» (٦٤٦) وابن خزيمة (١٨٨٨) وابن حبان (٩٠٧ ـ إحسان) والبزار (٣١٦٩) وإسماعيل القاضى فى «فضل الصلاة على النبى ﷺ» (١٨).

(٣) حسن. رواه أحمد (٢/ ٢٥٤) والترمذى (٣٤٥٤) والحاكم (١/ ٤٥٩).

يَقبل من رُد فى ليلة القدر، متى يصلح من لايصلح فى رمضان، حتى يصلح من كان به فيه من داء. الجهالة والغفلة مرضان، كل مالا يثمر من الأشجار فى أوان الثمار فإنه يقطع ثم يوقد فى النار، ومن فرط فى الزرع فى وقت البدار لم يحصد يوم الحصاد غير الندم والخسارة:

ترحل شهر الصبر والهفَاه وانصرما ... واختص بالفوز فى الجنات من خدما
وأصبح الغافل المسكين منكسراً ... مثلى فيا ويحه ياعظم ما حرما
من فاته الزرع فى وقت البدار فما ... تراه يحصد إلاّ الهم والندما

شهر رمضان شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار[1]. روى هذا عن النبى ﷺ من حديث سلمان الفارسى خرَّجه ابن خزيمة فى صحيحه، وروى عنه أيضاً من حديث أبى هريرة رضى الله عنه خرّجه ابن أبى الدنيا وغيره والشهر كله شهر رحمة ومغفرة وعتق، ولهذا فى الحديث الصحيح: «إنه تفتح فيه أبواب الرحمة»[2]، وفى الترمذى وغيره: «**إن لله عتقاء من النار وذلك كل ليلة**»[3]، ولكن الأغلب على أوله الرحمة وهى للمحسنين المتقين قال الله تعالى: **﴿إنّ رحمة الله قريب من المحسنين﴾**[4]، قال الله تعالى: **﴿ورَحمتى وَسعت كُل شىء فسأَكتُبها للذين يَتقون﴾**[5]، فيفاض على المتقين فى أول الشهر خلع الرحمة والرضوان، ويعامل أهل الإحسان بالفضل والإحسان، وأما أوسط الشهر فالأغلب عليه المغفرة فيغفر فيه للصائمين وإن ارتكبوا بعض الذنوب الصغائر فلا يمنعهم من المغفرة كما قال الله تعالى: **﴿وإنّ ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾**[6]، وأما آخر الشهر فيعتق فيه من النار من أوبقته الأوزار واستوجب النار بالذنوب الكبار، وفى حديث ابن عباس المرفوع: «**لله فى كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق الله فى ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول**

(١) ضعيف. رواه ابن خزيمة (٣/ ١٩١) رقم (١٨٨٧) والبيهقى فى «الشعب» (٣/ ٣٠٥).
(٢) رواه مسلم (٢٤٥٧) كتاب الصيام، باب: فضل شهر رمضان.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سورة الأعراف: آية ٦٩.
(٥) سورة الأعراف: آية ١٥٦.
(٦) سورة الرعد: آية ٦.

الشهر إلى آخره»[1]. وخرّجه سلمة بن شبيب وغيره. وإنما كان يوم الفطر من رمضان عيداً لجميع الأمة لأنه تعتق فيه أهل الكبائر من الصائمين من النار فيلتحق فيه المذنبون بالأبرار، كما أن يوم النحر هو العيد الأكبر لأن قبله يوم عرفة وهو اليوم الذى لا يرى فى يوم من الدنيا أكثر عتقاً من النار منه، فمن أعتق من النار فى اليومين فله يوم عيد ومن فاته العتق فى اليومين فله يوم وعيد أنشد الشلبى:

ليس عيد المحب قصد المصلى … وانتظار الأمير والسلطان

إنما العيد أن تكــون لدى الله … كريما مقربـا فى أمـــان

ورؤى بعض العارفين ليلة عيد فى فلاة يبكى على نفسه وينشد.

بحرمة غربتى كم ذا الصدود … ألا تعطف على ألا تجود

سرور العيد قد عم النواحى … وحزنى فى ازدياد لا يبيد

فإن كنت اقترفت خلال سوء … فعذرى فى الهوى أن لا أعود

لما كانت المغفرة والعتق كل منهما مرتبا على صيام رمضان وقيامه أمر الله سبحانه وتعالى عند إكمال العدة بتكبيره وشكره فقال: **﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾**[2]، فشكر من أنعم على عباده بتوفيقهم للصيام وإعانتهم عليه ومغفرته لهم به وعتقهم من النار أن يذكروه ويشكروه ويتقوه حق تقاته. وقد فسر ابن مسعود رضى الله عنه تقواه حق تقاته بأن يطاع فلا يعصى. ويذكر فلا ينسى. ويشكر فلا يكفر، فيا أرباب الذنوب العظيمة الغنيمة الغنيمة فى هذه الأيام الكريمة فما منها عوض ولا لها قيمة، فمن يعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العظيمة، والمنحة الجسيمة. يا من أعتقه مولاه من النار إياك أن تعود بعد أن صرت حرا إلى رق الأوزار، أيبعدك مولاك من النار وتتقرب منها، وينقذك منها وأنت توقع نفسك فيها ولا تحيد عنها.

وإن امرءاً ينجو من النار بعدما … تزود من أعمالها لسعيد

إن كانت الرحمة للمحسنين فالمسيء لا ييأس منها، وإن تكن المغفرة مكتوبة للمتقين، فالظالم لنفسه غير محجوب عنها. غيره.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة البقرة: آية ١٨٥.

إن كان عفوك لا يرجوه ذو خطا   فمن يجود على العاصين بالكرم

غيره

إن كـان لا يـرجـوك إلا محسن   فمـن الـذى يرجو ويدعو المذنب

لم لا يرجى العفو من ربنا وكيف لا يطمع فى حلمه. وفى الصحيح أنه بعبده أرحم من أمة[1]: ﴿**قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً**﴾[2]، فيا أيها العاصى وكلنا ذلك لا تقنط من رحمة الله بسوء أعمالك، فكم يعتق من النار فى هذه الأيام من أمثالك، فأحسن الظن بمولاك وتب إليه فإنه لا يهلك على الله هالك.

إذا أوجعتك الذنوب فداوها   برفـــع يـــد والليل مظلـــم
ولا تقنطن من رحمة الله إنما   قنوطك منها من ذنوبك أعظم
فرحمته للمحسنين كرامة   ورحـــمته للمـــذنبين تكـــرم

ينبغى لمن يرجو العتق فى شهر رمضان من النار أن يأتى بأسباب توجب العتق من النار، وهى متيسرة فى هذا الشهر، وكان أبو قلابة يعتق فى آخر الشهر جارية حسناء مزينة يرجو بعتقها العتق من النار. وفى حديث سلمان الفارسى المرفوع الذى فى صحيح ابن خزيمة: «من فطر صائماً كان عتقا له من النار، ومن خفف فيه عن مملوكه كان له عتقاً من النار»[3]، وفيه أيضاً[4]: «فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين: ترضون بها ربكم، وخصلتين: لا غناء لكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: شهادة أن لا إله إلاّ الله والاستغفار، وأما اللتان لا غناء لكم عنهما: فتسألون الله الجنة وتستعيذون به من النار، فهذه

---

(١) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قَدمَ رسول الله ﷺ بسبى، فإذا امرأة من السبى تبتغى، إذا وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته. فقال لنا رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحةً ولدها فى النار؟ قلنا: لا والله، وهى تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: الله أرحم بعباده من هذه بولدها» رواه البخارى فى «الأدب» (٥٩٩٩) باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. ومسلم (٦٨٤٤) كتاب التوبة، باب: فى سعة رحمة الله تعالى.

(٢) سورة الزمر: آية ٥٣.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أى فى حديث سلمان الفارسى وقد سبق تخريجه.

الخصال الأربعة المذكورة فى الحديث كا منها سبب العتق والمغفرة: فأما كلمة التوحيد: فإنها تهدم الذنوب وتمحوها محواً ولا تبقي ذنباً ولا يسبقها عمل، وهى تعدل عتق الرقاب الذى يوجب العتق من النار، ومن أتى بها أربع مرار حين يصبح وحين يمسى أعتقه الله من النار، ومن قالها مخلصاً من قلبه حرمه الله على النار، وأما كلمة الاستغفار: فمن أعظم أسباب المغفرة، فإن الاستغفار دعاء بالمغفرة ودعاء الصائم مستجاب فى حال صيامه وعند فطره. وقد سبق حديث أبى هريرة المرفوع: «ويغفر فيه ـ يعنى شهر رمضان ـ إلاَّ لمن أبى» قالوا: يا أبا هريرة ومن أبى؟ قال: «من أبى أن يستغفر الله عزوجل». قال الحسن: أكثروا من الاستغفار فإنكم لا تدرون متى تنزل الرحمة. وقال لقمان لابنه: يا بنى عود لسانك الاستغفار فإن لله ساعات لايرد فيهن سائلاً، وقد جمع الله بين التوحيد والاستغفار فى قوله تعالى: ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك**﴾[1]. وفى بعض الآثار: أن إبليس قال: أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلاَّ الله، والاستغفار. والاستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها فيختم به الصلاة والحج وقيام الليل، ويختم به المجالس فإن كانت ذكراً كان كالطابع عليها، وإن كانت لغوا كان كفارة لها، فكذلك ينبغى أن تختم صيام رمضان بالاستغفار. وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى الأمصار يأمرهم بختم رمضان بالاستغفار وصدقة الفطر، فإن الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، والاستغفار يرقع ما تخرق من الصيام باللغو والرفث. ولهذا قال بعض العلماء المتقدمين: إن صدقة الفطر للصائم كسجدتى السهو للصلاة. وقال عمر بن عبد العزيز فى كتابه قولوا كما قال أبوكم آدم: ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾[2]، وقولوا كما قال إبراهيم عليه السلام﴿**والذي أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين**﴾[3] وقولوا كما قال نوح عليه السلام: ﴿**وإلاَّ تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين**﴾[4]، وقولوا كما قال موسى عليه السلام: ﴿**رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى**﴾[5]، وقولوا كما قال ذو النون عليه السلام: ﴿**سبحانك إنى كنت من الظالمين**﴾[6]، ويروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: الغيبة تخرق الصيام

(١) سورة محمد: آية ١٩. (٢) سورة الأعراف: آية ٢٣. (٣) سورة هود: آية ٤٧
(٤) سورة الشعراء: آية ٨٢. (٥) سورة القصص: آية ١٦ (٦)سورة الأنبياء: آية ٨٧.

والاستغفار يرقعه، فمن استطاع منكم أن يجيء بصوم مرقع فليفعل. وعن ابن المنكدر معنى ذلك: الصيام جُنة من النار ما لم يخرقها، والكلام السيئ يخرق هذه الجُنة، والاستغفار يرقع ما تخرق منها. فصيامنا هذا يحتاج إلى استغفار نافع، وعمل صالح له شافع. كم نخرق صيامنا بسهام الكلام ثم نرقعه وقد اتسع الخرق على الراقع، كم نرفو خروقه بمخيط الحسنات ثم نقطعه بحسام السيئات القاطع. كان بعض السلف إذا صلى صلاة استغفر من تقصيره فيها كما يستغفر المذنب من ذنبه. إذا كان هذا حال المحسنين فى عباداتهم فكيف حال المسيئين مثلنا فى عباداتهم، ارحموا من حسناته كلها سيئات وطاعاته كلها غفلات.

أستغفر الله من صيامى　　طول زمانى ومن صلاتى
صيامنا كله خروق　　وصلاته أيّما صلاتى
مستيقظ فى الدجى ولكن　　أحسن من يقظتى سباتى

وقريب من هذا أمر النبى عليه السلام لعائشة رضى الله عنها فى ليلة القدر بسؤال العفو. فإن المؤمن يجتهد فى شهر رمضان فى صيامه وقيامه فإذا قرب فراغه وصادف ليلة القدر لم يسأل الله تعالى إلاّ العفو كالمسيىء المقصر. كان صلة ابن أشيم يُحيى الليل ثم يقول فى دعائه عند السحر: اللهم إنى أسألك أن تجيرنى من النار، ومثلى يجترئ أن يسألك الجنة. كان مطرف يقول: اللهم ارض عنا فإن لم ترض عنا فاعف عنا. قال يحيى بن معاذ: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو.

إن كنت لا أصلح للقرب　　فشأنكم عفو عن الذنب

أنفع الاستغفار ما قارنته التوبة وهى حل عقدة الإصرار، فمن استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معقود وعزمه أن يرجع إلى المعاصى بعد الشهر ويعود فصومه عليه مردود وباب القبول عنه مسدود. قال كعب: من صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر بعد رمضان أنه لا يعصى الله دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب، ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان عصى ربه فصيامه عليه مردود. خرّجه مسلمة بن شبيب.

ولولا التقى ثم النهى خشية الردى　　لعاصيت فى وقت الصبا كل واجب
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا تُرى　　لـه عـودةٌ أخـرى الليالى الغوابر

وفى سنن أبى داود وغيره عن أبى بكرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«لا يقولن أحدكم: صمت رمضان كله، ولا قمت رمضان كله»**، قال أبو بكرة: فلا أدرى أكره التزكية أم لابد من غفلة[1]. أين من كان إذا صام صان الصيام، وإذا قام استقام فى القيام. أحسنوا الإسلام ثم ارحلوا بسلام ما بقى إلاً من إذا صام افتخر بصيامه وصال، وإذا قام عجب بقيامه وقال: كم بين خلى وشجى وواجد وفاقد وكاتم ومبدى. وأما سؤال الجنة والاستعاذة من النار فمن أهم الدعاء، وقال النبى ﷺ: «حولها ندندن»[2]. فالصائم يرجى استجابة دعائه فينبغى أن لا يدعو إلاً بأهم الأمور، قال أبو مسلم: ما عرضت لى دعوة إلاً صرفتها إلى الاستعاذة من النار وقال: **﴿لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنّة هم الفائزون﴾**[3]. وفى الحديث اطلبوا الخير وهركم كله و«تعرضوا لنفحات رحمة ربكم فإن لله نفحات من رحمته»: **﴿يصيبُ بها مَن يشاء من عباده وسلوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم﴾**[4]، فمن أصابته سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، فإن أعظم نفحاته مصادفة دعوة الإجابة يسأل العبد فيها الجنة والنجاة من النار فيجاب سؤاله فيفوز بسعادة الأبد، قال الله تعالى: **﴿فمن زُحزح عن النّار وأُدخل الجنّة فقد فاز﴾**[5]، وقال: **﴿فأما الذين شَقوا ففى النّار لهم فيها زفيرٌ وشهيق﴾**[6] إلى قوله: **﴿وأما الذين سُعدوا ففى الجنة﴾**[7].

ليس السعيد الذى دنياه تسعده ... إن السعيد الذى ينجى من النار

عباد الله إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل ولم يبق منه إلاً القليل، فمن منكم أحسن فيه فعليه التمام، ومن فرط فليختمه بالحسنى والعمل بالختام فاستغنموا منه ما بقى من الليالى اليسيرة والأيام، واستودعوه عملاً صالحاً يشهد لكم به عند الملك العلام، وودعوه عند فراقه بأزكى تحية وسلام.

---

(١) **ضعيف**. رواه أحمد (٥/ ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١، ٤٨، ٥٢) وأبو داود (٢٤١٥) وابن خزيمة (٢٠٧٥) والنسائى (٤/ ١٣٠) وابن حبان (٣٤٣٩ ـ إحسان) وفى سنده الحسن البصرى وهو مدلس وقد عنعنه.

(٢) **صحيح**. رواه أحمد (٣/ ٤٧٤) وأبو داود (٧٩٢) وابن ماجه (٩١٠) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه. ولم يسمه أحمد بل قال عن رجل من أصحاب النبى ﷺ.

(٣) سورة الحشر: آية ١٠.

(٤) **ضعيف**. رواه ابن أبى الدنيا فى «الفرج بعد الشدة» (٢٧) والبيهقى فى «شعب الإيمان» (١١٢٣) من حديث أبى هريرة عنه، وفى سنده مجهول. رواه البيهقى فى «الشعب» (١١٢١ و ١١٢٢) والحكيم الترمذى فى «نوادر الأصول» (٢٢٣) من حديث أنس رضى الله عنه، وفى سنده عيسى بن موسى بن إياس وهو ضعيف كما فى «الميزان» (٢/ ٦٦١٥).

(٥) سورة آل عمران: آية ١٨٥. (٦) سورة هود: آية ١٠٦. (٧) سورة هود: آية ١٠٨.

سلام من الرحمن كل أوان — على خير شهر قد مضى وزمان
سلام على شهر الصيام فإنه — أمان من الرحمن كل أمان
لئن فنيت أيامك الغر بغتة — فما الحزن من قلبى عليك بفان

لقد ذهبت أيامه وما أطعتم، وكتبت عليكم فيه آثامه وما أضعتم، وكأنكم بالمشمرين فيه وقد وصلوا وانقطعتم، أترى ما هذا التوبيخ لكم أو ما سمعتم.

ما ضاع من أيامنا هل يغرم — هيهات والأزمان كيف تُقَوَّمُ
يوم بأرواح يباع وتشترى — وأخوه ليس يُسامُ فيه درهم

قلوب المتقين إلى هذا الشهر تحن ومن ألم فراقه تئن.

دهاك الفراق فما تصنع — أتصبر للبين أم تجزع
إذا كنت تبكى وهم جيرة — فكيف تكون إذا ودَّعُوا

كيف لا تجرى للمؤمن على فراقه دموع وهو لا يدرى هل بقى له فى عمره إليه رجوع.

تذكرت أياماً مضت ولياليا — خلت فجرت من ذكرهن دموع
ألاهل لها يوماً من الدهر عودة — وهل لى إلى يوم الوصال رجوع
وهل بعد إعراض الحبيب تواصل — وهل لبدور قد أفلن طلوع

أين حرق المجتهدين فى نهاره أين قلق المتهجدين فى أسحاره؟

اسمع أنين العاشقـــين — إن استطعت له سماعا
راح الحبيب فشيعـــته — مـدامعى تهمى سراعا
لو كلف الجبل الأصم — فراق إلفٍ ما استطاعا

إذا كان هذا جزع من ربع فكيف حال من خسر فى أيامه ولياليه

ماذا ينفع المفرط فيه بكاؤه، وقد عظمت فيه مصيبته وجل عزاؤه كم نصح المسكين فما قبل النصح، كم دعى إلى المصالحة فما أجاب إلى الصلح، كم شاهد الواصلين فيه وهو متباعد، كم مرت به زمر السائرين وهو قاعد، حتى إذا ضاق به الوقت وخاف المقت ندم على التفريط حين لا ينفع الندم، وطلب الاستدراك فى وقت العدم.

أتترك من تحب وأنت جار	وتطلبهم إذا بعد المزار
وتبكى بعد نأيهم اشتياقاً	وتسأل فى المنازل أين ساروا
تركت سؤالهم وهم حضور	وترجو أن تخبّرك الديار
فنفسك لُمْ ولا تلم المطايا	ومت كمداً فليس لك اعتذار

يأشهر رمضان ترفق، دموع المحبين تدفق قلوبهم من ألم الفراق تشقق عسى وقفة للوداع تطفئ من نار الشوق ما أحرق عسى ساعة توبة وإقلاع ترفو من الصيام كُلَّ ما تخرق عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق عسى أسير الأوزار يطلق عسى من استوجب النار يعتق عسى رحمة المولى لها العاصى يوفق.

عسى وعسى من قَبل وقت التفرق	إلى كل ما نرجو من الخير ترتقى
فيجبر مكسور ويقبل تائب	ويعتق خطاء ويسعد من شقى

●●●●●

وظائف شوال وفيه مجالس

المجلس الأول فى صيام شوال كله واتباع رمضان بصيام ستة أيام من شوال

خرّج مسلم من حديث أبى أيوب الأنصاري رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر**»[1]. ثم اختلف فى هذا الحديث وفى العمل به: فمنهم من صححه، ومنهم من قال: هو موقوف، قاله: ابن عيينة وغيره وإليه يميل الإمام أحمد، ومنهم من تكلم فى إسناده، وأما العمل به فاستحب صيام ستة من شوال أكثر العلماء، وروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما، وطاوس، والشعبى، وميمون بن مهران وهو قول ابن المبارك، والشافعى، وأحمد وإسحاق. وأنكر ذلك آخرون، وروى عن الحسن أنه كان إذا ذكر عنده صيام هذه الستة قال: لقد رضى الله بهذا الشهر لسنة كلها؛ ولعله إنما أنكر على من اعتقد وجوب صيامها وأنه لا يكتفى بصيام رمضان عنها فى الوجوب. وظاهر كلامه يدل على هذا. وكرهها الثورى وأبو حنيفة وأبو يوسف وعلل أصحابهما ذلك مشابهة أهل الكتاب يعنون فى الزيادة فى صيامه المفروض عليهم ما ليس منه. وأكثر المتأخرين من مشايخهم قالوا: لا بأس به، وعللوا أن الفطر قد حصل بفطر يوم العيد، حكى ذلك صاحب الكافى منهم، وكان مهدى يكرهها ولا ينهى عنها، وكرهها أيضاً مالك وذكر فى الموطأ: أنه لم ير أحداً من أهل العلم يفعل ذلك. وقد قيل: إنه كان يصومها فى نفسه وإنما كرهها على وجه يخشى منه أن يعتقد فريضتها لئلا يزاد فى رمضان ما ليس منه.

وأما الذين استحبوا صيامها فاختلفوا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يستحب صيامها من أول الشهر متتابعة، وهو قول الشافعى وابن المبارك. وقد روى فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً: «**من صام ستة أيام بعد الفطر متتابعة**

---

(١)رواه مسلم (٢٧١٢) كتاب الصيام، باب: استحباب صوم ستة أيام من شوال. وأبو داود فى «الصوم» (٢٤٣٣) باب: فى صوم ستة أيام من شوال. والترمذى فى «الصوم» (٧٥٩) باب: ما جاء فى صيام ستة أيام من شوال. والنسائى فى «الصوم» فى «الكبرى» (٢/ ١٦٣) رقم (٢٨٦٢) وابن ماجه فى «الصوم» (١٧١٦) باب: صيام ستة أيام من شوال.

فكأنما صام السنة»[١]، خرَّجه الطبرانى وغيره من طرق ضعيفة، ورُوى موفوفاً، ورُوى عن ابن رضى الله عنهما من قوله بمعناه بإسناد ضعيف أيضاً. والثانى: إنه لا فرق بين أن يتابعها أو يفرقها من الشهر كله وهما سواء، وهو قول وكيع وأحمد. والثالث: أنها لا تصام عقب يوم الفطر فإنها أيام أكل وشرب ولكن يصام ثلاثة أيام قبل أيام البيض، وأيام البيض أو بعدها، وهذا قول معمر وعبدالرزاق. ورُوى عن عطاء حتى روى عنه أنه كره لمن عليه صيام من قضاء رمضان أن يصومه ثم يصله بصيام تطوع وأمر بالفطر بينهما وهو قول شاذ وأكثر العلماء على : أنه لايكره صيام ثانى يوم الفطر وقد دل عليه حديث عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال لرجل: (إذا أفطرت فصم)[٢] وقد ذكرناه فى صيام آخر شعبان، وقد سرد طائفة من الصحابة والتابعين الصوم إلاّ يوم الفطر والأضحى، وقد روى عن أم سلمة أنها كانت تقول لأهلها من كان عليه رمضان فليصمه الغد من يوم الفطر، فمن صام الغد من يوم الفطر فكأنما صام رمضان، وفى إسناده ضعف، وعن الشعبى قال: لأن أصوم يوماً بعد رمضان أحب إلىّ من أن أصوم الدهر كله، ويروى بإسناد ضعيف عن ابن عمر مرفوعاً: «من صام بعد الفطر يوماً فكأنما صام السنة». وبإسناده ضعف، وعن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً. «الصائم بعد رمضان كالكار بعد الفار»[٣].

وأما صيام شوال كله: ففى حديث رجل من قريش سمع النبى ﷺ يقول: **«من صام رمضان وشوالاً، والأربعاء والخميس دخل الجنة»**[٤]، وخرّجه الإمام أحمد والنسائى، وخرّج الإمام أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى من حديث مسلم القرش عن النبى ﷺ أنه سئل عن صيام الدهر؟ فقال: «إن لأهلك عليك

(١) **ضعيف**. رواه «الطبرانى» فى «الأوسط» (٧/ ٣١٥) رقم (٧٦٠٧) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣/ ١٨٤) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه من لم أعرفه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) **ضعيف جدا**. رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» (٣/ ٣٤٩) رقم (٣٧٣٧) وفى سنده إسماعيل بن بشير، قال العقيلى: متهم بالوضع كما فى «فيض القدير» (٤/ ٢٣١) وبقية بن الوليد يدلس تدليس التسوية ولم يصرح بالسماع.

(٤) **ضعيف**. رواه أحمد (٣/ ٤١٦، ٤/ ٧٨) والنسائى فى الصيام فى «الكبرى» (٢/ ١٤٧) رقم (٢٧٧٨) والبيهقى فى «الشعب» (٣/ ٣٩٦) رقم (٣٨٧٠) وفى سنده رجل لم يسم. وثابت بن زيد بن ثابت بن زيد بن أرقم، قال أحمد: له مناكير، وقال ابن حبان: الغالب على حديث الوهم لا يحتج إذا انفرد «الميزان» (٢/ ١٣٦٠).

حقا، فصم رمضان، والذى يليه وكل أربعاء وخميس فإذا أنت قد صمت الدهر، وأفطرت»[١]، وخرّج ابن ماجة بإسناد منقطع أن أسامة بن زيد كان يصوم الأشهر الحرم فقال له رسول الله ﷺ: «صم شوالاً»، فترك الأشهر الحرم ثم لم يزل يصوم شوالاً حتى مات[٢]. وخرّجه أبو يعلى الموصلى بإسناد متصل عن أسامة قال: كنت أصوم شهراً من السنة فقال لى رسول الله ﷺ: «أين أنت من شوال»، فكان أسامة إذا أفطر أصبح الغد صائماً من شوال حتى يأتى على آخر[٣]. وصيام شوال كصيام شعبان لأن كلا الشهرين حريم لشهر رمضان، وهما يليانه، وقد ذكرنا فى فضل صيام شعبان أن الأظهر أن صيامهما أفضل من صيام الأشهر الحرم والاختلاف فى ذلك. وإنما كان صيام رمضان وإتباعه بست من شوال يعدل صيام الدهر؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها. وقد جاء ذلك مفسراً من حديث ثوبان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «صيام رمضان بعشرة أشهر وصيام ستة أيام بشهرين فذلك صيام سنة»[٤]، يعنى رمضان وستة أيام من شوال بعده، خرَّجه الإمام أحمد والنسائى وهذا لفظه، وابن حبان فى صحيحه، وصححه أبو حاتم الرازى، وقال الإمام أحمد: ليس فى حديث الرازى أصح منه وتوقف فيه فى رواية أخرى ولا فرق فى ذلك بين أن يكون شهر رمضان ثلاثين أو تسعاً وعشرين وعلى هذا حمل بعضهم قول النبى ﷺ: «شهرا عيد لا ينقصان رمضان وذو الحجة»[٥]. وقال: المراد كمال آخره، سواء كان ثلاثين أو تسعا

---

(١) **ضعيف**. رواه أبو داود (٢٤٣٢) والترمذى (٤٧٨) والنسائى فى «الصيام» فى «الكبرى» (٢/ ١٤٧) رقم (٢٧٧٩، ٢٧٨٠) وفى سنده عبيد الله بن مسلم القرشى، وهو لم يوثقه غير ابن حبان.

(٢) **ضعيف**. رواه ابن ماجه (١٧٤٤) كتاب الصيام، باب: صيام الأشهر الحرام. ورفى سنده انقطاع بين محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى وأسامة بن زيد رضى الله عنه.

(٣) ذكره البخارى تعليقًا فى «التاريخ الكبير» (١/ ٢٠) وفى سنده ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه. ولم أقف عليه فى «مصنف أبى يعلى» المطبوع فلعله فى «مصنفه الكبير» وهو لم يطبع بعد.

(٤) **صحيح**. رواه أحمد (٥/ ٢٨٠) والدارمى (٢/ ٢١) وابن ماجه (١٧١٥). والطحاوى فى «مشكل الآثار» (٣/ ١١٩ - ١٢٠) والنسائى فى «الكبرى» (٢/ ١٦٢, ١٦٣) رقم (٢٨٦٠, ٢٨٦١) والخطيب فى «تاريخه» (٢/ ٣٦٢).

(٥) رواه البخارى (١٩١٢) كتاب الصوم، باب: شهرا عيد لا ينقصان. ومسلم (٢٤٩٠) كتاب الصيام، باب: بيان معنى قوله ﷺ «شهرا عيد لا ينقصان» وأبو داود فى «الصوم» (٢٣٢٣) باب: الشهر يكون تسعًا وعشرين. والترمذى فى «الصوم» (٦٩٢) باب: ما جاء شهرا عيد لا ينقصان. وابن ماجه فى «الصيام» (١٦٥٩) باب: ما جاء فى شهرى العيد.

وعشرين وأنه إذا أتبع بستة أيام من شوال فإنه يعدل صيام الدهر على كل حال، وكره إسحاق بن راهويه أن يقال لشهر رمضان: أنه ناقص، وإن كان تسعاً وعشرين لهذا المعنى، فإن قال قائل: فلو صام هذه الستة أيام من غير شوال يحصل له هذا الفضل؟ فكيف خص صيامها من شوال؟ قيل: صيامها من شوال يلتحق بصيام رمضان فى الفضل فيكون له أجر صيام الدهر فرضاً، ذكر ذلك ابن المبارك وذكر: أنه فى بعض الحديث حكاه عنه الترمذى فى جامعه، ولعله أشار إلى ما روى عن أم سلمة رضى الله عنها: أن من صام الغد من يوم الفطر فكأنما صام رمضان.

وفى معاودة الصيام بعد رمضان فوائد عديدة منها: أن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله كما سبق. ومنها: أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها فيكمل بذلك ما حصل فى الفرض من خلل ونقص، فإن الفرائض تجبر أو تكمل بالنوافل يوم القيامة كما ورد ذلك عن النبى ﷺ من وجوه متعددة، وأكثر الناس فى صيامه للفرض نقص وخلل فيحتاج إلى ما يجبره ويكمله من الأعمال؛ ولهذا نهى النبى ﷺ «أن يقول الرجل، صمت رمضان كله أو قمته كله»، قال الصحابى فلا أدرى أكره التزكية أم لابد من الغفلة[1]. وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: من لم يجد ما يتصدق به فليصم، يعنى من لم يجد ما يخرجه صدقة الفطر في آخر رمضان فليصم بعد الفطر فإن الصيام يقوم مقام الإطعام فى التكفير للسيئات كما يقوم مقامه فى كفارات الأيمان وغيرها من الكفارات فى مثل كفارات القتل والوطء فى رمضان والظهار، ومنها: أن معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان فإن الله إذا تقبل عـمل عبـد وفقه لعمل صالح بعده، كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بعد بحسنة كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى، كما أن من عمل حسنة ثم

---

(١) سبق تخريجه.

أتبعها بسيئة ردّ الحسنة وعدم قبولها. ومنها: أن صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب كما سبق ذكره وأن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم فى يوم الفطر وهو يوم الجوائز فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرا لهذه النعمة، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب كان النبى ﷺ يقوم حتى تتورم قدماه فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[1]، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره وغير ذلك من أنواع شكره فقال: ﴿**ولتُكملوا العدة ولتُكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**﴾[2]، فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكراً عقب ذلك. كان بعض السلف إذا وفق لقيام ليلة من الليالى أصبح فى نهاره صائماً ويجعل صيامه شكراً للتوفيق للقيام. وكان وهب بن الورد يسأل عن ثواب شىء من الأعمال كالطواف ونحوه؟ فيقول: لا تسألوا عن ثوابه ولكن أسألوا ما الذى على من وفق لهذا العمل من الشكر للتوفيق والإعانة عليه.

إذا أنت لم تزدد على كل نعمة   لموليكَها شكراً فلست بشاكر

كل نعمة على العبد من الله فى دين أو دنيا يحتاج إلى شكر عليها ثم التوفيق للشكر عليها نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان ثم التوفيق للشكر الثانى نعمة أخرى يحتاج إلى شكر آخر، وهكذا أبداً فلا يقدر العبد على القيام بشكر النعم. وحقيقة الشكر الاعتراف بالعجز عن الشكر كما قيل:

إذا كان شكرى نعمةَ الله نعمةً   علىَّ له فى مثلها يجبُ الشكـر

فكيـف بلوغُ الشكر إلاَّ بفضله   وإن طالت الأيام واتصل العمر

قال أبو عمرو الشيبانى: قال موسى عليه السلام يوم الطور: يارب إن أنا صليت فمن قبَلك وإن أنا تصدقت فمن قِبَلك، وإن بلغت رسالاتك فمن قبلك، فكيف أشكرك؟ قال: يا موسى الآن شكرتنى، فأما مقابله نعمة التوفيق كصيام

---

(١) رواه البخارى (٦٣٧١) كتاب الرقاق، باب: الصبر عن محارم الله. ومسلم (٦٩٨٦) كتاب صفة القيامة، باب: اكثار الأعمال والاجتهاد فى العبادة. وأحمد (٤/ ٢٥١، ٢٥٥) والترمذى فى «الصلاة» (٤١٢) باب: ما جاء فى الاجتهاد وفى الصلاة. وابن ماجه فى «الصلاة» (١٤١٩) باب: ما جاء فى طول القيام فى الصلوات من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه.

(٢) سورة البقرة: آية ١٨٥.

شهر رمضان بارتكاب المعاصى بعده فهو من فعل من بدل نعمة الله كفراً، فإن كان قد عزم فى صيامه على معاودة المعاصى بعد انقضاء الصيام، فصيامه عليه مردود وباب الرحمة فى وجهه مسدود. قال كعب: من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر من رمضان لم يعص الله دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب، ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر عصى ربه فصيامه عليه مردود، ومنها أن الأعمال التى كان العبد يتقرب بها إلى ربه فى شهر رمضان لا تنقطع بانقضاء رمضان بل هي باقية بعد انقضائه ما دام العبد حيا. وهذا معنى الحديث المتقدم: أن الصائم بعد رمضان كالكار بعد الفار يعنى كالذى يفرّ من القتال فى سبيل الله ثم يعود إليه؛ وذلك لأن كثيراً من الناس يفرح بانقضاء شهر رمضان لاستثقال الصيام وملله وطوله عليه ومن كان كذلك فلا يكاد يعود إلى الصيام سريعاً، فالعائد إلى الصيام بعد فطره يوم الفطر يدل عوده على رغبته فى الصيام وأنه لم يمله ولم يستثقله ولا تكره به. وفى حديث خرّجه الترمذى مرفوعاً: «أحب الأعمال إلى الله الحال المرتحل»[1]، وفسّر بصاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره، ومن آخره إلى أوله كلما حل ارتحل والعائد إلى الصيام سريعاً بعد فراغ صيامه شبيه بقارئ القرآن، إذا فرغ من قراءته ثم عاد فى المعنى، والله أعلم. وقيل لبشر: إن قوماً يتعبدون ويجتهدون فى رمضان فقال: بئس القوم لا يعرفون لله حقا إلاً فى شهر رمضان إن الصالح الذى يتعبد ويجتهد السنة كلها. سئل الشبلى: أيما أفضل رجب أو شعبان؟ فقال: كن ربانيا ولا تكن شعبانيا، كان النبى ﷺ عمله ديمة وسئلت عائشة رضى الله عنها: هل كان يخص يوما من الأيام؟ فقالت: لا كان عمله ديمة[2] وقالت: كان النبى ﷺ لا يزيد فى رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة[3] وقد كان النبى ﷺ يقضى مافاته من أوراده فى رمضان فى شوال فترك

(١) ضعيف. رواه الترمذى (٢٩٤٨) كتاب القراءات، باب: ١٣ من حديث ابن عباس رضى الله عنه وفى سنده الهيثم بن الربيع وهو ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ٣٢٧).

(٢) رواه البخارى (٦٤٦٦) كتاب الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، وقال الحافظ: الديمة فى الأصل المطر المستمر مع سكون بلا رعد ولا برق، ثم استعمل فى غيره.

(٣) رواه البخارى (١١٤٧) كتاب الصلاة، باب: قيام النبى ﷺ بالليل فى رمضان وغيره. ومسلم (١٦٩٢) كتاب الصلاة، باب: صلاة الليل وأحمد (٦/ ٣٦، ٧٣، ١٠٤) وأبو داود فى «الصلاة» (٣١٤١) باب: فى صلاة الليل. والترمذى فى «الصلاة» (٤٣٩) باب ماجاء فى وصف صلاة النبى ﷺ بالليل، والنسائى فى «الصلاة» (٣/ ٢٣٣) باب: كيف الوتر بواحدة.

فى عام اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ثم قضاه فى شوال فاعتكف العشر الأول منه،[1] وسأل رجل أهل صام من شهر شعبان فى شوال. وقد تقدم عن أم سلمة أنها كانت تأمر أهلها من كان قضاء من شهر رمضان فليبدأ أن يقضيه الغد من يوم الفطر، فمن كان عليه قضاء من شهر رمضان فليبدأ بقضائه فى شوال فإنه أسرع لبراءة ذمته وهو أولى من التطوع بصيام ستة من شوال فإن العلماء اختلفوا فيمن عليه صيام مفروض هل يجوز أن يتطوع قبله أولاً، وعلى قول من جوز التطوع قبل القضاء فلا يحصل مقصود صيام ستة أيام من شوال إلاَّ لمن أكمل صيام رمضان ثم أتبعه بست من شوال، فمن كان عليه قضاء من رمضان ثم بدأ بصيام ست من شوال حيث لم يكمل عدة رمضان لم يحصل له ثواب من صام رمضان، ثم أتبعه بست من شوال كما لا يحصل لمن أفطر رمضان لعذر بصيام ستة من شوال آخر صيام السنة بغير إشكال. ومن بدأ بالقضاء فى شوال ثم أراد أن يتبع ذلك بصيام ستة من شوال بعد تكميله قضاء رمضان كان حسناً لأنه يصير حينئذ قد صام رمضان وأتبعه بست من شوال، ولا يحصل له فضل صيام ست من شوال بصوم قضاء رمضان؛ لأن صيام الست من شوال إنما تكون بعد إكمال عدة رمضان. عمل المؤمن لا ينقضى حتى يأتيه أجله. قال الحسن: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت، ثم قرأ: **﴿واعبدْ ربك حتى يأتيك اليقين﴾**[2]. هذه الشهور والأعوام والليالى والأيام كلها مقادير الآجال، ومواقيت الأعمال ثم تنقضى سريعاً وتمضى جميعاً والذى أوجدها وابتدعها وخصها بالفضائل وأودعها باق لا يزول، ودائم لا يحول هو فى جميع الأوقات إله واحد، ولأعمال عباده رقيب مشاهد، فسبحان من قلب عباده فى اختلاف الأوقات بين وظائف الخدم يسبغ عليهم فيها فواضل النعم، ويعاملهم بنهاية الجود والكرم. لما انقضت الأشهر الحرم الثلاثة الكرام التى أولها الشهر الحرام وآخر شهر الصيام أقبلت الأشهر الثلاثة أشهر الحج إلى بيت الله الحرام، فكما أن من صام رمضان وقامه غفر له ما تقدم من ذنبه، فمن حج البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من

---

(١) رواه البخارى (٢٠٣٣) كتاب الاعتكاف، باب: اعتكاف النساء. ومسلم (٢٧٣٠) كتاب الاعتكاف، باب: متى يدخل من أراد الاعتكاف معتكفه. وأحمد (٦/ ٢٢٦) وأبو داود فى «الصوم» (٢٤٦٤) باب: الاعتكاف. والترمذى فى «الصيام» (٧٩١) باب: ما جاء فى الاعتكاف. والنسائى فى «الصلاة» (٢/ ٤٤) باب: حزب الخباء فى المسجد. وابن ماجه فى «الصوم» (١٧٧١) باب: ما جاء فيمن يبتدئ الاعتكاف. من حديث عائشة رضى الله عنها.

(٢) سورة الحجر: آية ٩٩.

ذنوبه كيوم ولدته أمه، فما يمضى من عمر المؤمن ساعة من الساعات إلا والله فيها عليه وظيفة من وظائف الطاعات فالمؤمن بين هذه الوظائف، ويتقرب بها إلى مولاه وهو راج خائف، المحب لا يمل من التقرب بالنوافل إلى مولاه ولا يأمل إلاّ قربه ورضاه.

ما للمحب سوى إرادة حبه   إن المحب بكل أمر يضرع

كل وقت يخليه العبد من طاعة مولاه فقد خسره، وكل ساعة يغفل فيها عن ذكر الله تكون عليه يوم القيامة ترة. فوا أسفاه على زمان ضاع فى غير طاعته وواحسرتاه على قلب بات فى غير خدمته.

من فاته أن يـــراك يوماً   فكل أوقاتـــه فـــوات
وحيثما كنت من بلاد   فلى إلى وجهك التفات
إليكم هجرتى وقصدى   وأنتم الموت والحـــياة
أمنت أن توحشوا فؤادى   فآنسوا مـقلـتى ولات

من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها، فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى، وعلامة ردها أن يعقب تلك الطاعة بمعصية. ما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها، وأحسن منها الحسنة بعد الحسنة تتلوها، وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها. ذنب واحد بعد التوبة أقبح من سبعين ذنباً قبلها، النكسة أصعب من الضعفة، وربما أهلكت. سلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات وتعوذوا به من تقلب القلوب، ومن الحور بعد الكور، وما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة، وأوحش منه فقر الطمع بعد غنى القناعة، ارحموا عزيز قوم بالمعاصى ذل، وغنى قوم بالذنوب افتقر.

ترى الحى الأولى بانوا   على العهد كما كانوا
أم الدهر بهم خـــانوا   ودهر المـــرء خـــوان
إذا عز بغـــير الله يو   مـــا معشر هـــانوا

يا شبان التوبة لا ترجعوا إلى ارتضاع ثدى الهوى من بعد الفطام، فالرضاع إنما يصلح للأطفال لا للرجال ولكن لابد من الصبر على مرارة الفطام، فإن

صبرتم تعوضتم عن لذة الهوى بحلاوة الإيمان فى القلوب من ترك شيئاً لله لم يجد فقده عوضه الله خيراً منه: **﴿إنْ يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم﴾**(1) وفى الحديث: «النظر سهم مسموم من سهام إبليس من تركه مَن خوف الله أعطاه إيماناً يجد حلاوته فى قلبه»(2)، خرَّجه الإمام أحمد، وهذا الخطاب للشباب، فأما الشيخ إذا عاود المعاصى بعد انقضاء رمضان فهو أقبح وأقبح؛ لأن الشباب، يؤمل معاودة التوبة فى آخر عمره وهو مخاطر فإن الموت قد يعاجله وقد يطرقه بغتة، وأما الشيخ فقد شارف مركبه على ساحل بحر المنون فماذا يؤمل.

نعى لك ظل الشباب المشيب	ونادتك باسم سواك الخطوب
فكن مستعدا لداعى الفناء	فكل الذى هو آت قريب
ألسنا نرى شهوات النفو	س تفنى وتبقى علينا الذنوب
يخاف على نفسه من يتوب	فكيف يكون الذى لا يتوب

●●●●●

---

(1) سورة الأنفال: آية ٧٠.

(2) ضعيف. رواه الطبرانى فى «الكبير» (١٠/ ٢١٤) رقم (١٠٣٦٢) والحاكم (٤/ ٣١٣، ٣١٤) والقضاعى فى «مسند الشهاب» (٢٩٢) وفى سنده عبد الرحمن بن إسحاق الواسطى وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ٤٧٢) وفى سند الحاكم والقضاعى إسحاق بن عبد الواحد القرشى الموصلى، وهو متروك كما فى «الميزان» وذكر له الذهبى هذا الحديث.

وأما قول المصنف ـ رحمه الله ـ خرَّجه أحمد، فالذى رواه أحمد فى مسنده بلفظ غير الذى ساقه المصنف. وهو «مامن مسلم ينظر إلى امرأة أول نظرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها» رواه أحمد (٥/ ٢٦٤) والرويانى فى «مسنده» (٢/ ٢٨٤) رقم (١٢١٢) وفى سنده عبيد الله بن زحر وعلى يزيد الألهانى والقاسم أبو عبد الرحمن» وقد قال ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ٦٢ ـ ٦٣) عبيد الله بن زحر منكر الحديث جدا، يروى الموضوعات عن الأثبات، وإذا روى عن على بن يزيد أتى بالطامات، وإذا اجتمع فى إسناد خبر عبيد الله بن زحر وعلى بن يزيد والقاسم أبو عبد الرحمن لا يكون متن ذلك الخبر إلا مما عملت أيديهم»

المجلس الثانى فى ذكر الحج وفضله والحث عليه

فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**أفضل الأعمال إيمان بالله ورسوله، ثم جهاد فى سبيل الله، ثم حج مبرور**»[(١)]. هذه الأعمال الثلاثة ترجع فى الحقيقة إلى عملين: **أحدهما**: الإيمان بالله ورسوله وهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كما فسر النبى ﷺ الإيمان بذلك فى سؤال جبريل وفى غيره من الأحاديث، وقد ذكر الله تعالى الإيمان بهذه الأصول فى مواضع كثيرة من كتابه كأول البقرة ووسطها وآخرها.
والعمل الثانى: الجهاد فى سبيل الله تعالى، وقد جمع الله بين هذين الأصلين فى مواضع من كتابه، كقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا هَل أدلكم عَلى تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم**﴾[(٢)] . . . الآية، وفى قوله: ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون**﴾[(٣)].
وقد صح عن النبى ﷺ من غير وجه: «**أن أفضل الأعمال: الإيمان بالله والجهاد فى سبيل الله**»، فالإيمان المجرد يدخل فيه الجوارح عند السلف وأهل الحديث، والإيمان المقرون بالعمل يراد به التصديق مع القول وخصوصا إنْ قرن الإيمان بالله بالإيمان برسوله كما فى هذا الحديث، فالإيمان القائم بالقلوب أصل كل خير وهو خير ما أوتيه العبد فى الدنيا والآخرة وبه يحصل له سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شقاوة الدنيا والآخرة، ومتى رسخ الإيمان فى القلب انبعثت الجوارح كلها بالأعمال الصالحة واللسان بالكلام الطيب كما قال النبى ﷺ: «**ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب**»[(٤)]، ولا صلاح للقلب بدون الإيمان بالله وما يدخل فى مسماه من معرفة

---

(١) رواه البخارى (١٥١٩) كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور. ومسلم (٢٤٣) كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال والنسائى فى «الحج» (٥/ ١١٣) باب فضل الحج وفى «الجهاد» (٦/ ١٩) باب ما يعدل الجهاد فى سبيل الله عز وجل.

(٢) سورة الصف: آية ١٠ ـ ١١.

(٣) سورة الحجرات: آية ١٥.

(٤) رواه البخارى (٢٠٥١) كتاب البيوع، باب: الحلال بين الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات. ومسلم (٤٠١٧) كتاب البيوع باب: أخذ الحلال وترك الشبهات: وأحمد (٤/ ٢٦٧, ٢٦٩) و٢٧و٢٧١) وأبو داود فى البيوع(٣٣٢٩) باب: فى اجتناب الشبهات والترمذى فى البيوع «(٧/ ٢٤١) باب: اجتناب الشبهات فى الكسب. وابن ماجة فى (الفتن) (٣٩٨٤) باب: الوقوف عند الشبهات. من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه

الله وتوحيده وخشيته ومحبته ورجائه وإجابته والإنابة إليه والتوكل عليه. قال الحسن: ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكنه بما وقر فى الصدور وصدقته الأعمال، ويشهد لذلك قوله تعالى: **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون. الذين يقيمون الصلاة ومِمَّا رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا﴾**[1] وفى هذا يقول بعضهم:

ما كُـــلُّ من زَوَّقَ لى قَوْلَه	يُغُّرنى يا صَـــــاح تزويقُهُ
مَنْ حقَّقَ الإيمـــانَ فى قلبِه	لابُدَّ أن يظَهَر تحقيقُـــــهُ

فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه وحلاوته، ظهر ثمرة ذلك على لسانه وجوارحه فاستحلى اللسان ذكر الله وما والاه وسرعت الجوارح إلى طاعة الله، فحينئذٍ يدخل حب الإيمان فى القلب كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده فى اليوم الشديد حره للظمآن الشديد عطشه، ويصير الخروج من الإيمان أكره إلى القلوب من الإلقاء فى النار وأمر عليها من الصبر. ذكر ابن المبارك عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه دخل المدينة فقال لهم: مالى لا أرى عليكم يا أهل المدينة حلاوة الإيمان، والذى نفسى بيده لو أن دب الغابة وجد طعم الإيمان لرؤى عليه حلاوة الإيمان.

لو ذاق طعم الإيمان رضوى[2]	لكاد من جوده يميــــــد
قد حَمَّلونى تكليف عهــدٍ	يعجز عن حمله الحديدُ

فالإيمان بالله ورسوله وظيفة القلب واللسان ثم يتبعهما عمل الجوارح، وأفضلها الجهاد فى سبيل الله وهو نوعان: أفضلهما: جهاد المؤمن بعدوه الكافر وقتاله فى سبيل الله: فإن فيه دعوة له إلى الإيمان بالله ورسوله ليدخل فى الإيمان، قال الله تعالى: **﴿كُنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**[3]. قال أبو هريرة رضى الله عنه فى هذه الآية: يجيئون بهم فى السلاسل حتى يدخلونهم الجنة. وفى الحديث المرفوع: «عجب ربك من قوم

---

(١) سورة الأنفال: آية ٣ ـ ٤.
(٢) رضوى: جبل بالمدينة.
(٣) سورة آل عمران: آية ١١٠.

يقادون إلى الجنة بالسلاسل»[١]، فالجهاد فى سبيل الله دعاء الخلق إلى الإيمان بالله ورسوله بالسيف واللسان بعد دعائهم إليه بالحجة والبرهان. وقد كان النبى ﷺ فى أول الأمر لا يقاتل قوماً حتى يدعوهم، فالجهاد به تعلو كلمة الإيمان وتتسع رقعة الإسلام ويكثر الداخلون فيه، وهو وظيفة الرسل وأتباعهم وبه تصير كلمة الله هى العليا، والمقصود منه أن يكون الدين كله لله والطاعة له كما قال تعالى: **﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كُله لله﴾**[٢]، والمجاهد فى سبيل الله هو المقاتل لتكون كلمة الله هى العليا خاصة، والنوع الثانى من الجهاد: جهاد النفس فى طاعة الله كما قال النبى ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه فى الله»[٣]. وقال بعض الصحابة لمن سأله عن الغزو؟: ابدأ بنفسك فاغزها، وابدأ بنفسك فجاهدها. وأعظم مجاهدة النفس على طاعة الله عمارة بيوته بالذكر والطاعة قال الله تعالى: **﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلاَّ الله﴾**[٤]، وفى حديث أبى سعيد المرفوع: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ثم تلا الآية»[٥]، خرَّجه الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه. وقال الله تعالى: **﴿فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾**[٦]الآية.

والنوع الأول من الجهاد أفضل من هذا الثانى قال الله تعالى: **﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لايهدى القوم الظالمين. الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾**[٦]. وفى صحيح مسلم عن النعمان بن

---

(١) رواه البخارى (٣٠١٠) كتاب الجهاد والسير باب: الأسارى فى السلاسل.

(٢) سورة الأنفال: آية ٣٩

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٢١, ٢٢) والطبرانى فى «الكبير» (١٨/ ٧٩٦) وابن حيان (٤٨٦٢ ـ إحسان) والبزار (١١٤٣) والحاكم (١/ ١٠ـ ١١) وصححه ووافقه الذهبى وهو من حديث فضالة بن عبيد رضى الله عنه.

(٤) سورة التوبة : آية ١٨

(٥) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/ ٦٨) والترمذى (٢٦١٧و٣٠٩٣) وابن خزيمة (١٥٠٢) وابن ماجة(٨٠٢) وابن حبان (١٧٢١ ـ احسان) والحاكم (٢/ ٣٣٢) والبيهقى (٣/ ٦٦) وهو من رواية دراج عن أبى الهيثم، ورواية دراج عن أبى الهيثم ضعيفة كما فى «التقريب» (١/ ٢٣٥).

(٦) سورة النور: آية ٣٦، ٣٧.

بشير رضى الله عنه قال: كنت عند منبر النبى ﷺ فقال رجل: لا أبالى أن لا أعمل بعد الإسلام إلاَّ أن أسقى الحاج، وقال آخر: لا أبالى أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام، إلاَّ أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عزوجل: ﴿**أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر**﴾[1]. . . . إلى آخر الآية.[2]، فهذا الحديث الذى فيه ذكر سبب نزول هذه الآية يبين أن المراد أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى من أعمال النوافل والتطوع الجهاد، وإن الآية تدل على أن أفضل ذلك الجهاد مع الإيمان فدل على أن التطوع بالجهاد أفضل من التطوع بعمارة المسجد الحرام، وسقاية الحاج وعلى مثل هذا يحمل حديث أبى هريرة رضى الله عنه، هذا وأن الجهاد أفضل من الحج المتطوع به فإن فرض الحج تأخر عند كثير من العلماء إلى السنة التاسعة، ولعل النبى ﷺ قال هذا الكلام قبل أن يفرض الحج بالكلية، فكان حينئذ تطوعاً وقد قيل: إن الجهاد كان فى أول الإسلام فرض عين، فلا إشكال فى هذا على تقديمه على الحج قبل اقتراض فأما بعد أن صار الجهاد فرض كفاية والحج فرض عين فإن الحج المفترض حينئذ يكون أفضل من الجهاد، قال عبد الله بن عمرو بن العاص: حجة قبل الغزو أفضل من عشر غزوات، وغزوة بعد حجة أفضل من عشر حجات. وروى ذلك مرفوعاً [3]من وجوه متعددة فى أسانيدها مقال، وقال الصبى بن معبد: كنت نصرانيا فأسلمت فسألت أصحاب محمد ﷺ : الجهاد أفضل أم الحج؟ فقالوا: الحج. والمراد والله أعلم: أن الحج أفضل لمن لم يحج حجة الإسلام مثل هذا الذى أسلم، وقد يكون المراد بحديث أبى هريرة رضى الله عنه: أن جنس الجهاد أشرف من جنس الحج فإن عرض للحج وصف يمتاز به على الجهاد وهو كونه فرض عين صار ذلك الحج المخصوص أفضل من الجهاد وإلاَّ

---

(١) سورة التوبة : آية ١٩.

(٢) رواه مسلم (٤٧٨٨) كتاب الجهاد ، باب: فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى.

(٣) ضعيف: رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» (٤/ ١٠ ـ ١١) رقم (٤٢٢١) وفى سنده عبد الله بن صالح وهو كثير الغلط كما فى «التقريب» (١/ ٤٢٣).

فالجهاد أفضل والله أعلم. وقد دل حديث أبى هريرة رضى الله عنه على أن أفضل الأعمال بعد الجهاد فى سبيل الله جنس عمارة المساجد بذكر الله وطاعته، فيدخل فى ذلك الصلاة والذكر والتلاوة والاعتكاف وتعليم العلم النافع واستماعه، وأفضل من ذلك عمارة أفضل المساجد وأشرفها وهو المسجد الحرام بالزيارة والطواف، فلهذا خصه بالذكر وجعل قصده للحج أفضل الأعمال بعد الجهاد، وقد خرَّجه ابن المنذر ولفظه ثم حج مبرور أو عمرة. وقد ذكر الله تعالى هذا البيت فى كتابه بأعظم ذكر وأفخم تعظيم وثناء، قال الله تعالى: **﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مَقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أنْ طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والرّكع السجود﴾**[1]... الآيات وقال تعالى: **﴿إنّ أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهُدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومَن دَخله كان آمناً﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿وإذ بَوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئاً وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود. وأذّن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾**[3]، فعمارة سائر المساجد سوى المسجد الحرام، وقصدها للصلاة فيها، وأنواع العبادات من الرباط فى سبيل الله تعالى كما قال النبى ﷺ: **«إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»**[4]، فأما المسجد الحرام بخصوصه فقصده لزيارته وعمارته بالطواف الذى خصه الله به من نوع الجهاد فى سبيل الله عزوجل. وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت: يارسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد فقال: «لكن أفضل الجهاد حج مبرور»[5] يعنى أفضل جهاد النساء. رواه بعضهم: «لكن أفضل الجهاد حج مبرور»، فيكون صريحاً فى هذا المعنى. وقد خرّجه البخارى بلفظ آخر وهو: «جهادكن الحج»، وهو كذلك، وفى المسند وسنن

---

(١) سورة البقرة: آية ١٢٥. (٢) سورة آل عمران: آية ٩٦، ٩٧.

(٣) سورة الحج: آية ٢٦، ٢٧.

(٤) رواه مسلم (٥٧٦) كتاب الطهارة، باب: فضل اسباغ الوضوء على المكاره. وأحمد (٢/ ٢٣٥و ٢٧٧و ٣٠١، ٣٠٣، ٤٣٨) ومالك فى «الموطأ» (١/ ١٦١) والترمذى فى «الطهارة» (٥١) باب: ما جاء فى أسباب الوضوء.

(٥) رواه البخارى (١٥٢٠) كتاب الحج: باب: فضل الحج المبرور

ابن ماجه عن أم سلمة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «الحج جهاد كل ضعيف»[1]، وخرَّج البيهقى وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً: «جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج والعمرة»[2]. وفى حديث مرسل الحج جهاد والعمرة تطوع[3]، وفى حديث آخر مرسل خرّجه عبد الرزاق أن رجلاً قال للنبى ﷺ: إنى جبان لا أطيق لقاء العدو قال: «ألا أدلك على جهاد لا قتال فيه»، قال: بلى، قال: «عليك بالحج والعمرة»[4]. وخرَّج أيضاً من مراسيل على بن الحسين أن رجلاً سأل النبى ﷺ عن الجهاد، فقال: «ألا أدلك على جهاد لا شوكة فيه، الحج»[5]. وفيه عن عمر أنه قال: إذا وضعتم السروج يعنى من سفر الجهاد فشدوا الرحال إلى الحج والعمره فإنه أحد الجهادين[6]، وذكره البخارى تعليقاً، وقال ابن مسعود رضى الله عنه: إنما هو سرج ورحل، فالسرج فى سبيل الله والرحل والحج[7]؛ خرَّجه الإمام أحمد فى مناسكه. وإنما كان الحج والعمرة جهادا، لأنه يجهد المال والنفس والبدن كما قال أبو الشعثاء نظرت فى أعمال البر

---

(١) ضعيف: رواه أحمد (٦/ ٢٩٤و٣٠٣, ٣١٤) وابن ماجة (٢٩٠٢) وقد قال أحمد بن حنبل: لم يسمع محمد بن على من أم سلمة شيئا وكذا قال: أبو حاتم كما فى «المراسيل» (١٨٥)

(٢) حسن: رواه النسائى (٥/ ١١٣ ـ ١١٤) كتاب الحج ، باب: فضل الحج. والبيهقى فى «السنن الكبرى» (٩/ ٢٣) كتاب السير باب: من اعتذر بالضعف والمرض والزمانة، والغدر فى ترك الجهاد.

(٣) **ضعيف**: رواه البيهقى (٤/ ٣٤٨) مرسلاً عن أبى صالح الحنفى وقال الشافعى: هو منقطع. قال البيهقى: وقد روى من حديث شعبة عن معاوية بن اسحاق عن أبى صالح عن أبى هريرة موصولاً، والطريق فيه إلى شعبة طريق ضعيف ورواه محمد بن الفضل بن عطية بن سالم الأفطس عن ابن جبير عن ابن عباس مرفوعاً ومحمد هذا متروك ١٠هـ.

قلت: حديث ابن عباس رواه الطبرانى فى« الكبير» (١١/ ٤٤٢) رقم (١٢٢٥٢) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣/ ٢٠٥) فيه محمد بن الفضل بن عطية وهو كذاب ١٠هـ.

وقد ورد الحديث أيضاً موصولاً عن طلحة بن عبيد الله .رواه ابن ماجة (٢٩٨٩) وابن أبى حاتم فى «العلل» (١/ ٢٨٦) وفى سنده عمر بن قيس المكى المعروف بسندل وهو متروك كما فى «التقريب» (٢/ ٦٢) والحسن بن يحيى الخشنى قال ابن حبان: منكر الحديث جدا يروى عن الثقات ما لا أصل له وقال ابن أبى حاتم سألت أبى عن هذا الحديث؟ فقال: هذا حديث باطل.

(٤) **ضعيف**. رواه عبد الرزاق (٥/ ٨) رقم (٨٨١٠) عن عبد الكريم الجزرى مرسلا.

(٥) **سنده ضعيف والحديث صحيح** رواه عبد الرزاق (٥/ ٧ ـ ٨) (٨٨٠٩) عن على بن الحسين مرسلاً . وفى الجهاد (٥/ ١٧٤) رقم (٩٢٨٣) وسعيد بن منصور فى« السنن» (٢/ ١٣٤) رقم (٣٢٤٢) والحديث رواه الطبرانى فى «الكبير» (٣/ ١٤٧/ ٢٩١٠) وفى« الأوسط» (٤/ ٣٠٩/ ٤٢٨٧) عن الحسين بن على رضى الله عنه وسنده صحيح.

(٦) رواه عبد الرزاق (٥/ ٧) رقم (٨٨٠٨) وسعيد بن منصور (٢/ ١٣٦/ ٢٥٠) وذكره البخارى تعليقاً فى «الحج» (١٥١٦).

(٧) رواه سعيد بن منصور (السنن) (٢/ ١٣٦) رقم (٢٣٤٩)

فإذا الصلاة تجهد البدن دون المال والصيام كذلك والحج يجهدهما فرأيته أفضل. وروى عبد الرزاق بإسناده عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رجلاً سأله عن الحج قال: إن الحاج يشفع فى أربعمائة بيت من قومه، ويبارك فى أربعين من أمهات البعير الذى حمله، ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته زمه، فقال له رجل: يا أبا موسى إنى كنت أعالج الحج[1] وقد كبرت وضعفت فهل من شىء يعدل الحج فقال له: هل تستطيع أن تعتق سبعين رقبة مؤمنة من ولد إسماعيل؛ فأما الحل والرحيل: فلا أجد له عدلاً، أو قال مثلا[2]، وبإسناده عنه طاوس أنه سئل هل الحج بعد الفريضة أفضل أم الصدقة؟ قال: فأين الحل والرحيل، والسهر والنصب، والطواف بالبيت، والصلاة عنده، والوقوف بعرفة، وجمع ورمى الجمار، كأنه يقول الحج أفضل[3].

وقد اختلف العلماء فى تفضيل الحج تطوعاً أو الصدقة فمنهم من رجح الحج كما قال طاوس وأبو الشعثاء، وقال الحسن أيضاً. ومنهم من رجح الصدقة وهو قول النخعى، ومنهم من قال: إن كان ثم رحم محتاجه أو أمن مجاعة فالصدقة أفضل وإلاَّ فالحج. وهو نص أحمد،ورُوى عن الحسن معناه وإن صلة الرحم والنفس عن المكروب أفضل من التطوع بالحج، وفى كتاب عبد الرزاق بإسناد ضعيف عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ سئل عن رجل حج فأكثر أيجعل نفقته فى صلة أو عتق؟ فقال النبى ﷺ :«**طواف سبع لا لغو فيه يعدل رقبة**»[4]، وهذا يدل على تفضيل الحج.

واستدل من رأى ذلك أيضا بأ النفقة فى الحج أفضل من النفقة فى سبيل الله وفى مسند الإمام أحمد عن بريدة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**النفقة فى**

---

(١) أعالج: أى أزاول وأمارس الحج.

(٢) رواه عبد الرزاق (٥/ ٦ ـ ٧) رقم (٨٨٠٧)

(٣) ووراه عبد الرزاق (٥/ ١٢) رقم (٨٨٢٢)

(٤) ضعيف. رواه عبد الرزاق (٥/ ١٨) رقم (٨٨٣٣) وهو من رواية عطاء بن أبى رباح عن عائشة رضى الله عنها وعطاء لم يصرح أنه قد سمع الحديث من عائشة، وقد قال الإمام أحمد كما فى «تهذيب التهذيب» (٧/ ١٨٢) رواية عطاء عن عائشة لا يحتج بها إلا أن يقول سمعت.

الحج كالنفقة فى سبيل الله بسبعمائة ضعف»[1]. وخرَّجه الطبرانى من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «**النفقة فى سبيل الله الدرهم فيه بسبعمائة**»[2]: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ **ولا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة لله**﴾[3]، ففيه دليل على أن النفقة فى الحج والعمرة تدخل فى جملة النفقة فى سبيل الله، وقد كان بعض الصحابة جعل بعيره فى سبيل الله فأرادت إمرأته أن تحج عليه فقال لها النبى ﷺ: «حجى عليه، فإن الحج فى سبيل الله»[4]، وقد خرَّجه أهل المسانيد والسنن من وجوه متعددة وذكره فى آية الزكاة، كما هو أحد قولى العلماء فيعطى من الزكاة من لم يحج ما يحج به، وفى إعطائه لحج التطوع إختلاف بينهم أيضاً. وفى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[5] و فى المسند أن النبى ﷺ سئل أى الأعمال أفضل قال: «**إيمان بالله وحده ثم الجهاد ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال ما بين مطلع الشمس إلى مغربها**»[6]، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»[7]، فمغفرة الذنوب بالحج ودخول الجنة به مرتب على كون الحج مبرورا.

---

(١) **ضعيف**. رواه أحمد (٥/ ٣٥٥) والطبرانى فى «الأوسط» (٥/ ٢٦٥) رقم (٥٢٧٤) والبيهقى (٤/ ٣٣٢) وقال الهيثمى فى « المجمع» (٣/ ٢٠٨) رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط وفيه« أبو زهير» ولم أجد من ذكره.

(٢) **ضعيف**. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٦/ ٢٧) رقم (٥٦٩٤) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣/ ٢٠٨) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه من لم أعرفه.

(٣) سورة البقرة: آية ١٩٥، ١٩٦.

(٤) **صحيح**. رواه أبو داود (١٩٨٩) والترمذى(٩٣٩ والنسائى فى «الحج» فى «الكبرى» (٢/ ٤٧٣) رقم (٤٢٢٦) عن أم معقل رضى الله عنها .

(٥) رواه البخارى (١٧٧٣) كتاب العمرة،باب: العمرة. ومسلم (٣٢٣١) كتاب الحج، باب: فضل الحج والعمرة، وأحمد (٢/ ٤٦٢) ومالك فى «الموطأ» (١/ ٣٤٦) والنسائى فى «المناسك» (٥/ ١١٥) باب: فضل العمرة. وابن ماجة فى «المناسك» (٢٨٨٨) باب: فضل الحج والعمرة.

(٦) **صحيح**. رواه أحمد (٤/ ٣٤٢) عن ماعز رضى الله عنه

(٧) رواه البخارى (١٥٢١) كتاب الحج ، باب: فضل الحج،باب: فضل الحج المبرور. ومسلم (٣٢٣٣) كتاب الحج، باب: فضل الحج والعمرة وأحمد (٢/ ٢٢٩, ٤١٠و٤٨٤و٤٩٤) والترمذى فى «الحج» (٨١١) باب: ما جاء فى ثواب الحج والعمرة. والنسائى فى «المناسك» (٥/ ١١٤) باب: فضل الحج وابن ماجة فى «المناسك» (٢٨٨٩) باب: فضل الحج والعمرة. من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

وإنما يكون مبروراً باجتماع أمرين فيه أحدهما: الإتيان فيه بأعمال البر، والبر يطلق بمعنيين: أحدهما: بمعنى الإحسان إلى الناس كما يقال البر والصلة وضده العقوق. وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ سئل عن البر؟ فقال: «حسن الخلق»[1] وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول: إن البر شيء هين: وجه طليق وكلام لين، وهذا يحتاج إليه فى الحج كثيراً أعنى معاملة الناس بالإحسان بالقول والعفل. قال بعضهم: إنما سمى السفر سفرا؛ أنه يسفر عن أخلاق الرجال، وفى المسند عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «الحج المبرور ليس له جزاء إلاَّ الجنة» قالوا: وما بر الحج يا رسول الله؟ قال: «إطعام الطعام، وإفشاء السلام» وفى حديث آخر: «وطيب الكلام»[2]، وسئل سعيد بن جبير، أي الحاج أفضل؟ قال: من أطعم الطعام وكف لسانه، وقال الثورى: سمعت أنه من بر الحج، وفى مراسيل خالد بن معدان عن النبى ﷺ قال: «ما يصنع من يؤم هذا البيت إذا لم يكن فيه خصال ثلاثة: ورع يحجزه عما حرم الله، وحلم يضبط به جهله، وحسن صحابة لمن يصحب، وإلاَّ فلا حاجة لله بحجه»[3]. وقال أبو جعفر الباقر: ما يعبأ بمن يؤم هذا البيت إذا لم يأت بثلاثة: ورع يحجزه عن المعاصى الله، وحلم يكف بع غضبه، وحسن الصحابة لمن يصحبه من المسلمين، فهذه الثلاثة يحتاج رليها فى الأسفار خصوصا فى سفر الحج فمن كملها فقد كمل حجه وبر، ومن أجمع خصال البر التى يحتاج إليها الحاج وماوصَّى به النبى ﷺ أبا جزى الهجيمى فقال: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى، ولو أن تعطى صلة الحبل، ولو أن تعطى شسع النعل، ولو أن تنحهى الشى من طريق الناس يؤذيهم، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منطلق، ولو أن تلقى أخاك المسلم فتسلم عليه، ولو أن تؤنس الوحشان فى الأرض**»[4]، وفى الجملة: فخير الناس أنفعهم للناس وأصبرهم على أذى الناس كما وصف الله

---

(١) رواه مسلم (٦٣٩٦) كتاب البر والصلة، باب: تفسير البر والإثم. والترمذى فى «الزهد» (٢٣٨٩) باب: ما جاء فى البر والإثم.

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/ ٣٢٥, ٣٣٤) وفى سنده محمد بن ثابت بن أسلم البنانى وهو ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ١٤٨).

(٣) ضعيف لإرساله.

(٤) **صحيح**. رواه أحمد (٥/ ٦٣, ٦٤) وأبو داود (٤٠٨٤) والطيالسى (١٢٠٨) وانظر «الصحيحة» (٧٧٠)

المتقين بذلك فى قوله تعالى: ﴿**الذين يُنفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾[1]. والحاج يحتاج إلى مخالطة الناس والمؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل ممن لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم،[2] قال ربيعة: المروءة فى السفر بذل الزاد، وقلة الخلاف على الأصحاب وكثرة المزاح فى غير مساخط الله عزوجل. وجاء رجلان إلى ابن عون يودعانه ويسألانه أن يوصيهما فقال لهما: عليكما بكظم الغيظ، وبذل الزاد، فرأى أحدهما فى المنام: أن ابن عون أهدى إليهما حاتين والإحسان إلى الرفقة فى السفر أفضل من العبادة القاصرة، لا سيما إن احتاج العابد إلى خدمة إخوانه. وقد كان النبى ﷺ فى سفر فى حر شديد ومعه من هو صائم ومفطر فسقط الصوام، وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال النبى ﷺ: «**ذهب المفطرون اليوم بالأجر**»[3]، وروى أنه ﷺ كان فى سفر فرأى رجلاً صائما فقال له: «ما حملك على الصوم فى السفر؟ فقال: معى أبناى يرحلان بى ويخدمانى فقال له: «**ما زال لهما الفضل عليك**». وفى مراسيل أبى داود عن أبى قلابة رضى الله عنه قال: قدم ناس من أصحاب رسول الله ﷺ من سفر يثنون على صاحب لهم قالوا: ما رأينا مثل فلان قط ما كان فى مسير إلاّ كان فى قراءة ولا نزلنا منزلاً إلاّ كان فى صلاة قال: « فمن كان يكفيه ضيعته؟» حتى ذر، «ومن كان يعلف دابته؟» قالوا: نحن قال: «فكلكم خير منه»[4]، وقال مجاهد: صبحت ابن عمر فى السفر لأخدمه فكان يخدمنى، وكان كثير من السلف يشترط على أصحابه فى السفر أن يخدمهم اغتناماً لأجر ذلك، منهم: عامر بن عبد قيس، وعمر بن عتبة بن فرقد مع إجتهادهما فى العبادة فى أنفسهما، وكذلك كان إبراهيم بن أدهم يشترط على أصحابه فى السفر الخدمة والأذان، وكان رجل من الصالحين يصحب

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٣٤.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/٤٣) والبخارى فى «الأدب المفرد» (٣٨٨) والطيالسى(١٨٧٦) والطبرانى فى مكارم الأخلاق (٣٢) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

(٣)رواه البخارى (٢٨٩٠) كتاب الجهاد، باب: فضل الخدمة فى الغزو. ومسلم (٢٥٨١) كتاب الصيام، باب: أجر المفطر فى السفر إذا تولى العمل، والنسائى فى «الصوم» (٤/١٨٢) باب: فضل الإفطار فى السفر على الصيام.

(٤) **ضعيف لإرساله**. رواه أبو داود فى «المراسيل» (٣٠٦) وسعيد بن منصور فى «السنن» (٢٩١٩).

إخوانه فى سفر الجهاد وغيره فيشترط عليهم أن يخدمهم، فكان إذا رأى رجلاً يريد أن يغسل ثوبه قال له: هذا من شرطى فيغسله وإذا رأى من يريد أن يغسل رأسه قال: هذا من شرطى فيغسله، فلما مات نظروا فى يده فإذا فيها مكتوب من أهل الجنة فنظروا إليها فإذا هى كتابة بين الجلد واللحم. وترافق بهيم العجلى وكان من العبادين البكائين ورجل تاجر موسر فى الحج فلما كان يوم خروجهم للسفر بكى بهيم حتى قطرت دموعه على صدره ثم قطرت على الأرض وقال: ذكرت بهذه الرحلة ري الله ثم علا صوته بالنحيب فكره رفيقه التاجر منه ذلك وخشى أن يتنغص عليه سفره معه بكثرة بكائه، فلما قدما من الحج جاء الرجل الذى رافق بينهما إليه ليسلم عليهما فبدأ بالتاجر فسلم عليه وسأله عن حاله مع بهيم فقال له: والله ظننت إن فى هذا الخلق مثله، وكان والله يتفضل علىّ فى النفقة وهو معسر وأنا موسر ويتفضل علىّ فى الخدمة وهو شيخ ضعيف وأنا شاب، ويطبخ لى وهو صائم وأنا مفطر، فسأله عمّا كان يكرهه من كثرة بكائه فقال: والله ألفت ذلك البكاء وأشرب حبه قلبى حتى كنت أساعده عليه حتى تأذى بنا الرفقة ثم ألفوا ذلك فجعلوا إذا سمعونا نبكى بكوا، ويقول بعضهم لبعض: ما الذى جعلهما أولى بالبكاء منا والمصير واحد فجعلوا والله يبكون ونبكى ثم خرج من عنده فدخل على بهيم فسلم عليه وقال له: كيف رأيت صاحبك قال: خير صاحب من عنده فدخل على بهيم فسلم وقال له: كيف رأيت صاحبك قال: خير صاحب كثير الذكر لله طويل التلاوة للقرآن سريع الدمعة متحمل لهفوات الرفيق فجزاك الله عنى خيرا. وكان ابن المبارك يطعم أصحابه فى الأسفار أصيب الطعام وهو صائم وكان إذا أراد الحج من بلده مرٍّ وجمع أصحابه وقال: من يريد منكم الحج فيأخذ منهم نفقاتهم فيضعها عنده فى صندوق ويقفل عليه ثم يحملهم وينفق عليهم أوسع النفقة، ويطعمهم أطيب الطعام ثم يشترى لهم من مكة ما يريدون من الهدايا والتحف، ثم يرجع بهم إلى بلده فإذا وصلوا صنع لهم طعاماً ثم جمعهم عليه ودعا بالصندوق الذى فيه نفقاتهم فرد إلى كل واحد نفقته.

المعنى الثانى: مما يراد بالبر: فعل الطاعات كلها وضده الإثم، وقد فسر الله تعالى البر بذلك فى قوله: **﴿ولكنّ البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل**

والسائلين وفى الرقاب﴾[1]. . . الآية فتضمنت الآية: أن أنواع البر ستة أنواع من إستكملها فقد استكمل البر: **أولها**: الإيمان بأصول الإيمان الخمسة، **وثانيها**: إيتاء المال المحبوب لذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب، **وثالثها**: إقام الصلاة، **وربعها**: إيتاء الزكاة، **وخامسها**: الوفاء بالعهد، **وسادسها**: الصبر على البأساء والضراء وحين البأس، وكلها يحتاج الحاج إليها فإنه لا يصح حجه بدون الإيمان ولا يكمل حجه ويكون مبروراً بدون إقام الصلاة وإيتاء الزكاة فإن أركان الإسلام بعضها مرتبطة ببعض فلا يكمل الإيمان والإسلام حتى يؤتى بها كلها، ولا يكمل بر الحج بدون الوفاء بالعهود فى المعاقدات والمشاركات المحتاج إليها فى سفر الحج وإيتاء المال المحبوب لمن يحب الله إيتاءه ويحتاج مع ذلك إلى الصبر على ما يصيبه من المشاق فى السفر، فهذه خصال البر من أهمها للحاج: إقام الصلاة فمن حج من غير إقام الصلاة لا سيما إن كان حجه تطوعاً كان بمنزلة من سعى فى ربح درهم وضيع رأس ماله وهو ألوف كثيرة، وقد كان السلف يواظبون فى الحج على نوافل الصلاة، وكان النبى ﷺ يواظب على قيام الليل على راحلته فى أسفار كلها ويوتر عليها[2]. وحج مسروق فما نام إلاً ساجداً، وكان محمد بن واسع يصلى فى طريق مكة ليله أجمع فى محمله يومئ إيماء ويأمر حاديه أن يرفع صوته خلفه حتى يشغل عنه بسماع صوت الحادى فلا يتفطن له. وكان المغيرة بن الحكيم الصنعانى يحج من اليمن ماشياً وكان له ورد بالليل يقرأ فيه كل ليلة ثلث القرآن فيقف فيصلى حتى يفرغ من ورده ثم يلحق بالركب متى لحق، فربما لم يلحقهم إلا فى آخر النهار. سلام الله على تلك الأوراح رحمة الله على تلك الأشباح ما مثلنا ومثلهم إلاً كما قال القائل:

نزلوا بمكة فى قبائل هاشمٍ ونزلتُ بالبيداء أبعَدَ مَنْزِلِ

فنحن ما نأمر إلاً بالمحافظة على الصلاة فى أوقاتها ولو بالجمع بين الصلاتين المجموعتين فى وقت إحداهما بالأرض، فإنه لا يرخص لأحد أن يصلى صلاة

---

(١) سورة البقرة: آية ١٧٧.

(٢) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يُسبح على الراحلة قبل أى وجه توجه، ويوتر عليها، غير أنه لا يصلى عليها المكتوبة، رواه البخارى (١٠٩٨) ومسلم (١٥٨٩) وأبو داود (١٢٢٤) والنسائى (١/ ٢٤٣و٢/ ٦١).

الليل فى النهار، ولا صلاة النهار فى الليل، ولا أن يصلى على ظهر راحلته المكتوبة إلاَّ من خاف الانقطاع عن رفقته أو نحو ذلك مما يخاف على نفسه، فأما المريض ومن كان فى ماء وطين ففى صلاته على الراحلة اختلاف مشهور للعلماء وفيه روايتان عن الإمام أحمد، وأن يكون بالطهارة الشرعية بالوضوء بالماء مع القدرة عليه، والتميم عند العجز حسا أو شرعا، ومتى علم الله من عبد حرصه على إقام الصلاة علي وجهها أعانه قال بعض العلماء: كنت فى طريق الحج وكان الأمير يقف للناس كل يوم لصلاة الفجر فينزل فنصلى ثم نركب، فلما كان ذات يوم قرب طلوع الشمس ولم يقفوا للناس فناديهم فلم يلتفتوا إلى ذلك فتوضأت على المحمل ثم نزلت للصلاة على الأرض، ووطنت نفسى على المشى إلى وقت نزولهم للضحى وكانوا لا ينزلون إلى قريب وقت الظهر مع علمى بمشقة ذلك عليّ وإنى لا قدرة لى عليه، فلما صليت وقضيت صلاتى نظرت إلى رفقتى فإذا هم وقوف وقد كانوا لو سئلو ذلك لم يفعلوه، فسألتهم عن سبب وقوفهم؟ فقالوا: لما نزلت تعرقلت مقاود الجمال بعضها فى بعض فنحن فى تخليصها إلى الآن قال: فجئت وركبت وحمدت الله عزوجل وعلمت أنه ما قدّم أحد حق الله على هوى نفسه وراحتها إلاَّ رأى سعادة الدنيا والآخرة، ولا عكس أحد ذلك فقدم نفسه على حق ربه إلاَّ ورأى الشقاوة فى الدنيا والآخرة واستشهد بقول القائل:

والله ما جئتكم زائراً ... إلاَّ وجدت الأرض تطوى لى
ولا ثنيت العزم عن بابكم ... إلاَّ تـعثـرت بأذيـالـــــــى

ومن أعظم أنواع بر الحج كثرة ذكر الله تعالى فيه وقد أمر الله تعالى بكثرة ذكره فى إقامته مناسك الحج مرة بعد أخرى،وقد روى أن النبىﷺ، سئل: أى الحاج أفضل؟ قال: «أكثرهم لله ذكراً»[1] خرَّجه الإمام أحمد وروى مرسلاً من وجوه متعددة وخصوصا كثرة الذكر فى حال الإحرام بالتلبية والتكبير، وفى

---

(١) ضعيف: رواه أحمد (٣/٤٣٨) والطبرانى فى «الكبير» (٢٠/١٨٦) رقم (٤٠٧) من حديث معاذ بن أنس الجهنى رضى الله عنه، وفى سنده زبان بن فايد وابن لهيعة وهما ضعيفان.

الترمذي وغيره عن النبي ، قال: «**أفضل الحج العج والثج**»[1]. وفي حديث جبير ابن مطعم المرفوع: «عُجّوا التكبير عجا، وثجوا الإبل ثجاً». فالعج: رفع الصوت بالتكبير والتلبية، والثج إراقة دماء الهدايا والنسك والهدى من أفضل الأعمال، قال الله تعالى: ﴿**والبُدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير**﴾[2]... الآية وقال تعالى: ﴿**ومَن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**﴾[3]. وأهدى النبي ﷺ في حجة الوداع مائة بدنه وكان يبعث الهدى إلى منى فتنحر عنه وهو مقيم بالمدينة. الأمر الثاني مما يكمل ببر الحج اجتناب أفعال الإثم فيه من الرفث والفسوق والمعاصي، قال الله تعالى: ﴿**فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾[4]. وفي الحديث الصحيح: «**من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»[5]. وقد سبق حديث: «**من لم يكن له ورع يحجزه عن معاصي الله فليس لله حاجة في حجه**»[6]. فما تزود حاج ولا غيره أفضل من زاد التقوى، ولا دعي للحاج عند توديعه بأفضل من التقوى. وقد روى أن النبي ﷺ ودع غلاماً للحج فقال له: «**زودك الله بالتقوى**»[7]. قال بعض السلف لمن ودعه: اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشة عليه. وقال آخر: لمن ودعه للحج أوصيك بما وصّى به النبي ﷺ معاذاً حين ودعه: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»[8]. وهذه وصية جامعة لخصال البر كلها ولأبي الدرداء رضي الله عنه:

يريد المرء أن يؤتى مناهُ ... ويأبى الله إلاَّ ما أرادا

يقول المرء فائدتي ومالي ... وتقوى الله أفضل ما استفادا

---

(١) حسن. رواه الترمذي (٨٢٧) وابن ماجة (٣٩٢٤) من حديث أبي بكر رضي الله عنه. وله شاهد من حديث عبد الله بن مسعود. رواه أبو يعلى (٩/ ١٩) رقم (٥٠٨٦).

(٢) سورة الحج: آية ٣٦. (٣) سورة الحج: آية ٣٢. (٤) سورة البقرة: آية ١٩٧.

(٥) سبق تخريجه. (٦) سبق تخريجه.

(٧) **ضعيف**. رواه الطبراني في «الكبير (١٢/ ٢٩٢) رقم (١٣١٥١) وفي «الأوسط» (٥/ ١٦) رقم (٤٥٤٨ وفي سنده مسلمة بن سالم ضعفه الدار قطني كما قال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢١١)

(٨) حسن. رواه أحمد (٥/ ١٥٣, ١٥٨و١٧٥) والترمذي (١٩٨٧) والحاكم (١/ ٥٤) والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٤٥) رقم (٨٠٢٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه. ورواه أحمد (٥/ ٢٣٦) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٤٤ ـ ١٤٥) رقم (٢٩٦و٢٩٧و٢٩٨) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

ومن أعظم ما يجب على الحاج اتقاؤه من الحرام وأن يطيب نفقته فى الحج وأن لا يجعلها من كسب حرام. وقد خرَّج الطبرانى وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً: «**إذا خرج الرجل حاجا بنفقته طيبة ووضع رجله فى الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور، وإذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء: لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك غير مبرور**»[1]. مات رجل فى طريق مكة فحفروا له فدفنوه ونسوا الفاس فى لحده فكشفوا عنه التراب ليأخذوا الفاس فإذا رأسه وعنقه قد جمعا فى حلقة الفاس فردُّوا عليه التراب ورجعوا إلى أهله فسألوهم عنه فقالوا: صحب رجلاً فأخذ ماله فكان منه يحج ويغزو.

إذا حججت بمال أصله سحتُ ... فما حججت ولكن حجت العيرُ

لا يقبلُ اللهُ إلاَّ كـل طَّيبة ... ما كُـلُّ من حج بيت الله مبرورُ

ومما يجب اجتنابه على الحاج وبه يتم بِر حجه أن لا يقصد بحجه رياء ولا سمعة ولا مباهات ولا فخراً ولا خيلاء ولا يقصد به إلاَّ وجه الله ورضوانه ويتواضع فى حجه ويستكين ويخشع لربه. روى عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ حج على رحل رث وقطيفة ما تساوى أربعة دراهم وقال: «**اللهم اجعلها حجة لا رياء فيها ولا سمعة**»[2]. وقال عطاء: صلى رسول الله ﷺ الصبح بمنى غداة عرفة ثم غدا إلى عرفات وتحته قطيفة اشتريت له بأربعة دراهم وهو

---

(١) **ضعيف**. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٥/ ٢٥١) رقم (٥٢٢٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.
وقال الهيثمى فى «المجمع» (١٠/ ٢٩٣) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه سليمان بن داود اليمامى وهو ضعيف.

(٢) **صحيح**. رواه الترمذى فى «الشمائل» (٣٣٥) وابن ماجة (٢٨٩٠) وابن أبى شيبة (٤/ ١٠٦) وابن سعد فى «الطبقات»،(٢/ ١٧٧) وأبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ٣٠٨) والأصبهانى فى «الترغيب والترهيب» (٢/ ١٦) رقم (١٠٥٦) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه.
ورواه الطبرانى فى «الأوسط» (٢/ ٩٩) رقم (١٣٧٨) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.
ورواه البيهقى فى «السنن»(٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) وهذه الطرق وإن كانت لا تخلو من ضعف ولكن بمجموعها، يصح الحديث. والله أعلم. وانظر «الصحيحة» (٢٦١٧).

يقول: **«اللهم اجعلها حجة مبرور متقبلة لا رياء فيها ولا سمعة»**[١]. وقال عبد الله بن الحارث: ركب رسول الله ﷺ رحلاً فاهتز به فتواضع لله عزوجل وقال: **«لبيك لاعيش إلاَّ عيش الآخرة»**[٢] قال رجل لابن عمر: ما أكثر الحاج فقال ابن عمر: ما أقلهم. ثم رأى رجلاً على بعير على رحل رث خطامه حبل فقال: لعل هذا، وقال شريح: الحاج قليل والركبان كثير ما أكثر من يعمل الخير ولكن ما أقل الذين يريدون وجهه.

خليلى قطاع الفيافى إلى الحمى	كثير وأمــا الواصلون قـليل
وجوهٌ عليها للقبول عــــلامة	وليس على كل الوجوه قبول

كان بعض المتقدمين يحج ماشيا على قدميه كل عام ليلة نائماً على فراشه فطلب منه أمه شربة ماء فصعب على نفسه القيام من فراشه لسقى أمه الماء فتذكر حجة ماشياً كل عام وأنه لا يشق عليه فحاسب نفسه فرأى أنه لا يهونه عليه إلا رؤية الناس له ومدحهم إياه فعلم أنه كان مدخولاً. قال بعض التابعين: رب محرم يقول: لبيك اللهم لبيك، فيقول الله: لا لبيك ولا سعديك هذا مردود عليك. قيل له: لم؟ قال: لعله إشترى ناقة بخمسمائة درهم ورحلاً بمائتى درهم ومفرشا بكذا وكذا ثم ركب ناقته ورجّل رأسه ونظر فى عطفيه، فذلك الذى يرد عليه. ومن هنا استحب للحاج أن يكون شعثا أغبر وفى حديث المباهاة يوم عرفة أن الله تعالى يقول لملائكته: «انظروا إلى عبادى آتونى شعثا غبرا ضاحين، اشهدوا أنى قد غفرت لهم»[٣]. قال عمر يوماً وهو بطريق مكة: تشعثون وتغبرون وتتفلون وتضحون لا تريدون بذلك شيئاً من عرض الدنيا ما نعلم سفراً خيراً من هذا يعنى

---

(١) **ضعيف لإرساله.** (٢) **ضعيف لإرساله.**

(٣) **ضعيف.** رواه ابن خزيمة (٤/ ٢٦٣) رقم (٢٨٤٠) والبغوى فى «شرح السنة»(١٩٣٠) عن جابر رضى الله عنه، وفى سنده أبى الزبير المكى وهو مولس وقد عنعنه، وقد صح الحديث دون قوله «اشهدوا أنى قد غفرت لهم» فقد رواه أحمد (٢/ ٣٠٥) وابن خزيمة (٢٨٣٩) والحاكم (١/ ٤٦٥) والبيهقى(٥/ ٥٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وسنده صحيح. ورواه أحمد (٢/ ٢٢٤) والطبرانى فى «الصغير» (١/ ٢٠٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه وسنده صحيح.

وشعثا: جمع أشعت وهو المغبر الرأس المنتتف الشعر، الجاف الذى لم يَدَّهن.

الحج، وعنه قال: إنما الحاج الشعث التفل. وقال ابن عمر لرجل رآه: قد إستظل في إحرامه أضح لمن أحرمت له، أى أبرز للضحى وهو حر الشمس.

أتاك الوافدون إليك شعثا يسوقون المقلدة الصواف

فكم من قاصد للرب رغبا ورهبا بين منتعل وحاف

سبحان من جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمناً، يترددون إليه ويرجعون عنه ولا يرون أنهم قضوا منه وطرا. لما أضاف الله تعالى ذلك البيت إلى نفسه ونسبه إليه بقوله عزوجل لخليله: **﴿وطهّر بيتى للطائفين﴾**[1]، تعلقت قلوب المحبين ببيت محبوبهم فكلما ذكر لهم ذلك البيت الحرام حنّوا، وكلما تذكروا بعدهم عنه أنوا.

لا يذكر الرمل إلالحن مغترب له بذى الرمل أوطار وأوطان

تهفو إلى البان من قلبى نوازعه وما بى البان بل من داره البان

رأى بعض الصالحين الحاج فى وقت خروجهم فوقف يبكى ويقول: واضعفاه وينشد على أثر ذلك:

فقلت دعونى واتباعى ركابكم أكن طوع أيديكم كما يفعل العبد

ثم تنفس وقال: هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت فكيف تكون حسرة من انقطع عن الوصول إلى رب البيت يحق لمن رأى الواصلين وهو منقطع

ياسائق العيس ترفق واستمع منى وبلغ السلام عنى[2]

عرِّض بذكرى عندهم لعلهم إن سمعوك سائلوك عنى

قل ذلك المحبوس عن قصدكم معذب القلب بكل فنٍّ

يقول أملت بأن أزوركم فى جملة الوفد فخاب ظنى

أقعدنى الحرمان عن قصدكم ورمت أن أسعى فلم يَدَعْنِى

ينبغى للمنقطعين طلب الدعاء من الواصلين لتحصل المشاركة كما روى عن

---

(١) سورة الحج: آية ٢٦

(٢) العيس: هى الابل البيض مع شقرة يسيرة

النبى ﷺ قال لعمر لما أراد العمرة: «**يا أخى أشركنا فى دعائك**»[1].

وفى مسند البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً: «**اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج**»[2]. وفى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ سمع رجلاً يقول فى الطواف: اللهم اغفر لفلان بن فلان.

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا؟» قال: رجل حملنى أن أدعو له بين الركن والمقام فقالّ: «قد غفر لصاحبك»[3].

ألا قل لـــزوار دار الحبيب	هنيئا لكم فـى الجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضـــا	فنحن عطاش وأنتم ورود

لئن سار القوم وقعدنا، وقربوا وبعدنا فما يؤمننا أن نكون ممن ﴿**كره الله أنبعاثهم فثبطهم وقيل أقعدوا مع القاعدين**﴾[4].

لله در ركـــائب ســـــارت بهـــم	تطوى القفار الشاسعات على الدجا
رحلوا إلى البيت الحرام وقد شجا	قلب المتيم منهمـــو ما قـــد شجـــا
نزلوا بباب لا يخيب نزيله	وقلوبهم بين المخافـــة والرجـــا

على أن المتخلف لعذر شريك للسائر كما قال النبى ﷺ لما رجع من غزوة تبوك: «**إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلاّ كانوا معكم خلفهم العذر**»[5].

يا سائرين إلى البيت العتيق لقد	سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا

---

(١) **ضعيف**. رواه أحمد (١/ ٢٩و٢/ ٥٩) وأبو داود (١٤٩٨) والترمذى (٣٥٦٢) وابن ماجة (٢٨٩٤) والبغوى فى «شرح السنة» (٥/ ١٩٩) من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وفى سنده عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ٣٨٤).

(٢) **ضعيف**. رواه ابن خزيمة (٢٥١٦) والبزار (١١٥٥) والطبرانى فى «الصغير» (٢/ ١١٤) والحاكم (١/ ٤٤١) والبيهقى فى «الشعب» (٤١١٢) وفى سنده شريك بن عبد الله وهو ليس بالقوى.

(٣) **ضعيف**. رواه الطبرانى فى «الكبير» (١٢/ ٥) رقم (١٢٢٩٩) وفى سنده الحارث بن عمران الجعفرى وهو ضعيف كما فى «المجمع» (١٠/ ١٥٢)

(٤) سورة التوبة: آية ٤٦.

(٥) رواه البخارى (٢٨٣٩) كتاب الجهاد والسير، باب: من حبسه العذر عند الغزو من حديث أنس رضى الله عنه. ورواه مسلم(٤٨٤٩) كتاب الجهاد، باب: قوات من حبسه عن الغزو مرض أو عذر، وابن ماجة(٢٧٦٥) كتاب الجهاد، باب: من حبسه العذر عن الجهاد. من حديث جابر رضى الله عنه.

إنا أقمنا على عذر وقد رحلوا ومن أقام على عذر كمن راحا

وربما سبق بعض من سار بقلبه وهمته وعزمه بعض السائرين ببدنه. رأى بعض الصالحين فى منامه عشية عرفة قائلاً يقول له: ترى هذا الزحام بالموقف قال: نعم قال: ما حج منهم إلاَّ رجل واحد تخلف عن الموقف فحج بهمته فوهب الله له أهل الموقف. ما الشأن فيمن سار ببدنه إنما الشأن فيمن قعد بدنه وسار بقلبه حتى سبق الركب.

من لى بمثل سيرك المذلل تمشى رويداً وتجى فى الأول

يا سائرين إلى دار الأحباب قفوا للمنقطعين تحملوا معكم رسائل المحصرين.

خذوا نظرة منى فلاقوا بها الحمى
يا سائرين إلى الحبيب ترفقوا فالقلب بين رحالكم خلفته
مالى سوى قلبى وفيك أذبته مالى سوى دمعى وفيك سكبته

كان عمر بن عبد العزيز إذا رأى من يسافر إلى المدينة النبوية يقول له: أقرىء رسول الله ﷺ منى السلام. وروى أنه كان يبرد عليه البريد من الشام.

هذه الخيف وهاتيك منى فترفق أيها الحادى بنا
واحبس الركب علينا ساعة نندب الربع ونبكى الدمنا
فلذا الموقف أعددنا البكا ولذا اليوم الدموع تقتنى
أتراكم فى النقا والمنحنا أهل سلع تذكرونا ذكرنا
انقطعنا ووصلتم فاعلموا واشكروا المنعم يا أهل منى
قد خسرنا وربحتم فصلوا بفضول الربح من قد غبنا
سار قلبى خلف أحمالكم غير أن العذر عاق البدنا
ما قطعتم وادياً إلا وقد جئته أسعى بأقدام المنى
آه واشوقى إلى ذاك الحمى شوق محروم وقد ذاق العنا

سلموا عنى علـــى أربابه | أخبروهم أننى خلف الضنا
أنا مذ غبتم علـــى تذكاركم | أترى عندكم مـــــا عندنا
بيننا يـــــوم إثيلات النقا | كان عن غير تراض بيننا
زمناً كـــان وكــنا جـيـرة | فأعــــاد الله ذاك الـزمــنا

من شاهد تلك الديار وعاين تلك الآثار ثم انقطع عنها لم يمت إلاَّ بالأسف عليها والحنين إليها:

ما أذكر عيشنا الــذى قـــد سلـفــا | إلاَّ وجف القلب وكم قد وجفـــــا
واها لــزماننا الــذى كــان صفــا | وا أسفا لـــــرده وا أسفـــــا
من يرجع دهرنا بأرض الجـــــزع | بين الأثلاث والربـــا فى ســـلع
قالوا اصبر وليس ذا فـــى وسعـــى | يا حزن أقم وأنت سر يادمعـــــى

●●●●●

يا ليتنا بزمزم والحجــــــــر | يا جيرتنا قبيل يـــــوم النـــفر
هل يرجع صافى ما مضى من عمرى | أدرى ما كـــــان ليتنـــى لا أدرى

●●●●●

المجلس الثالث فيما يقوم مقام الحج والعمرة عند العجز عنهما

يذكر بعد خروج الحاج فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم؛ يصلون كما نصلى؛ ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون؟ فقال رسول الله ﷺ: «ألا أحدثكم بمال لو أخذتم به لحقتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلاَّ من عمل مثله: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين»[1]، وفى المسند وسنن النسائى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله ذهب الأغنياء بالأجر يحجون ولا نحج ويجاهدون ولا نجاهد وبكذا وبكذا فقال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على شىء إن أخذتم به جئتم من أفضل ما يجىء به أحد منهم: أن تكبروا الله أربعا وثلاثين، وتسبحوه ثلاثاً وثلاثين، وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين فى دبر كل صلاة»[2].

المال لمن استعان به على طاعة الله وأنفقه فى سبل الخيرات المقربة إلى الله سبب موصل له إلى الله، وهو لمن أنفقه فى معاصى الله واستعان به على نيل أغراضه المحرمة أو اشتغل به عن طاعة الله قاطع له عن الله. كما قال أبو سليمان الدارانى: الدنيا حجاب عن الله لأعدائه ومطية موصلة إليه لأوليائه، فسبحان من جعل سبباً واحداً للاتصال به والانقطاع عنه. وقد مدح الله فى كتابه القسم الأول، وذم القسم الثانى، فقال فى مدح الأولين: ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون**﴾[3]، قال: ﴿**إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور**﴾[4]. . . . والآيات فى المعنى كثيرة جداً. وقال فى ذم الآخرين: ﴿**يا أيها**

(١) رواه البخارى (٨٤٣) كتاب الصلاة باب: الذكر بعد الصلاة. ومسلم(١٣٢٣) كتاب الصلاة،باب: استحباب الذكر بعد الصلاة والنسائى فى عمل اليوم والليلة (١٤٦).

(٢) حسن. رواه أحمد (٦/ ٤٤٦) والنسائى فى عمل اليوم والليلة (١٤٧, ١٤٨, ١٤٩, ١٥٠, ١٥١)

(٣) سورة البقرة: آية ٧٤. (٤) سورة فاطر: آية ٢٩ ، ٣٠.

الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون*وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾[١]. وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما: ليس أحد لا يؤتى زكاة ماله إلاَّ سأل الرجعة عند الموت ثم تلا هذه الآية، وأخبر عن أهل النار الذين يؤتى أحدهم كتابه بشماله أنه يقول: **﴿ما أغنى ماليه هلك عنّى سلطانيه﴾**[٢]. والأحاديث فى مدح من أنفق ماله فى سبل الخيرات وفى ذم من لم يؤد حق الله منه كثيرةٌ جداً، وقد قال ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»[٣]، وقال: الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلاَّ من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم»[٤]، وقال: «إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه ووضعه فى حقه فنعم المعونة وهو وأن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع»[٥]، فالمؤمن الذى يأخذ المال من حقه ويضعه فى حقه فله أجر ذلك كله، وكلما أنفق منه يبتغى به وجه الله فهو له صدقة يؤجر عليها، حتى ما يطعم خادمه فهو له صدقة، وكان عامة أهل الأموال من أصحاب النبى ﷺ من هذا القسم. قال أبو سليمان: كان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف خازنين من خزان الله تعالى فى أرضه ينفقان فى طاعته وكانت معاملتهما لله بقلوبهما. ورأس المنفقين أموالهم فى سبيل الله من هذه الأمة أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وفيه نزلت هذه الآية: **﴿وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلاَّ إبتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى﴾**[٦]. وفى صحيح الحاكم عن ابن الزبير قال: قال

---

(١) سورة المنافقون: آية ٩، ١٠. (٢) سورة الحاقة: آية ٢٨، ٢٩.

(٣) **صحيح**. رواه أحمد (١٩٧/٤) والبخارى فى «الأدب المفرد» (٢٩٩) والبغوى فى «شرح السنة» (٢٤٩٥) من حديث عمرو بن العاص رضى الله عنه.

(٤) رواه البخارى (٦٤٤٣) كتاب الرقاق، باب: ما قدم منْ ماله فهو له، من حديث أبى ذر رضى الله عنه. ورواه أحمد (٣٥٨/٢، ٣٩١، ٣٩٩، ٥٢٥) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وسنده صحيح.

(٥) رواه البخارى (١٤٧٢) كتاب الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة. ومسلم (٢٣٤٩) كتاب الزكاة، باب: بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى. والترمذى فى «صفة القيامة» (٦٤١) والنسائى فى «الزكاة» (٥/ ٦٠) باب: اليد العليا. من حديث حكيم بن حزام رضى الله عنه. ورواه البخارى (١٤٦٥) كتاب الزكاة، باب: الصدقة على اليتامى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

(٦) سورة الليل : آية ١٧ ـ ٢٠

أبو قحافة لأبى بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو زنك إذا فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر: يا أبت إنى إنما أريد ما أريد. قيل: وإنما أنزلت هذه الآيات فيه: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾[١].... إلى آخر السورة. ورُوى من وجه آخر عن ابن الزبير وخرّجه الإسماعيلى ولفظه: أن أبا بكر كان يبتاع الضعفة فيعقتهم، فقال له أبو قحافة: يا بنى لو ابتعت من يمنع ظهرك فقال: يا أبت منع ظهرى وأريد، ونزلت فيه: ﴿وسيجنبها الأتقى﴾.... إلى آخر السورة.[٢]وخرّج أبو داود والترمذى من حديث عمر قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك عندى مالاً فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالى فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله، وإن أبا بكر أتى بكل ما عنده فقال: «يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله فقلت: لا أسابقه إلى شىء أبداً[٣]. وخرَّج الإمام أحمد والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى لله قال: «ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر»، فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالى إلا لك يا رسول الله[٤]. وخرَّجه الترمذى بدون هذه الزيادة فى آخره[٥]. وكان من المنفقين أموالهم فى سبيل الله عثمان بن عفان، ففى الترمذى عن عبد الرحمن بن خباب قال: شهدت النبى ﷺ وهو يحث على جيش العسرة فقام عثمان فقال: يا رسول الله علىّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: يا رسول الله علىّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: يا رسول الله علىّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٥٢٥) وابن عساكر فى «تاريخه» (٣٠/ ٦٩)

(٢) رواه الطبرى فى «تفسيره» (٣٠/ ٢٢١)

(٣) حسن. رواه أبو داود (١٦٧٨) والترمذى (٣٦٧٥) والحاكم (١/ ٤١٤) والبيهقى فى السنن » (٤/ ١٨٠ - ١٨١)

(٤) صحيح. رواه أحمد (٢/ ٢٥٣، ٣٦٦) وفى «فضائل الصحابة» (٢٥)،(٣٢) والنسائى فى «فضائل الصحابة» (٩) وابن ماجة فى «المقدمة» (٩٤) وابن أبى عاصم فى «السنة» (١٢٢٩) وابن حبان (٦٨٥٨ - إحسان)

(٥) حسن. رواه الترمذى (٣٦٦١) فى المناقب: باب رقم (١٥)

وأقتابها فى سبيل الله، قال فرأيت رسول الله ﷺ نزل على المنبر وهو يقول: «ما على عثمان ما فعل بعد هذه، ما على عثمان ما فعل بعد هذه»(١). وخرَّج الإمام أحمد والترمذى من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه أن عثمان جاء إلى النبى ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجرة قال: فرأيت النبى ﷺ يقلبها فى حجره ويقول: «ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم»، مرتين(٢)، وكان أيضاً منهم عبد الرحمن بن عوف. وفى مسند الإمام أحمد أنه قدم عير إلى المدينة فارتجت لها المدينة فسألت عائشة عنها وحدثت حديثاً عن النبى ﷺ فبلغ عبد الرحمن فجعلها كلها فى سبيل الله بأقتابها وأحلاسها وكانت سبعمائة راحلة(٣)، وخرَّجه ابن سعد من وجه آخر فيه إنقطاع وعنده أنها كانت خمسمائة راحلة. وخرَّج الترمذى من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول تعنى لأزواجه: «إنّ أمركن لما يهمنى بعدى ولن يصبر عليكن إلا الصابرون» قال: ثم تقول عائشة لأبى سلمة: سقى الله أباك من سلسبيل الجنة، وكان قد وصل أزواج النبى ﷺ بمال(٤) بيعت بأربعين ألفاً(٥) وقال: حسن غريب، وخرَّجه الحاكم وصححه وخرَّج الإمام أحمد أوله، وخرّج الإمام أيضاً والحاكم من حديث أم بكر بنت المسور بن

---

(١) **ضعيف**. رواه أحمد (٤/ ٧٥) والترمذى (٣٧٠٠) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٤١٢) وفى سنده فرقد - أبو طلحة وهو مجهول.

(٢) **حسن**. رواه أحمد (٥/ ٦٣) والترمذى (٣٧٠١) والحاكم (٣/ ١٠٢) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢١٥).

(٣) **ضعيف**. رواه أحمد (٦/ ١١٥) والطبرانى فى «الكبير» (١/ ١٢٩) رقم (٢٦٤) والبزار (٣/ ٢٠٩) رقم (٢٥٨٦ - كشف) وابن الجوزى فى «الموضوعات» (٢/ ١٣) وفى سنده عمارة بن زاذان وهو ضعيف وقال عنه الإمام أحمد: «يروى عن ثابت عن أنس أحاديث مناكير» قلت: وهذا الحديث من روايته عن ثابت عن أنس، وقال ابن الجوزى: قال أحمد بن حنبل: هذا حديث كذب منكر. وقال الهيثمى فى «كشف الأستار» : منكر.

(٤) **ضعيف**. رواه أحمد (٦/ ٧٧ والترمذى (٣٧٤٩) والحاكم (٣/ ٣١٢) وفى سنده صخر بن عبد الله بن حرملة وهو مقبول كما فى «التقريب» (١/ ٣٦٥).

(٥) **ضعيف**. رواه أحمد (٦/ ١٠٣, ١٣٥) والحاكم (٣/ ٣١٠ - ٣١١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبى بقوله: ليس بمتصل أ هـ قلت: وفى سنده «أم بكر بنت المسور بن مخرمة» وهى مقبولة كما فى «التقريب» (٢/ ٦١٩)

مخرمة أن عبد الرحمن بن عوف باع أرضاً له من عثمان بأربعين ألف دينار فقسمها في فقراء بنى زهرة وفى المهاجرين وأمهات المؤمنين قال المسور: فأتيت عائشة رضى الله عنها بنصيبها من ذلك فقالت لنا: إنى سمعت رسول الله ﷺ قال: «**لا يحنو عليكن بعدى إلاَّ الصابرون سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة**»[1]، وخرَّج الإمام أحمد والترمذى من حديث أم سلمة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال لأزواجه: «إن الذى يحنو عليكن بعدى هو الصادق البار: اللهم اسق عبد الرحمن ابن عوف من سلسبيل الجنة»[2] وخرَّجه ابن سعد وزاد: إن إبراهيم بن سعد قال: حدثنى بعض أهلى من ولد عبد الرحمن بن عوف باع أمواله من كيدمه وسهمه من بنى النضير بأربعين ألف دينار فقسمها على أزواج النبى ﷺ.

وخرّج الترمذى من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن رضى الله عنه أن أباه عبد الرحمن بن عوف أوصى بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف[3] وخرّجه الحاكم ولفظه: بيعت بأربعين ألف دينار وأخبار الأجواد المنفقين أموالهم فى سبيل الله من أصحاب رسول الله ﷺ يطول ذكرها جداً. وكان الفقراء من الصحابة كلما رأوا أصحاب الأموال منهم ينفقون أموالهم فيما يحبه الله من الحج والإعتمار والجهاد فى سبيل الله والعتق والصدقة والبر والصلة وغير ذلك من أنواع البر والطاعات والقربات، حزنوا لما فاتهم من مشاركتهم فى هذه الفضائل. وقد ذكرهم الله فى كتابه بذلك فقال تعالى: ﴿**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون**﴾[4]: نزلت هذه الآية بسبب قوم من فقراء المسلمين أتوا النبى ﷺ وهو يتجهز إلى غزوة تبوك فطلبوا منه أن يحملهم فقال لهم: «**لا أجد ما أحملكم عليه**»، فرجعوا وهم يبكون

---

(١) ضعيف. رواه أحمد (٦/ ٢٩٩، ٣٠٢) والحاكم (٣/ ٣١١) وفى سنده ابن اسحاق وهو مدلس وقد عنعنه.

(٢) حسن. رواه الترمذى (٣٧٥٠) كتاب المناقب، باب: مناقب عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وقال: حسن غريب.

(٣) رواه الحاكم (٣/ ٣١٢).

(٤) سورة التوبة الآيتان: ٩٠، ٩١.

حزناً على ما فاتهم من الجهاد مع رسول الله ﷺ . قال بعض العلماء: هذا والله بكاء الرجال بكوا على فقدهم رواحل يتحملون عليها إلى الموت فى مواطن تراق فيها الدماء فى سبيل الله، وتنزع فيها رءوس الرجال عن كواهلها بالسيوف، فأما من بكى على فقد حظه من الدنيا وشهواته العاجلة فذلك شبيه ببكاء الأطفال والنساء على فقد حظوظهم العاجلة.

سهر العيون لغير وجهك باطلٌ وبكاؤهُنَّ لغير فقدك ضائعُ

إنما يحسن البكاء والأسف على فوات الدرجات العلى والنعيم والمقيم، قال بعضهم: يرى رجل فى الجنة يبكى فيسأل عن حاله فيقول: كانت لى نفس واحدة قتلت فى سبيل الله ووددت أنه كانت لى نفوس كثيرة تقتل كلها فى سبيله غزا قوم فى سبيل الله فلما صافوا عدوهم واقتتلوا رأى كل واحد منهم زوجته من الحور قد فتحت باباً من السماء وهى تستدعى صاحبها إليها وتحثه على القتال فقتلوا كلهم إلاَّ واحداً وكان كلما قتل منهم واحد غلق باب وغابت منه المرأة فأفلت آخرهم فأغلقت تلك المرأة الباب الباقى وقالت ما أفاتك يا شقى؟ فكان يبكى على حاله إلى أن مات، ولكنه أورثه ذلك طول الاجتهاد والحزن والأسف.

علـــى مثل ليلى يقتل المرءُ نفَسه وإن كان من ليلى على الهجر طاويا

لما سمع الصحابة رضى الله عنهم قول الله عزوجل: ﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾[1] ﴿**وسابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها كعرض السماء والأرض**﴾[2] فهموا أن المراد من ذلك أن يجتهد كل واحد منهم أن يكون هو السابق لغيره هذه الكرامة والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية، فكان أحدهم إذا رأى من يعمل عملاً يعجز عنه خشى أن يكون صاحب ذلك العمل هو السابق له فيحزن لفوات سبقه. فكان تنافسهم فى درجات الآخرة وإستباقهم إليها كما قال تعالى: ﴿**وفى ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾[3]، ثم جاء من بعدهم فعكس الأمر فصار تنافسهم فى

(١) سورة البقرة: آية ١٤٨.
(٢) سورة الحديد: آية ٢١
(٣) سورة المطففين: آية ٢٦

الدنيا الدنية وحظوظها الفانية. قال الحسن: إذا رأيت الرجل ينافسك فى الدنيا فنافسه فى الآخرة. وقال وهيب بن الورد: إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل. وقال بعض السلف: لو أن رجلاً سمع بأحد أطواع لله منه كان ينبغى له أن يحزنه ذلك. وقال غيره: لو أن رجلاً سمع برجل أطوع لله منه فانصدع قلبه فمات لم يكن ذلك بعجب. قال رجل لمالك بن دينار رأيت في المنام ينادى أيها الناس الرحيل الرحيل فما رأيت أحداً يرتحل إلاّ محمد بن واسع فصاح مالك وغشى عليه: **﴿السّابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم﴾**[1]. قال عمر ابن عبد العزيز فى حجة حجها عند دفع الناس من عرفة ليس السابق اليوم من سبق به بعيرة إنما السابق من غفر له. كان رأس السابقين إلى الخيرات من هذه الأمة أبو بكر الصديق رضى الله عنه، قال عمر: ما استبقنا إلى شىء من الخير إلا سبقنا أبو بكر، وكان سباقاً بالخيرات ثم كان السابق بعده إلى الخيرات عمر، وفى آخر حجة حجها عمر جاء رجل لا يعرف كانوا يرونه من الجن فرثاه بأبيات منها:

فمن يسع أو يركب جناحى نعامة   ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

صاحب الهمة العالية والنفس الشريفة التواقة لا يرضى بالأشياء الدنية الفانية، وإنما المسابقة إلى الدرجات الباقية الزاكية التى لا تفنى ولا يرجع عن مطلوبه، ولو تلفت نفسه فى طلبه ومن كان فى الله تلفه كان على الله خلفه. قيل لبعض المجتهدين فى الطاعات: لم تعذب هذا الجسد؟ قال: كرامته أريد.

وإذا كانت النفوس كبارا   تعبت فى مرادها الأجسام

قال عمر بن عبد العزيز إن لى نفسا تواقة ما نالت شيئا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، وإنها لما نالت هذه المنزلة يعنى الخلافة وليس فى الدنيا منزلة أعلى منها تاقت إلى ما هو أعلى من الدنيا يعنى الآخرة.

على قدر أهل العزم تأتى العزائم   وتأتى على قدر الكرام المكارم

قيمة كل إنسان ما طلب، فمن كان يطلب الدنيا فلا أدنى منه فإن الدنيا دنية

---

(١) سورة الواقعة: آية ١٠ ـ ١٢

وزدنى منها من يطلبها، وهى خسيسة وأخس منها من يخطبها. قال بعضهم: القلوب جوالة فقلب يجول حول العرش وقلب يجول حول الحش[1]. الدنيا كلها حش وكل ما فيها من مطعم ومشرب يؤل إلى الحش، وما فيها من أجسام ولباس يصير تراباً، كما قيل: وكل الذى فوق التراب تراب.

وقال بعضهم فى يوم عيد لإخوانه: هل تنظرون إلاَّ خِرقاً تبلى أو لحماً يأكله الدود غداً. وأما من كان يطلب الآخرة فقدره خطير لأن الآخرة خطيرة شريفة ومن يطلبها أشرف منها كما قيل:

أثامن بالنفس النفيسة ربها ... وليس لها فى الخلق كلها ثمن[2]

بها تدرك الأخرى فإن أنا بعتُها ... بشىء من الدنيا فذاك هو الغبن

لئن ذهبت نفسى بدنيا أصبتها ... لقد ذهبت نفسى وقد ذهب الثمن

وأما من كان يطلب الله فهو أكبر الناس عنده كما أن مطلوبه أكبر من كل شىء كما قيل:

له هِمم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجلُّ من الدَّهْرِ

قال الشبلى: من ركن إلى الدنيا أحرقته بنارها فصار رمادا تذروه الرياح، ومن ركن إلى الآخرة أحرقته بنورها فصار سبيكة ذهب ينتفع به، ومن ركن إلى الله أحرقه بنور التوحيد فصار جوهراً لا قيمة له. العالى الهمة يجتهد فى نيل مطلوبه ويبذل وسعه فى الوصول إلى رضى محبوبه، فأما خسيس الهمةفاجتهاده فى متابعة هواه ويتكل على مجرد العفو فيفوته إن حصل له العفو منازل السابقين المقربين، قال بعض السلف:هب أن المسىء عُفى عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين.

فيا مذنبا يرجو من الله عفوه ... أترضى بسبق المتقين إلى الله

لما تنافس المتنافسون فى نيل الدرجات غبط بعضهم بالأعمال الصالحات قال النبى ﷺ: «**لا حسد إلاَّ فى اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه فى سبيل الله آناء**

(١) الحش: من أسماء الكنيف أى موضع قضاء الحاجة

(٢) أثامن: أى أساوم.

الليل وآناء النهار[1]، ورجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار». وفى رواية: «لا تحاسد إلا فى اثنين، رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار يقول: لو أوتيت مثل ما أوتى هذا لفعلت كما يفعل ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه فى حقه يقول: لو أوتيت مثل ما أوتى هذا لفعلت كما يفعل». وهذا الحديث فى الصحيحين، وفى الترمذى وغيره عن النبى ﷺ قال: «**إنما مثل هذه الأمة كأربعة نفر: رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه، فى ماله ينفقه فى حقه، ورجل اتاه الله علماً ولم يؤته مالاً وهو يقول: لو كان لى مثل هذا لعملت فيه مثال الذى يعمل، قال رسول الله ﷺ: فهما فى الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يوته علماً فهو يخبط فى ماله ينفقه فى غير حقه، ورجل لم يؤته الله علماً ولا مالاً فهو يقول: لو كان لى مال هذا عملت فيه مثل الذى يعمل، قال رسول الله ﷺ: فهما فى الوزر سواء**»[2]، وروى حميد بن زنجويه بإسناده عن زيد ابن أسلم قال: يؤتى يوم القيامة بفقير وغنى اصطحبا فى الله فيوجد للغنى فضل عمل فيما كان يصنع فى ماله فيرفع على صاحبه فيقول الفقير: يا رب لم رفعته وإنما اصطحبنا فيك وعملنا لك، فيقول الله. تعالى: له فضل عمل بما صنع فى ماله، فيقول: يارب لقد عملت لو أعطيتنى مالاً لصنعت مثل ما صنع فيقول: صدق فارفعوه إلى منزلة صاحبه، ويؤتى بمريض وصحيح اصطحبا فى الله فيرفع الصحيح بفضل عمله فيقول المريض: يا رب لم رفعته عليه فيقول: بما كان يعمل فى صحته فيقول: يا رب لقد علمت لو أصححتنى لعلمت كما عمل، فيقول الله: صدق فارفعوه إلى درجة صاحبه، ويؤتى بحر ومملوك اصطحبا فى الله فيقول مثل ذلك، ويؤتى بحسن الخلق وسيد الخلق فيقول: يا رب لم رفعته علىّ وإنما اصطحبنا فيك وعمالنا فيقول: بحسن خلقه، قلا يجد له جواباً. العاقل يغبط من أنفق ماله فى سبيل الخيرات ونيل علو الدرجات، والجاهل يغبط من أنفق ماله فى الشهوات وتوصل به إلى اللذات المحرمات.

---

(١) رواه البخارى (٧٥٢٩) كتاب التوحيد، باب: قول النبى ﷺ: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به اناء الليل والنهار. ومسلم (١٨٦٣) كتاب الصلاة، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ،وأحمد (٢/ ٣٦، ٨٨، ١٥٢) والترمذى فى «البر والصلة» (١٩٣٦) باب: ما جاء فى الحسد، والنسائى فى «فضائل القرآن» (٩٧) باب: اغتباط صاحب القرآن وابن ماجة فى «الزهد» (٤٢٠٩) باب: الحسد.

(٢) صحيح. رواه أحمد (٤/ ٢٣٠) وابن ماجة فى الزهد (٤٢٢٨) باب: النية. والبيهقى فى «السنن» (٤/ ١٨٩) من حديث أبى كبشة الأنمارى رضى الله عنه

قال الله تعالى حاكيا عن قارون: **﴿فخرج على قَومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويْلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا﴾** إلى قوله: **﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾**(1).

فلما رأى النبى ﷺ تأسف أصحابه الفقراء وحزنهم على ما فاتهم من إنفاق إخوانهم الأغنياء أموالهم في سبيل الله تقرباً إليه وابتغاء لمرضاته، طيّب قلوبهم، ودلهم على عمل يسير يدركون به من سبقهم ولا يلحقهم معه أحد بعدهم، ويكونون به خيراً ممن هم معه إلاَّ من عمل مثل عملهم،وهو الذكر عقب الصلوات المفروضات. وقد اختلفت الروايات بأنواعه وعدده والأخذ بكل ما ورد من ذلك حسن وله فضل عظيم. وفى حديث أبى هريرة هذا، أنهم يسبحون ويحمدون ويكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين. وقد فسره أبو صالح رواية عنه بالجمع وهو أن يقول: سبحان الله والحمد الله والله أكبر ثلاثاً وثلاثين مرة فيكون جملة ذلك تسعاً وتسعين.

وقد يستشكل على هذا حديث: «أن رجلاً سأل النبىﷺ عما يعدل الجهاد؟ فقال: **هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم فلا تفطر، وتقوم ولا تفتر**»(2) وهو حديث ثابت صحيح أيضاً. فلم يجعل للجهاد عدلاً سوى الصيام الدائم، والقيام الدائم. وفى هذا الحديث قد جعل الذكر عقب الصلوات عدلاً له؟ والجمع بين ذلك كله: أن النبىﷺ لم يجعل للجهاد فى زمانه عملاً يعدله بحيث إذا انقضى الجهاد إنقضى ذلك العمل واستوى العامل مع المجاهد فى الأجر، وإنما جعل الذى يعدل الجهاد الذكر الكثير المستدام فى بقية عمر المؤمن من غير قطع له حتى يأتى صاحبه أجله، فإذا استمر على هذا الذكر فى أوقاته إلى أن مات عليه عدل ذكره هذا الجهاد، وقد دل على ذلك أيضا ما خرَّجه الإمام أحمد والترمذى من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبىﷺ قال: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها**

---

(1) سورة القصص: آية ٧٩ ـ ٨٣

(2) رواه البخارى فى «الجهاد والسير» (٢٧٨٥) باب: فضل الجهاد والسير من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله عزوجل»(١)، وخرّجه مالك فى الموطأ موقوفاً(٢)، وخرّج الإمام أحمد والترمذى أيضاً من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ سئل: أي العبادة أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: ﴿الذاكرين الله كثيراً﴾، قلت: يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله؟قال: «لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون الله عز وجل أفضل منه درجة»(٣)، وقد روى هذا المعنى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه وطائفة من الصحابة موقوفاً. وأن الذكر لله أفضل من الصدقة بعدة دراهم ودنانير، ومن النفقة فى سبيل الله. وقيل لأبى الدرداء رضى الله عنه: رجل أعتق مائة نسمة؟ قال: إن مائة نسمة من مال رجل كثير، وأفضل من ذلك إيمان ملزوم بالليل والنهار، وأن لا يزال لسان أحدكم رطباً من ذكر الله عزوجل. وعنه قال: لأن أقول لا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة أحب إلىّ من أن أتصدق بمائة دينار. ويروى مرفوعاً وموقوفاً من غير وجه. من فاته الليل أن يكابده، وبخل بالمال أن ينفقه، وجبن عن عدوه أن يقاتله، فليكثر من سبحان الله وبحمده فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب أو فضة ينفقه فى سبيل الله عزوجل(٤)، وذكر الله من أفضل أنواع الصدقة. وخرّج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً: «ما صدقة

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٥/ ١٩٥) والترمذى (٣٣٧٧) وابن ماجه (٣٧٩٠) والبغوى فى «شرح السنة» (١٢٤٤) والحاكم (١/ ٤٩٦) والبيهقى فى «الشعب» (١/ ٣٩٤) رقم (٥١٩).

(٢) رواه مالك موقوفاً (١/ ٢١١) فى القرآن ، باب: ما جاء فى ذكر الله تبارك وتعالى.

(٣) ضعيف. رواه أحمد (٣/ ٧٥) والترمذى (٣٣٧٦) والبغوى فى «شرح السنة» (١٢٤٦) وهو من رواية دراج أبى السمح عن أبى الهيثم ودراج فى حديثه عن أبى الهيثم ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ٢٣٥) وفى سنده أيضاً ابن لهيعة وهو سيئ الحفظ.

(٤) **ضعيف**. رواه الطبرانى فى «الكبير» (٨/ ٢٢٨) رقم (٧٧٩٥) من حديث أبى أمامة رضى الله عنه وقال محققه: لم أجد ترجمة حداد الغذرى ولا العباس بن ميمون.

ورواه الطبرانى فى «الكبير» (١١/ ٨٤) رقم (١١١٢١) والبزار كما فى «المجمع» (١٠/ ٧٤) مرفوعاً من حديث ابن عباس رضى الله عنه. وفى سنده أبى يحيى القتات وهو ضعيف.

أفضل من ذكر الله عزوجل»[١]. وقد قال طائفة من السلف فى قول الله عزوجل: ﴿**وأقرضوا الله قرضاً حسناً**﴾[٢]: إن القرض الحسن قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وفى مراسيل الحسن عن النبى ﷺ قال: «ما أنفق عبد نفقة أفضل عند الله عزوجل من قولٍ ليس من القرآن وهو من القرآن: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»[٣]، وروى عبد الرزاق فى كتابه عن معمر عن قتادة قال: قال ناس من فقراء المؤمنين: يا رسول الله ذهب أصحاب الدثور بالأجور يتصدقون ولا نتصدق وينفقون ولا ننفق، قال: «أرأيتم لو أن مال الدنيا وضع بعضه على بعض أكان بالغاً السما؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «أفلا أخبركم بما أصله فى الأرض وفرعة فى السماء: أن تقولوا فى دبر كل صلاة: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله عشر مرات فإن أصلهن فى الأرض وفرعهن فى السماء»[٤]، وقد كان بعض الصحابة يظن أن لا صدقة إلا بالمال، فأخبره النبى ﷺ: «أن الصدقة لا تختص بالمال، وأن الذكر وسائر أعمال المعروف صدقة» كما فى صحيح مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه: أن ناسا من أصحاب النبى ﷺ قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أمولهم؟ فقال النبى ﷺ: «**أوليس قد جعل الله لكم ما تتصدَّقُون به؟ إنَّ بكُلِّ تسْبيحة صَدَقَةً، وكُلُّ تكبيرة صَدَقَة، وكُلِّ تحميدَة صدقةٌ، وكُلِّ تهليلَةٌ صَدَقَةٌ؛ وأَمْرٌ بالمعْروف صدقَةٌ، ونَهْيٌ عن مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ؛ وفى بُضْعِ أَحَدِكُم صَدَقَة**»[٥].

وفى «المسند» عنه أنه قال: يا رسول الله! الأغنياء يتصدقون ولا تتصدَّقُ قال: «وأنت فيك صدقة؛ رفعُكَ العَظْمَ عن الطرَّيق صدقةٌ، وهدايتُكَ الطريقَ صدقةٌ، وعونُك الضعيفَ بفضل قوتك صدقَةٌ، وبيانكَ عن الأَرتَم صدقة، ومبَاضعَتُك

(١) ضعيف. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٧/ ٢٥٠) رقم (٧٤١٤) وفى سنده ابن جريج وهو مدلس وقد عنعنه.

(٢) سورة المزمل: آية ٢٠

(٣) ضعيف لإرساله.

(٤) ضعيف. رواه عبد الرزاق (٢/ ٢٣٣) رقم (٣١٨٨) وهو مرسل.

(٥) رواه مسلم (٢٢٩) كتاب الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على نوع من المعروف. وأبو داود (٥٢٤٣) كتاب الآداب، باب: إماطة الأذى عن الطريق.

امرأتك صدقةٌ»[1].

وفى المعنى أحاديث كثيرة جدا يطول ذكرها.

واعلم أنَّ من عَجَزَ عن عَمَلِ خير، وتأسَّفَ عليه، وتمنى حُصُولَهُ، كان شريكاً لفاعله فى الأجر، كما تقدَّم فى الذى قال: «لو كان لى مالٌ لعملْتُ فيه ما عملَ فلانٌ...» أنَّهما سواءٌ فى الأجر والوِزْر. وقيل: إنَّهما سواءٌ فى أصل الأجر دون المضاعفة؛ فإنَّها تختصُّ بالعامل؛ فمن هنا كان أربابُ الهِمَم العالية لا يَرضَوْنَ بمجرَّد هذه المشاركة، ويطلبون أن يعملوا أعمالاً تقاوم الأعمالَ التى عَجَزُوا عنها؛ ليفوزوا بثواب يقاومُ ثوابَ تلك الأعمال، ويضاعفُ لهم كما يضاعف لأولئك، فيستووا هم وأولئك العمَّال فى الأجر كُلِّه.

وقد كان بعضُ من يقعُدُ عن الجهاد من امرأةٍ وضعيفٍ فى عهد النَّبىِّ ﷺ يسألُه عن عَمَلٍ يَعدلُ الجهادَ.

وفاتَ بعضَ النساء الحجُّ مع النبى ﷺ، فلمَّا قَدمَ سألَتْهُ عمَّا يجزئ من تلك الحجَّة، قال: «اعتَمِرى فى رمضان؛ إنَّ عُمْرَةً فى رَمَضان تعدلُ حجَّةً، أو حجَّةً معى»[2].

وقالت عائشة: «يا رسولَ الله! نَرَى الجهادَ أفضلَ العَمَلِ، أفلا نجاهدُ؟ قال: جهادكنَّ الحَجُّ والعُمْرَةُ»[3].

وكان منهم من إذا تخلَّف عن الغزو، واجتهدَ فى مشاركة الغُزاة فى أجرهم؛ فإمَّا أن يُخرجَ مكانَه رَجُلاً بماله؛ وإمَّا أن يُعينَ غازياً؛ وإمَّا أن يَخْلُفَه فى أهله بخير. فإنَّ مَن فَعَل هذا كُلَّه فقد غَزَا.

تصدَّق بعضُ الأغنياء بمال كثير، فبلغَ ذلك طائفة من الصَّالحين، فاجتمعوا فى مكان، وحبسوا ما تصدَّق بِهِ من الدراهم، وصلُّوا بَدَلَ كُلِّ درهمٍ تصدَّقَ به لله ركعَةً.

---

(١) ضعيف. رواه أحمد (٥/ ١٥٤) والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٨٢) وفى سنده انقطاع بين أبى البحترى وأبى ذر رضى الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

هكذا يكونُ اشتياقُ الخيرات والتنافس فى عُلُوِّ الدرجات.

كَذَاكَ الفَخْرُ يا هِمَمَ الرِّجالِ   تَعَالَىْ فانْظُرِى كيفَ التَّعالى

سبحان مضن فَضَّل هذه الأمَّة وفَتَحَ لها على يَدَىْ نبيِّها، نبىِّ الرَّحمة، أبوابَ الفضائل الجمَّة؛ فما من عَمَلٍ عظيمٍ يقومُ به قومٌ ويعجزُ عنه آخرون، إلاَّ وقد جَعَلَ الله عَمَلاً يُقاوِمُه، أو يفضُلُ عليه، فتساوى الأمَّةُ كُلها فى القُدرة عليه.

لَمَّا كان الجهادُ أفضَلَ الأعمال ولا قُدرَةَ لكثير من النَّاسِ عليه، كان الذِّكْرُ الكثير الدَّائمُ يُساويه ويفضُلُ عليه، وكان العملُ فى عشْر ذى الحجَّة يفضُلُ عليه، إلاَّ مَن خَرَجَ بنفسه وماله ولم يرجعْ منهما بشىء.

لَمَّا كان الحجُّ من أفضَل الأعمال، والنُّفوسُ تتوقُ إليه؛ لَمَّا وَضَعَ الله فى القلوب من الحنين إلى ذلك البيت المُعَظَّم، وكان كثير من النَّاسِ يعجزُ عنه، ولا سيما كُلِّ عام، شَرَعَ الله لعباده أعمالاً يبلُغُ أجرُها أجْرَ الحجِّ، فيتعوَّض بذلك العاجزون عن التطوُّع بالحجِّ.

ففى الترمذى عن النبى ﷺ، قال: « **مَن صلَّى الصُّبحَ فى جماعة، ثمَّ جَلَسَ فى مُصَلاَّه يذكرُ الله حتَّى تطلُعَ الشَّمسُ، ثم صلَّى ركعتين، كان له مثلُ أَجْرِ حجة وعُمرة تامَّة. قال رسولُ الله** ﷺ: «**تامَّة، تامَّة، تامَّة**»[1].

شُهُودُ الجُمعة يَعْدِلُ حجَّة تطوَّع، قال سعيد بن المسيب: هو أحبُّ إلىَّ من حجَّة نافلة؛ وقد جَعَلَ النَّبىُّ ﷺ المبكِّرَ إليها كالمُهْدِى هدياً إلى بيت الله الحرام. وفى حديث ضعيف: «**الجمعة حجُّ المساكين**»[2].

---

(١) **حسن**. رواه الترمذى فى «الصلاة» (٥٨٦) باب: ذكر ما يستحب من الجلوس فى المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس. والبغوى فى «شرح السنة» (٧١٠) من حديث أنس رضى الله عنه وفى سنده أبى ظلال، وهو هلال بن أبى هلال وهو ضعيف كما فى «التقريب»(٢/ ٣٢٥) ولكن للحديث شواهد يتقوى بها عن معاذ وأبى أمامة وابن عمر وعتبه بن عبيد. وانظر « الترغيب والترهيب» (١/ ١٦٤ - ١٦٦).

(٢) **موضوع**. رواه القضاعى فى «مسند الشهاب» (١/ ٨١) رقم (٧٨) وفى سنده عيسى بن إبراهيم الهاشمى كذبه وكيع والنسائى ثم هو لم يدرك الضحاك.

وفى تاريخ ابن عساكر: عن الأوزاعى، قال: مضرَّ يونس بنُ مَيْسَرَة بن جَلْبَسَ بماير «باب توما» فقال: السَّلام عليكم يا أهل القبور، أنتم لنا سَلَفٌ، ونحن لكم تبَعٌ. فرحمنا الله وإياكم، وغَفَرَ لنا ولكم، فكأنَّ قد صرنا إلى ما صرتم إليه. فردَّ الله الرُّوح إلى رجُل منهم، فأجابَه، فقال: طوبى لكم يا أهل الدنيا حين تحجُّون فى الشهر أربع مرار. قال: وإلى أين يرحَمُكَ الله؟ قال: إلى الجمعة، أمَا تعلمون أنَّها حجَّةٌ مبرورةٌ متقبَّلةٌ. قال: ما خير ما قدَّمتم؟ قال: الاستغفار يا أهل الدنيا. قال: فما يمنعكس أن تردُّ السَّلامَ؟ قال: يا أهلَ الدنيا، السَّلام والحَسنَاتُ قد رُفِعَتْ عنَّا، فلا فى حَسَنَة نزيدُ، ولا فى سيئة ننقص؛ غَلِقَتْ رُهُونُنا، يا أهلَ الدنيا.

فى سنن أبى داود، عن النَّبىِّ ﷺ، قال: «**مَن تطهر فى بيته، ثم خَرَجَ إلى المسجد لأداء صَلاة مكتوبة، فأجره مثلُ أجرِ الحاجِّ المحرمِ، ومَنْ خَرَجَ لصلاة الضحى، كانَ له مثلُ أجرِ المعتمر**»[1].

وفى حديث أنس: أنَّ النبيَّ ﷺ وصَّى رجلاً ببرِّ أُمِّه، وقال له: أنت حاجٌّ ومعتمر ومجاهدٌ، يعنى إذا بَرَّها[2].

وقال بعضُ الصحابة: الخروج إلى العيد يومض الفطر يَعْدلُ عُمْرَةً، ويومَ الأضْحَى يَعْدلُ حجَّةً.

قال الحسن: مَشْيُكَ فى حاجَةِ أخيكَ المسلمِ خيرٌ لكَ من حجَّة بعد حجَّة.
وقال عقبة بن عبد الغافر:

صلاة العشاء فى جماعة تعدل حجة، وصلاة الغد فى جماعة تعدل عمرة».
وقال أبو هريرة لرجل: بكورك إلى المسجد أحب إلىّ من غزوتنا مع رسول الله ﷺ ذكره الإمام أحمد. أداء الواجبات كلها أفضل من التنقل بالنقل بالحج والعمرة وغيرهما فإنه ما تقرب العباد إلى الله تعالى بأحب إليه من أداء ما افترض

(١) حسن. رواه أحمد (٥/٢٦٨) وأبو داود (٥٥٨) والبيهقى فى «السنن» (٣/٦٣).
(٢) ضعيف. رواه أبو يعلى (٥/١٤٩ ـ ١٥٠) رقم (٢٧٦٠) والطبرانى فى «الأوسط» (٣/١٩٩) رقم (٢٩٥) وفى «الصغير» (١/ ٨٠ ـ ٨١) والبيهقى فى «الشعب» (٦/١٧٩) رقم(٧٨٣٥) وفي سنده الحسن البصرى وهو مدلس وقد عنعنه.

عليهم، وكثير من الناس يهون عليه التنفل بالحج والصدقة، ولا يهون عليه أداء الوجبات من الديون ورد المظالم. وكذلك يثقل على كثير من النفوس التنزه عن كسب الحرام والشبهات، ويسهل عليها إنفاق ذلك فى الحج والصدقة . قال بعض السلف :ترك دانق مما يكره الله أحب إلىّ من خمسمائة حجة. كف الجوارح عن المحرمات أفضل من التطوع بالحج وغيره وهو أشق على النفوس. قال الفضيل بن عياض: ما حج ولا رباط ولا جهاد أشد من حبس اللسان ولو أصبحت يهمك لسانك أصبحت فى هم شديد، ليس الاعتبار بأعمال البر بالجوارح وإنما الاعتبار بلين القلوب وتقواها وتطهيرها عن الآثام. سفر الدنيا ينقطع بسير الأبدان،وسفر الآخرة ينقطع بسير القلوب. قال رجل لبعض العارفين: قد قطعت إليك مسافة قال: ليس هذا الأمر بقطع المسافات فارق نفسك بخطوة وقد وصلت إلى مقصودك. سير القلوب أبلغ من سير الأبدان. كم من واصل ببدنه إلى البيت وقلبه منقطع عن رب البيت، وكم من قاعد على فراشه فى بيته وقلبه متصل بالمحل الأعلى.

جسمى معى غير أن الروح عندكم ... فالجسم فى غربة والروح فى وطن

قال بعض العارفين: عجبا لمن يقطع المفاوز والقفار ليصل إلى البيت فيشاهد فيه آثار الأنبياء، كيف لا يقطع هواه ليصل إلى قلبه فيرى فيه أثر: «ويسعنى قلب عبدى المؤمن»، أيها المؤمن: إن لله بين جنبيك بيتاً لو طهرته لأشرق ذلك البيت بنور ربه، وانشرح وانفسح، أنشد الشبلى:

إن بيتا أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السرج
ومريضا أنت عائده ... قد أتاه الله بالفرج
وجهك المأمول حجتنا ... يوم يأتى الناس بالحجج

تطهيره تفريغه من كل ما يكرهه الله تعالى من أصنام النفس والهوى، ومتى بقيت فيه من ذلك بقية فالله أغنى الأغنياء عن الشرك وهو لا يرضى بمزاحمة الأصنام. قال سهل بن عبد الله: حرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيد مما يكرهه الله.

أردناكـــم صرفـــاً فلما مزجـتم ... بعدتم بمقــــدار التفاتكم عنـــا
وقلنا لكم لا تسكنوا القلب غيرنا ... فأسكنتم الأغيار مــــا أنتم منا

إخوانى إن حبستم العام عن الحج فارجعوا إلى جهاد النفوس فهو الجهاد الأكبر[١]، أو حصرتم عن أداء النسك فأريقوا على تخلفكم من الدموع ما تيسر؛ فإن إراقة الدماء لازمة للمحصر، ولا تحلقوا رؤوس أدانكم بالذنوب، فإن الذنوب حالقة الدين ليست حالقة الشعر؛ وقوموا لله باستشعار الرجاء والخوف مقام القيام بأرجاء الخيف والمشعر؛ ومن كان قد بعد عن حرم الله فلا يبعد نفسه بالذنوب عن رحمة الله، فإن رحمة الله قريب ممن تاب إليه واستغفر؛ ومن عجز عن حج البيت أو البيت منه بعد فليقصد رب البيت فإنه ممن دعاه ورجاه أقرب من حبل الوريد.

إليك قصدى رب البيت والحجر	فأنت سؤالى من حجى ومن عُمَرى
وفيك سعيى وتطوافى ومزدلفى	والهدى جسمى الذى يغنى عن الجزر
ومسجد الخيف خوفى من تباعدكم	ومشعرى ومقامى دونكم خطرى
زادى رجائى لكم والشوق راحلتى	والماء من عبراتى والهوى سفرى

وظيفة شهر ذى القعدة

خرج الإمام أحمد بإسناده عن رجل من باهلة قال: أتيت رسول الله ﷺ لحاجة مرة فقال: «من أنت؟» قلت: أما تعرفنى؟ قال: «ومن أنت؟» قلت: أنا الباهلى الذى أتيتك عام أول فقال: «إنك أتيتنى وجسمك ولونك وهيئتك حسنة فما بلغ بك وما أرى؟» قلت: والله ما أفطرت بعدك إلاَّ ليلاً قال: «من أمرك أن تعذب نفسك، من أمرك أن تعذب نفسك؟» - ثلاث مرات - «صم شهر الصبر» قلت: إنى أجد قوة وإنى أحب أن تزيدنى قال: «ثلاثة أيام من الشهر» قال: وألح

---

(١) القول بأن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر غير صواب، والجهاد الأكبر هو جهاد الأعداء فى سبيل الله. والبعض ينسب إلى النبى ﷺ القول المشهور« رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس» وقد رواه الخطيب البغداد فى «تاريخه» وابن الجوزى فى «ذم الهوى» عن جابر رضى الله عنه قال: قدم النبى ﷺ فى غزاة له فقال لهم رسول الله ﷺ« قدمتم خير مقدم، قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال: مجاهدة العبد هواه» وهو حديث ضعيف جداً فى سنده خلف بن محمد الخيام وهو ضعيف جداً كما قال أبى يعلى الخليلى وفى السند أيضا مجاهيل وهم حاتم بن نعيم، والحسن بن هاشم وعيسى بن موسى، وفيه أيضاً يحيى بن العلاء البجلى الرازى قال الحافظ« رمى بالوضع» وليث بن أبى سليم وهو ضعيف. والحديث رواه البيهقى فى «الزهد الكبير» من طريق آخر وفى سنده ليث بن أبى سليم ولذا قال البيهقى عقبه: هذا إسناد ضعيف.
وقال الحافظ ابن حجر فى «تسديد القوس» : هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن أبى عبلة.

عند الرابعة فما كاد فقلت: إنى أجد قوة وإنى أحب أن تزيدنى قال: «فمن الحرم وأفطر»[(١)]، وخرَّجه أبو داود والنسائى وابن ماجه بمعناه، وفى ألفاظهم زيادة ونقص، وفى بعض الروايات: « صم الحرم وأفطر» فى هذا الحديث دليل على أن من تكلف من العبادة ما يشق عليه حتى تأذى بذلك جسده فإنه غير مأمور بذلك، ولذلك قال النبى ﷺ له: «من أمرك أن تعذب نفسك»، وأعادها عليه ثلاث مرات وهذا كما قاله لمن رآه يمشى فى الحج وقد أجهد نفسه: «**إن الله لغنى عن تعذيب هذا نفسه فمروه فليركب**»[(٢)]. وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص حيث كان يصوم النهار ويقوم الليل ويختم القرآن فى كل ليلة ولا ينام مع أهله فأمره: «أن يصوم ويفطر ويقرأ القرآن فى كل سبع» وقال له: «إن لنفسك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأت كل ذى حق حقه»[(٣)]. ولما بلغه عن بعض الصحابة أنه قال: أنا أصوم ولا أفطر، وقال آخر منهم: أنا أقوم ولا أنام، وقال آخر منهم: لا أتزوج النساء، فخطب وقال: «ما بال رجال يقولون: كذا وكذا: لكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام وآكل اللحم وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منّى»[(٤)]. وسبب هذا: أن الله تعالى خلق ابن آدم محتاجاً إلى ما يقوم به بدنه من مأكل ومشرب ومنكح وملبس، وأباح له من ذلك كله ما هو طيب حلال تقوى به النفس ويصح به الجسد ويتعاونان على طاعة الله عزوجل، وحرم من ذلك ما هو ضار خبيث يوجب للنفس طغيانها وعماها وقسوتها وغفلتها وأشرها وبطرها، فمن أطاع نفسه فى تناول ما تشتهيه مما حرمه الله عليه فقد تعدى وطغى وظلم نفسه، ومن منعها حقها من المباح حتى تضررت بذلك فقد ظلمها ومنعها حقها، فإن كان ذلك سبباً لضعفها وعجزها عن أداء شىء من فرائض الله عليه وحقوق الله عز وجل أو حقوق عباده كان بذلك عاصياً، وإن كان ذلك سببا للعجز عن نوافل هى أفضل مما

---

(١) سبق تخريجه

(٢) رواه البخارى (٦٧٠١) كتاب الأيمان والنذور، باب: النذور فيما لا يملك وفى معصية ،من حديث أنس رضى الله عنه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه البخارى (٥٠٦٣) كتاب النكاح، باب: الترغيب فى النكاح. ومسلم (٣٣٤٣) كتاب النكاح، باب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج. وأحمد (٣/ ٢٤١) والنسائى (٦/ ٦٠) كتاب النكاح، باب: النهى عن التبتل. من حديث أنس رضى الله عنه.

فعله كان بذاك مفرطاً مغبوناً خاسراً. وقد كان رجل فى أمن التابعين يصوم ويواصل حتى يعجز عن القيام فكان يصلى الفرض جالساً فأنكروا ذلك عليه حتى قال عمرو بن ميمون: لو أدرك هذا أصحاب محمدﷺ لرجموه. وكان ابن مسعود يُقل الصيام ويقول: إنه يضعفنى عن قراءة القرآن، وقراءة القرآن أحبّ إلىّ. وأحرم رجل من الكوفة فقدم مكة وقد أصابه الجهد فرآه عمر بن الخطاب وهو سيئ الهيئة فأخذ عمر بيده وجعل يدور به الحلق ويقول للناس: إنظروا إلى ما يصنع هذا بنفسه وقد وسع الله عليه. فمن تكلف من التطوع ما يتضرر به فى جسمه كما فعل هذا الباهلى، أو يمنع به حقا واجبا عليه كما فعل عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره ممن عزم على ترك المباحات فى عهد النبى ﷺ فإنه ينهى عن ذلك. ومن احتمل بدنه ذلك ولم يمنعه من حق واجب عليه لم ينه عن ذلك إلاَّ أن يمنعه عما هو أفضل من ذلك من النوافل فإنه يرشد إلى الأفضل. وأحوال الناس تختلف فيما تحمل أبدانهم من العمل. كان سفيان الثورى يصوم ثلاثة أيام من الشهر فيرى أثر ذلك عليه؛ وكان غيره فى زمنه يصوم الدهر فلا يظهر عليه أثره؛ وكان كثير من المتقدمين يحملون على أنفسهم من الأعمال ما يضر بأجسادهم ويحتسبون أجر ذلك عند الله، وهؤلاء قوم أهل صدق وَجَدّ واجتهادا فيحثون على ذلك ولكن لا يقتدى بهم وإنما اقتدى به وسلك وراءه وصل إلى الله عز وجل. وقد كان النبى ﷺ ينهى عن التعسيو ويأمر بالتيسير ودينه الذى بعث به يسر، وكان يقول: «**خير دينكم أيسره**»[1]. ورأى رجلاً يكثر الصلاة فقال: «**إنكم أمة أريد بكم اليسر**»[2]. ولم يكن أكثر تطوع النبى ﷺ وخواص أصحابه بكثرة الصوم والصلاة بل ببر القلوب وطهارتها وسلامتها وقوة تعلقها بالله خشية له ومحبة وإجلالاً وتعظيماً، ورغبة فيما عنده، وزهداً فيما يفنى. وفى المسند عن عائشة رضى الله عنها أن النبى:ﷺ قال: «**إنى أعلمكم بالله، وأتقاكم له قلباً**»[3].

قال ابن مسعود رضى الله عنه لأصحابه: أنتم أكثر صلاة وصياماً من أصحاب محمد ﷺ وهمك كانوا خيراً منكم قالوا: ولم؟ قال: كانوا أزهد منكم فى

---

(١) **حسن**. رواه أحمد (٣/٤٧٩).

(٢) **ضعيف**. رواه أبو بكر بن مردويه فى «تفسيره» كما فى «تفسير ابن كثير» (١/٢١٧).

(٣) **صحيح**. رواه أحمد (٦/٦١)

الدنيا، وأرغب في الآخرة. وقال بكر المزني: ما سبقهم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره.

قال بعض العلماء المتقدمين: الذي وقر في صدره هو حب الله، والنصيحة لخلقه. وسئلت فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز بعد وفاته عن عمله؟ فقالت: والله ما كان بأكثر الناس صلاة ولا بأكثرهم صياماً، ولكن والله ما رأيت أحداً أخوف لله من عمر، لقد كان يذكر الله في فراشه فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف حتى نقول: ليصبحن الناس ولا خليفة لهم. قال بعض السلف: ما بلغ من بلغ عندنا بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بسخاوة النفوس وسلامة الصدور، والنصح للأمة. وزاد بعضهم واحتقار أنفسهم. وذكر لبعضهم شدة اجتهاد بني إسرائيل في العبادة فقال: إنما يريد الله منكم صدق النية فيما عنده، فمن كان بالله أعرف فله أخوف وفيما عنده أرغب، فهو أفضل ممن دون في ذلك وإن كثر صومه وصلاته. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: يا حبذا نوم الأكياس[1] وفطرهم كيف يسبق سهر الجاهلين وصيامهم. ولهذا المعنى كان فضل العلم النافع الدال على معرفة الله وخشيته ومحبته ومحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه لا سيما عند غلبة الجهل والتعبد به أفضل من التطوع بأعمال الجوارح، قال ابن مسعود رضي الله عنه: أنتم في زمان العمل فيه أفضل من العلم، وسيأتي زمان العلم فيه أفضل من العمل. وقال مطرف: فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع، وخرّجه الحاكم وغيره مرفوعاً[2]، ونص كثير من الأئمة على أن طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، وكذلك الاشتغال بتطهير القلوب أفضل من الاستكثار من الصوم والصلاة مع غش القلوب ودغلها، ومثل من يستكثر من الصوم والصلاة مع دغل القلب وغشه كمثل من بذر بذراً في أرض دغلة كثيرة الشوك فلا يزكو ما ينبت فيها من الزرع بل يمحقه دغل الأرض ويفسده فإذا نظفت الأرض من دغلها زكى ما ينبت فيها ونما. قال يحيى بن معاذ: كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم، هذا استغفر وقلبه فاجر وهذا سكت وقلبه ذاكر.

---

(١) الكيس: الخفة والتوقد، والجمع أكياس

(٢) رواه الحاكم (١/٩٢) من حديث سعد بن أبي وقاص ورواه الطبراني في «الأوسط» (٤/١٩٦) رقم (٣٩٦٠) والبزار كما في «المجمع» (١/ ١٢٠) والحديث صحيح بطرقه وشواهده».

وقال غيره: ليس الشأن فيمن يقوم الليل، إنما الشأن فيمن ينام على فراشه ثم يصبح وقد سبق الركب. من سار على طريق الرسول ﷺ ومنهاجه وإن اقتصد فإنه يسبق من سار على غير طريقه وإن اجتهد.

مـــن لى بمثل سيرك المـــذلل   تمشى رويداً وتجىء فى الأول

والمقصود أن هذا الباهلى لما رآه النبى ﷺ وقد أنهكه الصوم وغير هيئته وأضرّ به فى جسده، أمره أولاً: أن يقتصر على صيام شهر الصبر وهو شهر رمضان فإنه الشهر الذى افترض الله صيامه على المسلمين واكتفى منهم بصيامه من السنة كلها وصيامه كفارة لما بين الرمضانين إذا اجتنبت الكبائر. فطلب منه الباهلى أن يزيده من الصيام ويأمره بالتطوع وأخبره أنه يجد قوة على الصيام فقال له: «صم ثلاثة أيام من الشهر» قال: وألح عند الثالثة فما كاد يعنى ما كاد يزيده على الثلاثة أيام من الشهر، وهكذا قال لعبد الله بن عمرو بن العاص أيضا، ففى صحيح مسلم عنه أن النبى ﷺ قال: له «صم يوماً يعنى من الشهر ولك أجر ما بقى» قال : إنى أطيق أكثر من ذلك قال: «صم يومين ولك أجر ما بقى» قال: إنى أطيق أكثر من ذلك قال: **«صم ثلاثة أيام ولك أجر ما بقى»**[1]. ففى هذا أن صيام ثلاثة أيام من الشهر يحصل به أجر صيام الشهر كله وكذلك صيام يومين منه، ووجه ذلك أن الصيام يضاعف مالا يضاعف غيره من الأعمال، وقد سبق ذكر ذلك عند الكلام على حديث: **«كل عمل ابن ادم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل: «إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به»**[2]، فالصيام لا يعلم منتهى مضاعفته إلا الله عز وجل وكلما قوى الإخلاص فيه وإخفاؤه وتنزيهه من المحرمات والمكروهات كثرت مضاعفته، فلا يستنكر أن يصوم الرجل يوما من الشهر فيضاعف له بثواب ثلاثين يوما فيكتب له صيام الشهر كله وكذلك إذا صام يومين من الشهر، وأما إذا صام منه ثلاثة أيام فهو ظاهر لأن الحسنة بعشر أمثالها. وخرّج الترمذى والنسائى عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٦) كتاب الصيام، باب: النهى عن صوم الدهر لمن تضرر به. والنسائى فى «الصيام» (٤/ ٢١٢) باب: ذكر الزيادة فى الصيام والنقصان. و(٤/ ٢١٧) باب: صيام أربعة أيام من الشهر.

(٢) سبق تخريجه.

من كل شهر ثلاثة أيام كان كمن صام الدهر» فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك: ﴿**مَن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾[١] اليوم بعشرة أيام[٢]. وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**صم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر**»[٣]. وفى رواية فيهما أيضاً: «أن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها فإن ذلك صيام الدهر كله». وفى المسند عن قرة المزنى عن النبى ﷺ قال: «**صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وإفطاره**»[٤] يعنى صيامه فى مضاعفة الله وإفطاره فى رخصة الله، كما كان أبو هريرة رضى الله عنه وأبو ذر يقولان ذلك، وكانا يصومان ثلاثة أيام من كل شهر ويقولان فى سائر أيام الشهر نحن صيام ويتأولان أنهما صيام فى مضاعفة الله وهما مفطران فى رخصة الله، وقد وصى النبى ﷺ جماعة من أصحابه بصيام ثلاثة أيام من كل شهر منهم: أبو هريرة رضى الله عنه، وأبو الدرداء وأبو ذر وغيرهم، وفى المسند أن النبى ﷺ قال فى صيام ثلاثة أيام من كل شهر: «**هو صوم حسن**»[٥]. وفيه أيضاً عن أبى ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر، ويذهب مغلة الصدر» قلت: وما مغلة الصدر؟ قال: «**رجس الشيطان**»[٦]. وفيه أيضا عن رجل عن النبى ﷺ قال: «**صيام شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن كثيراً من وحر الصدر**»[٧]. وفى غير هذه الرواية: «وغر

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٦٠.

(٢) **صحيح**. رواه أحمد (٥/ ١٤٥ ـ ١٤٦) والترمذى (٧٦٢) والنسائى فى «الصيام فى «الكبرى» (٢/ ١٣٤) رقم (٢٧١٧) وابن ماجه (١٧٠٨ وقال الترمذى: حسن صحيح.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) **صحيح**. رواه أحمد ٣٠/٣٥, ٤٣٥, ٤٣٦, ٤/١٩, ٥/٣٤, ٣٥)والبزار (١٠٥٩) والطبرانى فى «الكبير» (١٩/ ٢٦) رقم (٥٣).

(٥) **صحيح**. رواه أحمد (٤/ ٢١٧) والنسائى فى «الصوم» (٤/ ٢١٩) باب: صوم ثلاثة أيام من الشهر. من حديث عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه.

(٦) **ضعيف**: رواه أحمد (٥/ ١٥٤) والطيالسى (٤٨٢) والبيهقى فى «الشعب» (٣/ ٣٩١) رقم (٣٨٥٦) وفى سنده مجهول.

(٧) **صحيح**. رواه أحمد (٥/ ٣٦٣)

الصدر» وهما بمعنى واحد، يقال: وحر صدره، ووغر: إذا كان فيه غل وغش. وقيل: الوحر الغل، والوغر الغيظ. وقد كان النبى ﷺ يتحرى صيام ثلاثة أيام من كل شهر وكذلك كان إبراهيم عليه السلام كما خرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه مرفوعاً: «صيام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر، صام الدهر وأفطر الدهر»(١). وفى السنن عن حفصة رضى الله عنها: «أن النبى ﷺ كان يصوم العشر وعاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر»(٢)، وفى إسناده اختلاف. وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها: «أن النبى ﷺ كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر» قيل لها من أيه كان يصوم؟ قالت: كان لا يبالى من أيه صام.(٣) ففى هذا الحديث أنه ﷺ لم يكن يبالى من أى الشهر صام الأيام الثلاثة.

وقد روى فى صفة صيام النبى ﷺ للأيام الثلاثة من الشهر أنواع أخر: **أحدهما**: ما خرَّجه الترمذى من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم من الشهر السبت والأحد والإثنين، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس»(٤). وقال: حديث حسن، وذكر أن بعضهم رواه موقوفاً يعنى من قول عائشة رضى الله عنها غير مرفوع. **الثانى**: ما خرَّجه أبو داود وغيره من حديث حفصة: «أن النبى ﷺ كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر الإثنين والخميس

---

(١) الذى وقفت عليه فى سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن النبىﷺ قال: « صام نوح الدهر إلا يوم الفطر ويوم الأضحى» وفى سنده بن لهيعة وهو ضعيف

(٢) **ضعيف**. رواه النسائى فى «الصوم» (٤/ ٢٢٠) باب: كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر. وفى سنده «أبو إسحاق الأشجعى الكوفى» وهو مقبول كما فى «التقريب» (٢/ ٣٩٠).

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٨) كتاب الصيام ،باب: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء . . وأبو داود فى «الصوم» (٢٤٥٣) باب: من قال: لا يبالى من الشهر والترمذى فى «الصيام» (٧٦٣) باب: ما جاء فى صوم ثلاثة أيام من كل شهر وابن ماجه فى «الصيام» (١٧٠٩) باب: ما جاء فى صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

(٤) **ضعيف**. رواه الترمذى فى «الصوم» ٧٤٦٠) باب: ما جاء فى صوم يوم الإثنين والخميس. وقال: هذا حديث حسن. وروى عبد الرحمن بن مهدى هذا الحديث عن سفيان ولم يرفعه١٠ هـ قلت: فى سنده أبو أحمد الزبيرى وهو محمد بن عبد الله بن الزبير، وهو وإن كان ثقة إلا أنه قد يخطئ فى حديث الثورى كما فى «التقريب» (٢/١٧٦) ومعاوية بن هشام القصار صدوق له أوهام كما فى «التقريب» (٢/ ٢٦٠). وقد خالفهما عبد الرحمن بن مهدى فرواه موقوفاً وابن مهدى أثبت فى سفيان الثورى.

والإثنين من الجمعة الأخرى[1]، فعلى هذه الرواية كان النبى ﷺ يجعلها من أول الشهر ولا يوالى بينها بل كان يتحرى بها يوم الإثنين مرتين والخميس مرة. **الثالث**: عكس الثاني: خرجه النسائى من حديث حفصة أيضا: «أن النبى ﷺ كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام أول إثنين من الشهر ثم الخميس ثم الخميس الذى يليه»[2]، وفى رواية له أيضاً: «أول إثنين من الشهر وخميسين»، وخرَّج أبو داود من حديث أم سلمة عن النبى ﷺ معنى ذلك[3]. وفى رواية فى المسند: «الإثنين والجمعة والخميس»[4] وكأنها غير محفوظة فإن كانت محفوظة **فهى نوع رابع، والنوع الخامس**: ما خرَّجه أبو داود والنسائى والترمذى من حديث ابن مسعود، رضى الله عنه: «أن النبى ﷺ كان يصوم من غرة كل شهر ثلاثة أيام»[5] وحسنه الترمذى، وذكر أن بعضهم لم يرفعه يعنى أنه وقفه على ابن مسعود وظاهر هذا أنه كان يواى بين الأيام الثلاثة من أول كل شهر. **النوع السادس**: أنه كان يصوم أيام البيض فخرّج النسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما: «أن النبى ﷺ كان لا يدع صيام أيام البيض فى حضر ولا سفر»[6]. وخرَّج الترمذى والنسائى عن أبى ذر رضى الله عنه: أن النبى ﷺ أمره بصيام أيام البيض: ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة»[7] وفى السنن الأربعة خلا الترمذى عن قتادة بن ملحان عن النبى ﷺ نحوه[8]. وخرّج النسائى من حديث جابر البجلى عن النبى

---

(١) **ضعيف**. رواه أحمد (٦/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) وأبو داود (٢٤٥١) والنسائى فى «الكبرى» (٢/ ١٢٢) رقم (٢٦٧٥) وفى سنده سواء الخزاعى وهو مقبول كما فى «التقريب» (١/ ٣٣٨).

(٢) سبق تخريجه. (٣) سبق تخريجه. (٤) سبق تخريجه.

(٥) **حسن**. رواه أبو داود (٢٤٥٠) والترمذى (٧٤٢) والنسائى (٤/ ٢٠٤) وابن خزيمة (٢١٢٩) وابن ماجة (١٧٢٥).

(٦) **صحيح**. رواه النسائى (٤/ ١٩٨ ـ ١٩٩) والطبرانى فى « الكبير» ٢٠/ ١) رقم (١٢٣٢٠).

(٧) **حسن**. رواه الترمذى (٧٦١) والنسائى (٤/ ٢٢ ـ ٢٢٣) قال ابن الأثير: أيام البيض من كل شهر: ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر، وسميت بيضا؛لأن لياليها بيضٌ، لطلوع القمر فيها من أولها إلى آخرها، ولا بدمن حذف مضاف تقديره: أيام الليالى البيض.

(٨) **ضعيف**. رواه أحمد (٥/ ٢٧) وأبو داود (٢٤٤٩) والنسائى (٤/ ١٢٤ ـ ٢٢٥) وابن ماجه (١٧٠٧) والطبرانى فى «الكبير» (١٩/ ١٥) رقم (٢٣) وفى سنده عبد الملك بن قتادة بن ملحان وهو مقبول كما فى «التقريب» (١/ ٥٢١).

ﷺ نحوه أيضاً[1]. وقد روى عن الحسن: أنه كان يصوم خمسة أيام من أول الشهر ويقول: ما يدرينى لعلى لا أدرك البيض. وفى كتاب مناقب الحسن لأبى حيان التوحيدى: أن رجلاً سأل الحسن لأى شىء استحب صيام أيام البيض؟ فلم يدر ما يقول، فقال أعرابى عنده؛ لأن القمر ينكسف فى لياليهن فيكون الناس عند حدوث الآيات على عبادة. فقال الحسن: خذوها من غير فقيه.

وفى حديث الباهلى أنه قال للنبى ﷺ بعد ذلك: إنى أجد قوة وإنى أحب أن تزيدنى فقال له: «فمن الحرم وأفطر»[2]. وفى رواية: «صم الحرم وأفطر»، وفى رواية قال: «صم الأشهر الحرم». فهذا دليل على فضل صيام الأشهر الحرم الأربعة التى ذكرها الله تعالى فى كتابه بقوله: ﴿**منها أربعة حُرم**﴾[3]، وقد: فسرها النبى ﷺ فى حديث أبى بكرة«بأنها ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وشهر رجب»[4]. وقد ذكرناه فى وظيفة شهر رجب، وذكرنا عن ابن عباس رضى الله عنهما أن العمل الصالح والأجر فى هذه الحرم أعظم، وذكرنا فى وظائف المحرم قول النبى ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله الذى تدعونه المحرم**»[5]. وسيأتى فى وظائف ذى الحجة ذكر فضل صيام عشر ذى الحجة إن شاء الله. وقد كان كثير من السلف يصوم الأشهر الحرم كلها، روى ذلك عن ابن عمر والحسن البصرى وأبى إسحاق السبيعى. وقال سفيان الثورى: الأشهر الحرم أحب إلىَّ أن يصام منها. وروى خلاد الصفار عن أبى مسلم قال: صيام يوم من أشهر الحج أو قال أشهر الحرم يعدل شهراً، وصيام يوم من غير الأشهر الحرم يعدل عشراً. وروى عن النخعى نحوه لكنه قال: من حديث أنس وإسناده ضعيف جداً. ويروى بإسناد مجهول عن أنس مرفوعاً: «من صام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له عبادة تسعمائة سنة»، وقال كعب: اختار الله الزمان فأحببه إليه الأشهر الحرم. ويروى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً ولا يصح وعن قيس بن عباد أنه قال: ليس فى الأشهر الحرم شهر إلا فى اليوم العاشر منه خير، قال: ففى الحجة فى العاشر النحر يوم الحج الأكبر، وفى المحرم العاشر

(١) حسن. رواه النسائى فى «الصوم» (٤/ ٢٢١) باب: كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر.
(٢) سبق تخريجه
(٣) سورة التوبة : آية ٣٦ (٤) سبق تخريجه. (٥) سبق تخريجه.

عاشوراء، وفى العاشر من رجب ﴿يَمحو الله ما يشاء ويُثبت﴾[1]. قال الراوى: ونسيت ما قال فى ذى القعدة. وقد تقدم فى ذكر وظيفة رجب أنه روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه ذكر من عجائب الدنيا بأرض عاد عمود من نحاس عليه شجرة من نحاس فإذا كان فى الأشهر الحرم قطر منها الماء فملؤوا منه حياضهم، وسقوا مواشيهم وزروعهم، فإذا ذهبت الأشهر الحرم انقطع الماء.

وذو القعدة من الأشهر الحرم بغير خلاف وهو أول الأشهر الحرم المتوالية وهل هو أول الحرم مطلقاً أم لا؟ فيه خلاف ذكرناه فى وظيفة رجب وهو أيضا من أشهر الحج التى قال الله تعالى فيها: ﴿الحجّ أشهر مَعلومات﴾[2]، وقيل: إن تحريم ذى القعدة كان فى الجاهلية لأجل السير إلى الحج، وسمى ذا القعدة لقعودهم فيه عن القتال، وتحريم المحرم لرجوع الناس فيه من الحج إلى بلادهم، وتحريم ذى الحجة لوقوع حجهم فيه، وتحريم رجب كان للاعتمار فيه من البلاد القريبة. ومن خصائص ذى القعدة أن عُمَر النبى ﷺ كلها كانت فى ذى القعدة سوى عمرته التى قرنها بحجته مع أنه ﷺ أحرم بها أيضاً فى ذى القعدة وفعلها فى ذى الحجة مع حجته وكانت عُمَره ﷺ أربعاً: عُمْرة الحديبية ولم يتمها بل تحلل منها ورجع، وعمرة القضاء من قابل، وعُمْرة الجعرانة عام الفتح لما قسم غنائم حنين. وقيل: إنها كانت فى آخر شوال، والمشهور أنها كانت فى ذى القعدة وعليه الجمهور، وعمرته فى حجة الوداع كما دلت عليه النصوص الصحيحة وعليه جمهور العلماء أيضا. وقد روى عن طائفة من السلف منهم ابن عمر وعائشة وعطاء تفضيل عمرة ذى القعدة وشوال على رمضان؛ لأن النبى ﷺ اعتمر فى ذى القعدة وفى أشهر الحج حيث يجب عليه الهدى إذا حج من عامه؛ لأن الهدى زيادة نسك فيجتمع نسك العمرة مع نسك الهدى. ولذى القعدة فضيلة أخرى وهى أنه قد قيل: إنه الثلاثون يوماً الذى واعد الله فيه موسى عليه السلام قال ليث عن مجاهد فى قوله تعالى: ﴿وَواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾، قال ذو القعدة، ﴿وأتممناها بعَشر﴾ قال عشر ذى الحجة[3]. يا من لا يقلع عن ارتكاب الحرام لا فى شهر حلال ولا فى

---

(1) سورة الرعد: آية ٣٩ .

(2) سورة البقرة : آية ١٩٧ .

(3) رواه عبد الرزاق فى «تفسيره» (١/ ٢٢٢) وسنده صحيح. والآية من سورة الأعراف رقم ١٤ .

شهر حرام، يا من هو فى الطاعات إلى وراء وفى المعاصى إلى قدام، يا من هو فى كل يوم من عمره شرٌ مما كان فى قبله من الأيام، متى تستفيق من هذا المنام، متى تتوب من هذا الإجرام، يا من أنذره الشيب بالموت وهو مقيم على الآثام، أما كفاك واعظ الشيب مع واعظ القرآن والإسلام؟ الموت خير لك من الحياة على هذه الحال والسلام.

يا غاديا فى غفلة ورائحا	إلى متى تستحسنُ القبائحا
وكم إلى كم لا تخافُ موقفا	يستنطق الله به الجوارحا
واعجبا منك وأنت مبصرٌ	كيف تجنبت الطريق الواضحا
وكيف ترضى أن تكون خاسرا	يوم يفوز من يكونُ رابحا

●●●●●

وظائف شهر ذى الحجة ويشتمل على مجالس

المجلس الأول فى فضل عشر ذى الحجة

خرّج البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام**» يعنى أيام العشر قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: «**ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء**»[(١)].

الكلام فى فضل عشر ذى الحجة فى فصلين: فى فضل العمل فيه وعليه دل هذا الحديث. وفى فضله فى نفسه.

*****

الفصل الأول

فى فضل العمل فيه

وقد دل هذا الحديث على أن العمل فى أيامه أحب إلى الله من العمل فى أيام الدنيا من غير استثناء شىء منها وإذا كان أحب إلى الله فهو أفضل عنده. وقد ورد هذا الحديث بلفظ: «ما من أيام العمل فيها أفضل من أيام العشر» وروى بالشك فى لفظه: «أحب أو أفضل» وإذا كان العمل فى أيام العشر أفضل وأحب إلى الله من العمل فى غيره من أيام السنة كلها، صار العمل فيه وإن كان مفضولاً أفضل من العمل فى غيره وإن كان فاضلاً. ولهذا قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال: «ولا الجهاد»، ثم استثنى جهادا واحدا هو أفضل الجهاد فإنه ﷺ سئل: أي الجهاد أفضل؟ قال: «من عقر جواده وأهريق دمه»[(٢)] وصاحبه أفضل

---

(١) رواه البخارى (٩٦٩) كتاب العيدين، باب: فضل العمل فى أيام التشريق. وأبو داود فى «الصوم» (٢٤٣٨) باب: صوم العشر والترمذى فى «الصوم» (٧٥٧) باب: ما جاء فى العمل فى أيام العشر. وابن ماجه فى «الصيام» (١٧٢٧) باب: صيام العشر

(٢) حسن. رواه أحمد (٣/ ٤١١, ٤١٢) وأبو داود (١٤٤٩) كتاب الصلاة ، باب: طول القيام. والنسائى فى الزكاة(٥/ ٥٨) باب: جهد المقل.

الناس درجة عند الله»، سمع النبى ﷺ رجلاً يدعو يقول: «اللهم أعطنى أفضل ما تعطى عبادك الصالحين قال: إذن يعقر جوادك وتستشهد»[1]. فهذا الجهاد بخصوصه يفضل على العمل فى العشر، وأما بقية أنواع الجهاد فإن العمل فى عشر ذى الحجة أفضل وأحب إلى الله عزوجل منها. وكذلك سائر الأعمال، وهذا يدل على أن العمل المفضول فى الوقت يلتحق بالعمل الفاضل فى غيره ويزيد عليه لمضاعفة ثوابه وأجره. وقد روى فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما: «هذا زيادة والعمل فيهن يضاعف بسبعمائة»، وفى إسنادها ضعف. وقد ورد فى قدر المضاعفة روايات متعددة مختلفة فخرّج الترمذى وابن ماجه من رواية النهاس بن قهم عن قتادة عن ابن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذى الحجة، يعدل صيام كل يوم منها بسنة، وكل ليلة منها بقيام ليلة القدر»[2]، والنهاس بن قهم ضعفوه، وذكر الترمذى عن البخارى أن الحديث يروى عن قتادة عن سعيد مرسلاً. وروى ثوبر بن أبى فاختة - وفيه ضعف - عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: ليس يوم أعظم عند الله من يوم الجمعة ليس العشر فإن العمل فيها يعدل عمل سنة. وروى أبو عمرو النيسابورى فى كتاب الحكايات بإسناده عن حميد قال: سمعت ابن سيرين وقتادة يقولان: صوم كل يوم من العشر يعدل سنة. وقد روى فى المضاعفة أكثر من ذلك. فروى هارون بن موسى النحوى قال: سمعت الحسن يحدث عن أنس بن مالك قال: كان يقال فى أيام العشر: بكل يوم ألف يوم، ويوم عرفة عشرة آلاف، قال الحاكم: هذا من المسانيد التى لا يذكر سندها عن رسول الله ﷺ. وروى فى المضاعفة أقل من سنة. قال حميد بن زنجويه: حدثنا

---

(١) **ضعيف**. رواه النسائى فى عمل اليوم والليلة (٩٣) وأبو يعلى (٧٦٩،٦٩٧) وابن السنى فى «عمل اليوم والليلة» (١٠٦) وابن خزيمة (٤٥٣) والبخارى فى «التاريخ الكبير» (٢٢٢/١) وابن حبان (٤٦٤٠ - إحسان) وفى سنده محمد بن مسلم بن عائد قال الذهبى: لا يعرف، وقال أبو حاتم: مجهول. ولكن الحديث رواه الحاكم (٢٠٧/١) عن طريق الدراوردى مع حذف محمد بن مسلم بن عائد وصححه ووافقه الذهبى

(٢) **ضعيف**. رواه الترمذى فى «الصوم» (٧٥٨) باب: ما جاء فى العمل أيام العشر. وابن ماجه فى «الصيام» (١٧٢٨) باب: صيام العشر، والبغوى فى «شرح السنة» (١١٢٦) وفى سنده النهاس بن قهم وهو ضعيف كما فى «التقريب» (٣٠٧/٢).

يحيى بن عبد الله الحرانى حدثنا أبو بكر بن أبى مريم عن راشد بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «صيام كل يوم من أيام العشر كصيام شهر»، وهذا مرسل ضعيف الإسناد. وروى عبد الرزاق فى كتابه عن جعفر عن هشام عن الحسن قال: صيام يوم من العشر يعدل شهرين. وقال عبد الكريم عن مجاهد: العمل فى العشر يضاعف، وفى المضاعفة أحاديث أخر مرفوعة لكنها موضوعة فلذلك أعرضنا عنها وعمّا أشبهها من الموضوعات فى فضائل العشر وهى كثيرة.

وقد دل حديث ابن عباس على مضاعفة جميع الأعمال الصالحة فى العشر من غير استثناء شىء منها، وقد روى فى خصوص صيام أيامه وقيام لياليه وكثرة الذكر فيه ما يذكر مما يحسن ذكره دون ما لا يحسن لعدم صحته، وقد سبق حديث أبى هريرة فى ذلك، مرسل راشد بن سعد وما روى عن الحسن وابن سيرين وقتادة فى صومه. وفى المسند والسنن عن حفصة: «أن النبى ﷺ كان لايدع صيام عاشوراء، والعشر، وثلاثة أيام من كل شهر»[1]، وفى إسناده اختلاف، وروى عن بعض أزواج النبى ﷺ: **«أن النبى ﷺ كان لا يدع صيام تسع ذى الحجة»**[2]. وممن كان يصوم العشر عبد الله بن عمر رضى الله عنهما. وقد تقدم عن الحسن وابن سيرين وقتادة ذكر فضل ذكر صيامه وهو قول أكثر العلماء أو كثير منهم. وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ صائماً العشر قط[3]. وفى رواية فى العشر قط، وقد إختلفت جواب الإمام أحمد عن هذا الحديث فأجاب مرة بأنه قد روى خلافه، وذكر حديث حفصة وأشار إلى أنه إختلف فى إسناد حديث عائشة فأسنده الأعمش، ورواه منصور عن إبراهيم مرسلاً، وكذلك أجاب غيره من العلماء بأنه إذا اختلف عائشة وحفصة فى النفى

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) حسن. رواه أبو داود فى «الصوم» (٢٤٣٧) باب: فى صوم العشر. عن هنيدة بن خالد عن امرأته، عن بعض أزواج النبى ﷺ.

(٣) رواه مسلم (٢٧٤٣و٢٧٤٤) كتاب الاعتكاف، باب: صوم عشر ذى الحج. وأبو داود فى «الصوم» (٢٤٣٩) باب: فى فطر العشر، والترمذى فى «الصوم» (٧٢٩) باب: ما جاء فى مباشرة الصائم. والنسائى فى «الصيام» فى «الكبرى» (٢/ ١٦٥) رقم (٢٨٧٢و٢٨٧٤).

والإثبات أخذ بقول المثبت؛ لأن معه علماً خفى على النافى[1]. وأجاب أحمد مرة أخرى بأن عائشة أرادت أنه لم يصم العشر كاملاً يعنى وحفصة أرادت أنه كان يصوم غالبه، فينبغى أن يصام بعضه ويفطر بعضه، وهذا الجمع يصح فى رواية من روى ما رأيته صائماً العشر، وأما من روى ما رأيته صائماً فى الشعر فيبعد أو يتعذر هذا الجمع فيه، وكان ابن سيرين يكره أن يقال: صام العشر لأنه يوهم دخول يوم النحر فيه وإنما يقال: صام التسع، ولكن الصيام إذا أضيف إلى العشر فالمراد صيام ما يجوز صومه منه. وقد سبق حديث: «أن النبى ﷺ كان يصوم العشر»، ولو نذر صيام العشر فينبغى أن ينصرف إلى التسع. ويحتمل أن يخرج فى لزوم القضاء ولا كفارة ، فإنه غلب استعماله عرفاً فى التسع. ويحتمل أن يخرج فى لزوم القضاء والكفارة خلاف فإن أحمد قال فيمن نذر صوم شوال فأفطر يوم الفطر وصام باقيه: أنه يلزمه قضاء يوم وكفارة، وقال القاضى أبو يعلى: هذا إذا نوى صوم جمعية،فأما إن أطلق لم يلزمه شىء لأنه يوم الفطر مستثنى شرعاً وهذا قاعدة من قواعد الفقه وهى أن العموم هل يخص بالشرع أم لا؟ ففى المسألة خلاف مشهور. وأما قيام ليالى العشر فمستحب وقد سبق الحديث فى ذلك، وقد ورد فى خصوص إحياء ليلتى العيدين أحاديث لا تصح[2]، وورد إجابة الدعاء فيهما واستحبه الشافعى وغيره من العلماء، وكان سعيد بن جبير وهو الذى روى هذا الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما إذا دخل العشر اجتهد اجتهادا حتى ما يكاد يقدر عليه، وروى عنه أنه قال: لا تطفئوا سرجكم ليالى العشر تعجبه العباده، وأما استحباب الإكثار من الذكر فيها،فقد دل عليه قول الله عز وجل:

---

(١) قال الشوكانى: قال العلماء: المراد أنه لم يصمها لعارض مرض أو سفر أو غيرهما أو أن عدم رؤياها له صائماً لا يستلزم العدم، على أنه قد ثبت من قوله ما يدل على مشروعية صومها. «نيل الأوطار» (٤/ ٢٨٢).

(٢) مثل حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» قال الهيثمى فى «المجمع» (٢/ ١٩٨ رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه عمر بن هارون البلخى والغالب عليه الضعف.

ومثل حديث أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « من قام ليلتى العيد محتسباً لله لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» رواه ابن ماجه (١٧٨٢) وفى سنده بقية بن الوليد وهو يدلس تدليس التسوية وقد عنعنه.

﴿وَيذكروا اسم الله فى أيام مَعلومات﴾[1] فإن الأيام المعلومات هى أيام العشر عند جمهور العلماء، وسيأتى ذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى. وفى مسند الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «ما من أيام أعظم ولا أحب إليه العمل فيهن عند الله من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد»[2]، فإن قيل: فإذا كان العمل فى أيام العشر أفضل من العمل فى غيرها؟ وإن كان ذلك العمل أفضل فى نفسه مما عمل فى العشر لفضيلة العشر فى نفسه؟ فيصير العمل المفضول فيه فاضلاً حتى يفضل على الجهاد الذى هو أفضل الأعمال كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة. وهو قول الإمام أحمد وغيره من العلماء فينبغى أن يكون الحج أفضل من الجهاد لأن الحج مخصوص بالعشر وهو من أفضل ما عمل فى العشر أو أفضل ما عمل فيه؟فكيف كان الجهاد؛ أفضل من الحج؟ فإنه ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أى الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله»، قال: ثم ماذا؟ قال: «جهاد فى سبيل الله»، قال: ثم ماذا ؟ قال: «حج مبرور»[3].

قيل التطوع بالجهاد أفضل من التطوع بالحج عند جمهور العلماء،وقد نص عليه الإمام أحمد وهو مروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وروى فيه أحاديث مرفوعة فى أسانيدها مقال. وحديث أبى هريرة هذا صريح فى ذلك ويمكن الجمع بينه وبين حديث ابن عباس بوجهين: أحدهما: أن حديث ابن عباس قد صرح فيه بأن جهاد من لا يرجع من نفسه وماله بشىء يفضل على العمل فى العشر، فيمكن أن يقال: الحج أفضل من الجهاد إلاً جهاد من لم يرجع من نفسه وماله بشىء، ويكون هو المراد من حديث أبى هريرة ويجتمع حينئذ الحديثان. والثانى: هو الأظهر: أن العمل المفضول قد يقترن به ما يصير أفضل من الفاضل فى نفسه كما

---

(١) سورة الحج: آية ٢٨

(٢) **ضعيف**. رواه أحمد (٢/ ٧٥و١٣١) وابن أبى شيبة (٤/ ٣٣٢) وعبد بن حميد فى «المنتخب» (٨٠٧) والبيهقى فى «شعب الإيمان» (٣/ ٣٥٤) رقم (٣٧٥٠) وفى سنده يزيد بن أبى زياد الهاشمى وهو ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ٣٦٥).

(٣) سبق تخريجه.

تقدم، وحينئذ فقد يقترن بالحج ما يصير به أفضل من الجهاد وقد يتجرد عن ذلك فيكون الجهاد حينئذ أفضل منه فإن كان الحج مفروضاً فهو أفضل منه فإن كان الحج مفروضاً فهو أفضل من التطوع بالجهاد، فإن فروض الأعيان أفضل من فروض الكفايات عند جمهور العلماء. وقد روى هذا فى الحج والجهد بخصوصهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وروى مرفوعاً من وجوه متعددة فى أسانيدها لين، وقد دل على ذلك ما حكاه النبى ﷺ عن ربه عزوجل أنه قال: «**ما تقرب إلىّ عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه**»[1]، وإن كان الحاج ليس من أهل الجهاد فحجه أفضل من جهاده كالمرأة. وفى صحيح البخارى عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله ترى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ فقال: «أفضل الجهاد حج مبرور»[2]، وفى رواية له: «جهادكن الحج»، وفى رواية له: «نعم الجهاد الحج». وكذلك إذا استغرق العشر كله عمل الحج وأتى به على أكمل وجوه البر من أداء الواجبات واجتناب المحرمات، وانضم إلى ذلك الإحسان إلى الناس ببذل السلام، وإطعام الطعام، وضم إليه كثرة ذكر الله عزوجل، والعج والثج، وهو رفع الصوت بالتلبية وسوق الهدى فإن هذا الحج على هذا الوجه قد يفضل على الجهاد، وإن وقع عمل الحج فى جزء يسير من العشر ولم يؤت به على الوجه المبرور فالجهاد أفضل منه، وقد روى عن عمر وابن عمر وأبى موسى الأشعرى ومجاهد ما يدل على تفضيل الحج على الجهاد وسائر الأعمال وينبغى حمله على الحج المبرور، الذى كمل بره وإستوعب فعله أيام العشر والله أعلم. فإن قيل: قوله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام»، هل يقتضى تفضيل كل عمل صالح وقع فى شيء من أيام العشر على جميع ما يقع فى غيرها وإن طالت مدته أم لا؟ قيل: الظاهر والله أعلم أن المراد أن العمل فى هذه الأيام العشر أفضل من العمل فى أيام عشر غيرها، فكل عمل صالح يقع فى هذا العشر فهو أفضل من عمل فى عشرة أيام سواها من أى شهر كان فيكون تفضيلاً للعمل فى كل يوم منه على العمل فى كل يوم من أيام السنة غيره. وقد قيل: إنما يفضل العمل فيها على

---

(١) وواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق، باب: التواضع

(٢) سبق تخريجه.

الجهاد إذا كان العمل فيها مستغرقا لأيام العشر فيفضل على جهاد فى عدد تلك الأيام من غير العشر. وإن كان العمل مستغرقا لبعض أيام العشر فهو أفضل من جهاد فى نظير ذلك الزمان من غير العشر. واستدل على ذلك بأن النبى ﷺ جعل العمل الدائم الذى لا يفتر من صيام وصلاة معدلاً للجهاد فى أى وقت كان، فإذا وقع ذلك العمل الدائم فى العشر، كان أفضل من الجهاد فى مثل أيامه لفضل العشر وشرفه. ففى الصحيحين عن أبى هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلنى على عمل يعدل الجهاد؟ قال: أجده، قال؛ لا هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر» قال: ومن يستطيع ذلك. ولفظه للبخارى، ولمسلم معناه وزاد ثم قال: «مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله الذى لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله»، وللبخارى: «مثل المجاهد فى سبيل الله، والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله، كمثل الصائم القائم». وللنسائى: «كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد». يدل على أن المراد تفضيله على جهاد فى مثل أيامه، خاصة ما فى صحيح ابن حبان عن جابر عن النبى ﷺ قال: **«ما من أفضل عند الله من أيام عشر ذى الحجة»** فقال رجل: يا رسول الله هو أفضل أم عدتهن جهاد فى سبيل الله؟ قال: **«هو أفضل من عدتهن جهاداً فى سبيل الله»**[1].

فلم يفضل العمل فى العشر إلاً على الجهاد فى عدة أيام العشر لا مطلقاً.

وأما ما تقدم من أن كل يوم منه يعدل سنة أو سنتين أو ألف يوم فكلها من أحاديث الفضائل وليست بقوية، ثم إن أكثر ما ورد ذلك فى صيامها، والصيام له خصوصية فى المضاعفة فإنه لله، والله يجزى به. فإن قيل: إنه لا يختص بالصوم بل يعم سائر الأعمال، فإنما يدل على تفضيل كل عمل فى العشر على مثل ذلك العمل فى غيره سنة فلا يدخل فيه إلاً تفضيل من جاهد فى العشر على من جاهد فى غيرها سنة، وإذا قيل يلزم من تفضيل العمل فى هذا العشر على كل عشر غيره أن يكون صيام هذا العشر أفضل من صوم عشر رمضان، وقيام لياليه أفضل

(١) ضعيف. رواه ابن خزيمة (٢٨٤٠) وابن حبان (٣٨٥٣ ـ إحسان) والبغوى فى «شرح السنة» (١٩٣١) وفى سنده أبى الزبير المكى وهو مدلس وقد عنعنه.

من قيام لياليه؟ قيل: أما صيام رمضان فأفضل من صيامه بلا شك فإن صوم الفرض أفضل من النقل بلا تردد، وحينئذ فيكون المراد أن ما فعل فى العشر فى فرض فهو أفضل مما فعل فى عشر غيره من فرض فقد تضاعف صلواته المكتوبة على صلوات عشر رمضان.

وما فُعل فيه من نفل فهو أفضل مما فُعِل فى غيره من نفل. وقد اختلف عمر وعلى رضى الله عنهما فى قضاء رمضان فى عشر ذى الحجة فكان عمر يحتسبه أفضل أيامه، فيكون قضاء رمضان فيه من غيره وهذا، يدل على مضاعفة الفرض فيه على النفل، وكان علىّ ينهى عنه، وعن أحمد فى ذلك روايتان.

وقد علل قول علىّ: بأن القضاء فيه يفوت به فضل صيامه تطوعاً وبهذا علله الإمام أحمد وغيره، وقد قيل: إنه يحصل به فضيلة صيام التطوع بها، وهذا على قول من يقول: إن نذر صيام شهر، فصام رمضان أجزأه عن فرضه ونذره متوجه، وقد علل بغير ذلك، وأما قيام لياليه وتفضيل قيامه على قيام عشر رمضان فيأتى الكلام فيه إن شاء الله تعالى.

●●●●●

الفصل الثانى

فى فضل عشر ذى الحجة على غيره من أعشار الشهور

قد سبق حديث ابن عمر المرفوع: «**ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر**»[1]، وفى صحيح ابن حبان عن جابر عن النبى ﷺ قال: «**ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذى الحجة**» [2]وقد تقدم ورويناه من وجه آخر بزيادة وهى: «ولا ليالى أفضل من لياليهن» قيل: يا رسول الله هى أفضل من عدتهن جهادا فى سبيل الله؟ قال: «هى أفضل من عدتهن جهادا فى سبيل الله إلاَّ من عفر وجهه تعفيرا. ومامن يوم أفضل من يوم عرفة»، خرَّجه ابن حبان[3]، وخرّج البراز وغيره من حديث جابر أيضا عن النبى ﷺ قال: «**أفضل أيام الدنيا أيام العشر**» قالوا: يا رسول الله، ولا مثلهن فى سبيل الله؟ قال: «**ولا مثلهن فى سبيل الله إلاَّ من عفَّر وجهه بالتراب**»[4]، وروى مرسلاً، وقيل: إنه أصح. وقد سبق ما روى عن ابن عمر قال: ليس يوم أعظم عند الله من يوم الجمعة ليس العشر. ويدل على أن أيام العشر أفضل من أيام الجمعة الذى هو أفضل الأيام. وقال سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن كعب قال: اختيار الله الزمان، وأحب الزمان إلى الله الأشهر الحرم وأحب الأشهر الحرم إلى الله ذو الحجة، وأحب ذى الحجة إلى الله العشر الأول. ورواه بعضهم عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة ورفعه ولا يصح ذلك، وقال مسروق فى قوله تعالى: ﴿**وليال عشر**﴾[5] هى أفضل أيام السنة، خرّجه عبد الرزاق وغيره[6]. وأيضاً فأيام هذا العشر يشتمل على يوم عرفة، وقد روى أنه أفضل أيام الدنيا كما جاء فى حديث

---

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق تخريجه.

(٣) قد سبق أنه إسناد ضعيف.

(٤)ضعيف. رواه البزار (١١٢٨) والطحاوى فى «مشكل الآثار» (٤/ ١١٤) وفى سنده أبى الزبير المكى وهو مدلس وقد عنعنه.

(٥) سورة الفجر: آية ٢.

(٦) رواه عبد الرزاق فى «المصنف»(٤/ ٣٧٦) رقم (٨١٢٠) وسنده صحيح.

جابر الذى ذكـرناه، وفيه، وفـيه يوم النحـر، وفى حديث عبـد الله بن قرط عن النبى، أنه قال: «أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر»[1] خرَّجه الإمام أحمد وأبو داود وغيرهمـا، وهذا كله يدل على أن عشر ذى الحجة أفـضل من غيره من الأيام من غير استـثناء هذا فى أيامه، فأما لياليه فمـن المتأخرين من زعم أن ليالى عشر رمضان أفضل من لياليه لاشتمالها على ليلة القدر وهذا بعيد جدا .

ولو صحَّ حـديث أبى هريرة «قيـام كُلِّ ليلةِ منهـا بقيـام ليلةِ القَدْر»[2] لكان صريحا فى تفضـيل لياليه على ليالى عَشْر رمضانَ، فـإنَّ عَشْرَ رمضان فُضِّلَ بليلة واحدة فـيه، وهذا جميعُ ليـاليه مسـاويةٌ لها فى القيـام على هذا الحديث. ولكنْ حديثُ جابر الذى خـرَّجه أبو موسى[3] صريح فى تفضـيل لياليه كتفـضيل أيَّامه أيضاً. والأيَّام إذا أُطلِقَتْ دخلت فيـها الليالى تبعاً، وكذلك الليـالى تدخل أيامها تبعاً.

وقد أقسم الله تعالى بليـاليه، فقال: **﴿والفَجْر. وليال عشر﴾**[4]، وهذا يدلُ على فضيلة لياليه أيضاً، لكن لم يثبتْ أنَّ لياليه ولا شيئاً منهَّا يعدِل ليلةَ القَدْر.

وقد زعم طوائفُ من أصحابنا أنَّ ليلة الجمعة أفضَلُ من ليلة القدر، ولكن لا يصحُّ ذلك عن أحمد؛ فعلى قـولِ هؤلاء لا يُسْتَبْعَدُ تفضيلُ ليالى هذا العَشْر على ليلة القَدْر.

والتحقيقُ مـا قاله بعضُ أعيان المتأخرين من العلماء، أن يقـال: مجموعُ هذا العَشْر أفضلُ من مجـموعِ عَشْر رمضان، وإن كان فى عَشْر رمـضان ليلة لا يفضل عليها غيرُها، والله أعلمُ.

وما تقدَّم عن كعبٍ يدُلُّ على أنَّ شهر ذى الحجة أفضلُ الأشهر الحرُم الأربعة، وكذا قال سعيدُ بن جُبيرَ راوى هذا الحـديث عن ابن عبَّاس: «ما مِن الشهور شهرٌ أعظمُ حُرمةٌ مِن ذى الحجة».

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٤/ ٣٥٠) وأبو داود (١٧٦٥) والنسائى فى «المناسك» فى «الكبرى» (٢/ ٤٤٤) رقم (٤٠٩٨) والحاكم (٤/ ٢٢١) وابن حبـان (٢٨١١ ـ احسان) ويوم القر: هو اليـوم الذى يلى يوم النحر، وسُمى بذلك؛ لأن الناس يقرون فيه بمنى، وقد فرغوا من طواف الإضافة والنحر فاستراحوا وقروا.

(٢) سبق تخريجه (٣) سبق تخريجه. (٤) سورة الفجر: آية ١ ـ ٢

وفى «مسند البزار» عن أبى سعيد الخدرى، عن النبى ﷺ، قال: «**سيد الشهور رمضان، وأعظمها حرمةً ذو الحجة**»[1] وفى إسناده ضعفٌ

وفى «المسند» الإمام أحمد، عن أبى سعيد الخدرى أيضاً: أنَّ النبى ﷺ، قال فى حجّة الوَداع فى خطبته يوم النَّحْر: «**ألا إنَّ أحرَم الأيام يومُكُم هذا، ألا وإنَّ أحرَمَ الشُّهورِ شهرُكُم هذا، ألا وإنَّ أحرَمَ البلادِ بلدُكُم هذا**»[2].

وروى ذلك أيضا عن جابر، ووابصةَ بن مَعْبَد، ونُبَيط بن شَرِيط، وغيرهم، عن النبى ﷺ. وهذا كلَّه يدلُّ على أنَّ شهر ذى الحَجَّة أفضَلُ الأشهر الحُرُم، حيث كان أشدَّها حُرمة. وقد رُوى عن الحسن أنَّ أفضلَها المحرَّمُ، وسنذكرْ عند ذكر شهر المحرّم، إن شاء الله تعالى.

وأمَّا من قال: إن أفضلها رجبٌ، فقولُهُ مردودٌ.

ولعشر ذى الحِجّة فضائل أُخَرُ غير ما تقدَّم.

فمن فضائله: أنَّ الله تعالى أقسَم به جملةً، وببعض خصوصاً. قال تعالى: ﴿**والفَجْر. ولَيَال عَشْر**﴾[3]. فأمَّا الفجر فقيل: إنَّه أراد جنس الفجر. وقيل: المرادُ طُلوع الفجر، أو صلاة الفجر، أو النَّهار كلّه؛ فيه اختلاف بين المفسرين. وقيل: أنه أُريدَ به فجرٌ معينٌ، ثم قيل: إنَّه أريدَ به فجرُ أوَّل يومٍ من عشر ذى الحجّة. بل أريدَ به فجرُ آخر يومٍ منه، وهو يومُ النحْر. وعلى جميع هذه الأقوال، فالعَشْر يشتمل على الفجْر الذى أقسم الله به.

وأمَّا «الليالى العشر» فهى عشر ذى الحجة؛ هذا الصحيح الذى عليه جمهور المفسرين من السَّلف وغيرهم، وهو الصحيح عن ابن عباس؛ روى عنه من غير وجه. والرواية عنه« إنه عشر رمضان» إسنادُها ضعيف.

وفيه حديثٌ مرفوعٌ خرجه الإمام أحمد، والنسائى فى التفسير، من رواية زيد

---

(١) **ضعيف**. ورواه البيهقى فى «الشعب» (٣/ ٣٥٥) رقم (٣٧٥٥) وفى سنده يزيد بن عبد الملك النوفلى وهو ضعيف كما فى «الميزان» (٤/ ٩٧٢٦)

(٢) **صحيح**. رواه أحمد (٣/ ٨٠)

(٣) سورة الفجر: آية ١، ٢

ابن الحباب، حدثنا عياش بن عقبة، حدثنا خير بن نعيم، عن أبى الزبير، عن جابر، عن النبى ﷺ، قال: «العشر عشر الأضحى، والوَتْر يومُ عَرَفة، والشَّفْعُ يومُ النَّحْر»(1)، وهو إسناد حسن.

وكذا فسَّر «الشَّفْعَ»و «الوَتْرَ» ابنُ عبَّاس فى رواية عكرمة وغيره. وفسَّرهما أيضاً بذلك عكرمة والضحاك وغيرُ واحد. وقد قيل فى «الشَّفع»و «الوتر» أقوالٌ كثيرة، وأكثرها لا يخرج عن أن يكون العشرُ أو بعضُه مشتملاً على «الشفع» و«الوتر» أو أحدهما؛ كقوله من قال: «هى الصَّلاة، منها شَفْعٌ ومنها وَترٌ»(2)، وقد خرَّجه الإمام أحمد والترمذى من حديث عمران بن حُصين، عن النبى ﷺ. وقول من قال: هى المخلوقات، منها شفع ومنها وتر، يدخل فيها أيام العشر، وقول من قال: الشفع الخلق كله، والوتر الله، فإن أيام العشر من جملة المخلوقات.

ومن فضائل أيضاً: أنه من جملة الأربعين التى واعدها الله عز وجل لموسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وواعَدْنا مُوسَى ثلاثين لَيْلَةً وأتْمَمْنَاها بعَشْر، فَتَمَّ ميقاتُ ربِّه أربعين ليلَةً﴾(3)، ولكن هل عَشْرُ ذى الحجّة خاتمة الأربعين، فيكون هو العَشْر الذى أتمَّ به الثلاثون، أم هو أوَّل الأربعين، فيكون من جملة الثلاثين التى أُتَّمت بعشر، فيه اختلاف بين المفسرين.

روى عبد الرزَّاق، عن مَعْمَر، عن يزيد بن أبى زيادٍ، عن مجاهدٍ، قال: «ما

---

(1)ضعيف رواه أحمد (3/ 327) والنسائى فى «التفسير» (3/ 522) رقم (692) باب: سورة الفجر. والحاكم (4/ 220) والبيهقى فى «الشعب (3/ 352) رقم (3743) وفى سنده أبى الزبير المكى وهو مدلس وقد عنعنه.

(2) عن عمران بن حصين رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال: «هى الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر» رواه أحمد (4/ 437و442) والترمذى (3342) والحاكم (2/ 522) والطبرى فى «تفسيره» (30/ 172) والمزى فى « تهذيب الكمال» (22/ 341) عن شيخ من أهل البصرة عن عمران بن حصين رضى الله عنه،ورواه الطبرانى فى «الكبير» (18/ 232) رقم (578) والطبرى فى «تفسيره» (30/ 172) عن عمران بن عصام عن عمران بن حصين بإسقاط الشيخ المبهم، وقد صححه الحاكم، والصواب أن السند ضعيف. وانظر « فتح البارى» (8/ 572).

(3) سورة الأعراف: آية 142.

من عملٍ في أيام السَّنة أفضل منه فى العشر من ذى الحجة، وهى العشر التى أتمها الله لموسى عليه السلام».

ومن فضائل: أنه خاتمة الأشهر المعلومات، أشهر الحج التى قال الله فيها: **﴿الحج أشهر معلومات﴾**[1]؛ وهى شوال، وذو القعدة، وعشر من ذى الحجة.

وروى ذلك عن عمر، وابنه عبد الله، وعليّ، وابن مسعود، وابن عباس، وابن الزبير وغيرهم؛ وهو قولُ أكثر التابعين؛ ومذهب الشافعى وأحمد وأبى حنيفة وأبى يوسُف وأبى ثور وغيرهم، لكن الشافعي وطائفة أخرجوا منه يومَ النَّحر، وأدخله فيه الأكثرون؛ لأنه يوم الحج الأكبر، وفيه يقع أكثر أفعال مناسك الحج. وقالت طائفة: ذو الحجة كله من أشهر الحج، وهو قولُ مالك، والشافعى فى القديم، ورواه عن ابن عمر أيضاً؛ وروى عن طائفة من السلف. وفيه حديث مرفوع خرَّجه الطبرانى، لكنه لا يصح. والكلامُ فى هذه المسألة يطولُ، وليس هذا موضعه.

ومن فضائله: أنَّه الأيام المعلومات التى شرع الله ذكرَه فيها على ما رزق من بهيمة الأنعام، قال الله تعالى: **﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾**[2].

وجمهور العلماء على أنَّ هذه الأيام المعلومات هى عشر ذى الحجة؛ منهم ابنُ عَمَر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وعكرمة وقتادة والنخعى؛ وهو قول أبى حنيفة والشافعى وأحمد فى المشهور عنه.

وروى عن أبى موسى الأشعرى أن الأيام المعلومات هى تسع ذي الحجة غير يوم النحر، وأنه قال: لا يرد فيهن الدعاء. خرجه جعفر الفريانى وغيره.

وقالت طائفة: هى أيام الذبح . وروى عن طائفة من السلف، وهو قول مالك، وأبى يوسف، وجعلوا ذكر الله فيها ذكره على الذبح؛ وهو قول ابن عمر

(١) سورة البقرة: آية ١٩٧

(٢) سورة الحج: آية ٢٧ ـ ٢٨

رضى الله عنهما. ونقل المروذى عن أحمد أنه استحسنه. والقول الأول أظهر.

وذكر الله على بهيمة الأنعام لا يختص بحال ذبحها، كما قال تعالى: **﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم﴾**[1]، وقال تعالى: **﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾**[2]، وأيضاً فقد قال الله تعالى بعد هذا: **﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ . ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾**[3]، فجعل هذا كله بعد ذكره في الأيام المعلومات وقضاء التفث، وهو شعث الحج وغباره ونصبُه. والطوافُ بالبيت إنما يكون فى يوم النحر وما بعده، ولا يكون قبله. وقد جعل الله سبحانه هذا مرتباً على ذكره فى الأيام المعلومات بلفظة« ثم» فدل على أن المراد بالأيام المعلومات ما قبل يوم النحر، وهو عَشْر ذى الحجَّة.

وأمَّا قوله تعالى: **﴿ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾**[4]، فقيل: إنَّ المراد ذكره عند ذبحها، وهو حاصلٌ بذكره فى يوم النحر؛ فإنه أفضل أيام النحر، والأصح أنه إنما أريدَ ذكرهُ شكراً على نعمة تسخير بهيمة الأنعام لعباده؛ فإنَّ الله تعالى على عباده فى بهيمة الأنعام نعما كثيرة قد عدَّد بعضها فى مواضعَ من القرآن، والحجاج لهم خصوصية فى ذلك عن غيرهم؛ فإنهم يسيرون عليها إلى الحرَم؛ لقضاء نسكهم، كما قال تعالى: **﴿وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾**[5]، وقال تعالى: **﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾**[6]. ويأكلون من لحومها، ويشربون من ألبانها، وينتفعون بأصوافها وأوبارها وأشعارها.

ويختصُّ عشر ذى الحجة فى حق الحاج بأنه زمَن سَوْقهم للهدَى الذى به يكمُلُ فَضْل الحج، ويأكلون من لحومه فى آخر العشر، وهو يومُ النَحْرِ. وأفضل سوق الهدى من الميقات، ويُشعر ويقلد عند الإحرام، وتقارنه التلبية، وهى من الذكر لله فى الأيام المعلومات .

---

(١) سورة الحج: آية ٣٧.

(٢) سورة الحج: آية ٣٤

(٣) سورة الحج: آية ٢٨ ـ ٢٩.

(٤) سورة الحج: آية ٢٨.

(٥) سورة الحج: آية ٢٧.

(٦) سورة النحل : آية ٧.

وفى الحديث: «**أفضل الحج العج والثج**»[1] . وفى حديث آخر: «**عجُّوا التكبير عجا، وثجُّوا الإبل ثجا**»[2] .

فيكون كثرة ذكر الله فى أيام العشر شكرًا على هذه النعمة المختصة ببهيمة الأنعام ، التى بعضها يتعلق بدين الحاج، وبعضها بدنياهم. وأفضل الأعمال ما كثر ذكر الله تعالى فيها؛ منها وخصوصًا الحج، وقد أمر الله تعالى بذكره كثيرًا فى أيام الحج؛ قال تعالى: ﴿**فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين. ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم**﴾[3]؛ فهذا الذكر يكون في عشر ذى الحجة. ثم قال تعالى: ﴿**فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا**﴾[4] ، وهذا يقع فى يوم النحر، وهو خاتمة العشر أيضا. ثم أمر بذكره بعد العشر فى الأيام المعدودات، وهى أيام التشريق .

وفى«السُّنن» عن النبى ﷺ، قال: «**إنما جعل الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة، ورمىُ الجمار لإقامة ذكر الله عزَّ وجلَّ**»[5] .

وفى «مسند» الإمام أحمد، عن معاذ بن أنس: أن رجلا قال: يارسول الله أى الجهاد أعظم أجرًا؟ قال: أكثرهم لله ذكرًا، والزكاة ، والحج، والصدقة؛ كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول: أكثرهم لله ذكرا. فقال أبو بكر: يا أبا حفص، ذهب الذَّاكرون بكل خير. فقال رسول الله ﷺ: أجل[6] .

وقد خرجه ابن المبارك، وابن أبى الدنيا من وجوهٍ أخر مرسلةٍ، وفى بعضها: أى الحاج خير؟ قال: أكثرهم ذكرا لله. وفى بعضها: أىُّ الحاج أعظم أجرًا؟ قال:

---

(١) سبق تخريجه
(٢) تقدم
(٣) سورة البقرة: آية ١٩٨ ـ ١٩٩ .
(٤) سورة البقرة: آية ٢٠٠ .
(٥) ضعيف. رواه أبو داود (١٨٨٨) والترمذى (٩٠٢) والحاكم (١/ ٤٥٩) والبيهقى فى «السنن» (٥/ ١٤٥) من حديث عائشة رضى الله عنها. وعن سنده عبيد الله بن أبى زياد ضعفه ابن معين، وقال ابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ٦٦): كان ممن ينفرد عن القاسم بما لا يتابع عليه وكان ردىء : الحفظ كثير الوهم أ.هـ قلت: وهذا الحديث من روايته عن القاسم.
(٦) ضعيف. رواه أحمد (٤/ ٤٣٨) وفى سنده ابن لهيعة وزبان بن فائد وهما ضعيفان.

أكثرهم لله ذكرًا، وذكر بقية الأعمال، بمعنى ما تقدَّم. فهذا كله بالنسبة إلى الحاج.

فأما أهل الأمصار فإنهم يشاركون الحاج فى عشر ذى الحجة فى الذكر، وإعداد الهدى. فأما إعداد الهدى فإن العشر تعد فيه الأضاحى، كما يسوق أهل الموسم الهدى، ويشاركونهم فى بعض إحرامهم؛ فإن من دخل عليه العشر وأراد أن يضحى، فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئا، كما روت ذلك أم سلمة عن النبى ﷺ[1]، خرج حديثها مسلم، وأخذ بذلك الشافعى، وأحمد، وعامة فقهاء الحديث .

ومنهم من شرط أن يكون قد اشترى هديه قبل العشر، وأكثرهم لم يشترطوا ذلك .

وخالف فيه مالك، وأبو حنيفة، وكثيرٌ من الفقهاء، وقالوا: لا يكره شىء من ذلك. واستدلوا بحديث عائشة: «كنت أفتل قلائد الهدى لرسول الله ﷺ، فلا يحرم عليه شىء أحله الله له»[2] .

وأجاب كثير من أهل القول الأول: بأنه يجمع بين الحديثين؛ فيؤخذ بحديث أم سلمة فيمن يريد أن يضحى فى مصره.

بحديث عائشة فيمن أرسل بهدية مع غيره وأقام فى بلده، وكان ابن عمر إذا ضحّى يوم النحر حلق رأسه، ونص أحمد على ذلك. واختلف العلماء فى التعريف بالأمصار عشية عرفة وكان الإمام أحمد لا يفعله ولا ينكر على من فعله، لأنه روى عن ابن عباس وغيره من الصحابة، وأما مشاركتهم لهم فى الذكر فى الأيام المعلومات فإنه يشرع للناس كلهم الإكثار من ذكر الله فى أيام العشر خصوصاً، وقد سبق حديث ابن عمر المرفوع: «فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير

---

(١) رواه مسلم (٥٠٢٥) كتاب الأضاحى، باب: نهى من دخل عليه عشر ذى الحجة وهو مريد التضحية أن يأخذ من شعره أو أظفاره شيئاً. وأحمد (٦/ ٢٩١، ٣٠١و٣١١) وأبو داود (٢٧٩١) كتاب الأضاحى ، باب: الرجل يأخذ من شعره فى العشر وهو يريد أن يضحى والترمذى فى «الأضاحى» (١٥٢٣ باب: ترك أخذ الشعر لمن أراد أن يضحى.

(٢) رواه البخارى (١٦٩٨) كتاب الحج، باب: فتل القلائد للبدن والبقر. ومسلم (٣١٣٦) كتاب الحج، باب: استحباب بعث الهدى إلى الحرم. وأحمد (٦/ ٣٥و٣٦، ٨، ٨٥) والحميدى فى «مسنده» (٢٠٨)

والتحميد»[1] . وإختلف العلماء هل يشرع إظهار التكبير والجهر به فى الأسواق فى العشر؟ فأنكره طائفة واستحبه أحمد والشافعى، لكن الشافعى خصه بحال رؤية بهيمة الأنعام وأحمد يستحبه مطلقاً، وقد ذكر البخارى فى صحيحه عن ابن عمر وأبى هريرة أنهما كانا يخرجان إلى السوق فى العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما ورواه أبو داود. حدثنا سلام أبو المنذر عن حميد الأعرج عن مجاهد قال كان أبو هريرة وابن عمر يأتيان السوق أيام العشر فيكبران ويكبر الناس معهما ولا يأتيان لشيء إلا لذلك. وروى جعفر الفريابى فى كتاب العيدين: حدثنا إسحاق بن راهويه أخبرنا جرير عن يزيد بن أبى زياد قال: رأيت سعيد بن جبير ومجاهداً وعبد الرحمن بن أبى ليلى أو اثنين من هؤلاء الثلاثة، وما رأينا من فقهاء الناس يقولون فى أيام العشر: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر ولله الحمد. لما كان الله سبحانه وتعالى قد وضع فى نفوس المؤمنين حنيناً إلى مشاهدة بيته الحرام وليس كل أحد قادراً على مشاهدته فى كل عام فرض على المستطيع الحج مرة واحدة فى عمره، وجعل موسم العشر مشتركاً بين السائرين والقاعدين فمن عجز عن الحج فى عام قدر فى العشر على عمل يعمله فى بيته يكون أفضل من الجهاد الذى هو أفضل من الحج.

احذروا المعاصى فإنها تحرم المغفرة فى مواسم الرحمة. وروى المروذى فى

ليالى العشر أوقات الإجابة	فبادر رغبة تلحق ثوابه
ألا لا وقت للعمال فيه	ثواب الخير أقرب للإصابة
من أوقات الليالى العشر	فشمر واطلبن فيها الإنابة

كتاب الورع بإسناده عن عبد الملك بن عمير عن رجل ـ إما من الصحابة أو من التابعين ـ: أن آتياً أتاه فى منامه فى العشر من ذى الحجة فقال: ما من مسلم إلاً يغفر له فى هذه الأيام كل يوم خمس مرار إلاً أصحاب الشاء يقولون: مات ماموته يعنى أصحاب الشطرنج فإذا كان اللعب بالشطرنج مانعاً من المغفرة فما الظن بالإصرار على الكبائر المجمع عليها.

إخوانكم فى هذه الأيام قد عقدوا الإحرام وقصدوا البيت الحرام وملأوا

(١) سبق تخريجه.

طاعـة الله خيـر ما لزم العبـ ـد فكن طائعـاً ولا تعصـينه
ما هلاك النفـوس إلاَّ المعاصى فـاجتنب مـا نهاك لا تقـربنه
إنَّ شـيـئاً هلاك نـفسك فـيـه ينبـغى أن تصون نفـسك عنَّه

المعاصى سبب البعد والطرد كما أن الطاعات أسباب القرب والودّ.

أيضمن لى فتى ترك المعاصى وأرهنه الكـــفالة بالخـــلاص
أطاع الله قـوم فـاستـراحـوا ولـم يتجرعوا غصص المعاصى

الفضاء بالتلبـية والتكبير والتهليل والتـحميد والإعظام، لقد ساروا وقـعدنا وقربوا وبعدنا فإن كان لنا معهم نصيب سعدنا.

أتراكم فـى النقـــا والمنـحنى أهل سلع تذكـرونا ذكـرنا
انقطعـنا ووصلتم فـاعـلمـوا واشكروا المنعم يا أهل منى
قـد خسـرنا وربحتم فـصلوا بفضول الربح مـن قد غبنا
سـار قلبى خلف أحـمـالكم غيـر أن العذر عـاق البدنا
مـا قـطعـتم واديـاً إلاَّ وقـد جـئتـه أسعى بأقـدام المنى
أنا مذ غـبتم على تـذكاركم أترى عندكـمـو مـا عندنا

القاعـد لعذر شريك للسائـر وربما سبق السائر بقلبـه السائرين بزبدانهم. رأى بعضهم فى المنام عشية عرفة فى الموقف قائلاً يقول له: أترى هذا الزحام على هذا الموقف فإنه لم يحج منهم أحد إلاَّ رجل تخلف عن الموقف فـحج بهمته فوهب له أهل الموقف شعر .

يا سائرين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عذر وقد رحلوا ومن أقام على عذر كـمن راحا

الغنيمة الغنيمة بانتهاز الفرصـة فى هذه الأيام العظيمة فما منها عوض ولا لها قيمة . المبـادرة المبادرة بالعمل، والعجل العجل قـبل هجوم الأجل، قبل أن يندم المفرط على ما فعل، قبل أن يسأل الرجعة فـيعمل صالحاً فلا يجاب إلى ما سأل،

قبل أن يحول الموت بين المؤمل وبلوغ الأمل، قبل أن يصير المرء مرتهناً فى حفرته بما قدم من عمل شعر .

ليس للميت فى قبره فطر ولا أضحى ولا عشر
ناء عن الأهل على قربه كذاك من سكنه القبر

يا من طلع فجر شيبه بعد بلوغ الأربعين، يا من مضى عليه بعد ذلك ليالى عشر سنين حتى بلغ الخمسين، يا من هو فى معترك المنايا ما بين الستين والسبعين ما تنتظر بعد هذا الخبر إلاَّ أن يأتيك اليقين، يا من ذنوبه بعدد الشفع والوتر أما تستحى من الكرام الكاتبين؟ أم أنت ممن يكذب بيوم الدين؟ يا من ظلمة قلبه كالليل إذا يسرى، أما آن لقلبك أن يستنير أو يلين. تعرض لنفحات مولاك فى هذا العشر، فإن فيه لله نفحات يصيب بها من يشاء، فمن أصابته سعد بها آخر الدهر.

جنحت شمس حياتى وتدلت للغروب
وتولى ليل رأسى وبدا فجر المشيب
رب خلصنى فقد لجحت فى بحر الذنوب
وأنلنى العفو يا أقـ ـرب من كل قريب

●●●●●

فى الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً فقال: أى آية: قال: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾**[1] فقال عمر: إنى لأعلم اليوم الذى نزلت فيه، والمكان الذى نزلت فيه: نزلت فيه: نزلت ورسول الله ﷺ قائم بعرفة يوم جمعة، وخرج الترمذى عن ابن عباس نحوه وقال فيه: نزلت فى يوم عيد من يوم جمعة[2]. وخرج الترمذى عن ابن عباس نحوه وقال فيه نزلت فى يوم عيد من يوم جمعة ويوم عرفة [3].

العيد هو موسم الفرح والسرور، وأفراح المؤمنين وسرورهم فى الدنيا إنما هو بمولاهم إذا فازوا بإكمال طاعته وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم عليها بفضله ومغفرته، كما قال تعالي: **﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾**[4] قال بعض العارفين: ما فرح أحد بغير الله إلاَّ بغفلته عن الله، فالغافل يفرح بلهوه وهواه والعاقل يفرح بمولاه، وأنشد سمنون فى هذا المعنى:

وكان فؤادى خالياً قبل حبكم ... وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبى هواك أجابه ... فلست أراه عن فنائك يبرح
رميت ببعد منك إن كنت كاذباً ... وإن كنت فى الدنيا بغيرك أفرح
وإن كان شيء فى البلاد بأسرها ... إذا غبت عن عينى لعينى يملح
فإن شئت واصلنى وإن شئت لاتصل ... فلست أرى قلبى لغيرك يصلح

---

(١) سورة المائدة: آية ٣.

(٢) رواه البخارى فى «التفسير» (٤٦٠٦). ومسلم فى «التفسير» (٧٣٧٢) والترمذى فى تفسر سورة المائدة» (٣٠٤٣) والنسائى فى «الحج» (٥/ ٢٥١) باب: ما ذكر فى يوم عرفة.

(٣) رواه الترمذى فى «التفسير» (٣٠٤٤) وقال: حسن غريب.

(٤) سورة يونس : آية ٥٨.

لما قدم النبى ﷺ المدينة كان لهم يومان يلعبون فيهما فقال: «إن الله قد أبدلكم يومين خيراً منهما يوم الفطر والأضحى»[(١)] ، فأبدل الله هذه الأمة بيومى اللعب واللهو يومى الذكر والشكر والمغفرة والعفو، ففى الدنيا للمؤمنين ثلاثة أعياد، عيد يتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الأسبوع، وهو مترتب على إكمال الصلوات المكتوبات، فإن الله عزوجل فرض على المؤمنين في كل يوم وليلة خمس صلوات، وأيام الدنيا تدور على سبعة أيام، فكلما دور أسبوع من أيام الدنيا واستكمل المسلمون صلواتهم فيه شرع لهم فى يوم استكمالهم وهو اليوم الذى كمل فيه الخلق، وفيه خلق آدم وأدخل الجنة وأخرج منها، وفيه ينتهى أمد الدنيا فتزول، وتقوم الساعة، فالجمعة من الاجتماع على سماع الذكر والموعظة وصلاة الجمعة، وجعل ذلك لهم عيداً ولهذا نهى عن إفراده بالصيام[(٢)] وفى شهود الجمعة شبه من الحج، وروى: أنها حج المساكين[(٣)]، وقال سعيد بن المسيب: شهود الجمعة أحب إلىّ من حجة نافلة والتكبير إليها يقوم مقام الهدى على قدر السبق فأولهم كالنهدى بدنه، ثم بقرة، ثم كبشاً، ثم دجاجة ثم بيضة، وشهود[(٤)] الجمعة بوجب تكفير الذنوب إلى الجمعة الأخرى إذا سلم ما بين الجمعتين من الكبائر[(٥)]، كما أن الحج المبرور يكفر ذنوب تلك السنة إلى الحجة الأخرى، وقد روى إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام[(٦)]، وروى أن الله تعالى يغفر يوم الجمعة

---

(١) **صحيح** . رواه أحمد (٣/ ١٠٣و١٧٨, ٢٣٥و٢٥٠) والنسائى (٣/ ١٧٩) وأبو داود (١١٣٤) والحاكم (١/ ٢٩٤) والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٢٧٧) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه. وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٢) وذلك فى قوله ﷺ: « لا تصوموا يوم الجمعة إلا قبله يوم أو بعده يوم» متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» رواه البخارى(٨٨١) ومسلم (١٩٣٢).

(٥) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» رواه مسلم.

(٦) **موضوع**. رواه البيهقى «الشعب» (٣/ ٣٤٠) رقم (٣٧٠٨) وأبو نعيم فى «الحلية» (٧/ ١٤٠) وابن عدى فى «الكامل» (٥/ ٢٨٨) وابن الجوزى فى «الموضوعات» (٢/ ١٩٤) وفى سنده عبد العزيز بن أبان، وهو كذاب.

لكل مسلم[١]، وفى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة»[٢]، وفى المسند عنه ﷺ أنه قال فى يوم الجمعة: «هو أفضل عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى»[٣]. فهذا عيد الأسبوع وهو متعلق بإكمال الصلوات المكتوبة وهى أعظم أركان الإسلام ومبانيه بعد الشهادتين.

وأما العيدان اللذان لا يتكرران فى كل عام وإنما يأتى كل واحد منهما فى العام مرة واحدة فأحدهما: عيد الفطر من صوم رمضان وهو مترتب على إكمال صيام رمضان وهو الركن الثالث من أركان الإسلام ومبانيه، فإذا استكمل المسلمون صيام شهرهم المفروض عليهم واستوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار، فإن صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب وآخره عتق من النار يعتق فيه من النار من استحقها بذنوبه، فشرع الله تعالى لهم عقب إكمالهم لصيامهم عيداً يجتمعون فيه على شكر الله وذكره وتكبيره على ما هداهم له، وشرع لهم فى ذلك العيد الصلاة والصدقة وهو يوم الجوائز يستوفى الصائمون فيه أجر صيامهم ويرجعون من عيدهم بالمغفرة. والعيد الثانى: عيد النحر وهو أكبر العيدين وأفضلها وهو مترتب على إكمال الحج وهو الركن الرابع من أركان الإسلام ومبانيه فإذا أكمل المسلمون حجهم غفر لهم، وإنما يكمل الحج بيوم عرفة والوقوف فيه

---

(١) **ضعيف**. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٥/ ١٠٩) رقم (٤٨١٧) من حديث أنس رضى الله عنه وقال الطبرانى: لا يروى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد تفرد به: يحيى بن بكير ١٠ هـ قلت: يحيى بن بكير لم أقف له على ترجمة. وفى السند أبى عمار وهو زياد بن عبد الله النميرى، قال ابن حبان: منكر الحديث.. لا يجوز الاحتجاج به تركه يحيى بن معين. «المجروحين» ١/ ٣٠٢)

(٢) **إسناده ضعيف والحديث صحيح**. رواه الترمذى (٣٣٣٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وفى سنده موسى بن عبيدة الربذى، قال الترمذى: موسى بن عبيدة يضعف فى الحديث. ضعفه يحيى بن سعيد وغيره ١٠ هـ قلت: والحديث رواه مسلم فى «الصلاة» ،باب: فضل يوم الجمعة (١٩٤٣) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبىﷺ بلفظ: « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة».

(٣) **حسن**. رواه أحمد (٣/ ٣٠) وابن ماجه (١٠٨٤) والطبرانى فى «الكبير» (٥/ ٣٣) رقم (٤٥١١) من حديث أبى لبابة بن عبد المنذر رضى الله عنه.

بعرفة فإنه ركن الحج الأعظم كما قال ﷺ: «الحج عرفة»[1]، ويوم عرفة يوم العتق من النار»، فيعتق الله فيه من النار من وقف بعرفة ومن لم يقف بها من أهل الأمصار من المسلمين، فلذلك صار اليوم الذى يليه عيداً لجميع المسلمين فى جميع أمصارهم من شهد الموسم منهم ومن لم يشهده لاشتراكهم فى العتق والمغفرة يوم عرفة، وإنما لم يشترك المسلمون كلهم فى الحج كل عام رحمة من الله وتخفيفاً على عباده فإنه جعل الحج فريضة العمر لا فريضة كل عام وإنما هو فى كل عام فرض كفاية بخلاف الصيام فإنه فريضة كل عام على كل مسلم. فإذا كمل يوم عرفة وأعتق الله عباده المؤمنين من النار اشترك المسلمون كلهم فى العيد عقب ذلك، وشرع للجميع التقرب إليه بالنسك وهو إراقة دماء القرابين فأهل الموسم يرمون الجمرة فيشرعون فى التحلل من إحرامهم بالحج ويقضون تفثهم[2] ويوفون نذورهم ويقربون قرابينهم من الهدايا ثم يطوفون بالبيت العتيق، وأهل الأمصار يجتمعون على ذكر الله وتكبيره والصلاة له. قال مخنف بن سليم، وهو معدود من الصحابة: الخروج يوم الفطر؛ يعدل عمرة، والخروج يوم الأضحى يعدل حجة. ثم ينسكون عقب ذلك نسكهم ويقربون قرابينهم بإراقة دماء ضحاياهم فيكون ذلك شكراً منهم لهذه النعم، والصلاة والنحر الذى يجتمع فى عيد النحر أفضل من الصلاة والصدقة الذى فى عيد الفطر؛ ولهذا أمر رسول الله ﷺ أن يجعل شكره لربه على إعطائه الكوثر أن يصلى لربه وينحر، وقيل له قل: ﴿**إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين**﴾[3]؛ ولهذا ورد الأمر بتلاوة هذه الآية عند ذبح الأضاحى، والأضاحى سنة أبيكم إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ، فإن الله شرعها لإبراهيم حين فدى ولده الذى أمره بذبحه بذبح عظيم. وفى

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٤/ ٣٠٩ ـ ٣١٠و٣٣٥) وأبو داود (١٩٤٩) والنسائى (٥/ ٢٥٩) والترمذى (٩٨٨) والدارمى (٢/ ٥٩) وابن ماجه (٣٠١٥) والطحاوى (١/ ٤٠٨) وابن الجارود فى «المنتقى» (٦٤٨) والدارقطنى (٢/ ٢٤١) والطيالسى (١٣٠٩) وابن حبان (٣٨٩٢ ـ احسان) والحميدى (٨٩٩) والبغوى فى «شرح السنة» (٢٠٠١) والحاكم (١/ ٤٦٤) والبيهقى فى «السنن» (٥/ ١١٦و١٧٣) من حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلى رضى الله عنه. وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٢) التفث فى المناسك: ما كان من قص الأظفار والشارب وحلق الرأس والعانة ورمى الجمار ونحر البدن وأشباه ذلك.

(٣) سورة الأنعام: آية ١٦٢.

حديث زيد ابن أرقم قيل: يا رسول الله ما هذه الأضاحى قال: «سنة إبراهيم» قيل له: فما لنا بها؟ قال: «بكل شعرة حسنة» قيل: فالصوف؟ قال: «بكل شعرة من الصوف حسنة»[1]، خرّجه ابن ماجه وغيره، فهذه أعياد المسلمين فى الدنيا وكلها عند إكمال طاعة مولاهم الملك الوهاب، وحيازتهم لما وعدهم من الأجر والثواب، مَرّ قوم براهب فى دير فقالوا له: متى عيد أهل هذا الدير؟ قال: يوم يغفر لأهله، ليس العيد لمن لبس الجديد إنما العيد لمن طاعاته تزيد، ليس العيد لمن تجمل باللباس والركوب إنما العيد لمن غفرت له الذنوب. فى ليلة العيد تفرق خلع العتق والمغفرة على العبيد فمن ناله منها شيد فله عيد وإلاّ فهو مطرود بعيد. كان بعض العارفين ينوح على نفسه ليلة العيد بهذه الأبيات:

بحرمة غربتى كم ذا الصدود ... ألا تعطف علىّ ألا تجود
سرور العيد قد عم النواحى ... وحزنى فى إزدياد لا يبيد
فإن كنت اقترفت خلال سوء ... فعذرى فى الهوى أن لا أعود

وأنشد غيره :

للناس عشْرُ وعيدُ ... وأنا فقير وحيد
يا غايتى ومناى ... قد لذ لى ما تريد

وأنشد غيره :

ليس عيد المحب قصد المصلى ... وانتظاره الأمير والسلطان
إنما العيد أن تكون لدى الحـ ... ـب كريما مقرباً فى أمان

وأنشد غيره :

إذا ما كنت لى عيداً ... فما أصنع بالعيد
جرى حبك فى قلبى ... كجرى الماء فى العود

---

(١) ضعيف جداً. رواه أحمد (٤/ ٣٦٨) وابن ماجه (٣١٢٧) والحاكم (٢/ ٣٨٩) والبيهقى فى «الشعب» (٥/ ٤٨٣) رقم (٧٣٣٧) وفى سنده نفيع بن الحارث أبو داود الأعمى وهو متروك، وقد كذبه ابن معين كما فى «التقريب» (٢/ ٣٠٦) وعائذ الله المجاشعى ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ٣٩٠).

وأنشد غيره:

قالوا غداً العيد ماذا أنت لابسه ... فقلت خلعة ساق حُسْنُه برعا
صبر وفقرهما ثوبان تحتهما ... قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به ... يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم إن غبت يا أملى ... والعيد ما كنت لى مرأىً ومستمعا

وأما أعياد المؤمنين فى الجنة فهى أيام زيارتهم لربهم عزوجل فيزورونه ويكرمهم غاية الكرامة ويتجلى لهم وينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً هو أحب إليهم من ذلك وهو الزيادة التى قال الله تعالى فيها: **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾**[1] ليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه.

إن يوماً جامعاً شملى بهم ... ذاك عيد ليس لى عيد سواه

كل يوم كان للمسلمين عيداً فى الدنيا فإنه عيد لهم فى الجنة يجتمعون فيه على زيادة ربهم ويتجلى لهم فيه، ويوم الجمعة يدعى فى الجنة: يوم المزيد، ويوم الفطر والأضحى يجتمع أهل الجنة فيهما للزيارة. وروى أنه يشارك النساء الرجال فيهما كما كن يشهدن العيدين مع الرجال دون الجمعة فهذا لعموم أهل الجنة، فأما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا، الخواص كانت أيام الدنيا كلها لهم أعياداً فصارت أيامهم فى الآخرة كلها أعياداً. قال الحسن: كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد، كل يوم يقطعه المؤمن فى طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد. أركان الإسلام التى بنى الإسلام عليها خمسة: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، وصيام رمضان، والحج. فأعياد عموم المسلمين فى الدنيا عند إكمال دور الصلاة، إكمال الصيام، والحج يجتمعون عند ذلك اجتماعا عاما، فأما الزكاة فليس لها وقت معين ليتخذ عيدا، بل كل من ملك نصابا فحوله بحسب ملكه، وأما الشهادتان فإكمالهما يحصل بتحقيقهما والقيام بحقوقهما، وخواص المؤمنين يجتهدون على ذلك فى كل وقت، فلذلك كانت أوقاتهم كلها أعياداً لهم فى الدنيا والآخرة كما أنشد الشبلى:

عيدى مقيم وعيد الناس منصرف ... والقلب منى عن اللذات منحرف
ولى قرينان مالى منهما خلف ... طول الحنين وعين دمعها يكِفُ

---

(١) سورة يونس: آية ٢٦.

ولما كان عيد النحر أكبر العيدين وأفضلهما ويجتمع فيه شرف المكان والزمان لأهل الموسم كانت لهم فيه معه أعياد قبله وبعده فقبله يوم عرفة وبعده أيام التشريق. وكل هذه الأعياد أعياد لأهل الموسم، كما فى حديث عقبة بن عامر عن النبى ﷺ قال: **«يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهى أيام أكل وشرب»**[1]، خرَّجه أهل السنن وصححه الترمذى ولهذا لا يشرع لأهل الموسم صوم يوم عرفة لأنه أول أعيادهم وأكبر مجامعهم، وقد أفطره النبى ﷺ بعرفة والناس ينظرون إليه. وروى أنه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة[2]، وروى عن سفيان بن عيينة: أنه سئل عن النهى عن صيام يوم عرفة بعرفة؟ فقال: لأنهم زوار الله وأضيافه ولا ينبغى للكريم أن يجوِّع أضيافه. وهذا المعنى يوجد فى العيدين وأيام التشريق أيضاً فإن الناس كلهم فيها فى ضيافة الله عزوجل لا سيما عيد النحر فإن الناس يأكلون من لحوم نسكهم أهل الموقف وغيرهم، وأيام التشريق الثلاثة هى أيام عيد أيضاً، ولهذا بعث النبى ﷺ من ينادى بمكة: **«أنها أيام أكل وشرب وذكر الله عزوجل، فلا يصومن أحد»**، وقد يجتمع فى يوم واحد عيدان كما إذا اجتمع يوم الجمعة مع يوم عرفة أو يوم النحر، فيزداد ذلك اليوم حرمة وفضلاً لاجتماع عيدين فيه، وقد كان ذلك اجتمع للنبى ﷺ فى حجته يوم عرفة فكان يوم جمعة، وفيه نزلت هذه الآية: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾**[3].

وإكمال الدين فى ذلك اليوم حصل من وجوه: منها: أن المسلمين لم يكونوا حجوا حجة الإسلام بعد فرض الحج قبل ذلك ولا أحد منهم، هذا قول أكثر العلماء أو كثير منهم فيكمل بذلك دينهم لاستكمالهم عمل أركان الإسلام كلها.

---

(١) **صحيح** رواه أحمد (٤/ ١٥٢) وأبو داود (٢٤١٩) والترمذى (٧٧٣) والنسائى (٥/ ٢٥٢) من حديث عقبة ابن عامر رضى الله عنه.

(٢) **ضعيف**. رواه أحمد (٢/ ٣٠٤، ٤٤٦) وأبو داود (٢٤٤٠) وابن ماجه (١٧٣٢) وابن خزيمة (٢١٠١) والطحاوى فى «شكل الآثار» (٤/ ١١٢) والعقيلى فى «الضعفاء» (١/ ٢٩٨) والحاكم (١/ ٤٣٤) والبيهقى (٤/ ٢٨٤) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه. وفى سنده مهدى بن حرب الهجرى وهو مجهول كما فى «الميزان» (٤/ ٨٨٢٤) وقد قال الحاكم: صحيح على شرط البخارى ووافقه الذهبى.

قلت: وهذا وهم منهما ولا سيما الإمام الذهبى رحمه الله؛ لأنه قد نص على جهالة الهجرى كما سبق.

(٣) سورة المائدة: آية ٣.

ومنها: أن الله تعالى أعاد الحج على قواعد إبراهيم عليه السلام ونفى الشرك وأهله فلم يختلط بالمسلمين فى ذلك الموقف منهم أحد. قال الشعبى: نزلت هذه الآية على النبى ﷺ وهو واقف بعرفة حين وقف موقف إبراهيم واضمحل الشرك وهدمت منار الجاهلية ولم يطف بالبيت عريان، وكذا قال قتادة وغيره، وقد قيل: إنه لم ينزل بعدها تحليل ولا تحريم قاله أبو بكر بن عياش، وأما إتمام النعمة فإنما حصل بالمغفرة فلا تتم النعمة بدونها كما قال لنبيه ﷺ: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً**﴾[1]. قال تعالى فى آية الوضوء: ﴿**ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم**﴾[2]. ومن هنا استنبط محمد بن كعب القرظى بأن الوضوء يكفر الذنوب كما وردت السنة بذلك صريحاً[3]، ويشهد له أيضاً: أن النبى ﷺ سمع رجلاً يدعو ويقول: أسألك تمام النعمة فقال له: «تمام النعمة النجاة من النار، ودخول الجنة»[4] فهذه الآية تشهد لما روى فى يوم عرفة أنه يوم المغفرة والعتق من النار، فيوم عرفة له فضائل متعددة منها: أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة. ومنها: أنه عيد لأهل الإسلام كما قاله عمر بن الخطاب وابن عباس، فإن ابن عباس قال: نزلت فى يوم عيدين يوم الجمعة ويوم عرفة[5]، وروى عن عمر أنه قال: وكلاهما بحمد الله لنا عيد[6]، خرّجه ابن جرير فى تفسيره، ويشهد له حديث عقبة بن عامر المتقدم، لكنه عيد لأهل الموقف خاصة، ويشرع صيامه لأهل الأمصار عند جمهور العلماء، وإن خالف فيه بعض السلف. ومنها: أنه قد قيل: إنه الشفع الذى أقسم الله به فى كتابه وأن الوتر يوم النحر. وقد روى هذا عن النبى ﷺ من حديث جابر[7] خرّجه الإمام

---

(١) سورة الفتح: آية ٢.

(٢) سورة المائدة: آية ٦.

(٣) وذلك فى قول النبى ﷺ: «إذا توضأ العبد المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه، حتى تخرج من تحت أظفار يديه فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته له نافلة» رواه مالك واحمد وغيرهما عن عبد الله الصنابحى وسنده صحيح.

(٤) ضعيف. رواه أحمد (٥/ ٢٣١) والترمذى (٣٥٢٧) من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه. وفى سنده أبو الورد بن ثمامة بن حزن وهو مجهول.

(٥) رواه الطبرى فى «تفسيره» (٩/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦)

(٦) رواه الطبرى فى «تفسيره» (٩/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥)

(٧) سبق تخريجه.

أحمد والنسائى فى تفسيره وقيل: إنه الشاهد الذى أقسم الله به فى كتابه فقال تعالى: ﴿وشاهد ومشهود﴾[1]. وفى المسند عن أبى هريرة مرفوعاً وموقوفاً: «الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم الجمعة»[2]، وخرّجه الترمذى مرفوعاً[3]، وروى ذلك عن علىّ من قوله[4]. وخرّج الطبرانى من حديث أبى مالك الأشعرى مرفوعاً: «الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة»[5]، وعلى هذا فإذا وقع يوم عرفة فى يوم الجمعة فقد إجتمع فى ذلك اليوم شاهد ومشهود. ومنها: أنه روى أنه أفضل الأيام خرّجه ابن حبان فى صحيحه من حديث جابر عن النبى ﷺ قال: «أفضل الأيام يوم عرفة»[6]، وذهب إلى ذلك طائفة من العلماء، ومنهم من قال: يوم النحر أفضل الأيام لحديث عبد الله بن قرط عن النبى ﷺ قال: «أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر»[7]، خرّجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه ولفظه: « أفضل الأيام»، ومنها: أنه روى عن أنس بن مالك أنه قال: كان يقال: يوم عرفة بعشرة آلاف يوم، يعنى فى الفضل، وقد ذكرناه فى فضل العشر. وروى عن عطاء قال: من صام يوم عرفة كان له كأجر ألفى يوم. ومنها: أنه يوم الحج الأكبر عند جماعة من السلف منهم عمر وغيره، وخالفهم آخرون وقالوا: يوم الحج الأكبر يوم النحر. وروى ذلك عن النبى ﷺ، ومنها: أن صيامه كفارة سنتين وسنذكر الحديث فى ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى:

---

(١) سورة البروج: آية ٣

(٢) **صحيح موقوفا**. رواه أحمد (٢/ ٢٩٨) والحاكم (٢/ ٥١٩) من طريق على بن زيد بن جدعان ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار مولى بنى هاشم عن أبى هريرةرضى الله عنه، وقد وقفه يونس بن عبيد ورفعه على بن زيد، وعلى بن زيد كان رفاعاً للأحاديث كما قالوا، ويونس بن عبيد أحفظ منه وأوثق وأشد تثبيتاً، فالراجح أن الحديث موقوف على أبى هريرة رضى الله عنه

(٣)**ضعيف**. رواه الترمذى (٣٣٣٩) وفى سنده موسى بن عبيدة، قال الترمذى: وموسى بن عبيدة يضعف فى الحديث ، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره.

(٤) **ضعيف**. رواه عبد الرزاق فى «تفسيره» (٢/ ٣٩٣) رقم (٣٥٦٧) وفى سنده الحارث الأعور وهو ضعيف.

(٥) **ضعيف**. رواه الطبرانى فى «الكبير» (٣/ ٣٣٨) رقم (٣٤٥٨) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٧/ ١٣٥) رواه الطبرانى وفيه محمد بن اسماعيل بن عباس وهو ضعيف. وكذا فيه انقطاع بين محمد اسماعيل بن عباس وبين أبيه.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) سبق تخريجه.

ومنها: أنه يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عنها، والعتق من النار والمباهاة بأهل الموقف، كما فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟**»[١] وفى المسند عن عبد الله بن عمرو عن النبى النبى ﷺ قال: «**إن الله يباهى ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة فيقول: انظروا إلى عبادى أتونى شعثاً غبراً**»، وفيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**إن الله يباهى بأهل عرفات يقول: «انظروا إلى عبادى أتونى شعثاً غبراً**»[٢]، وخرّجه ابن حبان فى صحيحه، وخرّج فيه أيضاً من حديث جابر عن النبى ﷺ قال: «**ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهى بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادى شعثاً غبراً ضاحين جاؤا من كل فج عميق يرجون رحمتى ولم يروا عذابى، فلم يُر أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة**»[٣]، وخرّجه ابن منده فى كتاب التوحيد ولفظه: «إذا كان يوم عرفة ينزل الله إلى سماء الدنيا فيباهى بهم الملائكة فيقول: إنظروا إلى عبادى أتونى شعثاً غبراص من كل فج عميق، أشهدكم أنى قد غفرت لهم فتقول الملائكة: يارب فلان مُرَهَّق[٤] فيقول: قد غفرت لهم، فما من يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة»[٥]. وقال: إسناد حسن متصل إنتهى؛ وروّيناه من وجه آخر بزيادة فيه وهى: «أشهدكم يا عبادى أنى قد غفرت لمحسنهم وتجاوزت عن مسيئهم». وروّيناه من رواية إسماعيل بن رافع ـ وفيه مقال ـ عن أنس عن النبى ﷺ قال: «**يهبط الله إلى السماء الدنيا عشيه عرفة ثم يباهى بكم الملائكة فيقول: هؤلاء عبادى جاؤونى شعثاً من كل فج عميق يرجون رحمتى ومغفرتى، فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل لغفرتها، أفيضوا عبادى مغفوراً لكم ولمن شفعتهم فيه**»[٦]، وخرّجه البزار فى مسنده بمعناه من حديث

---

(١) رواه مسلم (٣٢٣٠) كتاب الحج، باب: فضل الحج والعمرة ويوم عرفة. والنسائى فى «المناسك» (٥/ ٢٥١) باب: ما ذكر فى يوم عرفة. وابن ماجه فى «المناسك» (٣٠١٤ باب: الدعاء يوم عرفة.

(٢) **صحيح**. رواه أحمد (٢/ ٢٢٤) والطبرانى فى «الصغير» (٥٧٥).

(٣)**صحيح** . رواه أحمد (٢/ ٣٠٥) وابن خزيمة (٢٨٣٩) وابن حبان(٣٨٥٢ ـ احسان) وأبو نعيم فى «الحلية» (٣/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) والحاكم (١/ ٤٦٥) والبيهقى فى «السنن» (٥/ ٥٨).

(٤)مُرهَق: أى متهم بسوء وسفه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) **ضعيف**. رواه ابن خزيمة (٢٨٤٠) والبغوى فى «شرح السنة» (١٩٣١) وفى سنده أبى الزبير المكى وهو مدلس وقد عنعن.

مجاهد عن ابن عمر عن النبى ﷺ[1] قال: لا نعلم له طريقاً أحسن من هذا الطريق. وخرّجه الطبراني وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ مختصراً، وروّيناه من طريق الوليد بن مسلم قال: أخبرنى أبو بكر بن أبى مريم عن الأشياخ أن النبى ﷺ قال: «**إن الله عزوجل يدنو إلى السماء الدنيا عشية عرفة فيقبل على ملائكته فيقول: ألا إن لكل وفد جائزه وهؤلاء وفدى شعثاً غبراً أعطوهم ما سألوا واخلفوا لهم ما أنفقوا حتى إذا كان عند غروب الشمس أقبل عليهم فقال: ألا إنى قد وهبت مسيئكم لمحسنكم، وأعطيت محسنكم ما سأل، أفيضوا بسم الله**»[2]، وروى إبراهيم بن الحكم بن زبان حدثنا أبىّ حدثنا فرقد قال: إن أبواب السماء تفتح كل ليلة ثلاث مرات وفى ليلة الجمعة سبع مرات، وفى ليلة عرفة تسع مرات. وروّينا من طريق نفيع أبى داود عن ابن عمر مرفوعاً وموقوفاً: «إذا كان يوم عرفة لم يبق أحد فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلاّ غفر له»، قيل له: ألمعروف[3] خاصة أم للناس عامة؟ قال: « بل للناس عامة»[4]. وخرّج مالك فى الموطأ من مراسيل طلحة بن عبيد الله بن كريز أن النبى ﷺ قال: «**ما رؤى الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة، وماذاك إلاّ لما يرى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلاّ ما رؤى يوم بدر**». قيل: وما رأى يوم بدر «قال: رأى جبريل عليه السلام وهو يزع الملائكة»[5]. وروى أبو عثمان الصابونى بإسناد له عن رجل كان أسيراً ببلاد الروم فهرب من بعض الحصون قال: فكنت أسير بالليل وأكمن بالنهار فبينما أنا ذات ليلة أمشى بين جبال وأشجار إذا أنا بحس، فراعنى ذلك فنظرت فإذا راكب بعير فازددت رعباً، وذلك لأنه لا يكون ببلاد الروم بعير فقلت: سبحان الله فى بلاد

---

(1) حسن رواه عبد الرزاق فى «المصنف» (٥/١٥) رقم (٨٨٣٠) والبزار (١٠٨٢ـ كشف) والطبرانى فى «الكبير» (١٢/٤٢٥) رقم (١٣٥٦٦) وقال البزار: قد روى هذا الحديث من وجوه ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق.

(2) ضعيف. .فى سنده مجاهيل وأبو بكر بن أبى مريم ضعيف كما فى «التقريب» (٢/٣٩٨).

(3) أى لمن يقف بعرفة خاصة.

(4) ضعيف جداً. نفيع هو أبو داود الأعمى وهو متروك وقد كذبه ابن معين كما فى «التقريب» (٢/٢٣٠٦) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣/٢٥٢) رواه الطبرانى وفيه أبو داود الأعمى وهو ضعيف جداً.

(5) ضعيف لارساله. رواه مالك فى «الموطأ» (١/٤٢٢/٢٤٥) عن طلحة بن عبد الله بن كريز .

الروم راكب بعير إن هذا لعجب فلما انـتهى إلىّ قلت: يا عبد الله من أنت؟ قال: لا تسأل، قلت: إنى أرى عجبـاً فأخبرنى؟ فقال: لا تسأل فـأبيت عليه فقال: أنا إبليس وهذا وجهى من عـرفات رافقـتهم عشـية اليوم أطلع عليـهم فنزلت عليهم المغفرة، ووهب بعـضهم لبعض فداخلنى الهم والحـزن والكآبة، وهذا وجهى إلى قسطنطينيـة انفرج بما أسمـع من الشرك بالله وإدعاء أن له ولداً فـقلت: أعوذ بالله منك، فلما قلت: هذا الكلمـات لم أر أحداً، ويشهد لهذه الحكاية حـديث عباس بنْ مرداس الذى خرّجه أحمد وابن ماجه فى دعـاء النبى ﷺ لأمته عشية عرفة ثم بالمزدلفة فـأجيب فضحك ﷺ وقـال: «إن إبليس حين علم أن الله قد غفـر لأمتى وإستجاب دعائى، أهون يحثى التراب على رأسه ويدعو بالويل والثبور فضحكت من الخبيث من جزعه»[1] ويروى عن علىّ بن المـوفق أنه وقف بعـرفـة فى بعض حجـاته فرأى كثرة الناس فـقال: اللهم إن كنت لم تتقـبل منهم أحداً، فقد وهبـته حجى، فرأى رب العزة فى منامه وقال له: يا ابن الموفق أتسخى علىّ، وقد غفرت لأهل الموقف ولأمثالهم، وشفّعت كل واحد منهم فى أهل بيـته وذريته وعشيرته، وأنا أهل التقوى وأنا أهل المغفرة، ويروى نحوه عن غيره أيضاً من الشيوخ.

فمـن طمع فى العتق من النار ومـغفـرة ذنوبه فى يوم عرفـة فليحـافظ على الأسباب التى يرجى بها العتق والمغفرة فمنها: صيام ذلك اليوم ففى صحيح مسلم عن أبى قتادة عن النبى ﷺ قال: «**صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والتى بعده**»[2] . ومنها: حـفظ جوارحه عن المحرمـات فى ذاك اليوم، ففى مسند الإمام أحمـد عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: «**يوم عرفة هذا يوم من ملك فيه سمعـه وبصره ولسانه غفر له**»[3]. ومنها: الإكثار من شهادة التوحيد بإخلاص وصدق فـإنها أصل دين الإسلام الذى أكمله الله تعـالى فى ذلك اليوم

---

(١) ضعيف. رواه أحمد (٤/ ١٤ ـ ١٥) وابن ماجه (٣٠١٣) وفى سنده عبد الله بن كنانة وهو مجهول كما فى «التقريب» (١/ ٤٤٣).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٠) كتاب الصيام، باب: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر. وأحمد (٥/ ٣١١) وأبو داود فى «الصوم» (٢٤٢٥) باب: فى صوم الدهر تطوعاً. والترمذى فى «الصوم» (٧٤٩) باب: ما جاء فى فضل صوم عرفة، النسائى فى «الصيام» (١٧١٣) باب: ما جاء فى صيام داود عليه السلام.

(٣) ضعيف. رواه أحمد (١/ ٣٢٩و٣٥٦) وأبو يعلى (٤/ ٣٣٠ رقم (٢٤٤١) والطبرانى فى «الكبير» (١٢/ ٢٣٢) رقم (١٢٩٧٤) وفى سنده عبد العزيز بن قيس العبدى وهو مقبول كما فى «التقريب» (١/ ٥١٣).
=

وأساسه. وفى المسند عن عبد الله بن عمر قال: كان أكثر دعاء النبى ﷺ يوم عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك، وله الحمد بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وخرجه الترمذى ولفظه: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير»[1]، وخرّجه الطبرانى من حديث علىّ وابن عمر مرفوعاً أيضاً[2]. وخرج الإمام أحمد من حديث الزبير بن العوام قال سمعت رسول الله ﷺ وهو بعرفة يقرأ هذه الآية: **﴿شهد الله أنه لا إله إلاَّ هو والملائكة وأولوا العلم﴾**[3]... الآية ويقول: **﴿وأنا على ذلك من الشاهدين﴾**، يارب[4]. ويروى من حديث عبادة قال شهدت النبى ﷺ يوم عرفة فكان أكثر قوله: **﴿شهد الله أنه لا إله إلاَّ هو﴾**... الآية ثم قال: «أى رب، وأنا أشهد». فتحقق كلمة التوحيد يوجب عتق الرقاب، وعتق الرقاب يوجب يوجب العتق من النار، كما ثبت فى الصحيح: «أن من قالها مائة مرة كان له عدل عشر رقاب»[5]، وثبت

= والحديث علقه ابن خزيمة (٤/ ٢٦١) وقال: وروى سكين بن عبد العزيز البصرى وأنا برئ من عهدته وعهدة أبيه.

(١) **حسن بشواهده وطرقه**. رواه أحمد (٢/ ٢١٠) والترمذى (٣٥٨٥) والبيهقى فى «الشعب» (٣/ ٣٥٨) رقم (٣٧٦٧) والمحاملى فى «الدعاء» (٦٠) وفى سنده محمد بن أبى حميد الأنصارى الزرقى يلقب بجماد وهو ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ١٥٦) ولكن للحديث شواهد وطرق يرتقى بها وهى الآتية.

(٢) حديث ابن عمر. رواه الطبرانى فى «الدعاء» (٢/ ١٢٠٦) رقم (٨٧٥) وفى سنده فرج بن فضالة وهو ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ١٠٨)

وأما حديث على بن أبى طالب. فقد رواه الطبرانى فى «الدعاء» (٢/ ١٢٠٦) رقم (٨٧٤) وفى سنده قيس بن الربيع وهو صدوق تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به كما فى «التقريب» (٢/ ١٢٨) وبالجملة فالحديث حسن بطرقه ولا سيما أن له شاهداً بسند مرسل صحيح رواه مالك فى «الموطأ» (١/ ٤٢٢/ ٢٤٦) عن طلحة بن عبيد الله بن كريز وانظر «الصحيحة» (١٥٠٣).

(٣) سورة آل عمران: آية ١٨.

(٤) **ضعيف**. رواه أحمد (١/ ١٦٦) والطبرانى فى «الكبير» (١/ ١٢٤) رقم (٢٥٠) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٣٢٥) رواه أحمد والطبرانى وفى اسانيدهما مجاهيل.

(٥) رواه البخارى فى «الدعوات» (٦٤٠٣) باب: فضل التهليل. ومسلم (٦٧١٦) كتاب الدعوات، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء. وأحمد (٢/ ٣٠٢و٣٧٥) والترمذى فى «الدعوات» (٣٤٦٨) وابن ماجه فى «الأدب» (٣٧٩٨) باب: فضل لا إله إلا الله. من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

أيضاً: «أن من قالها عشر عشر مرات كان كمن أعتق أربعة من ولد إسماعيل»[1]، وفى سنن أبى داود وغيره عن أنس عن النبى ﷺ قال: «من قال حين يصبح أو يمسى: اللهم أنى أصبحت أشهدك، وأشهد حملة عرشك، وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلاَّ أنت وأن محمداً عبدك ورسولك، أعتق الله ربعه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاث مرات أعتق الله ثلاثة أرباعه، ومن قالها أربع مرار أعتقه الله من النار»[2]، ويروى من مراسيل الزهرى: «من قال فى يوم: عشرة آلاف مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أعتقه الله من النار، كما أنه لو جاء بدية من قتله عشرة آلاف قبلت منه». ومنها: أن يعتق رقبة إن أمكنه فإن من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار، كان حكيم بن حزام رضى الله عنه يقف بعرفة ومعه مائة بدنة مقلدة، ومائة رقبة فيعتق رقيقه فيضج الناس بالبكاء والدعاء ويقولون: ربنا هذا عبدك قد أعتق عبيده ونحن عبيدك فاعتقنا. وجرى للناس مرّة مع الرشيد نحو هذا، وكان أبو قلابة يعتق جارية فى عيد الفطر يرجو أن يعتق بذلك من النار. ومنها: كثرة الدعاء بالمغفرة والعتق فإنه يرجى إجابة الدعاء فيه. روى ابن أبى الدنيا بإسناده عن علىّ قال: ليس فى الأرض يوم إلاَّ لله فيه عتقاء من النار، وليس يوم أكثر فيه عتقاً للرقاب من يوم عرفة[3] فأكثر فيه أن تقول: اللهم أعتق رقبتى من النار، وأوسع لى الرزق الحلال وأصرف عنى فسقة الجن والإنس فإنه عامة دعائى اليوم.

وليحذر من الذنوب التى تمنع المغفرة فيه والعتق: فمنها: الإختيال، روّينا من حديث جابر عن النبى ﷺ قال: **«ما يرى يوم أكثر عتيقاً، ولا عتيقة من يوم عرفة لا**

---

(١) رواه البخارى فى «الدعوات» (٦٤٠٤) باب: فضل التهليل. ومسلم (٦٧١٨) باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء والترمذى فى «الدعوات» (٣٥٥٣).

(٢) **ضعيف**. رواه أبو داود (٥٠٦٩) وفى سنده عبد الرحمن بن عبد المجيد السهمى وهو مجهول كما فى «التقريب» (١/ ٤٨٩) وفى السند علة أخرى وهى أنهم اختلفوا فى سماع مكحول من أنس فاثبته أبو مسهر ونفاه البخارى، فإن ثبت سماعه منه فالعلة عنعنة مكحول فقد قال ابن حبان: ربما دلس. فانظر «الضعيفة» (١٠٤١).

(٣) **ضعيف**. رواه البزار (١١٢٨ ـ كشف) وفى سنده أبى الزبير المكى وهو مدلس وقد عنعنه. وعاصم بن هلال البارقى فيه لين كما فى «التقريب» (١/ ٣٨٦).

يغفر الله فيه لمختال» وخرّجه البزاز والطبرانى وغيرها. والمختال هو المتعاظم فى نفسه المتكبر. قال الله تعالى: ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾[1]، وقال النبىﷺ: «إن الله لا ينظر إلى من جر ثوبه خيلاء»[2]. ومنها: الإصرار على الكبائر، روى جعفر السراج بإسناده عن يونس بن عبد الأعلى أنه حج سنة، فرأى أمير الحاج فى منامه: أن الله قد غفر لأهل الموسم سوى رجل فسق بغلام فأمر بالنداء بذلك فى الموسم. وروى ابن أبى الدنيا وغيره أن رجلاً رأى فى منامه أن الله قد غفر لأهل الموقف كلهم إلاَّ رجلاً من أهل بلخ فسأل عنه حتى وقع عليه، فسأله عن حاله فذكر أنه كان مدمناً لشرب الخمر فجاء إليه وهو سكران فعاتبته أمه وهى تسجر تنور، فأحتملها فألقاها فيه حتى إحترقت. يا من يطمع فى العتق من النار ثم يمنع نفسه الرحمة بالإصرار على كبائر الإثم والأوزار. الله نصحت نفسك ولا وقف فى طريقك غيرك توبق نفسك بالمعاصى فإذا حرمت المغفرة قلت: إنىّ هذا: ﴿قُل هو مِن عِند أنفسكم﴾.

فنفسك لـــم ولا تَلُمْ المطايا ومت كمدا فليس لك إعتذار

إن كنت تطمع فى العتق فاشتر نفسك من الله فـ ﴿إنّ الله إشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾[3]. من كرمت عليه تفسه هان عليه كل ما يبذل فى إفتكاكها من النار. إشترى بعض السلف نفسه من الله ثلاث مرار أو أربعاً يتصدق كل مرة بوزن نفسه فضة، وإشترى عامر بن عبد الله بن الزبير نفسه من الله بديّه ست مرات تصدق بها، وإشترى حبيب العجمى نفسه من الله بأربعين ألف درهم تصدق بها، وكان أبو هريرة يسبح كل يوم أثنى عشر ألف تسبيحة بقدر ديته يفتك بذلك نفسه.

بدم المحب يباع وصلهم فمن الذى يبتاع فى الثمن

---

(١) سورة الحديد: آية ٢٣.
(٢) رواه البخارى (٥٧٩١) كتاب اللباس، باب: من جر ثوبه من الخيلاء. من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.
(٣) سورة التوبة: آية ١١١.

من عرف ما يطلب هان عليه كل مـا يبذل، ويحك قد رضينا منك فى فكاك نفسك بالندم، وقنعنـا منك فى ثمنها بالتوبة والحـزن، وفى هذا الموسم قد رخّص السعر من ملك سمعه وبصره ولسـانه غفر له. مد إليه يد الإعتذار، وقم على بابه بالذل والإنكسار، وإرفع قـصة ندمك مرقـومة على صحـيفة خـدك بمداد الدموع الغـزار وقل: **﴿ربّنا ظلـمنا أنفـسنا وإن لم تـغـفـر لـنا وترحـمـنا لنكـوننّ من الخاسرين﴾**[1]، قال يحيى بن مـعاذ: العبد يوحش ما بينه وبين سيـده بالمخالفات ولا يفارق بابه بحال، لعمله بأن عز العبيد فى ظل مواليهم وأنشأ يقول شعر:

قرة عينى لابد لى منك وإن ... أوحش بينى وبينك الزلل

قرة عينى أنا الغريق فخذ ... كف غريق عليك يتكل

كانت أحوال الصادقين فى الموقف بعرفـة تتنوع: فمنهم: من كان يغلب عليه الخوف أو الحـياء، وقف مطرف بن عبـد الله بن الشخيـر وبكر المزنى بعرفة فـقال أحدهما: اللهم لا ترد أهل الموقف من أجلى، وقال الآخـر: ما أشرفه من موقف وأرجاه لأهله لولا أنى فيهم. وقف الفضـيل بعرفة والناس يدعون وهو يبكى بكاء الثكلى المحترقة قد حال البكاء بينه وبين الدعاء، فلما كادت الشمس أن تغرب رفع رأسه إلى السماء وقـال: وا سوأتاه منك وإن عفوت. وقال الفضـيل أيضا لشعيب بن حرب بالموسم: إن كنت تظن أنه شـهد الموقف أحد شراً منى ومنك فـبئس ما ظننت. دعا بـعض العارفين بعرفـة فقال: الـلهم إن كنت لم تقبل حـجى وتعبى ونصبى فـلا تحرمنى أجـر المصيبـة على تركك القبول منى. وقـف بعض الخائفين بعرفة إلى أن قرب غروب الشمس فنادى الأمـان فقد دنا الإنصراف، فليت شعرى ما صنعت فى حاجة المساكين.

وإنى من خـوفــكـم والرجـا ... أرى الموت والعيش منكـم عيانا

فمنوا عـــلى تـائب خـــائف ... أتاكم ينـــادى الأمـــانَ الأمانا

---

(١) سورة الأعراف : آية ٢٣.

إذا طلب الأسير من الملك الكريم أمنه أمنه.

الأمان الأمان وزرى ثقيل   وذنوبى إذا عددن تطول
أوبقتنى وأوثقتنى ذنوبى   فترى لى إلى الخلاص سبيل

وقف بعض الخائفين بعرفة فمنعه الحياء من الدعاء فقيل له: لم لا تدعو؟ فقال: ثم وحشة فقيل له: هذا يوم العفو عن الذنوب فبسط يديه ووقع ميتاً .

حدا بها الحادى إلى نعمان   فاستذكرت عهداً لها بالبان
فسألت الروح من الأجفان   تشوقاً إلى الزمان الفانى

غيره:

قد لج من الغرام حتى قالوا   قد جن فيهم وهكذا البلبال
الموت إذا رضيته سلسال   فى مثل هواكِ ترخص الآجال

وقف بعض الخائفين بعرفات وقال:

إلهى الناس يتقربون إليك بالبدن، وأنا أتقرب إليك بنفسى ثم خر ميتاً

للناس حجٌ ولى حجٌ إلى سكنى   تهدى الأضاحى وأهدى مهجتى ودمى

ما يرضى المحبون لمحبوبهم بإراقة دماء الهدايا وإنما يهدون له الأرواحا .

أرى موسم الأعياد أنس الأجانب   وما العيد عندى غير قرب الحبائب
إذا قربوا بُدْناً فقربانى الهوى   فإن قبلوا قلبى وإلا فقالبى
وما بدم الأنعام أقضى حقوقهم   ولكن بما بين الحشا والترائب

كان أبو عبيدة الخواص قد غلب عليه الشوق والقلق حتى يضرب على صدره فى الطريق ويقول: وأشوقاه إلى من يرانى ولا أراه، وكان بعد ما كبر يأخذ بلحيته ويقول: يا رب قد كبرت فاعتقنى، وروؤى بعرفة وقد ولع به الولد وهو يقول:

سبحان من لو سجدنا بالعيون له	على حمى الشوك والمحمى من الإبر
لم نبلغ العشر من معاشر نعمته	ولا العشير ولا عشراً من العشر
هو الرفيع فلا الأبصار تدركه	سبحانه من مليك نافذ القدر
سبحان من هو أنس إذ خلوت به	فى جوف ليلى وفى الظلماء والسحر
أنت الحبيب وأنت الحب يا أملى	من لى سواك ومن أرجوه يا ذخرى

ومن العارفين من كان فى الموقف يتعلق بأذيال الرجاء قال ابن المبارك: جئت إلى سفيان الثورى عشية عرفة وهو جاث على ركبتيه وعيناه تهملان فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذى يظن أن الله لا يغفر لهم. وروى عن الفضيل أنه نظر إلى تسبيح الناس وبكائهم عشية عرفة فقال: أرأيتم لو أن هؤلاء ساروا إلى رجل فسألوا دانقاً ـ يعنى سدس درهم ـ أكان يردهم قالوا: لا، قال: والله للمغفرة عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانق .

وإنى لأدعو الله أطلب عفوه	وأعلم أن الله يعفو ويغفر
لئن أعظم الناس الذنوب فإنها	وإن عظمت فى رحمة الله تصغر

وعما قليل تقف إخوانكم بعرفة فى ذلك الموقف فهنيئاً لمن رزقه يجأرون إلى الله بقلوب محترقة ودموع مستبقة، فكم فيهم من خائف أزعجه الخوف وأقلقه، ومحب ألهبه الشوق وأحرقه، وراج أحسن الظن بوعد الله وصدقه، وتائب نصح لله فى التوبة وصدقة، وهارب لجأ إلى باب الله وطرقه، فكم هنالك من مستوجب للنار أنقذه الله وأعتقه، ومن أسير للأوزار فكه وأطلقه، وحينئذ يطلع عليهم أرحم الرحماء ويباهى بجمعهم أهل السماء وينو ثم يقول: ما أراد هؤلاء؟ لقد قطعنا عند وصولهم الحرمان، وأعطاهم نهاية سؤلهم الرحمان، وهو الذى أعطى ومنع ووصل وقطع .

ما أصنع هكذا جرى المقدور	الجبر لغيرى وأنا المكسور
أسير ذنب مقيد مأسور	هل يمكن أن يبدل المسطور

من فاته فى هذا العام القيام بعرفة فليقم لله بحقه الذى عرفه، من عجز عن المبيت بمزدلفة فليبت عزمه على طاعة الله وقد قربه وأزلفه، ومن لم يمكنه القيام بأرجاء الخيف فليقم بحق الرجاء والخوف، من لم يقدر على نحر هديه بمنا فليذبح هواه هنا وقد بلغ المنا، من لم يصل إلى البيت لأنه منه بعيد فليقصد رب البيت فإنه أقرب إلى من دعاه ورجاه من حبل الوريد، نفحت فى هذه الأيام نفحة من نفحات الأنس من رياض القدس على كل قلب أجاب إلى ما دعى، يا هم العارفين بغير الله لا تقنعى، يا عزائم الناسكين لجمع أنساك السالكين إجمعى لحب مولاك أفردى، وبين خوفه ورجائه أقرنى وبذكره تمتعى، ياأسرار المحبين بكعبة الحب طوفى وإركعى، وبين صفاء الصفا ومروة المروى إسعى وإسرعى، وفى عرفات العرفات قفى وتضرعى ثم إلى مزدلفة الزلفى فادفعى، ثم إلى منى نيل المنى فارجعى، فإذا قرب القرابين فقربى الأرواح ولا تمنعى، لقد وضح الطريق ولكن قل السالك على التحقيق وكثر المدعى.

لئن لم أحج البيت إذ شط ربعه ... حججت إلى من لا يغيب عن الذكر
فأحرمت من وقتى بخلع نقائصى ... أطوف وأسعى فى اللطائف والبر
صفاى صفائى عن صفاتى ومروتى ... مروءة قلبى عن سوى حبه قَفْر
وفى عرفات الأنس بالله موقفى ... ومزدلفى الزلفى لديه إلى الحشر
وبتُّ المنى منى مبيتى فى منى ... ورمى جمارى جمر شوقى فى صدرى
وأشعار هديى ذبح نفسى بقهرها ... وخلعى بمحو الكائنات عن السر
ومن رام نفراً بعد نسك فإننى ... مقيم على نسكى حياتى بلا نفر

●●●●●

خرّج مسلم في صحيحه من حديث نبيشة الهذلي أن النبي ﷺ قال: **«أيام منى أيام أكل وشرب وذكر الله عزوجل»**[1]، وخرّجه أهل السنن والمسانيد من طرق متعددة عن النبي ﷺ وفي بعضها: أن النبي ﷺ بعث في أيام منى منادياً ينادي: «لا تصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب وذكر الله عزوجل»، وفي رواية للنسائي: «أيام أكل وشرب وصلاة»[2]، وفي رواية للدارقطني بإسناد فيه ضعف: « أيام أكل وشرب وبعال»[3]، وفي رواية للإمام أحمد: «من كان صائماً فليفطر فإنها أيام أكل وشرب»[4] وفي رواية: أنها ليست أيام صيام [5].

أيام منى، هي الأيام المعدودات التي قال الله عز وجل فيها: **﴿واذكروا الله في أيام مَعدودات﴾**[6]، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر وهي أيام التشريق هذا قول ابن عمر وأكثر العلماء، وروى عن ابن عباس وعطاء أنها أربعة أيام: يوم النحر وثلاثة أيام بعده وسماها عطاء أيام التشريق، والأول أظهر وقد قال النبي ﷺ **«أيام منى ثلاثة: ﴿فَمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه﴾»**[7]، خرّجه

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٦و٢٦٣٧) كتاب الصيام، باب تحريم صوم أيام التشريق. وأحمد (٥/ ٧٥) والنسائي (٧/ ١٧٠) كتاب الفرع والعتيرة، باب: تفسير العتيرة.

(٢) **ضعيف**. رواه النسائي في «الصيام» في «الكبرى». (٢/ ١٧١) رقم (٢٩٠٢) وفي سنده حسن بن حسن الأشقر، قال البخاري: فيه نظر، وقال أبو زرعة: منكر الحديث.

(٣) **ضعيف جداً**. رواه الدارقطني (٤/ ٢٨٣) وفي سنده سعيد بن سلام العطار وهو متروك وكذبه ابن نمير وأحمد بن حنبل وقال البخاري: يذكر بوضع الحديث.

(٤) **ضعيف**. رواه أحمد كما في «المجمع» (٣/ ٢٠٣) والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٢٧) رقم (٣٥٢٦) وقال الهيثمي: في اسناد أحمد رجل لم يسم. أ. هـ قلت: وفي اسناد الطبراني عبد الله بن رجاء وهو مقبول كما في «التقريب» (١/ ٤١٥).

(٥) **ضعيف**. رواه النسائي في «الكبرى» في «الصيام» (٢/ ١٦٨) رقم (٢٨٨٦) من حديث علي بن أبي طالب وفي سنده ابن اسحاق وهو مدلس وقد عنعن.

(٦) سورة البقرة: آية ٢٠٣.

(٧) **صحيح**. رواه أحمد (٤/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) وأبو داود (١٩٤٩) والنسائي (٥/ ٢٥٩) والترمذي (٨٨٩) والدارمي (٢/ ٥٩) وابن ماجه (٣٠١٥) وابن الجارود (٤٦٨) وابن حبان (٣٨٩٢ ـ احسان) والدارقطني (٢/ ٢٤١) والطيالسي (١٣٠٩) والحميدي (٨٩٩) والحاكم (١/ ٤٦٤و ٢/ ٢٧٨) والبيهقي (٥/ ١١٦و ١٧٣) من حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي.

أهل السنن الأربعة من حديث عبد الرحمن بن يعمر عن النبى ﷺ، وهذا صريح فى أنها أيام التشريق وأفضلها أولها يوم القر لأن أهل منى يستقرون فيه، ولا يجوز فيه النفر. وفى حديث عبد الله بن قرط عن النبى ﷺ: «**أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر**»[1]، وقد روى عن سعيد بن المسيب: أم يوم الحج الأكبر هو يوم القر، وهو غريب، ثم يوم النفر الأول وهو أوسطها ثم يوم النفر الثانى وهو آخرها. قال الله تعالى: ﴿**فمن تَعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه**﴾، قال كثير من السلف: يريد أن المتعجل والمتأخر يغفر له ويذهب عنه الإثم الذى كان عليه قبل حجه إذا حج فلم يرفث ولم يفسق ورجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه. ولهذا قال تعالى: ﴿**لمن إتقى**﴾ فتكون التقوى شرطاً لذهاب الإثم على هذا التقدير، وتصير الآية دالة على ما صرح به قول النبى ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»[2]، وقد أمر الله تعالى بذكره فى هذا الأيام المعدودات كما قال النبى ﷺ: «**إنها أيام أكل وشرب وذكر الله عزوجل**»[3].

وذكر الله عزوجل المأمور به فى أيام التشريق أنواع متعددة: منها: ذكر الله عز وجل عقب الصلوات المكتوبات بالتكبير فى أدبارها وهو مشروع إلى آخر أيام التشريق عند جمهور العلماء. وقد روى عن عمر وعلىّ وابن عباس وفيه حديث مرفوع فى إسناده ضعف[4]. ومنها: ذكره بالتسمية والتكبير عند ذبح النسك فإن وقت ذبح الهدايا والأضاحى يمتد إلى آخر أيام التشريق عند جماعة من العلماء، وهو قول الشافعى ورواية عن الإمام أحمد، وفيه حديث مرفوع: «كل أيام منى ذبح»[5]، وفى إسناده مقال، وأكثر الصحابة على أن الذبح يختص بيومين من أيام التشريق مع يوم النحر وهو المشهور عن أحمد وقول مالك وأبى حنيفة والأكثرين.

---

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق تخريجه. (٣) سبق تخريجه.

(٤) الحديث المرفوع ضعيف جداً. رواه البيهقى فى «السنن» (٣/ ٣١٥) والدارقطنى (٢/ ٤٩) عن جابر رضى الله عنه وفى سنده عمرو بن شمر وهو متروك وجابر الجعفى ضعيف.

(٥) ضعيف. رواه أحمد (٤/ ٨٢) والدراقطنى (٤/ ٢٨٤) والبيهقى فى «السنن»(٩/ ٢٩٥و ٢٩٦) وفى سنده انقطاع بين سليمان بن موسى وجبير بن مطعم رضى الله عنه، وقد روى الحديث من طرق أخرى متصلة وجميعها لا تخلو من ضعف.

ومنها: ذكر الله عزوجل على الأكل والشرب فإن المشروع فى الأكل والشرب أن يسمى الله فى أوله ويحمده فى آخره، وفى الحديث عن النبى ﷺ: «أن الله عزوجل يرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها»[1]. وقد روى: أن من سمى على أول طعامه وحمد الله على آخره فقد أدى ثمنه ولم يسأل بعد عن شكره. ومنها: ذكره بالتكبير عند رمى الجمار فى أيام التشريق، وهذا يختص به أهل الموسم. ومنها: ذكر الله تعالى المطلق فإنه يستحب الإكثار منه فى أيام التشريق، وقد كان عمر يكبر بمنى فى قبته فيسمعه الناس فيكبزون فترتج منى تكبيراً، وقد قال الله تعالى **﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة من خلاق. ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾**[2]، وقد إستحب كثير من السلف كثرة الدعاء بهذا فى أيام التشريق. قال عكرمة: كان يستحب أن يقال في أيام التشريق: **﴿ربّنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾**، وعن عطاء قال: ينبغى لكل من نفر أن يقول حين ينفر متوجهاً إلى أهله: ﴿ربّنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾، خرّجهما عبد بن حميد فى تفسيره، وهذا الدعاء من أجمع الأدعية للخير وكان النبي ﷺ يكثر منه وروى: أنه كان أكثر دعائه، وكان إذا دعا بدعاء جعله معه فإنه يجمع خير الدنيا والآخرة. قال الحسن: الحسنة فى الدنيا: العلم والعبادة، وفى الآخرة: الجنة. وقال سفيان: الحسنة فى الدنيا: العلم والرزق الطيب، وفى الآخرة: الجنة والدعاء من أفضل أنواع ذكر الله عز وجل. وقد روى زياد الجصاص عن أبى كنانة القرشى أنه سمع أبا موسى الأشعرى يقول فى خطبته يوم النحر، بعد يوم النحر ثلاثة أيام التى ذكر الله الأيام المعدودات لا يرد فيهن الدعاء، فارفعوا رغبتكم إلي الله عزوجل وفى الأمر بالذكر عند إنقضاء النسك معنى وهو أن سائر العبادات تنقضى ويفرغ منها، وذكر الله باق لا ينقضى

(١) رواه مسلم (٦٧٩٩) كتاب الدعوات، باب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، والترمذى فى «الأطعمة» (١٨١٦) باب: ما جاء فى الحمد على الطعام. والنسائى فى «الوليمة» فى «الكبرى» (٤/ ٢٠٢) رقم (٦٨٩٩).

(٢) سورة البقرة: آية ٢٠٠ ـ ٢٠١.

ولا يفرغ منه بل هو مستمر للمؤمنين فى الدنيا والآخرة، وقد أمر الله تعالى بذكره عند إنقضاء الصلاة، قال ا. تعالى: **﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾**[1]، وقال فى صلاة الجمعة: **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً﴾**[2]. وقال تعالى: **﴿فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾**[3]. روى عن ابن مسعود قال: فإذا فرغت من الفرائض فانصب، وعنه فى قوله: **﴿وإلى ربك فارغب﴾** قال: فى المسألة وأنت جالس، وقال الحسن: أمره إذا فرغ من غزوة أن يجتهد فى الدعاء والعبادة فالأعمال كلها يفرغ منها، والذكر لا فراغ له ولا إنقضاء، والأعمال تنطع بإنقطاع الدنيا ولا يبقى منها شىء فى الآخرة، والذكر لاينقطع، والمؤمن يعيش على الذكر ويموت عليه وعليه يبعث.

أحسبتموا أن الليالى غيرت ... عهد الهوى لا كان من يتغير

يفنى الزمان وليس يفنى ذكركم ... وعلى محبتكم أموت أو أحشر

قال ذو النون: ما طابت الدنيا إلاَّ بذكره ولا الآخرة إلاَّ بعفوه ولا الجنة إلاَّ برؤيته .

بذكر الله ترتاح القلوب ... ودنيانا بذكراه تطيب

إذا ذكر المحبوب عند حبيبه ... ترنح نشوان وحن طروب

فأيام التشريق يجتمع فيها للمؤمنين نعيم أبدانهم بالأكل والشرب، ونعيم قلوبهم بالذكر والشكر. وبذلك تتم النعم، وكلما أحدثوا شكراً على النعمة كان شكرهم نعمة أخرى فيحتاج إلى شكر آخر، ولا ينتهى الشكر أبداً .

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة ... على له فى مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلاَّ بفضله ... وإن طالت الأيام وإتصل العمر

---

(١) سورة النساء: آية ١٠٣. (٢) سورة الجمعة: آية ١٠. (٣) سورة الشرح: آية ٧ ـ ٨.

وفى قول النبى ﷺ: «**إنها أيام أكل وشرب وذكر الله عزوجل**»[1]، إشارة إلى أن الأكل فى أيام الأعياد والشرب إنما يستعان به على ذكر الله تعالى وطاعته وذلك من تمام شكر النعمة أن يستعان بها على الطاعات، وقد أمر الله تعالى فى كتابه بالأكل من الطيبات والشكر له، فمن إستعان بنعم الله على معاصيه فقد كفر نعمة الله ودلها كفراً وهو جدير أن يسلبها كما قيل:

إذا كنت فى نعمة فارعها فإن المعاصى تزيل النعم
ودوام عليها بشكر الإله فشكر الإله يزيل النقم

وخصوصاً نعمة الأكل من لحوم بهيمة الأنعام كما فى أيام التشريق فإن هذه البهائم مطيعة لله لا تعصيه وهى مسبحة له قانتة كما قال تعالى: ﴿**وإنْ من شىء إلاَّ يسبح بحمده**﴾[2] وإنها تسجد له كما أخبر بذلك فى سورة النحل[3] وسورة الحج[4]، وربما كانت أكثر ذكراً لله من بعض بنى آدم، وفى المسند مرفوعاً: «رب بهيمة خير من راكبها، وأكثر لله منه ذكراً»[5]. وقد أخبر الله تعالى فى كتابه أن كثيراً من الجن والإنس كالأنعام بل هم أضل، فأباح الله عزوجل ذبح هذه البهائم المطيعة الذاكرة له لعباده المؤمنين حتى تتقوى بها أبدانهم وتكمل لذاتهم فى أكلهم اللحوم، فإنها من أجل الأغذية وألذها مع أن الأبدان تقوم بغير اللحم من النباتات وغيرها لكن لا تكمل القوة والعقل واللذة إلاَّ باللحم فأباح للمؤمنين قتل هذه البهائم والأكل من لحومها ليكمل بذلك قوة عباده وعقولهم، فيكون ذلك عوناً لهم على علوم نافعة وأعمال صالحة يمتاز بها بنو آدم على البهائم وعلى ذكر الله عزوجل وهو أكثر من ذكر البهائم فلا يليق بالمؤمن مع هذا إلاَّ مقابلة هذه النعم بالشكر عليها، والإستعانة بها على طاعة الله عزوجل وذكره حيث فضل الله

---

(١) سبق تخريجه (٢) سورة الاسراء: آية ٤٤.

(٣) وفى قول الله تعالى ﴿ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾ الآية ٤٩ من سورة النحل.

(٤) وهى قول الله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس..﴾ الآية ١٨ من سورة الحج.

(٥) **ضعيف**. رواه أحمد (٣/٤٣٩) وفى سنده ابن لهيعة وزبان بين فائد وهما ضعيفان.

ابن آدم على كثير من المخلوقات، وسخر له هذه الحيوانات، قال الله تعالى: **﴿فكُلوا منها وأطعموا القانِع والمُعتر كذلك سخرناهم لكم لعلكم تشكرون﴾**(1)، فأما من قتل هذه البهيمة المطيعة الذاكرة لله عزوجل ثم إستعان بأكل لحومها على معاصى الله عزوجل ونسى ذكر الله عزوجل فقد قلب الأمر وكفر النعمة، فلا كان من كانت البهائم خيراً منه وأطوع.

نهارك يا مغرور سهو وغفلة   وليلك نوم والردى لك لازم

وتتعب فيما سوف تكره غبه   كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

وإنما نهى عن صيام أيام التشريق لأنها أعياد للمسلمين مع يوم النحر فلا تصام بمنى ولا غيرها عند جمهور العلماء، خلافاً لعطاء فى قوله: إن النهى يختص بأهل منى وإنما نهى عن التطوع بصيامها سواء وافق عادة أو لم يوافق، فأما صيامها عن قضاء فرض أو نذر أو صيامها بمنى للمتمتع إذا لم يجد الهدى ففيه إختلاف مشهور بين العلماء ولا فرق بين يوم منها ويوم عند الأكثرين إلاّ عند مالك فإنه قال فى اليوم الثالث منها: يجوز صيامه عن نذر خاصة، وفى النهى عن صيام هذه الأيام والأمر بالأكل فيها والشرب سر حسن، وهو أن الله تعالى لما علم ما يلاقى الوافدين إلى بيته من مشاق السفر وتعب الإحرام وجهاد النفوس على قضاء المناسك، شرع لهم الإستراحة عقب ذلك بالإقامة بمنى يوم النحر وثلاثة أيام بعده وأمرهم بالأكل فيها من لحوم نسكهم فهم فى ضيافة الله عز وجل فيها لطفاً من الله بهم ورأفة ورحمة وشاركهم أيضاً أهل الأمصار فى ذلك لأن أهل الأمصار شاركوهم فى حصول المغفرة والنصب لله، والإجتهاد فى عشر ذى الحجة بالصوم والذكر والإجتهاد فى العبادات وشاركوهم فى حصول المغفرة وفى التقرب إلى الله تعالى بإراقة دماء الأضاحى فشاركوهم فى أعيادهم وإشترك الجميع فى الراحة فى أيام الأعياد بالأكل والشرب، كما إشتركوا جميعاً فى أيام العشر فى الإجتهاد فى الطاعة والنصب، وصار المسلمون كلهم فى ضيافة الله عزوجل فى هذه الأيام يأكلون من رزقه ويشكرونه على فضله ونهوا عن صيامها لأن الكريم لا يليق به أن

(1) سورة الحج: آية ٣٦.

يجيع أضيافـه، فكأنه قيل للمؤمنين فى هذه الأيام قد فرغ عملـكم الذى عملتموه فما بقى لكم إلاَّ الراحة فـهذه الراحة بهذا كالتعب، كما أريح الصـائمون لله شهر رمضان بأمرهم بإفطار يوم عيـد الفطر ويؤخذ من هذا إشارة إلى حال المؤمنين فى الدنيا فإن الدنيـا كلها أيام سفر كأيام الحج، وهو زمان إحـرام المؤمن عما حرم الله عليه من الشـهوات فمن صـبر فى مدة سفـره على إحرامه وكف عن الهـوى فإذا إنتهى سفر عمره ووصل إلى منى فقد قـضى تفثه، ووفى نذره فصارت أيامه كلها كأيام منى أيام أكل وشـرب وذكر الله عزوجل وصـار فى ضيافـة الله عزوجل فى جواره أبد الأبد ولهذا يقال لأهل الجنة: **﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾**[1] ـ **﴿وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية﴾**[2]، وقد قيل: إنها نزلت فى الصوام فى الدنيا.

وقد صمت عن لذات دعرى كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامى

قال بعض السلف: صم عن الدنيا وليكن فطرك الموت

فصم يومك الأدنى لعلك فى غد تفوز بعيد الفطر والناس صوم

من صام اليوم عـن شهواته أفطر عليهـا غداً بعد وفاته، ومن تعـجل ما حرم عليه من لذاته عوقب بحرمان نصيبه من الجنة وفواته، شاهد ذلك من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة، ومن لبس الحرير لم يلبسه فى الآخرة.

أنت فى دار شـتـات فـتـأهب لـشـتـاتك
واجـعل الدنيـا كـيـوم صمـته عن شـهواتك
وليكـن فطرك عنـد اللـ ـه فـى يوم وفـاتك

قال الله تعالى: **﴿والله يدعـو إلى دار السـلام ويـهـدى مَن يشـاء إلى صـراط مستقيم﴾**[3]، الجنة ضيافـة الله أعدها للمؤمنين نزلاً فيـها ما لا عين رأت ولا أذن سـمعت ولا خطر على قـلب بشر، فـبعث رسـول الله ﷺ يدعـو إليهـا بالإيمان والإسلام والإحسـان فمن أجابه دخل الجنة وأكل من تلك الضيـافة ومن لم يجب حرم. خرّج الترمذى عن جابر قـال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: «رأيت

(١) سورة الطور: آية ١٩. (٢) سورة الحاقة: آية ٢٤. (٣) سورة يونس: آية ٢٥.

فى المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه: إضرب له مثلاً فقال: إسمع سمعت أذناك وإعقل عقل قلبك: إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بناء وجعل فيها مائدة ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه، فالله تعالى هو الملك والدار هى الإسلام والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول الله من أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها»[1].

وخرّجه البخارى بمعناه، ولفظه: «مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياص فمن أجاب الداعى دخل الدار، وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، والدار الجنة، والداعى محمد ﷺ»[2]. فى بعض الآثار الإسرائيلية يقول الله تعالى: «ابن آدم ما أنصفتنى أذكرك وتنسانى، وأدعوك إلىّ فتفر منّى إلى غيرى، وأُذهب عنك البلايا وأنت منعكف على الخطايا، ابن آدم ما يكون إعتذارك غداً إذا جئتنى، طوبى لمن أجاب مولاه: ﴿يا قومنا أجيبوا داعى الله﴾[3].

يا نفس ويحك قد أتاك هواكى   أجيبى فداعى الحق قد ناداكى
كم قد دعيت إلى الرشاد فتعرضى   وتجيبى داعى الغى حين دعاكى

كل ما فى الدنيا يذكر بالآخرة فمواسمها وأعيادها وأفراحها تذكر بمواسم الآخرة وأعيادها وأفراحها. صنع عبد الواحد بن زيد طعاماً لإخوانه فقام عتبة الغلام على رؤوس الجماعة يخدمهم وهو صائم فجعل عبد الواحد ينظر إليه ويسارقه النظر ودموع عتبة تجرى فسأله بعد ذلك عن بكائه حينئذ فقال: ذكرت موائد الجنة والولدان قائمون على رؤوسهم، فصعق عبد الواحد: أبدان العارفين فى الدنيا وقلوبهم فى الآخرة.

---

(١) ضعيف. رواه الترمذى (٢٨٦٠) كتاب الأمثال، باب: ما جاء فى مَثَل الله لعباده. والبخارى تعليقاً (١٣/ ٢٦٣). وضعفه الترمذى بقوله: هذا حديث مرسل، سعيد بن أبى هلال لم يدرك جابر بن عبد الله.

(٢) رواه البخارى (٧٢٨١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ. من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

(٣) سورة الأحقاف: آية ٣١.

جسمى معى غير أن الروح عندكم فالجسم فى غربة والروح فى وطن

أعيـاد الناس تنقضى، فأمـا أعياد العـارفين فدائمة. قـال الحسن: كل يوم لا تعصى الله فهـو لك عيد. جاء بعـضهم إلى بعض العارفين فسلم عـليه وقال له: أريد أن أكلمك فقال: اليون لنا عيد فتـركه، ثم جاء يوماً آخر فقال له مثل ذلك، ثم جاء يومـاً آخر فقال له مـثل ذلك فقال له: ما أكـثر أعيادك قـال: يا بطال أما علمت أن كل يوم لا تعـصى الله فيـه فهو لنا عـيد. أوقـات العارفين كلهـا فرح وسرور بمناجاة مولاهم وذكره فهى أعياد. وكان الشبلى ينشد:

إذا مـا كنت لى عيـداً فـمـا أصنع بـالعـيـد
جـرى حـبك فى قلبى كـجرى الماء فى العـود

وأنشد أيضاً:

عيدى مقـيم وعيد الناس منصرف والقلب منى عن اللذات منحـرف
ولى قـريبنان مـالى منهـمـا خلف طول الحنين وعين دمـعـهـا يكف

●●●●●

خرّج الإمام أحمد من حديث جابر عن النبي ﷺ قال: «**لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله الإنابة**»(١).

فتمنّي الموت يقع على وجوه: منها: تمنيه لضر دنيوى ينزل بالعبد فينهى حينئذ عن تمنى الموت، وفى الصحيحين عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لابد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي**»(٢). ووجه كراهيته في هذا الحال أن المتمنى للموت لضر نزل به إنما يتمناه تعجيلاً للإستراحة من ضره وهو لا يدرى إلى ما يصير بعد الموت فلعله يصير إلى الضر أعظم من ضره فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار. وفى الحديث عن النبي ﷺ قال: «إنما يستريح من غفر له»(٣)، فلهذا لا ينبغى له أن يدعو بالموت إلاً أن يشترط أن يكون خيراً له عند الله عزوجل، فكذلك كل ما لا يعلم العبد فيه الخيرة له كالغنى والفقر وغيرهما، كما يشرع له إستخارة الله تعالى فيما يريد أن يعمله مما لا يعلم وجه الخيرة فيه، وإنما يسأل الله عزوجل على وجه الجزم والقطع مما يعلم أنه خير محض كالمغفرة والرحمة، والعفو والعافية، والتقى والهدى ونحو ذلك. ومنها: تمنيه خوف الفتنة فى الدين فيجوز حينئذ. وقد تمناه ودعا به خشية فتنة الدين خلق من الصحابة وأئمة الإسلام وفى حديث المنام: «وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»(٤). ومنها: تمنى الموت عند حضور أسباب الشهادة إغتناماً لحصولها فيجوز

---

(١) **ضعيف**. رواه أحمد (٣/ ٣٣٢) وفى «الزهد» ١ ص ٢١) والبزار (٣٢٤٠) والبيهقى فى «الشعب» (٧/ ٣٦٢) رقم (١٠٥٨٩) وفى سنده الحارث بن أبى يزيد مولى الحكم وهو لم يوثقه غير ابن حبان فى «الثقات» (٤/ ١٣٦) وذكره البخارى فى «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٨٥) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، فهو مجهول والله أعلم.

(٢) رواه البخارى (٦٣٥١) كتاب الدعوات، باب: الدعاء بالموت والحياة . ومسلم (٦٦٨٨) كتاب الدعوات باب: كراهة تمنى الموت لضر نزل به. والترمذى فى «الجنائز» (٩٧١) باب: ما جاء فى النهى عن تمنى الموت.

(٣) **ضعيف**. رواه أحمد (٦/ ٦٩و ١٠٢) والطبرانى فى «الأوسط» (٩/ ١٤٨) رقم (٩٣٧٩) من حديث عائشة رضى الله عنها وفى سنده ابن لهيعة وهو ضعيف.

(٤) **صحيح**. رواه الترمذى (٣٢٣٥) كتاب التفسير، باب: «ومن سورة ص» من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه. وقال الترمذى، حسن صحيح. سألت محمد بن إسماعيل [يعنى البخارى] عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح.

ذلك أيضاً، وسؤال الصحابة الشهادة وتعرضهم لها عند حضور الجهاد كثير مشهور، وكذلك سؤال معاذ لنفسه وأهل بيته الطاعون لما وقع بالشام. ومنها: تمنى الموت لمن وثق بعمله شوقاً إلى لقاء الله عزوجل فهذا يجوز أيضاً وقد فعله كثير من السلف. قال أب الدرداء: أحب الموت إشتياقاً إلى ربى. وقال أبو عنبسة الخولانى: كان من قبلكم لقاء الله أحب إليه من الشهد. وقال بعضهم: طال شوقى إليك فعجل قدومى عليك. وقال بعضهم: لا تطيب نفسى بالموت إلاَّ إذا ذكرت لقاء الله عزوجل فإننى حينئذ أشتاق إلى الموت كشوق الظمآن الشديد ظمؤه فى اليوم الحار الشديد حره إلى الماء البارد الشديد برده. وفى هذا يقول بعضهم:

أشتاق إليك يا قريباً نائى　　شوق ظام إلى زلال الماء

وقد دل على جواز ذلك قول الله عزوجل: **﴿قُل إن كانت لكم الدَّار الآخرة عند الله خالصةً من دون الناس فتمنوا الموت﴾**[1] وقوله تعالى: **﴿قُل يا أيها الذين هَادوا إن زعمتم أنَّكم أولياء لله من دون النَّاس فتمنوا الموت﴾**[2] فدل ذلك على أن أولياء الله لا يكرهون الموت بل يتمنونه ثم أخبر أنهم: **﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم﴾**[3] فدل على: أنه إنما يكره الموت من له ذنوب يخاف القدوم عليها، كما قال بعض السلف: ما يكره الموت إلاَّ مريب، وفى حديث عمار بن ياسر عن النبى ﷺ: «أسألك لذة النظر إلى وجهك وشوقاً إلى لقائك، فى غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة»[4]، فالشوق إلى لقاء الله تعالى إنما يكون بمحبة الموت وذلك لا يقع غالباً إلاَّ عند خوف ضراء مضرة فى الدنيا أو فتنة مضلة فى الدين، فأما إذا خلا عن ذلك كان شوقاً إلى لقاء الله عزوجل. وهو المسؤول فى هذا الحديث، وفى المسند عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «لا يتمنين الموت إلاَّ من وثق بعمله»[5]. فالمطيع لله مستأنس بربه، فهو يحب لقاء الله، والله يحب لقاءه، والعاصى

(١) سورة البقرة: آية ٩٤.　(٢) سورة الجمعة: آية ٦.　(٣) سورة الجمعة: آية ٧.

(٤) حسن. رواه أحمد (٤/ ٢٦٤) وابن أبى شيبة (١٠/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥) والنسائى (٣/ ٥٤ ـ ٥٥) وابن منده فى «الرد على الجهمية» (٨٦) والدرامى فى «الرد على الجهمية» (ص ٦٠) واللالكائى «شرح أصول الاعتقاد» (٨٤٥) والحاكم (١/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥) وابن حبان (١٩٧١ ـ احسان).

(٥) ضعيف: رواه أحمد (٢/ ٣٥٠) وفى سنده ابن لهيعة وهو ضعيف.

مستوحش بينه وبين مولاه وحشة الذنوب فهو يكره لقاء ربه ولابد له منه، قال ذو النون: كل مطيع مستأنس وكل عاص مستوحش وفى هذا يقول بعضهم:

أمستوحش أنت مما جنيت　　　فاحسن إذا شئت وإستأنس

قال أبو بكر الصديق لعمر رضى الله عنهما فى وصيته له عند الموت: إن حفظت وصيتى لم يكن غائب أحب إليك من الموت ولا بد لك منه، وإن ضيعتها لم يكن غائب أكره إليك من الموت ولن تعجزه. قال أبو حازم: كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مِت. العاصى يفر من الموت لكراهية لقاء الله، وأين يفر من هو فى قبضة من يطلبه.

أين المفر والإلـــه الطالب　　　والمجرم المغلوب ليس الغالب

سئل أبو حازم: كيف القدوم على الله؟ قال: أما المطيع فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه، وأما العاصى فكقدوم الآبق على سيده الغضبان. رؤى بعض الصالحين فى النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: خيراً لم ير مثل الكريم إذا حل به مطيع. الدنيا كلها شهر صيام المتقين وعيد فطرهم يوم لقاء ربهم. كما قيل:

وقد صمت عن لذات دهرى كلها　　　ويوم لقاكـــم ذاك فطـــر صيامى

ومنها: تمنى الموت على غير الوجوه المتقدمة. فقد إختلف العلماء فى كراهيته وإستحبابه وقد رخص فيه جماعة من السلف، وكرهه آخرون وحكى بعض أصحابنا عن أحمد فى ذلك روايتين ولا يصح فإن أحمد إنما نص على كراهة تمنى الموت لضرر الدنيا، وعلى جواز تمنيه خشية الفتنة فى الدين، وربما أدخل بعضهم فى هذا الإختلاف القسم الذى قبله وفى ذلك نظر، وإستدل من كرهه بعموم النهى عنه كما فى حديث جابر الذى ذكرناه، وفى معناه أحاديث أخر يأتى بعضها إن شاء الله تعالى، وقد علل النهى عن تمنى الموت فى حديث جابر بعلتين: إحدهما: أن هول المطلع شديد، وهول المطلع: هو ما يكشف للميت عند حضور الموت من الأهوال التى لاعهد له بشىء منها فى الدنيا من رؤية الملائكة ورؤية أعماله من خير أو شر، وما يبشر به عند ذلك من الجنة والنار، وهذا مع ما يلقاه من شدة الموت وكربه وغصصه. وفى الحديث الصحيح: «إذا حملت الجنازة وكانت صالحة قالت: قدمونى قدمونى، وإن كانت غير ذلك قالت: يا ويلها أين تذهبون بها يسمع

صوتها كل شيء إلاّ الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق»[1] قال الحسن: لو علم ابن آدم أن له في الموت راحة وفرحاً لشق عليه أن يأتيه الموت لما يعلم من فظاعته وشدته وهَوْله فكيف وهو لا يعلم ماله في الموت نعيم دائم أو عذاب مقيم. بكى النخعي عند إحتضاره وقال: إنتظر ملك الموت لا أدرى يبشرني بالجنة أو النار. فالمتمنى للموت كأنه يستعجل حلول البلاء. وإنما أمرنا بسؤال العافية، وسمع ابن عمر رجلاً يتمنى الموت فقال: لا تتمنى الموت فإنك ميت، ولكن سل الله العافية. قال إبراهيم بن أدهم: إن للموت كأساً لا يقوى عليها إلاّ خائف وجل مطيع لله كان يتوقعها. وقال أبو العتاهية:

ألا للموت كأس أي كأس وأنت لكأسه لابد حاسي
إلى كم والممات إلى قريب تُذَكَّر بالممات وأنت ناسي

جزع الحسن بن عليّ رضي الله عنهما عند موته وقال: إني أريد أن أشرف على ما لم أشرف عليه قط. وبكى الحسن البصري عند موته وقال: نفيسة ضعيفة، وأمر مهول عظيم وإنا لله وإنا إليه راجعون. وكان حبيب العجمي عند موته يبكي ويقول: أريد أن أسافر سفرا ما سافرته قط وأسلك طريقاً ما سلكته قط، وأزور سيدي ومولاي وما رأيته قط، وأشرف على أهوال ما شاهدتها قط. فهذا كله من هول المطلع الذي قطع قلوب الخائفين حتى قال عمر عند موته: لو أن لي ما في الأرض لافتديت به من هول المطلع، ومن هول المطلع ما يكشف للميت عند نزوله قبره من فتنة القبر، فإن الموتى يفتنون بالمسألة في قبورهم مثل أو قريباً من فتنة المسيح الدجال، وما يكشف لهم في قبورهم عن منازلهم من الجنة والنار، وما يلقون من ضمة القبر وضيقته وهوله وعذابه إن لم يعاف الله من ذلك. ولأبي العتاهية يبكي نفسه

لأبكين على نفسي وحُقَّ ليه يا عين لاتبخلي عني بعبرتيه
ياهول مطلعي ياضيق مضطجعي يانأي منتجعي يا بعد شُقَّتيه

رؤى بعض الصالحين في المنام بعد موته فسئل عن حاله فأنشد:

---

(1)ـ رواه البخاري (١٣١٤) كتاب الجنائز، باب: حمل الرجال الجنائز دون النساء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وليس يعلم ما فى القبر داخله إلاَّ الإله وساكن الأجداث

وكان سفيان ينشد

إنَّ امرءاً يصفولــــــه عيشه لغافل عما تُجنُّ القبور

نحـــن بنو الأرض وسكانها منها خلقنا وإليها نصير

والعلة الثانية: أن المؤمن لا يزيد عمره إلاَّ خـيراً فمن سعـادته أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة إليه والتوبة من ذنوبه السالفة والإجـتهاد فى العمل الصالح، فإذا تمنى الموت فقد تمنى إنقطاع عمله الصالح فلا ينبغى له ذلك. وروى إبراهيم الحربى من رواية ابن لـهـيـعـــة عن ابن الهـاد عن ابـن المطلب عن أبيـــه أن النبى ﷺ قال: «**السعادة كل الـسعادة طول العمر فى طـاعة الله عزوجل**»[1]، وقد روى هذا المعنى عن النبى ﷺ من وجوه متعددة. ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قـال: «**لا يتـمنين أحدكم الموت إمـا محـسنا فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب**»[2]. وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**لا يتمنين أحدكم الموت ولا يـدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم إنقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلاَّ خيراً**»[3]، وفى مسند الإمام أحمـد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه إلاَّ أن يكون قد وثق بعمله، فإنه إن مات أحدكم إنقطع عنه عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلاَّ خيراً**»[4]، وفيه عن أم الفضل رضى الله عنها أن النبى ﷺ سمع العـباس وهو يشتكى فتمنى الموت فـقال: «لا تتمنى الموت فإنك إن كنت محسناً تزداد إحساناً إلى إحسانك، وإن كنت مسيئاً فإن تؤخر تستعتب من إساءتك خير لك»[5] وفيـه أيضاً عن أبى أمامـة رضى الله عنه قال: جلسنا إلى رسول الله ﷺ فذكـرنا ورقننا فبكى سعد بن أبى وقاص فـأكثر البكاء وقال: يا ليتنى مت، فقال النبى ﷺ: «**يا سعد إن كنت خلقت لـلجنة فما طال من**

---

(١) ضعيف. رواه الخطيب البغـدادى فى «تاريخه» (٦/ ١٦ ـ ١٧) وفى سنده ابن لهيعـة وهو ضعيف. ورواه القضاعى فى «مسند الشهاب» (٣١٢) وفى سنده عبد الرحمن بن قريش وهو ضعيف.

(٢) رواه البخارى (٥٦٧٣) كـتاب المرضى، باب: تمنى المريض الموت، والنسائى (٤/ ٢، ٣) كـتاب الجنائز، باب: تمنى الموت.

(٣) رواه مسلم (٦٦٩٣) كتاب الدعوات، باب: كراهة تمنى الموت لضر نزل به

(٤) ضعيف. رواه أحمد (٢/ ٣٥٠) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وفى سنده ابن لهيعة وهو ضعيف.

(٥) ضـعـيف. رواه أحمـد (٦/ ٣٣٩) وأبو يعلـى (١٢/ ٥٠٣) رقم (٧٠٧٦) وفى سنده هند بنت الحـارث الخثعمية وهى مقبولة كما فى «التقريب» (٢/ ٦١٧).

عمرك وحسن من عمـلك فهو خير لك»[1]، وفى المعنى أحاديث أخر كثيرة وكلها تدل على النهى عن تمنى الموت بكل حال، وأن طول عم المؤمن خـير له فإنه يزداد فيه خـيراً. وهذا قد قيل إنه يدخل فيـه تمنيه للشوق إلى لقاء الله وفـيه نظر، فإن النبى ﷺ قد تمناه فى تلـك الحال، وإختلف السالـكون أيما أفضل، من تمنى الموت شوقاً إلى لقـاء الله أو من تمنى الحياة رغبة فى طاعـة الله، أو من فوّض الأمر إلى الله ورضى بإختيـاره له ولم يختر لنفسه شـيئاً، وإستدل طائفـه من الصحابة على تفضيل الموت على الحياة بقول الله عزوجل: **﴿وما عند الله خير للأبرار﴾**[2] ولكن الأحاديث الصحيحة تدل على أن عمر المؤمن كلما طال إزداد بذلك ما له عند الله من الخير فلا ينبغى له أن يتـمنى انقطاع ذلك، اللهم إلاَّ أن يخشى الفتنة على دينه فإنه إذا خشى الـفتنة على دينه فقد خـشى أن يفوته ما عند الله من خيـر، ويتبدل ذلك بالشـر عيـاذاً بالله من ذلك، والموت خيـر من الحيـاة على هذه الحـال. قال ميمون بن مهران: لا خير فى الحياة إلاَّ لتائب أو رجل يعمل فى الدرجات، يعنى أن التائب يمحـو بالتوبة ما سلف من السيـئات والعامل يجتهـد فى علو الدرجات ومن عداهما فهو خاسر كما قال تعالى: **﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾**[3] فأقسم الله تعالى أن كل إنسان خاسـر إلاَّ من إتصف بهذه الأوصاف الأربعة: الإيمان والعـمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصـبر على الحق، فهذه السورة ميـزان للأعمال يزين المؤمن بها نفسه فيبين له بها ربحه من خسرانه، ولهذا قال الشافعى رضى الله عنه: لو فكر الناس كلهم فيها لكفتهم. رأى بعض المتقدمين النبى ﷺ فى منامه فقال له أوصنى؟ فقال له: من إستوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون، ومن لم يتـفقد الزيادة فى عـمله فهو فى نقـصان، ومن كان فى نقـصان فالموت خيـر له. قال بعضهم: كان الصـديقون يستحـيون من الله أن يكونوا اليوم على مثل حـالهم بالأمس يشير إلى أنهم كـانوا لا يرضون كل يوم إلاَّ بالزيادة من عمل الخير ويستحيون من فقد ذلك ويعدونه خسراناً كما قيل :

---

(١) **ضعيف**. رواه أحمد (٥/ ٢٦٧) والطبرانى فى «الكبير» (٨/ ٢٥٨) رقم (٧٨٧٠) وفى سنده على بن يزيد الألهانى وهو ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ٤٦).

(٢) سورة آ عمران: آية ١٩٨.

(٣) سورة العصر

أليس مـــن الخـــسران أن لياليـــا   تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

فالمؤمن القائم بشـروط الإيمان لا يزداد بطول عمره إلاَّ خيـراً ومن كان كذلك فالحياة خـير له من الموت، وفى دعاء النبى ﷺ: «**اللهم إجعل الحـياة زيادة لى فى كل خير والموت راحة لى من كل شر**»[1] خرّجه مسلم، وفى الترمذى عنه ﷺ أنه سئل: أى الناس خير؟ قال: «من طال عمـره وحسن عمله» قيل: فأى الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله»[2]، وفى المسند وغيره: أن نفراً ثلاثة قدموا على النبى ﷺ فأسلمـوا فكانوا عند طلحة فبعث النبى ﷺ بعـثاً فخرج فـيهم أحدهم فاستشهد، ثـم بعث بعثاً آخر فخرج منهم فاستشهـد، ثم مات الثالث على فراشه قال طلحة: فرأيتم فى الجنة فرأيت الميت على فراشه أمامهم، ورأيت الذى إستشهد آخراً يليـه ورأيت الذى إستشهـد أولهم آخرهم فأتيت النبى ﷺ فـذكرت ذلك له فقال: : «فذكرت ذلك له فـقال: «وما أنكرت من ذلك، ليس أحدٌ أفضل عند الله عزوجل من مؤمـن يعمر فى الإسلام لتسـبيحه وتكبـيره وتهليله»[3]، وفى رواية قال: «أليس قد مكث هذا بعده سنة؟» قالوا: بلى قـال: «وأدرك رمضان فصامه؟» قالوا بلى قال: «وصلى كذا وكذا سجدة فى السنة؟» قالوا: بلى قال: «فلما بينهما أبعد مـا بين السمـاء والأرض». قيل لبـعض السلف طاب الموت قال: لا تـفعل لساعة تعيش فيـها تستغفر الله خير لك من موت الدهر، وقـيل لشيخ كبير منهم: تحب الموت؟ قال: لا قيل: ولم ؟ قال: ذهب الشباب وشره وجاء الكبر وخيره فإذا قمت قلت: بسم الله، وإذا قعدت قلت: الحـمد لله، فأنا أحب أن يبقى لى هذا. وقيل لشيخ آخر منهم: ما بقى مما تحب له الحياة قال: البكاء على الذنوب، ولهذا كان السلـف الصالح يتأسـفون عند مـوتهم على إنقطاع أعمـالهم عنهم بالموت.

---

(١) رواه مسلم (٦٧٧٢) كتاب الذكر والدعاء، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

(٢) حسن. رواه أحـمـد (٥/ ٤٠و ٤٣، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠) والتـرمـذى (٢٣٣٠) والدرامى (٥/ ٣٠٨) والحاكم (١/ ٣٣٩) والطبرانـى فى «الصغير» (٢/ ٢٠) والبغـوى فى «شرح السنة» (٤٠٩٤و ٤٠٩٥) من حـديث أبى بكرة رضى الله عـنه ورواه أحـمـد (٤/ ١٨٨و ١٩٠) والتـرمـذى (٢٣٢٩) والطبـرانى فى «الأوسط» (١٤٤١و ٢٢٦٨) وأبو نعـيم فى «الحليـة» (٦/ ١١١ ـ ١١٢) والبيـهـقى فى «الشـعب» (١/ ٢٩٣)(٥١٥) من حديث عبد الله بن بسر رضى الله عنه.

(٣) حسن. رواه أحمد (١/ ١٦٣) وأبو يعلى (٢/ ٩) رقم (٦٣٤) والبزار كما فى «المجمع» (١٠/ ٢٠٤).

وبكى معاذ عند موته وقال: إنما أبكى على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر. وبكى عبد الرحمن بن الأسود عند موته وقال: وا أسفاه على الصوم والصلاة، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات. وبكى يزيد الرقاشى عند موته وقال: أبكى على ما يفوتنى من قيام الليل وصيام النهار ثم بكى وقال: من يصلى لك يا يزيد بعدك، ومن يصوم ومن يتقرب لك بالأعمال الصالحة ومن يتوب لك من الذنوب السالفة. وجزع بعضهم عند موته وقال: إنما أبكى على أن يصوم الصائمون لله ولست فيهم ويصلى المصلون ولست فيهم ويذكر الذاكرون ولست فيهم فذلك الذى أبكانى.

تحمل أصحابى ولم يجدوا وجدى ... وللناس أشجان ولى شجن وحدى
أحبكم ما دمت حياً فإن أمت ... فوا أسفى ممن يحبكم بعدى

فى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً: **«ما من ميت مات إلاّ ندم: إن كان محسناً ندم لا يكون إزداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون استعتب»**[1]، إذا كان المحسن يندم على ترك الزيادة فكيف يكون حال المسىء. رأى بعض المتقدمين فى المنام قائلاً له قل:

ياخد إنك إن توسد لينا ... وسدت بعد الموت صم الجندل
فاعمل لنفسك فى حياتك صالحاً ... فَلَتندمنّ غداً إذا لم تفعل

ورأى آخر فى المنام قائلاً يقول له:

إن كنت لا ترتاب إنك ميت ... ولست لبعد الموت ما أنت تعمل
فعمرك ما يفنى وأنت مفرط ... وإسمك فى الموتى معد محصل

رؤى بعض الموتى فى المنام فقال: ما عندنا أكثر من الندامة، ولا عندكم أكثر من الغفلة. وجد على قبر مكتوب:

(١) ضعيف جداً. رواه الترمذى (٢٤٠٣) كتاب الزهد، باب رقم ٥٨. والبغوى فى «شرح السنة» (٤٣٠٩) وفى سنده يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب وهو متروك كما فى «التقريب» (٢/ ٣٥٣).

ندمت علـى مـا كـان منـى ندامـة	ومن يتبـع ما تشتـهى النفس يندم
ألم تعلمـوا أن الحسـاب أمـامكم	وأن وراءكم طالبــاً ليس يســأم
فخـافوا لكيـما تأمنوا بعـد موتكم	سـتلـقـون رباً عـادلاً ليـس يظلم
فليس لمغــرور بدنـيـاه راحـــة	سـيندم إن زلت له النعل فـاعلمـوا

الموتى فى قبورهم يتحسرون على زيادة فى أعمالهم بتسبيحة وبركعة. ومنهم من يسأل الـرجعة إلى الدنيـا، لذلك فلا يقـدرون على ذلك قد حـيل بينهم وبين العمل غلـقت منهم الرهون. رؤى بعضهـم فى المنام فقال: ندمنا علـى أمر عظيم نعلم ولا نعمل، وأنتم تعملون ولا تعلمون، والله لتسبيحة أو تسبيحتان، أو ركعة أو ركعتان فى صحيفة أحدنا أحب إليه من الدنيا وما فيها. قال بعض السلف: كل يوم يعيش فيـه المؤمن غنيمة، قال بعضـهم بقية عمر المؤمن لاقـيمة له، يعنى أنه يمكنه أن يمحـو فيـه ما سلف منه من الـذنوب بالتوبة وأن يجـتهـد فيـه فى بلوغ الدرجات العالية بالعمل الصالح فأما من فرط فى بقية عمره فإنه خاسر، فإن إزداد فيه من الذنوب فذلك هو الخسران المبين. الأعـمال بالخواتيم، من أصلح فيما بقى غفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقى أخذ بما بقى وما مضى.

يا بائـع عـمـــره مـطيـــعـــاً أمله	فى مـعـصـية الله كـفـعل الجـهله
إن سـاومك الجـهل ببـاقيـه فـقل	باقى عـــمـر المؤمن لا قـيـــمـة له

ما مضى من العمر وإن طالت أوقاته فقد ذهبت لذاته وبقيت تبعاته، وكأنه لم يكن إذا جاء الموت وميـقاته. قال الله عـزوجل: **﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كـانوا يوعدون ما أغنى عنهم مـا كانوا يُمتّعون﴾**[1]، تلا بعض السلف هذه الآية وبكى وقـال: إذا جـاء الموت لم يغن عن المرء مـا كـان فـيـه من اللذة والنعيم، وفى هذا المعنى ما أنشـده أبو العتاهية للرشيد حين بنى قـصره واستدعى إليه ندماءه. ثم قال له: ما تقول فيما نحن فيه؟ فأنشد هذه الأبيات

(١) سورة الشعراء: آية ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

عش مـــا بدالك ســــالما   في ظل شـاهقـــة القـصـور
يسعـــى عليك بمـــا اشـتهيـ   ـيت لدى الرواح وفى البكور
فـــإذا النفـــوس تقعقعـت   فى ضيق حـشرجـة الصدور
فـهناك تعلـــم موقـنـــا   مـــا كنـت إلاً فى غـــرور

في صحـيح البخـارى عن النبى ﷺ قال «**أعـذر الله إلى من بلغـه سـتين من عمره**»[١] وفى التـرمذى «**أعمـار أمتى مـابين الستين والسـبعين وأقلهم مـن يجوز ذلك**»،[٢] وفى رواية: «حـصاد أمـتى من بلغ الخـمسين فـقـد تنصف المائة فمـاذا ينتظر».

لهفى على خمسين عاماً قد مضت   كـانت أمامـــى ثـــم خلفـتهـا
لو كـــان عمر بمـــائة هـــدنى   تذكـــرى أنـــى تنـصـفـتـهـا

فى بعض الكتب السالفة: إن الله منادياً ينادى كل يوم: أبناء الخمسين زرع دنا حصاده، أبناء الستين هلموا إلى الحساب، أبناء السـبعين ماذا قدمتم وماذا أخرتم، أبناء الثـمانين لا عذر لكم، ليـت الخلق لم يخلقوا وليـتهم إذا خلقوا عـملوا لماذا خلقوا، وتجـالسوا بينهم فتـذاكروا ما عملوا، ألا أتتـكم الساعة فخـذوا حذركم، وقال وهب: إن الله منادياً ينادى فى السمـاء الرابعة كل صباح: أبناء الأربعين زرع دنا حصاده، أبناء الخمسين ماذا قـدمتم وما أخرتم، أبنا الستين لا عذر لكم. وفى حديث: «إن الله يقـول للحفظة أرفقـوا بالعبـد ما دامت حداثتـه فإذا بلغ الأربعين حققا وتحفظا»[٣]، فكان بعض رواته يبكى عند روايته ويقـول: حين كبرت السن ورق العظم وقع التـحفظ. قال مـسروق: إذا أتتك الأربعـون فخذ حـذرك وقال

---

(١) رواه البخارى (٦٤١٩) كتاب الرقاق، باب: من بلغ ستين سنة فقد أعذر إلى الله.
(٢) **حسن**. رواه الترمـذى (٢٣٣١و ٣٥٥٠) وابن ماجه (٤٢٣٦) والحـاكم (٢/ ٤٢٧) والبيـهقى (٣/ ٣٧٠) وابن حبان (٢٩٨٠ ـ احسان) والخطيب البغدادى فى «تاريخه» (٥/ ٤٧٦و ٦/ ٣٩٧) والقضاعى فى «مسند الشهاب» (٢٥١و ٢٥٢) والرامهرمزى فى «الأمثال» (ص ٦١) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.
(٣) **ضعيف**. رواه ابن الجوزى فى كتاب «الحدائق» عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه كما فى «الدر المنثور» (٦/ ٩) وضعفه السيوطى.
والتحفظ: التيقظ وقلة الغفلة.

النخعي: كان يقال لصاحب الأربعين إحتفظ بنفسك، وكان كثير من السلف إذا بلغ الأربعين تفرغ للعبادة وقال عمر بن عبد العزيز: تمت حجة الله عل ابن الأربعين فمات لها. ورأى في منامه قائلاً يقول له:

إذا ما أتتك الأربعون فعندها فاخش الإله وكن للموت حذاراً

يا أبناء العشرين كم مات من أقرانكم وتخلفتم، يا أبناء الثلاثين أصبتم بالشباب على قرب من العهد فما تأسفتم، يا أبناء الأربعين ذهب الصبا وأنتم على اللهو قد عكفتم، يا أبناء الخمسين تنصفتم المائة وما أنصفتم، يا أبناء الستين أنتم على معترك المنايا قد أشرفتم، أتلهون وتلعبون لقد أسرفتم.

وإذا تكامل للفتى من عمره خمسون وهو إلى التقى لم يجنح
عكفت عليه المخزيات فما له متأخر عنها ولا متزحزح
وإذا رأى الشيطان غُرَّةَ وجهه حيا وقال فديت من لا يفلح

قال الفضيل لرجل: كم أتى عليك؟ قال: ستون سنة قال له: أنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تصل.

وإن امرءاً قد سار ستين حجة إلى منهل من ورده لقريب

يا من يفرح بكثرة مرور السنين عليه إنما تفرح بنقص عمرك. قال أبو الدرداء والحسن رضى الله عنهما: إنما أنت أيام كلما مضى منك يوم مضى بعضك.

وأنشد بعضهم:

إنا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم مضى يدني من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً فإنما الربح والخسران في العمل

قال بعض الحكماء: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره؟ كيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله وحياته إلى موته؟.

نجد سروراً بالهلال إذا بدا وما هو إلاّ السيف للحتف ينتضى
إذا قيل تم الشهر فهو كناية وترجمةٌ عن شطر عمر قد إنقضى

قال الحسن: الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تطوى من ورائكم مراحل.

نسير إلى الآجال فى كل لحظة وأعمارنا تطوى وهن مراحل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى فعمرك أيام وهن قلائل

قال بعض الحكماء: من كانت الليالى والأيام مطاياه سارتا به، وإن لم يسر.

وما هذه الأيام إلاّ مراحل يحث بها حاد إلى الموت قاصد
وأعجب شىء لو تأملت أنها منازل تطوى والمسافر قاعد

قال بعض الحكماء: قد اعتورك الليل والنهار، يدفعك الليل إلى النهار، ويدفعك النهار إلى الليل حتى يأتيك الموت:

أياويح نفسى من نهار يقودها إلى عسكر الموتى وليلٍ يذودها

يا من كلما طال عمره زاد ذنبه، يا من كلما أبيض شعره بمرور الأيام أسود بالآثام قلبه.

شيخ كبير له ذنوب تعجز عن حملها المطايا
قد بيضت شعره الليالى وسودت قلبه الخطايا

يا من تمر عليه سنة بعد سنة وهو مستثقل فى نوم الغفلة والسنة، يا من يأتى عليه عام بعد عام وقد غرق فى بحر الخطايا فعام، يا من يشاهد الآيات والعبر كلما توالت عليه الأعوام والشهور، ويسمع الآيات والسور ولا ينتفع بما يسمع ولا بما يرى من عظائم الأمور، ما الحيلة فيمن سبق عليه الشقاء فى الكتاب المسطور: **﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾**[1] - **﴿ومن لم يجعل الله له نُور فما من نور﴾**[2].

خليلى كم من ميت قد حضرته ولكننى لم انتفع بحضورى
وكم من ليالى قد أرتنى عجائبا لهن وأيام خلت وشهور
وكم من سنين قد طوتنى كثيرة وكم من أمور قد جرت وأمور
ومن لم يزده السن ما عاش عبرة فذاك الذى لا يستنير بنور

(١) سورة الحج: آية ٤٦. (٢) سورة النور: آية ٤٠.

فصل

ويلتحق بوظائف شهور السنة الهلالية وظائف فصول السنة الشمسية وفيه ثلاثة مجالس

المجلس الأول: فى ذكر فصل الربيع

خرّجا فى الصحيحين من حـديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض**» قيل: ما بركـات الأرض؟ قال: «**زهرة الدنيا**». فقـال له رجل: هل يأتى الخيـر بالشر؟ فصـمت رسول الله ﷺ حـتى ظننت أنه سينزل عليـه ثم جعل يمسح عن جـبينه قال: «أين السائـل؟» قال: أنا، قال: «**لا يأتى الخير إلاَّ بالخير إن هذا المال خـضرة حلوة، وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطًا**[1] **أو يلم إلاَّ آكلة الخضر أكلت حتى إذا أمتدت خـاصرتاها استقبلـت الشمس فاجترت وثلطت وبالـت ثم عادت فأكلت، وإن هذا المال خضرة حلوة من أخـذه بحقه ووضعه فى حـقه فنعم المعونة هو، وإن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع**»[2]. كان النبى ﷺ يتخوف على أمته من فتح الدنيا عليهم فـيخاف عليهم الإفتتان بها. ففى الصـحيحين عن عمرو بن عوف أن النبى ﷺ قـال للأنصار لما جـاءه مال من البـحرين. «**أبشروا وأمِّلوا ما يسركم، فوالله مـا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكـم أن تبسط الدنيا عليكم مـا بسطت على من كـان قـبلكم فـتنافسـوها كـمـا تنافسـوها فـتـهلككم كـمـا أهلكتهم**»[3]، وكان آخر خطبة خطبها على المنبـر حذر فيها من زهرة الدنيا. ففى الصحيحين عن عـقبة بن عامر أن النبى ﷺ صعـد المنبر فقال: «**إنى لست أخشى عليكم أن تشـركوا بعدى، ولكن أخـشى عليكم الدنيا أن تنـافسوا فـيها فـتقـتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم**»، قال عقبة: فكان آخر ما رأيت من رسول الله ﷺ على المنبر[4]. وفى صحيح مـسلم عن عبد الله بن عمـرو أن النبى ﷺ قال:

---

(١)حبط بطنه: إذا انتفخ فهلك. وقوله: أو يلم: من ألم به يلم إذا قاربه ودنا منه.

(٢)رواه البخارى (٦٤٣٧) كـتاب الرقاق، باب: ما يحـذر من زهرة الدنيا والتنافس فيـها. ومسلم (٢٣٨٤) كتاب الزكاة، باب: تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا.

(٣) رواه البخـارى (٣١٥٨) كتاب الجزية والموازنة، باب: الجـزية والموادعة مع أهل الذمة والحـرب. ومسلم (٧٢٨٢) كتاب الزهد والرقـائق، باب: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافـر والترمذى فى «الزهد» (٢٤٦٢) باب: حديث والله مالفقر أخشى عليكم. وابن ماجه فى «الفتن» (٣٩٩٧) باب: فتنة المال.

(٤) رواه البخـارى (١٣٤٤) كتـاب الجنائز، باب: الصلاة على الشـهيـد. ومسلم (٥٨٦٤و ٥٨٦٥) كـتاب الفـضائل، باب: اثبـات حوض نبـينا ﷺ وصفـاته والنسائى فى «الجنائز» (٤/ ٦١) باب: الصـلاة على الشهيد.

«إذا افتتحت عليكم خزائن فارس والروم، أى قوم أنتم؟» فقال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله عزوجل، فقال رسول الله ﷺ: «**أو غير ذلك، تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون**»[1]. وفى المسند عن عمر عن النبى ﷺ قال: «**لا تفتح الدنيا على أحد إلاَّ ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة**»، قال عمرو: أنا أشفق من ذلك[2]. وفيه أيضاً عن أبى ذر: أن أعرابياً قال: يا رسول الله أكلتنا الضبع يعنى السنة والجدب، فقال النبى ﷺ: «**غير ذلك أخوف منى عليكم حين تصب عليكم الدنيا صباً، فليت أمتى لا يلبسون الذهب**»[3]، وفى رواية الديباج[4] وفيه أيضاً عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**ما أخشى عليكم الفقر ولكنى أخشى عليكم التكاثر**»[5]، ويروى من حديث عوف بن مالك وأبى الدرداء عن النبى ﷺ قال: «**الفقر تخافون والذى نفسى بيده لتصبن عليكم الدنيا صبا حتى لا يزيغ قلب أحدكم إن أزاغه إلاَّ هى**»[6] وفى رواية عوف: «فإن الله فاتح عليكم فارس والروم»، وفى المعنى أحاديث آخر، وفى الترمذى أنه ﷺ قال: «**لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتى المال**»[7]. فقوله ﷺ فى حديث أبى سعيد: «إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض» ثم

---

(١) رواه مسلم (٧٢٨٤) كتاب الزهد والرقائق، باب: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. وابن ماجه فى «الفتن» (٣٩٩٦) باب: فتنة المال.

(٢) **ضعيف**. رواه أحمد (١/ ١٦) والبزار (٣٦٠٩) وفى سنده ابن لهيعة وهو ضعيف. ومحمد بن عبد الرحمن بن لبيبة كثير الارسال كما فى «التقريب» (٢/ ١٨٤).

(٣) **ضعيف**. رواه أحمد (٥/ ١٥٣و ١٥٥، ١٧٨) والبزار (٣/ ٣٨٣) رقم (٣٠٠٨ ـ كشف الأستار) والطبرانى فى «الأوسط» (٤/ ١٩٨) رقم (٣٩٦٤) وفى سنده يزيد بن أبى زياد الهاشمى وهو ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ٣٦٥).

(٤) **ضعيف جداً**. رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٩/ ١٦٦) رقم (٩٤٣٧) من حديث حذيفة رضى الله عنه. وفى سنده عبيدة بن معتب وهو متروك كما قال الهيثمى فى «المجمع» (٥/ ١٤٣).

(٥) **صحيح**. رواه أحمد (٢/ ٣٠٨، ٥٣٩) والحاكم (٢/ ٥٣٤) والبيهقى فى «الشعب» (٧/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) رقم (١٠٣١٤) وابن حبان (٣٢٢٢ ـ احسان).

(٦) **ضعيف**.. رواه أحمد (٦/ ٢٤) والطبرانى فى «الكبير» (١٨/ ٥٢) رقم (١٩٣) من حديث عوف بن مالك رضى الله عنه وفى سنده بقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعن.

(٧) **صحيح**. رواه أحمد (٤/ ١٦٠) والترمذى (٢٣٣٦) والطبرانى فى «الكبير» (١٩/ ١٧٩) رقم (٤٠٤) والحاكم (٤/ ٣١٨) والقضاعى فى «مسند الشهاب» (١٠٢٢و ١٠٢٣) والبخارى فى «التاريخ الكبير» (٧/ ٢٢٠) والبيهقى فى «الشعب» (٧/ ٢٨٠) رقم (١٠٣٠٩) وابن حبان (٣٢٢٣ ـ إحسان) من حديث كعب بن عياض رضى الله عنه.

فسره بزهرة الدنيا ومراده: مايفتح على أمته منها من ملك فارس والروم وغيرهم من الكفار الذين ورثت هذه الأمة ديارهم وأموالهم وأراضيهم التى تخرج منها زروعهم وثمارهم وأنهارهم ومعادنهم، وغير ذلك مما يخرج من بركات الأرض وهذا من أعظم المعجزات، وهو إخباره بظهور أمته على كنوز فارس والروم وأموالهم وديارهم، ووقع على ما أخبر به ولكنه لما سمى ذلك بركات الأرض وأخبر أنه أخوف ما يخافه عليهم أشكل ذلك على بعض من سمعه حيث سماه بركة ثم خاف منه أشد الخوف، فإنه البركة إنما هى خير ورحمة، وقد سمّى الله تعالى المال خيراً فى مواضع كثيرة من القرآن فقال تعالى: **﴿وإنه لحُب الخير لشديد﴾**[1]، وقال: **﴿وإنْ ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين﴾**[2]، وقال تعالى عن سليمان عليه السلام: **﴿إنى أحببت حُبّ الخير عن ذكر ربّى﴾**[3] فلما سأله السائل: هل يأتى الخير بالشر صمت النبى ﷺ حتى ظنوا أنه أوحى إليه، والظاهر أن الأمر كان كذلك، ويدل عليه أنه ورد فى رواية لمسلم فى هذا الحديث: «فأفاق يمسح عنه الرحضاء»[4] ـ وهو العرق ـ وكان النبى ﷺ إذا أوحى إليه يتحدر منه مثل الجمان من العرق من شدة الوحى وثقله عليه. وفى هذا دليل على أنه ﷺ كان إذا سئل عن شىء لم يكن أوحى إليه فيه شىء إنتظر الوحى فيه، ولم يتكلم فيه بشىء حتى يوحى إليه فيه فلما نزل عليه جواب ما سئل عنه قال: «أين السائل؟» قال: ها أنا فقال النبى ﷺ: «إن الخير لا يأتى إلاَّ بالخير»، وفى رواية لمسلم فقال: أو خير هو؟ وفى ذلك دليل على: أن المال ليس بخير على الإطلاق بل منه خير ومنه شر، ثم ضرب مثل المال ومثل من يأخذه بحقه ويصرفه فى حقه، ومن يأخذه من غير حقه ويصرفه فى غير حقه، فالمال فى حق الأول خير وفى حق الثانى شر، فتبين بهذا أن المال ليس بخير مطلق بل هو خير مقيد. فإن إستعان به المؤمن على ما ينفعه فى آخرته كان خيراً له وإلاَّ كان شراً له، فأما المال فقال: «إنه خضرة حلوة».

وقد وصف المال والدنيا بهذا الوصف فى أحاديث كثيرة: ففى الصحيحين عن

---

(١) سورة العاديات: آية ٨. (٢) سورة البقرة: آية ١٨٠.

(٣) سورة ص: آية ٣٢.

(٤) رواه مسلم (٢٣٨٥) كتاب الزكاة، باب: تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا.

حكيم بن حزام أنه سأل النبى ﷺ فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، ثمسأله فقال له النبى ﷺ: «**ياحكيم رن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع**»[1]، وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء**»[2]، وإستخلافهم فيها هو ما أورثهم الله منها مما كان فى أيدى الأمم من قبلهم كفارس والروم وحذرهم من فتنة الدنيا وفتنة النساء خصوصاً، فإن النساء أول ما ذكره الله من شهوات الدنيا ومتاعها فى قوله تعالى: ﴿**زُيِّن للنّاس حُبّ الشهوات من النّساء والبنين والقناطير والمُقنطرة من الذهب والفضة والخيل المُسومة والأنعام وَالحَرْث ذلك متاع الحياة الدنيا**﴾[3].

وَفى المسند والترمذى عن خولة بنت قيس عن النبى ﷺ قال: «**إن هذا المال خضرة حلوة فمن أصابه بحقه بورك له فيه، ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلاّ النار**»[4]، وفى المسند أيضاً عن خولة بنت ثامر الأنصارية عن النبى ﷺ قال: «**إن الدنيا خضرة حلوة، وإن رجالاً سيخوضون فى مال الله بغير حق لهم النار يوم القيامة**»[5]، وخرّج البخارى من قوله: «إن رجالاً. . . .» إلى آخره[6]، وفى المسند أيضاً عن عائشة عن النبى ﷺ قال: «**إن هذه الدنيا خضرة حلوة فمن آتيناه منها شيئاً بطيب نفس أو طيب طعمة ولا إسراف بورك له فيه، ومن آتيناه منها شيئاً بغير طيب نفس منا وغير طيب طعمة وإسراف منه لم يبارك له فيه**»[7]، وفى المعنى أحاديث أخر.

---

(١) رواه البخارى (١٤٧٢) كتاب الزكاة ، باب: الاستعفاف عن المسألة. ومسلم (٢٣٤٩) كتاب الزكاة، باب: بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى. والترمذى فى «صفة القيامة» (٢٤٦٣) والنسائى فى «الزكاة» (٥/ ٦٠) باب: اليد العليا.

(٢) رواه مسلم (٦٨١٤) كتاب الدعوات، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء.

(٣) سورة آل عمران: اية ١٤.

(٤) **صحيح**. رواه أحمد (٦/ ٣٦٤و ٣٧٨) والترمذى (٢٣٧٤).

(٥) **صحيح**. رواه أحمد (٦/ ٤١٠).

(٦) رواه البخارى (٣١١٨) كتاب الجهاد، وباب: قول الله تعالى ﴿فأن لله خمسة وللرسول﴾.

(٧) ضعيف. رواه البزار (٩٢٠ ـ كشف) وقال: لا نعلم أسنده إلا شريك. ورواه غيره عن عروة مرسلاً، والحديث لم أقف عليه فى المسند والله أعلم.

وقوله ﷺ: «**إن مما ينبت الربيع يقتل حبطاً أو يلم إلاَّ آكلة الخضر**» مثل آخر ضربه ﷺ لزهرة الدنيا وبهجة منظرها وطيب نعيمها وحلاوته فى النفوس، فمثله كمثل نبات الربيع وهو المرعى الخضر الذى ينبت فى زمان الربيع فإنه يعجب الدواب التى ترعى فيه وتستطيبه وتكثر من الأكل منه أكثر من قدر حاجتها لاستحلائها له. فأما أن يقتلها فتهلك وتموت حبطاً. والحبط: إنتفاخ البطن من كثرة الأكل أو يقارب قتلها، ويلم به فتمرض منه مرضاً مخوفاً مقارباً للموت. فهذا مثل من يأخذ من الدنيا بشره وجوع نفس من حيث لاحت له لا بقليل يقنع ولا بكثير يشبع، ولا يحلل ولا يحرم بل الحلال عنده ما حل بيده وقدر عليه، والحرام عنده ما منع منه وعجز عنه، فهذا هو المتخوض فى مال الله ورسوله فيما شاءت نفسه وليس له إلاَّ النار يوم القيامة كما فى حديث خولة المتقدم، والمراد بمال الله ومال رسوله: الأموال التي يجب على ولاة الأمور حفظها وصرفها فى طاعة الله ورسوله من أموال الفىء والغنائم، ويتبع ذلك مال الخراج والجزية وكذا أموال الصدقات التى تصرف للفقراء والمساكين كمال الزكاة والوقف ونحو ذلك، وفى هذا تنبيه على أن من تخوض من الدنيا فى الأموال المحرم أكلها كمال الربا ومال الأيتام الذى من أكله أكل ناراً، والمغصوب والسرقة والغش فى البيوع، والخداع والمكر وجحد الأمانات، والدعاوى الباطلة ونحوها من الحيل المحرمة، أولى أن يتخوض صاحبها فى نار جهنم غداً، فكل هذه الأموال وما شبهها يتوسع بها أهلها فى الدنيا ويتلذذون بها ويتوصلون بها إلى لذات الدنيا وشهواتها، ثم ينقلب ذلك بعد موتهم فيصير جمراً من جمر جهنم فى بطونهم فما تفى لذتها بتعتها كما قيل:

تفنى اللذاذة ممن نال لذاتها	من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها	لا خير فى لذة من بعدها النار

فلهذا شبّه النبى ﷺ من يأخذها بغير حقها ويضعها فى غير حقها بالبهائم الراعية من خضراء الربيع حتى تنتفخ بطونها من أكله، فإما أن يقتلها وإما أن يقارب قتلها، فكذلك من أخذ الدنيا من غير حقها ووضعها فى غير وجهها إما أن يقتله ذلك فيموت به قلبه ودينه، وهو من مات على ذلك من غير توبة منه

وإصلاح حال فيستحق النار بعمله. قال الله تعالى: ﴿**والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**﴾[1] وهذا هو الميت حقيقة فإن الميت من مات قلبه كما قيل:

ليس من مات فاستراح بميت　　إنما الميت ميت الأحياء

وأما أن يقارب موته ثم يعافى وهو من أفاق من هذه السكرة وتاب قبل موته وقد قال على رضى الله عنه فى كلامه المشهور فى أقسام جملة العلم أو مفهوم باللذات سلس القياد للشهوات أو مغرى بجمع الأموال والادخار وليسوا من رعاة الدين أقرب شبها بهم الأنعام السارحة وفى الأبيات المشهورة التى كان عمر بن عبد العزيز ينشدها كثيرا .

نهارك يا مغرور سهو وغفلة　　وليلك نوم والردى لك لازم
وتتعب فيما سوف تكره غبه　　كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

ثم قال ﷺ: «إن هذا المال خضرة حلوة»، فأعاده مرة ثانية تحذيراً من الإغترار به، فخضرته بهجة منظرة، وحلاوته طيب طعمه، فلذلاك تشتهيه النفوس وتسارع إلى طلبه ولكن لوفكرت فى عواقبه لهربت منه. الدنيا فى الحال حلوة خضره، وفى المال مُرة كدرة، نعمت المرضعة وبئست الفاطمة.

وأما استثناؤه ﷺ من ذلك: «آكلة الخضر» فمراده بذلك مثل المقتصد الذى يأخذ من الدنيا بحقها مقدار حاجته فإذا نفذ وإحتاج عاد إلى الأخذ منها قد الحاجة بحقه، وآكلة الخضر: دويبة تأكل من الخضر بقدر حاجتها إذا أحتاجت إلى الأكل، ثم تصرفه عنها فتستقبل عين الشمس فتصرف بذلك ما فى بطنها وتخرج منه مايؤذيها من الفضلات. وقد قيل: إن الخضر ليس من نبات الربيع عند العرب إنما هو من كلاء الصيف . وقد قيل: إن الخضر ليس من نبات الربيع عند العرب إنما هو من كلاء الصيف بعد يبس العشب وهيجه وإصفراره والماشية من الإبل لا تستكثر منه بل تأخذ منه قليلاً قليلاً ولا تحبط بطونها منه، فهذا مثل المؤمن المقتصد من الدنيا يأخذ من حلالها وهو قليل بالنسبة إلى حرامها قدر بلغته وحاجته، ويجتزى من متاعها بأدونه وأخشنه، ثم لا يعود إلى الأخذ منها إلاَّ إذا نفذ ما عنده وخرجت فضلاته فلا يوجب له هذا الأخذ ضرراً ولا مرضاً ولا هلاكاً بل يكون

(١) سورة محمد: آية ١٢ .

ذلك بلاغاً له، ويتبلغ به مدة حياته ويعينه على التزود لآخرته وفى هذا إشارة إلى مدح من أخذ من حلال الدنيا بقدر بلغته وقنع بذلك. كما قال ﷺ: «**قد أفلح من هداه الله إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً فقنع به**»[1]، وقال ﷺ: «**خير الرزق ما يكفى**»[2]، وقال: «**اللهم اجعل آل محمد قوتاً**»[3].

خذ من الرزق ما كفا	ومن العيش ماصفا
كل هذا سينقضى	كسراج إذا انطفا

ثم قال ﷺ: «إن هذا المال خضرة حلوة»، فأعاده مرة ثانية تحذيراً من الإغترار به، فخضرته بهجة منظرة، وحلاوته طيب طعمه، فلذلاك تشتهيه النفوس وتسارع إلى طلبه ولكن لوفكرت فى عواقبه لهربت منه. الدنيا فى الحال حلوة خضره، وفى المال مُرة كدرة، نعمت المرضعة وبئست الفاطمة.

إنما الدنيا نهار	ضوءه ضوء معار
بينما عيشك غض	ناعم فيه اخضرار
إذ رماه زمناه	فإذا فيه اصفرار
وكذلك الليل يأتى	ثم يمحوه النهار

مثل حرام الدنيا كشجرة الدفلى[4] تعجب من رآها، وتقتل من أكلها.

نرى الدنيا وزهرتها فنصبوا	وما يخلو من الشهوات قلب
فضول العيش أكثره هموم	وأكثر مايضرك ماتحب
إذا اتفق القليل وفيه سلم	فلا ترد الكثير وفيه حرب

---

(١) رواه مسلم (٢٣٨٨) كتاب الزكاة ، باب: فى الكفافة والقناعة. والترمذى فى «الزهد» (٢٣٤٩) باب: ما جاء فى الكفاف والصبر عليه. وابن ماجه فى «الزهد» (٤١٣٨) باب: القناعة. من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنه.

(٢) **ضعيف**. رواه أحمد (١٧٢و ١٧٨و ١٨٠) وأبو يعلى (٢/ ٩٨٢ رقم (٧٣١) وعبد بن حميد (١٣٧) وأبو اسحاق الحربى فى «غريب الحديث» (٢/ ٨٤٥) وأحمد بن ابراهيم الدروقى فى «مسند سعد» (٧٤) والطبرانى فى «الدعاء» (١٨٨٣) والقضاعى فى «مسند الشهاب» (١٢١٨) والبيهقى فى «الشعب» (٧/ ٢٩٦) رقم (١٠٣٦٩) وابن حبان (٨٠٩ ـ احسان) من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه. وفى سنده محمد بن عبد الرحمن بن أبى لبيبة، وقد ضعفه ابن معين والدراقطنى ثم هو لم يدرك سعداً فيما قاله أبو حاتم وأبو زرعة كما فى «المراسيل» (ص ١٨٤).

(٣) رواه البخارى (٦٤٦٠) كتاب الرقاق، باب: كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه. ومسلم (٢٣٨٩) كتاب الزكاة، باب: الكفاف والقناعة. والترمذى فى «الزهد» (٢٣٦١) باب: ما جاء فى «معيشة» النبى ﷺ وأهله. وابن ماجه فى «الزهد» (٤١٣٩) باب: القناعة، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٤) الدفلى: شجر مر أخضر حسن المنظر يكون فى الأودية «لسان العرب» (١١/ ٢٤٥).

الذى بشر أمته بفتح الدنيا عليهم حذرهم من الإغترار بزهرتها، وخوفهم من خضـرتها وحلاوتهـا، وأخبرهـم بخرابها وفنائهـا، وأن بين أيديهم داراً لا تنقطع خضـرتها وحـلاوتها، فـمن وقف مع زهرة هذه العـاجلة إنقطع وهلك، ومن لم يقف معـها وسار إلى تلك وصل ونجا. فى المسند عن ابن عـباس: «أن النبى ﷺ أتاه فيـما يرى النائم ملـكان فقعـد أحدهمـا عند رأسه والآخـر عند رجليه فـقال أحدهما للآخر: اضرب له مـثلاً فقال: إن مثله ومثل أمته كمثل قـوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة فلم يكن معهم من الزاد مـا يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذا أتاهم رجل فى حلة حـبرة فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء أتتبـعونى؟ قالوا: نعم قال: فانطلق بهم فأوردهم رياضاً معشبة وحياضاً رواء فـأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم: ألم ألفكم على تلك الحال فجعلتم لى إن وردت بكـم رياضاً معشبـة وحياضاً رواء أن تتبـعونى؟ قالوا: بلى قال: فـإن بين أيديكم رياضـاً هى أعشب من هذه، وحـياضـاً هى أورى من هذه فاتبعونى، قال: فقالت طائفة: صدق والله لنـتبعنه، وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيم عليه»[1]، وقد خرّجه ابن أبى الدنيا وغيره من الحسن مرسلاً بسياق أبسط من هذا وفيـه: «إنهم لما رتعوا وسمنوا وأعجـبهم المنزل صاح بهم فقـال: أرتحلوا فإن هذه الروضة ذاهبـة وإن هذا الماء عائر ذاهب، وإن أمامكم روضـة أعشب من هذه وماء أروى من هذا الماء، فكره ذلك عـامة الناس وقالوا: مـا نريد بهذه بدلاً وهم أكثـر الناس، وقال آخـرون: والله إن آخر قـوله كأوله إرتحلـوا فأبوا فارتحـل قوم فنجوا، ولم يـشعر الذين أقـاموا حتى طـرقهم العدو ليـلاً فأصبـحوا بيت أسـير وقتيل». الدنيا: خضراء الدمن، ومـعنى ذلك أن خضرتها نابتة على مزيلة منتنة.

يا دنى الهـمـة قنـعت بروضـة علـى مـزبلة، والملك يـدعـوك إلى فـردوسـه الأعلى: **﴿أرضيـتم بالحيـاة الدنيا مِن الآخرة فـما متاع الحـياة الدنيـا فى الآخرة إلاّ قليل﴾**[2] أرضيتم بخـرابات البلىَ فى الفردوس الأعلى يا لها صفـقة غبن، أتقنع بخسائس. الحشائش والرياض معشبة بين يديك.

---

(١) **ضعيف**: رواه أحمـد (١/ ٢٦٧) والبزار (٢٤٠٧) والطبرانى فى «الكبـير» (١٢/ ٢١٩) رقم (١٢٩٤٠) رقم (١٢٩٤٠) وفى سنده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف كما فى «التقريب» (٢/ ٣٧) ويوسف بن مهران لين الحديث كما فى «التقريب» (٢/ ٣٨٣).

(٢) سورة التوبة: آية ٣٨.

وقوله ﷺ: «**من أخذه بحقه ووضعه فى حقه فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان يأكل ولا يشبع**». تقسيم لمن يأخذ المال على قسمين: فأحدهما: يشبه حال آكلة الخضر وهو من أخذه بحقه ووضعه فى حقه، وذكر أنه نعم المعونة هو، فإنه نعم العون لمن هذه صفته على الآخرة كما فى حديث عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[1]، وهو الذى يأخذه بحقه ويضعه فى حقه، فهذا يوصله ماله إلى الله عز وجل فمن أخذ من المال بحقه ما يقويه على طاعة الله ويستعين به عليها كان أخذه طاعة ونفقته طاعة. وفى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ قال: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلاَّ أجرت عليها حتى اللقمة ترتفعها إلى فىّ إمرأتك**»[2]. وفى حديث آخر: «**ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت أهلك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة**»[3]، فما أخذ من الدنيا ينيه التقوى على طلب الآخرة فهو داخل فى قسم إرادة الآخرة والسعى لها، لا فى إرادة الدنيا والسعى لها. قال الحسن: ليس من حب الدنيا طلبك ما يصلحك فيها، ومن زهدك فيها ترك الحاجة يسدها عنك تركها، ومن أحب الدنيا وسرته ذهب خوف الآخرة من قلبه. وقال سعيد بن جبير: متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة وما لم يلهك فليس متاع الغرور ولكنه بلاغ إلى ما هو خير منه. وقال بعض العارفين: كل ما أصبت من الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصبت منها تريد به الآخــرة فليس من الدنيا. وقال أبــو سليمان: الدنيا حجاب عن الله لأعدائه، ومطية موصلة إليه لأوليائه، فسبحان من جعل شيئاً واحداً سبباً للاتصال

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٤/ ١٩٧) والبخارى فى «الأدب المفرد» (٢٩٩) وابن أبى شيبة (٧/ ١١٨/ ٢٢٣٠) والحاكم (٢/ ٢٣٦) وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) رواه البخارى (٤٤٠٩) كتاب المغازى، باب: حجة الوداع. ومسلم (٤١٣١) كتاب الوصية، باب: الوصية بالثلث. وأبو داود فى «الوصايا» (٢٨٦٤) باب: ما جاء فى مالا يجوز للموصى فى ماله. والترمذى فى «الوصايا» (٢١١٦) باب: ما جاء فى الوصية بالثلث. والنسائى فى «الوصايا» (٦/ ٢٤١) باب: الوصية بالثلث وابن ماجه فى «الوصايا» (٩٢٧٠ باب: الوصية بالثلث من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه.

(٣) **صحيح**. رواه أحمد (٤/ ١٣١و ١٣٢) من حديث المقدام بن مغد يكرب.

به والإنقطاع عنه.

والقسم الثاني: يشبه حـاله حال البهائم التى ترعى مما ينبت الربيع «فيـقتلها حبطاً أو يلم» وهو من يأخذ المال بغـير حقه فيأخذه من الوجـوه المحرمة فلا يقنع منه بقليل ولا بكثـير ولا يشـبع نفســه منه، ولهذا قـال: «وكان كـالذى يأكل ولا يشبع»، وكان النبى ﷺ يتـعوذ من نفس لا تشبع[1]، وفى حـديث زيد بن ثابت عن النبى ﷺ قال: «**من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمـره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلاَّ ما كتب له**»[2]. فمن كان فقره بين عـينيه لم يزل خائفاً ولم يأته من الدنيا إلاَّ ما كتب له». فمن كان فقره بين عينيه لم يزل خائفاً من الفقر لا يستغنى قلبـه بشىء ولا يشبع من الدنيا فإن الغنى غنى القلب والفقـر فقر النفس. وفى حديث خرّجه الطبرانى مرفوعاً: «الغنى فى القلب والفقر فى القلب ومن كان الغنى فى قلبه فلا يضـره ما لقى من الدنيا، ومن كان الفقر فى قلبـه فلا يغنيه ما أكثر له منهـا وإنما يضر نفسه شـحها»[3]، وعن عيـسى عليه السلام قـال: «مثل طالب الدنيا كشارب الـبحر كلما زاد شرباً منه زاد عطشاً حتى يـقتله». قال يحيى ابن معاذ: من كان غناه فى كسبه لم يزل فـقيراً. ومن قصد المخلوقين لحوائجه لم يزل محروماً .ويشهد لذلك كله الحديث الصحيح عن النبى ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بتغى لهـما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آم إلاَّ التـراب، ويتوب الله على من تاب**»[4]. لو فكر الطامع فى عـاقبة الدنـيا لقنع، ولو تذكـر الجائع إلى فضول مآلها لشبع.

---

(١) رواه مسلم (٦٧٧٥) كـتاب الدعـوات، بابك التعـوذ من شر ما عـمل ومن شر مـا لم يعمل» وأحـمد (٤/ ٣٧١) والنسائى فى «الاستعاذة» (٨/ ٢٦٠) باب: الاستعاذة من الكسل و (٨/ ٢٨٥) باب: الاستعاذة من دعاء لا يستجاب. والترمذى فى «آلدعوات» (٥٧٢) باب: فى انتظار الفرج وغير ذلك.

(٢) **صحيح**. رواه أحمد (٥/ ١٨٣) وفى «الزهد» (ص ٤) والخطيب البغدادى فى «شرف أصحاب الحديث» (٢٤) وفى «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٧١) وابن ماجه (٤١٠) والطبرانى فى «الكبير» (٥/ ١٤٣) رقم (٤٨٩١) وابن حبان (٦٨٠ ـ احسان).

(٣) ضعـيف. رواه الطبـرانى فى «الكبيـر» (٢/ ١٥) رقم (١٦٤٣) من حديث أبى ذر رضى الله عنـه وقال الهيثمى فى «المجمع» (١٠/ ٢٣٧) رواه الطبرانى وفيه من لم أعرفه.

(٤) رواه البخارى (٦٤٣٩) كتـاب الرقاق، ب: ما يتقى من فتنة المال من حـديث ابن عباس رضى الله عنه ومسلم (٢٣٧٧و ٢٣٧٨) كتاب الزكاة باب: لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً. وأحمد (٣/ ٢٤٣) من حديث أنس رضى الله عنه.

هب أنك قد ملكت الأرض طراً ... ودان لك العبـــاد فكان مـــاذا
أليس إذاً مـصيـرك جـوف قبـر ... ويُحـثى التـراب هـذا ثم هذا

وقد ضرب الله فى كتابه مثل الدنيا وخضرتها ونضرتها وبهجتها وسرعة تقلبها وزوالها وجعل مثلها كمـثل نبات الأرض النابت من مطر السماء فى تقلب أحواله ومآله، قال الله تعالى: **﴿واضرب لهم مـثل الحياة الدنيـا كماء أنزلناه من السـماء فـاختلط به نبـات الأرض فـأصبح هشـيمـاً تذروه الرياح وكـان الله علىَ كل شىء مُقتدراً﴾**[1]، وقال تعالى: **﴿إنّما مثل الحياة الدنيا كـماء أنزلناه من السماء فاختلط به نَبات الأرض مما يأكل الناس والأنعـام حتى إذا أخذت الأرضَ زُخرُفـها وازّيّنَتْ وظَنّ أهلها أنّهم قادرون علـيها أتاها أمرنا ليلاً أو نهـاراً فجعلناها حصـيداً كأن لم تغن بالأمس كـذلك نُفصّل الآيات لقوم يـتفكرون﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿إنما الحياة الدنيـا لعب ولهو وزينة وتفـاخر بيـنكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كـمثل غـيث أعجب الـكفار نبـاته ثم يهيج فـتراه مصـفراً ثم يكـون حطاماً وفى الآخـرة عذاب شـديد ومغـفـرة من الله ورضوان ومـا الحياة الدّنيـا إلاّ مـتاع الغـرور﴾**[3]، وقال تعالى: **﴿ألم تر أنّ الله أنزل من السـماء مـاء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخـرج به زرعاً مـختلفاً ألوانـه ثم يهيج فتـراه مصفـراً ثم يجعله حطامـاً إنّ فى ذلك لذكرى لأولى الألباب﴾**[4]. فالدنيا وجمـيع ما فيها من الخضرة والبهـجة والنضرة تتقلب أحواله وتتبـدل ثم تصير حطماً يابساً، وقد عـدد الله سبحانه زينة الدنيا ومـتاعها المبهج فى قوله تعالى: **﴿زُيّن للناس حبّ الشـهوات من النّساء والبنين والـقناطير المُقنطرة من الذهب والفـضـة والخيل المُسَوّمـة والأنعـامَ والحَرْث ذلك متـاع الحيـاة الدنيـا والله عنده حُسْن المآب﴾**[5]، وهذا كله يصيـر تراباً ما خلا الذهب والفـضة ولا ينتفع بأعيانهما بل هـما قيم الأشيا فلا ينتفع صاحبهمـا بإمساكها وإنما ينتفع بإنفـاقهـما ولهـذا قال الحـسن: بئس الرـيق الدرهم والدينار لا ينفـعانك حـتى يفرقانك، وأجسام بنى آدم بل وسائر الحيوانات كنبات الأرض تنقلب من حال إلى حال ثم تجف وتصير تراباً قال الله تعالى: **﴿والله أنْبتكم من الأرض نَباتاً ثمَ يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً﴾**[6].

---

(١) سورة الكهف: آية ٤٥.
(٢) سورة يونس: آية ٢٤.
(٣) سورة الحديد: آية ٢٠.
(٤) سورة الزمر: آية ٢١.
(٥) سورة آل عمران: آية ١٤.
(٦) سورة نوح: آية ١٧، ١٨.

وما المرء إلا كالنبات وزهره　　يعود رفاتا بعد ماهو ساطع

فينتقل ابن آدم من السباب إلى الهرم ومن الصحة إلى السقم ومن الوجود إلى العدم كما قيل:

ومـــــا حـــــالاتنـا إلاَّ ثلاث　　شـبـــاب ثم شـيب ثـم مـوت
وآخـر مـا يسمـى المرء شيـخـاً　　ويتلـوه من الأسـمــاء مـيت

مدة الشباب قصيرة كمدة زهر الربيع وبهجته ونضارته، فإذا يبس وأبيض فقد آن ارتحاله، كـما أن الزرع إذا ابيض فقـد آن حصاده وأجـمل زهور الربيع الورد، ومتى كثر فـيه البياض فقد قرب زمان إنتـقاله. قال وهيب بن الورد: إن لله ملكاً ينادى فى السماء كل يوم: أبناء الخمسين زرع دنا حصاده. وفى حدبث مرفوع: «إن لكل شىء حصاداً وحصاد أمتى ما بين الستين إلى السبعين»[1].

قد يبلغ الزرع منتهاه　　لابد للزرع من حصاد

وقد يدرك الزرع آفة قبل بلوغ حصاده فيهلـك كما أشير إليه فى قوله تعالى: **﴿حتى إذا أخـذت الأرض زُخرفـها وازّينت وظنّ أهلهـا أنّهم قادرون عليـها أتاها أمْرنا ليلاً أو نهـاراً فجعلناها حصيـداص كأنْ لم تَغنَ بالأمس﴾**[2] قال ميمون بن مهران لجلسائه: يا معشر الشيوخ ما ينتظر بالزرع إذا أبيض قالوا الحصاد، فنظر إلى الشباب فقال: يا معشر الشباب إن الـزرع قد تدركه الآفة قبل أن يستحصد. وقال بعضهم: أكثر من يموت الشباب، وآية ذلك أن الشيوخ فى الناس قليل.

أيا ابن آدم لا تغررك عافيـة　　عليك صافية فالعمر معــدود
ما أنت إلاَّ كزرع عند خضرته　　بكل شىء من الآفات مقصـود
فإن سلمت من الآفات أجمعها　　فأنت عند كمال الأمر محصود

كل ما فى الدنيا فهو مذكّر بالآخرة، ودليل عليه، فنبات الأرض وإخضرارها فى الربيع بعد محولها ويبسهاى الشـتاء، وإيناع الأشجار واخضرارها بعد كونها خشباً يابساً يدل على بعث الموتى من الأرض وقد ذكر الله تعالى ذلك فى كتابه فى

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة يونس: آية ٢٤.

مواضع كثيرة، قال الله تعالى: **﴿وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وَرَبَت وأنْبتت مَن كُل زوج بهيج ذلك بأنّ الله هو الحقُّ وأنّه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير * وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث مَن في القبور﴾**[1]، وقال الله تعالى: **﴿ونَزّلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنّات وحَبّ الحصيد والنّحل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة مَيْتاً كذلك الخروج﴾**[2] وقال الله تعالى: **﴿وهو الذي يرسل الرياح بُشراً بين يَدى رَحمته حتى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سقناهُ لبلد ميّت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كُل الثمرات كذلك نُخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾**[3]. قال أبو رزين للنبي ﷺ: **﴿كيف يحيى الله الموتى﴾**. قال: «هل مررت بواد أهلك محلاً، ثم مررت به يهتز خضراً؟» قال: نعم، قال: «كذلك يخرج الله الموتى وذلك آيته في خلقه»[4]، خرّجه الإمام أحمد. وقصير مدة الزرع والثمار وعود الأرض بعد ذلك إلى سبسها والشجر إلى حالها الأول كعود ابن آدم بعد كونه حياً إلى التراب الذي خلق منه. وفصول السنة تذكر بالآخرة: فشدة حر الصيف يذكر بحر جهنم وهو من سمومها، وشدة برد الشتاء يذكر بزمهرير جهنم وهو من زمهريرها، والخريف يكمل فيه إجتناء ثمرات الأعمال في الآخرة. وأما الربيع فهو أطيب فصول السنة وهو يذكر بنعيم الجنة وطيب عيشها وينبغي أن يحث المؤمن على الإستعداد لطلب الجنة بالأعمال الصالحة. كان بعض السلف يخرج في أيام الرياحين والفواكه إلى السوق فيقف وينظر ويعتبر ويسأل الله الجنة. ومر سعيد بن جبير بشباب من أبناء الملوك جلوس في مجالسهم في زينتهم فسلموا عليه فلما بعد عنهم بكى وإشتد بكاؤه وقال: ذكرني هؤلاء بشباب أهل الجنة يا هذا. تزوج صلة بن أشيم بمعاذة العدوية وكانا من كبار الصالحين فأدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله على زوجته في بيت مطيب منجد فقاما يصليان إلى الصباح، فسأله ابن أخيه عن حاله فقال: أدخلتني بالأمس بيتاً أذكرتني به النار يعني الحمام، وأدخلتني الليلة بيتاً أذكرتني به الجنة فلم يزل

---

(١) سورة الحج: آية ٥ ـ ٧. (٢) سورة ق: آية ٩ ـ ١١. (٣) سورة الأعراف: آية ٥٧.

(٤) **ضعيف**. رواه أحمد (٤/ ١١ ـ ١٢) والطبراني في «الكبير» (١/ ٢٠٨) رقم (٤٧٠) والطيالسي (١٠٨٩) (ص ١٤٧) وفي سنده وكيع بن عدس، قال الذهبي: لا يعرف، تفرد عنه يعلى بن عطاء «الميزان» (٤/ ٩٣٥٥) وقال ابن القطان: مجهول الحال.

فكرى فى الجنة والنار إلى الصباح. دعا عبد الواحد بن زيد إخوانه إلى طعام صنعه إليهم فقام على رؤوسهم عتبة الغلام يخدمهم وهو صائم وهم يأكلون فجعلت عيناه تهملان فسأله عبد الواحد عن سبب بكائه؟ فقال: ذكرت موائد أهل الجنة إذا أكلوا وقام الولدان على رؤوسهم ، إنما خلقت الدنيا مرآة لننظر بها إلى الآخرة، لا لننظر إليها ونوقف معها.

كفى حزناً أن لا أعاين بقعة ... من الأرض إلاَّ ازددت شوقاً إليكم
وإنى متى ما طاب لى خفض عيشة ... تذكرت أياماً مضت لى لديكُمُ

تدقيق النظر والفكر فى حال النبات يستدل به المؤمن على عظمة خالقه وكمال قدرته ورحمته، فتزداد القلوب هيماناً فى محبته وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿ **وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كُلِّ شىء فأخرجنا منه خَضراً نُخرج منه حَباً مُتَرَاكباً ومن النّخل من طلعها قنوانٌ دَانية وجنات من أَعناب وَالزيتون وَالرمان مشتبهاً وغَير متشابهٍ، انظروا إلىَ ثمره إذا أثمر ويَنْعهَ إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون**﴾[1]. زمان الربيع كله واعظ يذكر بعظمة موجده وكمال قدرته ويشوق إلى طيب مجاورته فى دار كرامته كما قال ابن سمعون فى وصف الربيع: أرضه حرير، وأنفاسه عبير، وأوقاته كلها وعظ وتذكير.

وقال غيره: الأرض فيه زمردة، والأشجار جلل ووشىٌ، والهواء مسك والنسيم عبير، والماء راح، والطير قيان، والكل دال على كمال الصانع، شاهد له بالوحدانية.

وأنشد بعضهم فى زمان الربيع

يا قومنا فاح الربيع ... ولاح للأحباب يحدو
الزهر مسك والريا ... ض أريضة والماء جعد
والظل منشور وفى ... جيد الشقاق منه عقد
هذا النسيم وعنبر ... وضباب هذا النوء نـدّ
والغصن يرقص والغديـ ... ـر مصفق والورق تشدو
والجو بعض منه يا ... قوت وبعض لا زرود
والكل يشهد أن صـ ... ـانعه قدير وهو فرد

(١) سورة الأنعام: آية ٩٩.

وأنشد آخر

الطل فى سلك الغصون كلؤلؤ ... رطب يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة ... والريح يكتب والغمام ينقط

رؤى بعض الشعراء المتقدمين فى المنام بعد موته فسئل عن حاله؟ فقال: غفر لى بأبيات قلتها فى النرجس:

تفكر فى نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لُجين ناظرات ... بأحداق هى الذهب السبيك
على قُضُب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

سبحان من سبحت المخلوقات بحمده فملأ الأكوان تحميده وأفصحت الكائنات بالشهادة بوحدانيته فوضح توحيده، يسبحه النبات جمعه وفريده، والشجر عتيقه وجديده، ويمجده رهبان الطيور فى صوامع الأشجار فيطرب السامع تمجيده، كلما درس الهزار درس شكره فالبلبل بالحمد معيده: ﴿**أوَ لم يَروا كيف يبدىء اللهُ الخلق ثم يُعيده**﴾[1]. واعجباً للمتقلب بين مشاهدة حكمه وتناول نعمه. هذا عود شجر الكرم يكون يابساً طول الشتاء ثم إذا جاء الربيع دب فيه الماء وأخضر، ثم يخرج الحصرم فينتفع الناس به حامضاً، ويتناولون منه طبخاً واعتصاراً ثم ينقلب حلواً فينتفع الناس به حلواً رطباً ويابساً، ويستخرجون منه ماينتفعون توجب للعاقل الدهش والتعجب من صنع صانعه وقدرة خالقه، فينبغى له أن يفرغ عقله للتفكير فى هذه النعم والشكر عليها، وأما الجاهل فيأخذ العنب فيجعله خمراًفيغطى بع العقل الذى ينبغى أن يستعمل فى الفكر والشكر حتى ينسى خالقه المنعم عليه بهذه النعم كلها، فلا يستطيع بعد الشرب أن يذكره أو يشكره بل ينسى من خلقه ورزقه فلا يعرفه فى شكره بالكلية وهذه نهاية كفر النعم.

فوا عجباً كيف يعصى الإلـ ... ـه أم كيف يجحده الجاحد
ولله فى كل تحريكه ... وتسكينة أبداً شاهد
وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه الواحد

(١) سورة العنكبوت: آية ١٩.

ومن وجوه الإعتبار فى النظر إلى الأرض التى أحياها الله بعد موتها فى فصل الربيع بما ساق إليها من قطر السماء أنه يرجى من كرمه أن يحيى القلوب الميتة بالذنوب، وطول الغفلة بسماع الذكر النازل من السماء وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: **﴿ألم يأن للذين آمنوا أَنْ تَخْشع قُلوبهم لذكر الله ومَا نزل من الحق﴾** إلى قوله: **﴿اعلموا أَنَّ الله يحيى الأرض بعد موتها﴾**(1)، ففيه إشارة إلى أن من قدر على إحياء الأرض بعد موتها بوابل القطر فهو قادر على إحياء القلوب الميتة القاسية بالذكر عسى لمحة من لمحات عطفه ونفحة من نفحات لطفه، وقد صلح من القلوب كل ما فسد.

عسى فرج يأتى به الله إنه ... له كل يوم فى خليقته أمر
إذا اشتد عسر فأرج يسرا فإنه ... قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

عسى من أحيا الأرض الميتة بالقطر أن يحيى القلوب الميتة بالذكر، عسى نفحة من نفحات رحمته تهب فمن أصابته سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً.

إذا ما تجدد فصل الربيع ... تجدد للقلب فضل الرجاء
عسى الحال يصلح بعد الذنوب ... كما الأرض تهتز بعد الشتاء
ومن ذا الذى ليس يرجوك رب ... وربع عطائك رحب الفناء

●●●●●

(1) سورة الحديد: آية ١٦ - ١٧.

خرّجا فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«اشتكت النار إلى ربها فقالت:يارب أكل بعضى بعضاً، فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف، فأشد ما تجدون من الحر من سموم جهنم، وأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم»**(1). لاشك أن الله تعالى خلق لعباده دارين يجزيهم فيها بأعمالهم مع البقاء فى الدارين من غير موت، وخلق داراً معجلة للأعمال وجعل فيها موتاً وحياةً وابتلى عباده فيها بما أمرهم به ونهاهم عنه، وكلفهم فيها الإيمان بالغيب ومنه: الإيمان بالجزاء والدارين المخلوقتين للجزاء دار نعيم محض لا يشوبه ألم، والأخرى دار عذاب محض لا يشوبه راحة، وهذه الدار الفانية ممزوجة بالنعيم والألم فما فيها من النعيم يذكر بنعيم الجنة، ومافيها من الألم يذكر بألم النار، وجعل الله تعالى فى هذه الدار أشياء كثيرة تذكر بدار الغيب المؤجلة الباقية فمنها ما يذكر بالجنة من زمان ومكان. أما الأماكن فخلق الله بعض البلدان كالشام وغيرها فيها من المطاعم والمشارب والملابس وغير ذلك من نعيم الدنيا ما يذكر بنعيم الجنة. وأما الأزمان: فكزمن الربيع فإنه يذكر طيبه بنعيم الجنة وطيبها وكأوقات الأسحار فإن بردها يذكر ببرد الجنة. وفى الحديث الذى خرّجه الطبرانى: «إن الجنّة تفتح فى كل ليلة فى السحر فينظر ا. إليها فيقول لها: ازدادى طيباً لأهلك فتزداد طيباً، فذلك برد السحر الذى يجده الناس». وروى سعيد الجريرى عن سعيد بن أبى الحسن أن داود عليه السلام قال: يا جبريل أى الليل أفضل؟ قال: ما أدرى غير أن العرش يهتز إذا كان من السحر، ألا ترى أنه يفوح ريح كل الشجر. ومنها ما يذكر بالنار فإن الله تعالى جعل فى الدنيا أشياء كثيرة تذكر بالنار المعدة لمن عصاه وما فيها من الآلام والعقوبات من أماكن وأزمان وأجسام وغير ذلك، أما الأماكن فكثير من البلدان مفرطة الحر أو البرد فبردها يذكر بزمهرير جهنم، وحرها يذكر بحر جهنم وسمومها، وبعض البقاع يذكر

---

(1) رواه البخارى (٩٣٢٦٠ كتاب بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة. ومسلم (١٣٧٥) كتاب الصلاة، باب: استحباب الإبراد بالظهر فى شدة الحر.

بالنار كالحمام قال أبو هريرة: نعم البيت الحمام يدخله المؤمن فيزيل به الدرن، ويستعيذ بالله فيه من النار. كان السلف يذكرون النار بدخول الحمام فيحدث لهم ذلك عبادة. دخل ابن وهب الحمام فسمع تالياً يتلو: **﴿وإذ يتحاجون فى النار﴾**[1] فغشى عليه. وتزوج صلة بن أشيم فدخل الحمام ثم دخل على زوجته تلك الليلة فقام يصلى حتى أصبح وقال: دخلت بالأمس بيتاً أذكرنى النار، ودخلت الليلة بيتاً ذكرت به الجنة فلم يزل فكرى فيهما حتى أصبحت. كان بعض السلف إذا أصابه كرب الحمام يقول: يا بر يا رحيم مُنّ علينا وقنا عذاب السموم. صبّ بعض الصالحين على رأسه ماء من الحمام فوجده شديد الحر فبكى وقال: ذكرت قوله تعالى: **﴿يُصبُّ من فوق رُؤوسهم الحميم﴾**[2].

كل ما فى الدنيا يدل على صانعه، ويذكر به، ويدل على صفاته، فما فيها من نعيم وراحة يدل على كرم خالقه وفضله وإحسانه وجوده ولطفه، وما فيها من نقمة وشدة وعذاب يدل على شدة بأسه وبطشه وقهره وإنتقامه. وإختلاف أحوال الدنيا من حر وبرد، وليل ونهار وغير ذلك يدل على إنقضائها وزوالها. قال الحسن: كانوا يعنى الصحابة يقولون: الحمد لله الرفيق الذى لو جعل هذا الخلق خلقاً دائماً لا ينصرف لقال الشاك فى الله: لو كان لهذا الخلق رب لحادثه وإن الله قد حادث بما ترون من الآيات أنه جاء بضوء طبق ما بين الخافقين وجعل فيها معاشاً **﴿وسراجاً وهاجا﴾**[3]، ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق وجاء بظلمة طبقت ما بين الخافقين، وجعل فيه سكناً ونجوماً وقمراً منيرا، وإذا شاء بنى بناء جعل فيه المطر والرعد والبرق والصواعق ما شاء، وإن شاء صرف ذلك الخلق، وإذا شاء جاء ببرد يقرقف الناس، وإذا شاء ذهب بذلك وجاء بحر يأخذ بأنفاس الناس ليعلم الناس أن لهذا الخلق رباً يحادثه بما ترون من الآيات، كذلك إذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة. وقال خليفة العبدى: لو أن الله لم يعبد إلاَّ عن رؤية ما عبده أحد، ولكن المؤمنين تفكروا فى مجىء هذا الليل إذا جاء فطبق كل شىء ومحا سلطان النهار وتفكروا فى مجىء هذا النهار إذا جاء فملأ كل شىء وطبق كل شىء ومحا سلطان الليل وتفكروا فى **﴿السّحاب المسخر بين السماء**

---

(١) سورة غافر: آية ٤٧.   (٢) سورة الحج: آية ١٩.   (٣) النبأ: ١٣

والأرض﴾[1] وتفكروا: فى ﴿الفُلك التى تجرى فى البحر بما ينفع النّاس﴾[2]، وتفكروا فى مجىء الشتاء والصيف، فوالله ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق لهم ربهم حتى أيقنت قلوبهم، حتى كأنما عبدوا الله عن رؤيته، ما رأى العارفون شيئاً من الدنيا إلاَّ تذكروا به ما وعد الله به من جنسه فى الآخرة من كل خير وعافية.

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرونا

وأما الأزمان فشدة الحر والبرد يذكر بما فى جهنم من الحر والزمهرير وقد دل هذا الحديث الصحيح على: أن ذلك من تنفس النار فى ذلك الوقت. قال الحسن: كل برد أهلك شيئاً فهو من نفس جهنم، وكل حر أهلك شيئاً فهو من نفس جهنم، وفى الحديث الصحيح أيضاً عن النبى ﷺ قال: «**إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم**»[3]. وفى حديث مرفوع خرّجه عثمان الدرامى وغيره: «إذا كان يوم شديد الحر فقال العبد: لا إله إلاَّ الله ما أشد حر هذا اليوم اللهم أجرنى من حر جهنم قال الله لجهنم: إن عبداً من عبادى قد استجار بى منك، وقد أجرته، وإذا كان شديد البرد فقال العبد: لا إله إلاَّ الله ما أشد برد هذا اليوم. اللهم أجرنى من زمهرير جهنم قال الله لجهنم: إن عبداً من عبادى قد استجار بى من زمهريرك وإنى أشهدك أنى قد أجرته، قالوا: وما زمهرير جهنم قال: بيت يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده»[4]. أبواب النار مغلقة وتفتح أحياناً فتفتح أبوابها كلها عند الظهيرة ولذلك يشتد الحر حينئذ فيكون فى ذلك تذكرة بنار جهنم، وأما الأجسام المشاهدة فى الدنيا المذكرة بالنار فكثيرة منها الشمس عند إشتداد حرها. وقد روى أنها خلقت من النار وتعود إليها، وخرّج

(١، ٢) سورة البقرة: آية ١٦٤.

(٣) رواه البخارى (٥٣٣ و ٥٣٤) كتاب مواقيت الصلاة باب: الابراد بالظهر فى شدة الحر، ومسلم(١٣٦٩) كتاب الصلاة، باب: الإبراد فى الظهر فى شدة الحر. وأبو داود (٤٠٢) كتاب الصلاة» باب: فى وقت الظهر. والترمذى فى الصلاة (١٥٧) باب: ما جاء فى تأخير الظهر فى شدة الحر. والنسائى فى «الصلاة» (٢٤٨/١) باب: الإبراد بالظهر إذا اشتد الحر. وابن ماجه فى «الصلاة» (٩٧٨) باب: الإبراد بالظهر فى شدة الحر.

(٤) ضعيف. رواه البيهقى فى «الأسماء والصفات» (ص ٢٣١) ط الكتب العلمية. من حديث أبى هريرة رضى الله عنه. وهو من رواية دراج أبو السمح عن أبى الهيثم. ودارج عن أبى الهيثم ضعيف كما فى «التقريب» (٢٣٥/١).

الطبرانى بإسناده أن رجــلاً فى عهد النبى ﷺ نزع ثيابه ثم تمرغ فى الـرمضاء وهو يقول لنفسه : ذوقى نار جهنم أشد حراً، جيفة بالليل يطال بالنهار، فرآه النبى ﷺ فقــال: يا رسول الله غلبــتنى نفسى فـقال النبى ﷺ : «**لقـد فتـحت لك أبواب السماء، وباهى الله بك الملائكة**»[1]. وأما البروز للشمس تعبداً بذلك فغير مشروع.
«فإن الـنبى ﷺ قال لأبى إسـرائيل لما رآه قائمــاً فى الشمس تعـبداً بذلــك فغـير مشـروع. «فإن النبى ﷺ قــال لأبى إسرائيل لما رآه قائمــاً فى الشمس: فـأمره أن يجلس ويستظل». وكان نذر أن يقوم فى الشمس مع الـصوم «فأمره أن يتم صومه فقط»[2]، وإنما يشرع البروز للشـمس للمحرم كما قال ابن عمـر رضى الله عنهما لمحرم إه قد استظل: اضح لمن أحرمت له، أى أبرز إلى الضحاء وهو حر الشمس. كان بعضهم إذا أحرم لم يستظل فقيل له لو أخذت بالرخصة فأنشد:

ومما يؤمر بالصبر فيه على حرّ الشمس النفر للجهاد فى الصيف كما قال تعالى

ضـحـيت له كى أسـتظل بظله   إذا الظل أضحى فى القيامة قالصا
فوا أسفـا إن كان سعيك خـائبا   ووا أسـفا إن كـان حظك ناقصـا

عن المنافقين: ﴿**وقـــالوا لا تَنْفــروا فى الحــرِّ قُلْ نارُ جَهـنّم أشدّ حـــراً لو كـــانوا يفقهون**﴾[3]، وكذلك فى المشى إلى المســاجد للجمع والجـماعات وشـهود الجنائز ونحـوها من الطاعات والجـلوس فى الشمس لإنتـظار ذلك حيث لا يوجـد ظل. خرج رجل من السلف إلى الجـمعة فـوجد الناس قد سبـقوه إلى الظل فقـعد فى الشـمس فناداه رجل من الظل أن يـدخل إليـه فأبى أن يـتخطـى الناس لذلك ثم تلا: ﴿**واصبر على ما أصـابك إنّ ذلك من عزم الأمور**﴾[4]. كان بعضهم إذا رجع من الجمعـة فى حر الظهيرة يذكر انصراف الناس من مـوقف الحساب إلى الجنة أو

---

(١) ضعيف. رواه الطبـرانى فى «الكبيـر» (٢/ ٢٢) رقم (١١٥٩) من حـديث بريدة بن الحصيب رضى الله عنه، وفى سنده أبى عبد الله صاحب الصدقة، قال الهيثمى فى «المجمع» (١٠/ ١٨٥): لم أعرفه.

(٢) رواه البخارى (٦٧٠٤) كتاب الإيمان والنذور باب: النذر فيمـا لا يملك وفى معصية. ومالك فى «الموطأ» (٢/ ٤٧٥) فى الأيمان والنذور، باب: مـالا يجـوز من النذور فى مـعـصـيـة الله. وأبو داود فى «الأيمان والنذور» (٣٣٠٠) باب: ما جاء فى النذر فى المعصية.

(٣) سورة التوبة: آية ٨١.

(٤) سورة لقمان: آية ١٧.

النار فإن الساعة تقوم فى يوم الجمعة ولا ينتصف ذلك النهار حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار قاله ابن مسعود، وتلا قوله: ﴿**أصحاب الجنّة يومئذ خيرٌ مستقراً وأحسنُ مقيلاً**﴾[1] وينبغى لمن كان فى حر الشمس أن يتذكر حرها فى الموقف فإن الشمس تدنو من رؤوس العباد يوم القيامة ويزاد فى حرها فى الموقف فإن الشمس تدنو من رؤوس العباد يوم القيامة ويزاد فى حرها، وينبغى لمن لا يصبر على حر الشمس فى الدنيا أن يجتنب من الأعمال ما يستوجب صاحبه به دخول النار فإنه لا قوة لأحد عليها ولا صبر قال قتادة: وقد ذكر شراب أهل جهنم وهو ماء يسيل من صديدهم من الجلد واللحم فقال: هل لكم بهذا يدان أم لكم عليه صبر طاعة، والله أهون عليكم يا قوم فأطيعوا الله ورسوله.

رأى عمر بن عبد العزيز قوماً فى جنازة قد هربوا من الشمس إلى الظل

نسيت لظى عند ارتكابك للهوى ... وأنت توقى حر شمس الهواجر
كأنك لم تدفن حميماً ولم تكن ... له فى سياق الموت يوماً بحاضر

وتوقوا الغبار فبكى ثم أنشد:

من كان حين تصيب الشمس جبهته ... أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كى يبقى بشاشته ... فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا
فى ظل مقفرة غبراء مظلمة ... يطيل تحت الثرى فى غمها اللبثا
تجهزى بجهاز تبلغين به ... يا نفس قبل الردى لم تخلقى عبثا

ومما يضاعف ثوابه فى شدة الحر من الطاعات الصيام، لما فيه من ظمأ الهواجر، ولهذا كان معاذ بن جبل يتأسف عند موته على ما يفوته من ظمأ الهواجر، وكذلك غيره من السلف، وروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه كان يصوم فى الصيف ويفطر فى الشتاء.

ووصى عمر رضى الله عنه عند موته ابنه عبد الله فقال له: عليك بخصال الإيمان، وسمَّى أولها الصوم فى شدة الحر فى الصيف.

---

(١) سورة الفرقان: آية ٢٤.

قال القاسم بن محمد: كـانت عائشة رضى الله عنها تصوم فى الحر الشديد، قيل له: ما حملها على ذلك؟ قال: كانت تبادر الموت .

وكان مجمع التيمى يصوم فى الصيف حتى يسقط.

كانت بعض الصالحات تتـوخى أشد الأيام حراً فتصومه فـيقال لها فى ذلك فتقـول: إن السعر إذا رخص اشتـراه كل أحد، تشير إلى أنهـا لا تؤثر إلاَّ العمل الذى لا يقدر عليـه إلاَّ قليل من الناس لشدته عليهم، وهذا من علو الهـمة. كان أبو موسى الأشعرى فى سـفينة فسمع هاتفاً يهتف: ي أهل المركب قـفوا، يقولها ثلاثاً، فقـال أبو موسى: ياهذا كـيف نقف ألا ترى ما نحن فـيه، كيف نـستطيع وقوفاً فقال الهـاتف: ألا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسـه؟ قال: بلى أخبرنا، قال: فإن الله قضى على نفسه أنه منعطش نفسه لله فى يوم حار كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامـة، فكان أبو موسى يتوخى ذلك اليوم الحـار الشديد الحر الذى يكاد الإنسان ينسلخ منه فيصومه. قال كعب: إن الله تعالى قال لموسى: إنى آليت على نفسى أنه من عطش نفسه لى أن أرويه يوم القيـامة. وقال غيره: مكتوب فى التوراة طوبى لمن جوع نفسه ليوم الشـبع الأكبر، طوبى لمن عطش نفسه ليوم الرى الأكبر.

قال الحســن: تقول الحوراء لولى الله وهو متكىء مـعها على نهر الخـمر فى الجنة تعاطيـه الكأس فى أنعم عيشـة، أتدرى أى يوم زوجنيك الله، إنه نظر إليك فى يوم صائف بعيد ما بين الطرفين وأنت فى ظمـأ هاجرة من جهد العطش فباهى بك الملا ئكة وقال انظروا إلى عـبدى ترك زوجته ولذته وطعامـه وشرابه من أجلى رغبة فيما عندى، اشهدوا أنى قد غـفرت له، فغفر لك يومئذ وزوجنيك. لما سار عامر بن عبـد قـس من البصرة إلى الشام كان معاوية يسـأله أن يرفع إليه حوائجه فيأبى فلمـا أكثر عليه قال: حـاجتى أن ترد على حر البصرة لعل الصـوم أن يشتد علىّ شيئاً فإنه يخف علىّ فى بلادكم.

نزل الحـجاج فى بعض أسـفـاره بماء بين مكة والمدينة فـدعا بغـدائه، ورأى أعرابياً فدعاه إلى الغـداء معه فقال: دعانى من هو خير منك فـأجبته، قال: ومن هو؟ قال: الله تعالى دعانى إلى الصيام فـصمت، قال: فى هذا الحر الشديد؟ قال:

نعم صمت ليوم أشد منه حراً، قال: فأفطر وصم غداً، قال: إن ضمنت لى البقاء إلى غد قـال: ليس ذلك إلىّ قال: فكيف تسـألنى عاجلاً بآجل لا تقـدر عليه. خرج ابن عمر فى سفـر معه أصحابه فوضعوا سفـرة لهم فمر بهم راع فدعوه إلى أن يأكل معهم قال: إنـى صائم ، فقال ابن عمر: فى مثل هذا الـيوم الشديد حره وأنت بين هذه الشـعاب فى آثار هذه الغنم وأنت صـائم؟ فقـال: أبادر أيامى هذه الخالية، فعجب منه ابن عمر فـقال له: هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها قـال: إنها ليست لى إنها لمولاى قال: فما عسيت أن يقول لك مولاك إن قلت أكلها الذئب، فمضى الراعى وهو رافع أصبعه إلى السماء وهو يقـول: فاين الله، فلم يزل ابن عمر يردد كلمتـه هذه، فلما قدم المدينة بعث إلى سيد الراعى فاشـترى منه الراعى والغنم، فاعتق الراعى ووهب له الغنم.

نزل روح بن زنباع منزلاً بين مكة والمدينة فى حر شديد فانقض عليه راع من جبل فقال له: يا راع هلم إلى الغداء قال: إنى صـائم قال: افتصوم فى هذا الحر؟ قال: أفـدأع أيامى تذهب باطلاً، فقال روح: لقـد ضننت بأيامك يا راعى إذا جاد بها روح بن زنباع. كان ابن عمر يصوم تطوعاً فيغشى عليه فلا يفطر. وكان الإمام أحمد يصوم حتى يكاد يغمى عليه فـيمسح على وجهه الماء، وسئل عن من يصوم فيشتـد عليه الحر قال: لا بأس أن يبل ثوباً يتبـرد به ويصب عليه الماء. «كان النبى ﷺ بالعـرج يصب على رأسـه الماء وهو صـائم»[1]. وكـان أبو الدرداء يقـول: صوموا يوماً شـديداً حره لحر يوم النشور، وصلّوا ركعـتين فى ظلمة الليل لظلمة القـبور ، وفى الصـحيحـين عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: لقـد رأيتنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره فى اليوم الحار الشديد الحر وإن الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر، «وما فى القـوم أحد صائم إلاً رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة»[2]، وفى رواية أن ذلك كان فى شهر رمضان لما صبر الصائمون لله فى الحر على شدة العطش والظمأ أفرد لهم باباً من أبواب الجنة وهو باب الريان، ومن

---

(١) صحيح. رواه أبو داود (٢٣٦٥) كتاب الصوم، باب: الصائم يصب عليه الماء من العطش.
(٢) سبق تخريجه.

دخل شرب ومن شرب لم يظمأ بعدها أبداً، فإذا دخلوا أغلق على من بعدهم فلا يدخل منه غيرهم.

وقد تحدث أحياناً حوادث غير معتادة تذكر بالنار كالصواعق والريح الحارة المحرقة للزرع قال الله تعالى: ﴿**ويُرسل الصّواعق فيصيب بها من يشاء**﴾[1]. وقد روى أن الصواعق قطعة من نار تطير من فى الملك الذى يزجر السحاب عند اشتداد غضبه وقال الله تعالى: ﴿**فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت**﴾[2] والإعصارك الريح الشديدة العاصف التى فيها نار، والصركالريح الشديدة البرد، وقد عذب الله تعالى قوم شعيب بالظلة. ورُوى أنه أصابهم حر أخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت إلى الصحراء فأظلتهم سحابة فوجدوا لها برداً فاجتمعوا تحتها كلهم فأمطرت عليهم ناراً فأحرقوا كلهم فكل هذه العقوبات بسبب المعاصى وهى من مقدمات عقوبات جهنم وأنموذجها، ومما يدل على الجنة والنار أيضاً ما يعجله الله فى الدنيا لأهل طاعته وأهل معصيته فإن الله تعالى يعجل لأوليائه وأهل طاعته من نفحات نعيم الجنة وروحها ما يجدونه ويشهدونه بقلوبهم مما لا يحيط به عبارة ولا تحصره إشارة حتى قال بعضهم: إنه لتمر بى أوقات أقول إن كان أهل الجنة فى مثل ما أنا فيه فإنهم فى عيش طيب. قال أبو سليمان: أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم وقال بعضهمك الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين قال الله تعالى: ﴿**مَن عمل صَلحاً من ذكر أو أنثى وهو مُمن فلنحيينه حياة طيبة**﴾[3] قال الحسن: نرزقه طاعة يجد لَذتها فى قلبه أهل التقوى فى نعيم حيث كانوا فى الدنيا، والبرزخ، وفى الآخرة.

العيش عيشهم والملك ملكهم ما الناس إلا هُمُ بانوا أو اقتربوا

وأما أهل المعاصى والإعراض عن الله يجعل لهم فى الدنيا من أنموذج عقوبات جهنم ما يعرف أيضاً بالتجربة والذوق فلا تسأل عما هم فيه من ضيق الصدر وحرجه ونكده، وعما يعجل لهم من عقوبات المعاصى فى الدنيا ولو بعد حين من زمن العصيان، وهذا من نفحات الجحيم المعجلة لهم، ثم ينتقلون بعد

---

(١) سورة الرعد: آية ١٣.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٦٦.

(٣) سورة النحل: آية ٩٧.

هذه الدار إلا أشد من ذلك يضيق على أحدهم قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويفتح له باب إلى النار فيأتيه من سمومها قال ا. تعال: ﴿ومَن أعرَض عَن ذكرى فإن له معيشةً ضنكاً﴾[1] وورد فى الحديث المرفوع تفسيرها بعذاب القبر ثم بعد ذلك يصيرون إلى جهنم وضيقها قال الله تعالى: ﴿إذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبوراً لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادْعوا ثبوراً كثيراً﴾[2]، ومما يدل أيضاً فى الدنيا على وجود النار الحمى التى تصيب بنى آدم وهى نار باطنة، فمنها نفحة من نفحات سموم جهنم، ومنها نفحة من نفحات زمهريرها، وقد روى فى حديث خرّجه الإمام أحمد وابن ماجه: «أنها حظ المؤمن من النار»[3]. والمراد أن الحمى تكفر ذنوب المؤمن وتنقيه منها كما ينقى الكير خبث الحديد. وإذا طهر المؤمن من ذنوبه فى الدنيا لم يجد حر النار إذا مر عليها يوم القيامة لأن وجدان الناس لحرها عند المرور عليها بحسب ذنوبهم، فمن طهر من الذنوب ونقى منها فى الدنيا جاز على الطراط كالبرق الخاطف والريح ولم يجد شيئاً من حر النار ولم يحس بها فتقول النار للمؤمن: جُزّ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى. وفى حديث جابر المرفوع فى مسند الإمام أحمدك«إنهم يدخولونها فتكون عليهم برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى أن للنار ضجيجاً من بردهم»[4]. ومن أعظم ما يذكر بنار جهنم النار التى فى الدنيا قال الله تعاليك ﴿نحن جعلناهم تذكرة ومتاعاً للمقوين﴾[5] يعنى: أن نار الدنيا جعلها الله تذكرة تذكر بنار جهنم. مر ابن مسعود بالحدادين وقد أجرجوا حديداً من النار فوقف ينظر إليه ويبكى. وروى عنه أنه مر على الدين ينفخون الكير فسقط. وكان أويس يقف على الحدادين

---

(١) سورة طه: آية ١٢٤.

(٢) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «معيشة ضنكاً، قال: عذاب القبر» رواه الحاكم (٢/ ٣٨١) وصححه ووافقه الذهبى.

(٣) عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه عاد مريضاً ومعه أبو هريرة من وعك كان به فقال رسول الله ﷺ «أبشر فإن الله يقول: حمى نارى أسلطها على عبدى المؤمن، فى الدنيا لتكون حظه من النار فى الآخرة» رواه أحمد (٢/ ٤٤٠) وابن أبى شيبة (٢/ ٢٢٩/ ٢) وابن ماجة (٣٤٧٠) والحاكم (١/ ٣٤٥) وسنده حسن. وانظر «السلسة الصحيحة» (٥٥٧).

(٤) ضعيف. رواه أحمد (٣/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩) وفى سنده أبى سمية وهو مقبول كما فى «التقريب» (٢/ ٤٣١) ورواه الحاكم (٤/ ٥٨٧) وفى سنده مسة الأزدية وهى مقبولة كما فى «التقريب» (٢/ ٦١٤).

(٥) سورة الواقعة: آية ٧٣.

فينظر إليهم كيف ينفخون الكير فسقط. ويسمع صوت النار فيصرخ ثم يسقط، وكذلك الربيع بن خثيم، وكان كثير من السلف يخرجون إلى الحدادين ينظرون إلى ما يصنعون بالحديد فيبكون ويتعوذون بالله من النار، ورأى عطاء السليمى امرأة قد سجرت تنورها فغشى عليه. قال الحسن: كان عمر ربما توقد له النار ثم يدنى يده منها ثم يقول: يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر. كان الأحنف بن قيس يجيء إلى المصباح فيضع اصبعيه فيه ويقول حسن، ثم يعاتب نفسه على ذنوبه. أحج بعض العباد ناراً بين يديه وعاتب نفسه فلم يزل يعاتبها حتى مات. نار الدنيا جزء من سبعين جزاءاً من نار جهنم، وغسلت بالبحر مرتين حتى أشرقت وخف حرها. ولولا ذلك ما انتفع بها أهل الدنيا وهى تدعو إلى الله أن لا يعيدها إليها. قال بعض السلفك لو أخرج أهل النار منها إلى نار الدنيا لقالوا فيها ألفى عام، يعنى أنهم كانوا ينامون فيها ويرونها برداً. كان عمر يقول: أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وإن مقامعها حديد. كان ابن عمر وغيره من السلف إذا شربوا ماء بارداً بكوا وذكروا أمنية أهل النار وأنهم يشتهون الماء البارد وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون، ويقولون لأهل الجنة: **﴿ أفيضوا علينا من الماء أو ممَّا رَزقكم الله﴾** فيقولون لهم: **﴿إنّ الله قد حرمها على الكافرين﴾**[1]، والمصيبة العظمى حين تطبق النار على أهلها وييأسون من الفرج وهو الفزع الأكبر الذى يأمنه أهل الجنة: **﴿الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾**[2].

لو أبصرت عيناك أهل الشقا	سيقوا إلى النار وقد أحرقوا
شرابهم المهل فى قعرها	إذا خالفوا الرسل وما صدقوا
تقول أخراهم لأولاهم	فى لجج المهل وقد أغرقوا
قد منتمو خوفتمُ حرها	لكن من النيران لم تفرقوا
وجيء بالنيران مذمومة	شرارها من حولها محدق
وقيل للنيران أن أحرقى	وقيل للخزان أن أطبقوا

●●●●●

---

(١) سورة الأعراف: آية ٥٠.　　(٢) سورة الأنبياء: آية ١٠١.

خرَّج الإمام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «الشتاء ربيع المؤمن»(١). وخرَّجه البيهقى وغيره وزاد فيه: «طال ليله فقامه، وقصر نهاره فصامه». إنما كان الشتاء ربيع المؤمن؛ لأنه يرتع فيه فى بساتين الطاعات ويسرح فى ميادين العبادات، وينزه قلبه فى رياض الأعمال الميسرة فيه كما ترتع البهائم فى مرعى الربيع فتسمن وتصلح أجسادها فكذلك يصلح دين المؤمن فى الشتاء بما يسر الله فيه من الطاعات، فإن المؤمن يقدر فى الشتاء على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة تحصل له من جوع ولا عطش، فإن نهره قصير بارد فلا يحس فيه بمشقة الصيام. وفى المسند والترمذى عن النبى ﷺ قال: «الصيام فى الشتاء الغنيمة الباردة»(٢)، وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول: **«ألا أدلكم على الغنيمة الباردة»**؟ قالوا: بلى فيقول: الصيام فى الشتاء(٣)، ومعنى كونها غنيمة باردة أنها غنيمة حصلت بغير قتال ولا تعب ولا مشقة فصاحبها يجوز هذه الغنيمة عفواً صفواً بغير كلفة، وأما قيام ليل الشتاء فلطوله يمكن أن تأخذ النفس حظها من النوم ثم تقوم بعد ذلك إلى الصلاة فيقرأ المصلى ورده كله من القرآن وقد أخذت نفسه حظها من النوم فيجتمع له فيه نومه المحتاج إليه مع إدراك ورده من القرآن فيكمل له مصلحة دينه وراحة بدنه، ومن كلام يحيى بن معاذ: الليل

---

(١) **ضعيف**. رواه أحمد (٣/ ٧٥) وأبو يعلى (١٠٦١ و ١٣٨٦) والبيهقى فى «السنن الكبرى» (٤/ ٢٩٧) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه. وهو من رواية دراج أبو السمح عن أبى الهيثم، ورواية دراج عن أبى الهيثم ضعيفة كما سبق.

(٢) ضعيف. رواه أحمد (٤/ ٣٣٥) والترمذى (٧٩٧) وابن أبى شيبة (٣/ ١٠٠) وابن خزيمة (٢١٤٥) وأبو الشيخ (٢٢٣) والقضاعى فى «مسند الشهاب» (٢٣١) والبيهقى فى «السنن» (٤/ ٢٩٦ - ٢٩٧) وفى «الشعب» (٣/ ٤١٦) رقم (٣٩٤١) من حديث عامر بن مسعود. وفى سنده نمير بن عريب، قال الذهبى: لا يعرف «الميزان» (٤/ ٩١٢٠) وعامر بن مسعود مختلف فى صحبته، قال أبو داود: قلت لأحمد بن حنبل: عامر بن مسعود القرشى، له صحبة؟ قال: لا أدرى، وقال أبو داود: وسمعت مصعباً البيرى يقول: له صحبة «أسد الغابة» (٣/ ٣٨). وقال الترمذى عقب روايته الحديث: هذا حديث مرسل، عامر ابن مسعود لم يدرك النبى ﷺ أ هـ ، وقال البيهقى عقب روايته الحديث: هذا مرسل.

(٣) **صحيح**. رواه البيهقى فى «السنن الكبرى» (٤/ ٢٦٧).

طويل فلا تقصره بمنامك، والإسلام نقى فلا تدنسه بآثامك. بخلاف ليل الصيف فإنه لقصره وحره يغلب النوم فيه فلا تكاد تأخذ النفس حظها بدون نومه كله فيحتاج القيام فيه إلى مجاهدة، وقد لا يتمكن فيه لقصره من الفراغ من ورده من القرآن، ويروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: مرحباً بالشتاء تنزل فيه البركة ويطول فيه الليل للقيام ويقصر فيه النهار للصيام. وروى عنه مرفوعاً ولا يصح رفعه، وعن الحسن قال: نعم زمان المؤمن الشتاء، ليله طويل يقومه ونهاره قصير يصومه. وعن عبيد ابن عمير أنه كان إذا جاء الشتاء قال: يا أهل القرآن طال ليلكم لقراءتكم فاقرأوا، وقصر النهار لصيامكم فصوموا. قيام ليل الشتاء يعدل صيام نهار الصيف. ولهذا بكى معاذ عند موته وقال: إنما أبكى على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر. وقال معضد: لولا ثلاث ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء،ولذاذة التهجد بكتاب الله ما باليت أن أكون يعسوبًا[1]. القيام فى ليل الشتاء يشق على النفوس من وجهين: أحدهما: من جهة تألم النفس بالقيام من الفراش فى شدة البرد، قال داود بن رشيد: قام بعض إخوانى إلى ورده بالليل فى ليلة شديدة البرد فكان عليه خلقان فضربه البرد فبكى فهتف به هاتف أقمناك وأنمناهم وتبكى علينا. خرَّجه أبو نعيم. والثانى: بما يحصل بإسباغ الوضوء فى شدة البرد من التألم، وإسباغ الوضوء فى شدة البرد من أفضل الأعمال،وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط**»[2]، وفى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «**أنه رأى ربه عز وجل يعنى فى المنام فقال له: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: فى الدرجات والكفارات؟ قال: والكفارات إسباغ الوضوء فى الكريهات ونقل الأقدام إلى الجمعات**». وفى رواية: «الجماعات

---

(١) اليعسوب: ذكر النحل.

(٢) رواه مسلم (٥٧٦) كتاب الطهارة، باب: فضل إسباغ الوضوء على المكاره. وأحمد (٢/ ٢٣٥، ٢٧٧، ٣٠١، ٣٠٣، ٤٣٨) ومالك فى «الموطأ» (١/ ١٦١) والترمذى فى «الطهارة» (٥١) باب: ما جاء فى إسباغ الوضوء.

وانتظار الصلاة بعد الصلاة من فعل ذلك عاش بخير ومات وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه»، والدرجات: إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام». وذكر الحديث، خرّجه الإمام أحمد والترمذى[1] وفى بعض الروايات: «إسباغ الوضوء فى السبرات» والسبرة: شدة البرد. إسباغ الوضوء فى شدة البرد من أعلى خصال الإيمان، روى ابن سعد بإسناده: أن عمر رضى الله عنه وصّى ابنه عند موته فقال له: يا بنى عليك بخصال الإيمان قال: وما هى؟ قال: الصوم فى شدة الحر أيام الصيف، وقتل الأعداء بالسيف، والصبر على المصيبة، وإسباغ الوضوء فى اليوم الشاتى، وتعجيل الصلاة فى يوم الغيم، وترك ردغة الخبال. قال: فقال: ما ردغة الخبال؟ قال: شرب الخمر. وروى الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير قال: ست من كن فيه فقد استكمل الإيمان: «قتال أعداء الله بالسيف، والصيام فى الصيف، وإسباغ الوضوء فى اليوم الشاتى، والتبكير بالصلاة فى اليوم الغيم، وترك الجدال والمراء وأنت تعلم أنك صادق، والصبر على المعصية». وقد روى هذا مرفوعاً خرَّجه محمد بن نضر المروزى فى كتاب الصلاة له بإسناده فيه ضعف عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: «ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان: ضرب أعداء الله بالسيف، وابتدار الصلاة فى اليوم الدجن، وإسباغ الوضوء عند المكاره، وصيام فى الحر، وصبر عند المصائب[2]، وترك المراء وأنت صادق». وفى كتاب الزهد للإمام أحمد عن عطاء بن يسار رضى الله عنه قال: قال موسى عليه السلام: يا رب من هم أهلك الذين هم أهلك تظلهم فى ظل عرشك؟ قال: هم البرية أيديهم الطاهرة قلوبهم الذين يتجابون لجلالى، الذين إذا ذكرت ذكرونى، وإذا ذكروا ذكرت بذكرهم، الذين يسبغون الوضوء فى المكاره، وينيبون إلى ذكرى كما تنيب النسور إلى أوكارها، ويكلفون بحبى كما يكلف الصبى بحب الناس، ويغضبون لمحارمى إذا استحلت كما يغضب النمر إذا حرب[3]. وقد روى عن داود ابن رشيد قال: قام رجل ليلة باردة ليتوضأ للصلاة فأصاب الماء باردا فبكى فنودى أما ترضى أنا أنمناهم وأقمناك حتى تبكى علينا،

(١) سبق تخريجه.

(٢) ضعيف. رواه المروزى فى «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٤٣٦) رقم (٤٤٣) وفى سنده أبى معشر المدنى وهو ضعيف. وللانقطاع بين عمر بن شبة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

(٣) حرب: أى اشتد غضبه.

حتى تبكى علينا، خرَّجه ابن السمعانى معالجة الوضوء فى جوف الليل للتهجد موجب لرضا الرب ومباهات الملائكة، ففى شدة البرد يتأكد ذلك ففى المسند وصحيح ابن حبان عن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**رجلان من أمتى يقوم أحدهما من الليل فيعالج نفسه إلى الطهور وعليه عقد فيتوضأ فإذا وضّأ يديه انحلت عقدة، وإذا وضأ وجهه انحلت عقدة، وإذا مسح رأسه انحلت عقدة، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة، فيقول الرب عز وجل للذين وراء الحجاب: انظروا إلى عبدى هذا يعالج نفسه ما سألنى عبدى هذا فهو له**»[1]. وفى حديث عطية عن أبى سعيد عن النبى ﷺ: «**إن الله يضحك إلى ثلاثة نفر: رجل فى كتيبة منهزمة على فرس جواد لو شاء أن يذهب لذهب**»[2]. قال أبو سليمان الدارانى: كنت ليلة باردة فى المحراب فأقلتنى البرد فخبأت إحدى يدى من البرد، وبقيت الأخرى ممدوة فغلبتنى عينى فهتف بى هاتف: يا أبا سليمان قد وضعنا فى هذه ما أصابها ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها ، قال: فآليت أن لا أدعو إلاَّ ويداى خارجتان حرا كان أو برداً. قال مالك رحمه الله: كان صفوان بن سليم يصلى يعنى بالليل فى الشتاء فى السطح وفى الصيف فى بطن البيت يتيقظ بالحر والبرد حتى يصبح، ثم يقول: هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم وإنه لترم رجلاه حتى يعود مثل السقط من قيام الليل ثم يظهر فيها عروق خضر؛ وكان صفوان وغيره من العباد يصلون فى الشتاء بالليل فى ثوب واحد يمنعهم البرد من النوم، ومنهم من كان إذا نعس ألقى نفسه فى الماء ويقول: هذا أهون من صديد جهنم. كان عطاء الخرسانى ينادى أصحابه بالليل يا فلان ويا فلان ويا فلان قوموا فتوضئوا وصلوا فقيام هذا الليل وصيام هذا النهار أهون من شرب الصديد ومقطعات الحديد غداً فى النار الوحا الوحا النجا النجا. كان قوم من العباد يبيتون فى مسجد وكانوا يتهجدون بالليل فاستيقظ واحد منهم ليلة فوجد إخوانه نياما فسمع هاتفا

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٤/١٥٩، ٢٠١) وابن حبان (١٠٥٢ ـ إحسان).

(٢) **ضعيف**. رواه ابن ماجه فى «المقدمة» (٢٠٠) باب: فيما أنكرت الجهيمة. وفى سنده مجالد بن سعيد وهو ضعيف. وفى «التقريب» (١/٢٢٩): ليس بالقوى، وقد تغير فى آخر عمره.

أيا عجباً للناس من قرت عيونهم　　مطاعم غمض بعدها الموت منتصب
وطول قيام الليل أيسر مؤنة　　وأهون من نار نفور وتلتهب

وفى الحديث الصحيح أن ابن عمر رأى فى منامه كأن آتياً أتاه فانطلق به إلى النار حتى رآها ورأى فيها رجالاً يعرفهم معلقين بالسلاسل فأتاه ملك فقال له: لن تراع لست من أهلها فقص ذلك على أخته حفصة، فقصته حفصة على رسول الله ﷺ فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل» فكان ابن عمر لا ينام بعد ذلك من الليل إلاً قليلا»[1]. قال الحسن: أفضل العبادة الصلاة فى جوف الليل وقال: هو أقرب إلى الله عزوجل. وقال: ما وجدت فى العبادة أشد منها. ورؤى سلمة بن كهيل فى المنام فقال: وجدت أفضل الأعمال قيام اليل، ما عندهم أشرف منه. ورأى بعض السلف خياماً ضربت فسأل لمن هى فقيل للمتهجدين بالقرآن، فكان بعد ذلك لا ينام.

فما لى بعيد الدار لم أقرب الحمى　　وقد نصبت للساهرين خيام
علامة طردى طول ليلى نائم　　وغيرى يرى أن المنام حرام

ومن الصالحين من كان يلطف به فى الحر والبرد كما دعا النبى ﷺ لعلى: «أن يذهب الله عنه الحر والبرد». فكان يلبس فى الشتاء ثياب الصيف، وفى الصيف ثياب الشتاء ولا يجد حراً ولا بردًا[2] .وكان بعض التابعين يشتد عليه الطهور فى الشتاء فدعا الله عز وجل فكان يؤتى بالماء فى الشتاء وله بخار من حوه. رأى أبو سليمان فى طريق الحج فى شدة البرد شيخاً عليه خلقان وهو يرشح عرقاً فعجب منه وسأله عن حاله فقال: إنما الحر والبرد خلقان لله عزوجل فإن أمرهما أن يغشيانى أصابانى وإن أمرهما أن يتركانى تركانى وقال: أنا فى هذه

---

(١) رواه البخارى (١١٢١) كتاب التهجد، باب: فضل قيام الليل. ومسلم (٦٢٥٣) كتاب الفضائل، باب: فضائل عبد الله بن عمر، رضى الله عنهما وابن ماجه فى «الرؤيا» (٣٩١٩) باب: تعبير الرؤيا.

(٢) ضعيف. رواه ابن ماجه فى «المقدمة» (١١٧) باب: فضل على بن أبى طالب. وفى سنده محمد بن عبدالرحمن بن أبى ليلى وهو سيئ الحفظ جداً كما فى «التقريب» (٢/ ١٨٤) ورواه النسائى فى «خصائص على» (١٤٧) والطبرانى فى «الأوسط» (٢/ ٣٨١) رقم (٢٢٨٦) وفى سنده أيوب بن ابراهيم الثقفى وهو مجهول كما فى «الميزان» (١/ ١٠٦١).

البرية من ثلاثين سنة يلبسنى فى البرد فيحاً من محبته، ويلبسنى فى الصيف برداً من محبته. وقيل لآخر وعليه خرقتان فى يوم برد شديد: لو استترت فى موضع يكنك من البرد فأنشد:

ومحسن ظنى أننى فى فنائه وهل أحد فى كنه يجد البردا

وأما من يجد البرد وهم عامة الخلق فإنه يشرع لهم دفع أذاه بما يدفعه من لباس وغيره.

وقد امتن الله علي عباده بأن خلق لهم من أصواف بهيمة الأنعام وأوبارها وأشعارها ما فيه دفء لهم قال الله تعالى: **﴿والأنعام خَلَقها لكم فيها دفء ومَنافع ومَنها تأكلون﴾**[1] وقال الله تعالى: **﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين﴾**[2]. وروى ابن المبارك عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال: كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا حضر الشتاء تعاهدهم وكتب لهم بالوصية إن الشتاء قد حضر وهو عدو فتأهبوا له أهبته من الصوف والخفاف والجوارب، واتخذوا الصوف شعاراً ودثاراً فإن البرد عدو سريع دخوله بعيد خروجه، وإنما كان يكتب عمر إلى أهل الشام لما فتحت فى زمنه فكان يخشى على من بها من الصحابة وغيرهم ممن لم يكن له عهد بالبرد أن يتأذى ببرد الشام، وذلك من تمام نصيحته وحُسن نظره وشفقته وحياطته لرعيته رضى الله عنه. وروى عن كعب قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن تأهب لعدو قد أظلك قال: يارب من عدوى وليس بحضرتى عدو؟ قال: بلى، الشتاء. وليس المأمور به أن يتقى البرد حتى لا يصيبه منه شيد بالكلية فإن ذلك يضر أيضاً، وقد كان بعض الأمراء يصون نفسه من الحر والبرد بالكلية حتى لا يحس بهما بدنه فتلف باطنه وتعجل موته، فإن الله بحكمته جعل الحر والبرد فى الدنيا لمصالح عباده فالحر لتحلل الأخلاط والبرد لجمودها فمتى لم يصب الأبدان شىء من الحر والبرد تعجل فسادها، ولكن المأمور به اتقاء مما يؤذى البدن من الحر المؤذى والبرد المؤذى المعدودان من جملة أعداء ابن ادم. قيل لأبى حازم الزاهد: إنك لتشدد يعنى فى العباد؟ فقال: وكيف لا أشد وقد ترصد لى أربعة عشر عدواً، قيل له:

(١) سورة النحل: آية ٥٠. (٢) سورة النحل: آية ٨٠.

لك خاصة؟ قال بل لجميع من يعقل، قيل له: وما هذه الأعداء قال: أما أربعة: فمؤمن يحسدنى، ومنافق يبغضنى، وكافر يقاتلنى، وشيطانى يغوينى ويضلنى، وأما العشرة: فالجوع والعطش، والحر، والبرد، والعرى، والمرض، والفاقة، والهرم، والموت، والنار، ولا أطيقهن إلاَّ بسلاح تام، ولا أجد لهن سلاحاً أفضل من التقوى، فعند الحر والبرد من جملة أعدائه. وقال الأصمعى: كانت العرب تسمى الشتاء: الفاضح، فقيل لامرأة منهم أيما أشد عليكم القيظ أم القر؟ قالت: سبحان الله من جعل البؤس كالأذى فجعلت الشتاء بؤساً، والقيظ أذى. قال بعض السلف: إن الله وصف الجنة بصفة الصيف لا بصفة الشتاء فقال: **﴿فى سدْر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة﴾**[1]، وقد قال الله تعالى فى صفة أهل الجنة: **﴿مُتكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾**[2]، فنفى عنهم شدة الحر والبرد. قال قتادة: علم الله أن شدة الحر تؤذى وشدة البرد تؤذى فوقاهم أذاهما جميعاً. قال أبو عمرو بن العلاء: إنى لأبغض الشتاء لنقص الفروض وذهاب الحقوق وزيادة الكلفة على الفقراء. وقد روى فى حديث مرفوع: «إن الملائكة تفرح بذهاب الشتاء» لما يدخل فيه على فقراء المؤمنين من الشدة[3]، ولكن لا يصح إسناده. وروى أيضاً مرفوعاً: «خير صيفكم أشده حراً، وخير شتائكم أشده برداً، وإن الملائكة لتبكى فى الشتاء رحمة لبنى آدم» وإسناده أيضاً باطل. وقال بعض السلف: البرد عدو الدين؛ يشير إلى أنه يفتر عن كثير من الأعمال ويثبط عنها فتكسل النفوس بذلك. وقال بعضهم: خلقت القلوب من طين فهى تلين فى الشتاء كما يلين الطين فيه قال الحسن: الشتاء ذكر فيه اللقاح والصيف انثى فيه النتاج يشير إلى أن الصيف تنتج فيه المواشى والشجر. والصسف عند العرب هو الربيع؛ وأما الذى تسميه الناس: الصيف فالعرب يسمونه القيظ، ففى الشتاء تفور الحرارة إلى باطن الشجر فتنعقد

---

(١) سورة الواقعة: آية ٢٨ ـ ٣٢.

(٢) سورة الإنسان: آية ١٣.

(٣) ضعيف. رواه الطبرانى فى «الكبير» (١١/ ١٠٠) رقم (١١١٧١) والعقيلى فى «الضعفاء» (٤/ ٢١٦) وابن عدى فى «الكامل» (٦/ ٣٧١) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما. وفى سنده معلى بن ميمون قال النسائى والدارقطنى: متروك. وقال أبو حاتم ضعيف الحديث، وقال ابن عدى أحاديثه مناكير. وذكر له الذهبى هذا الحديث فى مناكيره «الميزان» (٤/ ٨٦٧٨).

مواد الثمر فتظهر فى الربيع مباديها فتزهر الشجر ثم تورق ثم إذا ظهرت الثمار قوى حر الشمس لإنضاجها، الإيثار فى الشتاء للفقراء بما يدفع عنهم البرد له فضل عظيم. خرج صفوان بن سليم فى ليلة باردة بالمدينة من المسجد فرأى رجلا عارياً فنزع ثوبه وكساه إياه فرأى بعض أهل الشام فى منامه أن صفوان بن سليم دخل الجنة بقميص كساه فقدم المدينة فقال: دلونى على صفوان فأتاه فقص عليه ما رأى. رأى مسعر أعرابيًا يتشرق فى الشمس وهو يقول:

جاء الشتاء وليس عندى درهم ... ولقد يخص بمثل ذاك المسلم

قد قطع الناس الجباب وغيرها ... وكأننى بفناء مكة محرم

فنزع مسعر جبته فألبسه إياها.

رُفع إلى بعض الوزراء الصالحين أن امرأة معها أربعة أطفال أيتام وهم عراة جياع فأمر رجلاً أن يمضى إليهم ويحمل معه ما يصلحهم من كسوة وطعام ثم نزع ثيابه وحلف: لا لبستها ولا دفئت حتى تعود وتخبرنى أنك كسوتهم وأشبعتهم، فمضى وعاد فأخبره: أنهم اكتسوا وشبعوا وهو يرعد من البرد فلبس حينئذ ثيابه. خرَّج الترمذى من حديث أبى سعيد مرفوعاً: «من أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، ومن سقاه على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن كساه على عرى كساه الله من خضر الجنة»[1]، وروى ابن أبى الدنيا بإسناده عن ابن مسعود قال: يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، فمن كسا لله عز وجل كساه الله، ومن أطعم لله أطعمه الله، ومن سقا لله سقاه الله، ومن عفا لله أعفاه الله[2]. ومن فضائل الشتاء: أنه يذكر بزمهرير جهنم ويوجب الاستعاذة منها وفى حديث أبى هريرة وأبى سعيد عن النبى ﷺ قال: «**إذا كان يوم شديد البرد فإذا قال العبد: لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم: اللهم أجرنى من زمهرير جهنم قال الله تعالى لجهنم: إن عبداً من عبادى**

(١) ضعيف. رواه أحمد (٣/ ١٣ · ١٤) والترمذى (٢٤٤٩) والبيهقى وفى سنده عطية العوضى وهو ضعيف. ورواه أبو داود (١٦٨٢) وفى سنده نبيح الغنزى وهو مقبول كما فى «التقريب» (٢/ ٢٩٧) وأبو خالد الدالانى يخطئ كثيراً كما فى «التقريب» (٢/ ٤١٦).

(٢) قال المنذرى فى «الترغيب والترهيب» (٢/ ٦٦) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب «اصطناع المعروف» موقوفاً على ابن مسعود.

استجار بى من زمهـريرك وإنى أشهدك أنى قد أجرته»، قالوا: ما زمهرير جهنم، قال: «بيت يلقى فيـه الكافر فيتمـيز من شدة برده»[1]. قام زبيـد اليامى ذات ليلة للتهـجد فعمد إلى مطهـرة له كان يتوضأ منهـا فغمس يده فى المطهـرة فوجد الماء بارداً شـديداً كاد أن يجـمد من شـدة برده فذكـر الزمـهرير ويده فى المطهـرة فلم يخرجهـا حتى أصبح، فجاءته جـاريته وهو على تلك الحال فقـالت: ما شأنك يا سيدى لم لا تصلى الليلة كما كنت تصلى وأنت قاعد هنا على هذه الحالة؟ فقال: ويحك إنى أدخلت يدى فى هذه المطهرة فاشتـد علىّ برد الماء فذكرت به الزمهرير فوالله ما شعرت بشدة برده حتى وقفت علىّ فانطوى لا تحدثى بهذا أحداً ما دمت حيا فـما علم بذلك أحد حتى مـات رحمه الله. فى الحديث الصـحيح عن النبى ﷺ: «**إن لجهنم نفـسين نفساً فى الشـتاء ونفسا فـى الصيف، فأشد مـا تجدون من البرد من زمـهريرها، وأشـد ما تجدون من الحـر من سمومـها**»[2]. وروى عن ابـن عباس قـال: يستغيث أهل الـنار من الحر فيغـاثون بريح باردة يصدع العظام بردها فيـسألون الحـر، وعن مجاهد قـال: يهربون إلى الزمـهرير فإذا وقـعوا فـيه حطم عظامهم حتى يسمع لها نقيض. وعـن كعب قال: إن فى جهنم برداً هو الزمهرير يسقط اللحم حتى يستغيثوا بحـر جهنم، وعن عبد الملك بن عمير قال بلغنى: أن أهل النار سألوا خازنها أن يخـرجهم إلى جانبها فأخرجوا فقـتلهم البرد والزمهرير حتى رجـعوا إليهـا فدخلوها مما وجدوه من البرد. وقد قـال الله عز وجل: ﴿**لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميـماً وغساقاً جزاءً وفاقاً**﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿**هذا فَلْيذُوقوه حَمـيمٌ وغساق**﴾[4]، قال ابن عبـاس: الغساق: الزمهـرير البارد الذى يحق من برده، وقال مـجاهد: هو الذى لا يستطيعـون أن يذوقوه من برده، وقيل: إن الغساق: البارد المنتن، أجارنا الله تعالى من جهنم بفضله وكرمه. يا من تتلى عليه أوصـاف جهنم، ويشاهد تنفـسها كل عـام حت يحس به ويتألم، وهو مصر على ما يقتضيه مع أنه يعلم، ستعلم إذا جىء بها تقاد بسبعين ألف زمام من يندم، أنت صبـر على سعيرها وزمهريها؟ قل وتـكلم، ما كان صلاحك يرجى والله أعلم.

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة النبأ آية ٢٤ ـ ٢٦.

(٤) سورة ص آية ٥٧.

كم يكون الشـتاء ثم المصـيف وربيع يمضى ويـأتى الخـريف
وارتحـال من الحرور إلى البـر دوسـيف الردى علـيك منيف
يا قليـل المقـام فـى هذه الدنـ ـيـا إلى كم يغـرك التسـويف
يا طالب الـزائل حـتى مـتى قلبك بالـــــزائل مـشغوف
عجبـاً لامرئ يذل لذى الدنــ ـيـا ويكفيـه كل يوم رغـيف

●●●●●

مجلس فى ذكر التوبة والحث عليها قبل الموت وختم العمر بها والتوبة وظيفة العمر وهى خاتمة مجالس الكتاب

خرَّج الإمام أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «**إن الله عز وجل يقبل توبة العبـد ما لم يغرغر**»[1]، وقال الترمذى حديث حسن. دل هذا الحديث على قبول توبة الله عز وجل لعبده ما دامت روحه فى جسده لم تبلغ الحلقوم والتراقى، وقـد دل القرآن على مثل ذلك أيضاً قال الله عز وجل: ﴿**إنما التوبة على الله للذين يعـملون السوء بجهالة ثم يتـوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيما**﴾[2]، وعمل السوء إذا انفرد يدخل فيه جميع السيئات صغـيرها وكبيرها، والمراد بالجهالة الإقدام على السوء وإن علم صاحبه أنه سوء فإنَّ كل من عصى الله فهو جاهل وكل من أطاعه فهو عالم وبيانه من وجهين: أحدهما: أن مـن كان عالماً بالله تعالى وعظمته وكبـريائه وجلاله فإنه يهابه ويخشاه فلا يقع منه مع استحضار ذلك عصيانه، كما قال بعضهم: لو تفكر الناس فى عظمة الله تعـالى ما عصوه. وقال آخـر: كفى بخشيـة الله علماً وكفى بالاغترار بـالله جهلاً. والثانى: أنّ من آثر المعـصية على الطاعة، فـإنما حمله على ذلك جهله وظنه أنها تنفعه عاجلاً باستـعجال لذتها، وإن كان عنده إيمان فهو يجو التخلص من سوء عاقبتها بالتوبة[1] فى آخر عمره وهذا جهل محض، فإنه تعجل الإثم والخزى ويفـوته عز التقوى وثوابهـا ولذة الطاعة وقد يتمكن من التـوبة بعد ذلك، وقد يعاجله الموت بغتة فهو كجائع أكل طعـاماً مسموماً لدفع جوعه الحاضر ورجا أن يتخلص مـن ضرره بشرب الدّرياق بعده، وهذا لا يفـعله إلا جاهل وقد قال تعالى فى حق الذين يؤثرون السحر: ﴿**ويتعلمون ما يَضرُهم ولا يَنْفعهم ولقد علموا لَمن اشـتراه مَاله فى الآخـرة من خلاق ولَبئس مـا شَروا به أنفسـهم لَو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة مَن عند الله خـير لو كانوا يعلمون**﴾[3]، والمراد أنهم آثروا السحـر على التقوى والإيمان لما رجـوا فيه من منافع الدنيـا المعجلة مع

(١) حسن. رواه أحمـد (٢/ ١٣٢و ١٥٣) والترمـذى (٣٥٣٧) وابن ماجـه (٤٢٥٣) وابو نعيم فى «الحلـية» (٥/ ١٩٠) وابن حبان (٦٢٨ ـ إحسان) وعلى بن الجعـد فى «مسنده» (٣٥٢٩) والبغوى فى «شرح السنة» (١٣٠٦) والحاكم (٤/ ٢٥٧).

(٢) سورة النساء: آية ١٧.

(٣) سورة البقرة: آية ١٠٢، ١٠٣.

علمهم أنهم يفوتهم بذلك ثواب الآخرة وهذا جهل منهم فإنهم لو علموا لآثروا الإيمان والتقوى على ما عداهما فكانوا يحرزون أجر الآخرة ويأمنون عقابها ويتعجلون عز التقوى فى الدنيا، وربما وصلوا إلى ما يأملونه فى الدنيا أو إلى خير منه وأنفع فإن أكثر ما يطلب بالسحر قضاء حوائج محرمة أو مكروهة عند الله عز وجل. والمؤمن المتقى يعوضه الله فى الدنيا خيراً مما يطلبه الساحر ويؤثره مع تعجيله عز التقوى وشرفها وثواب الآخرة وعلو درجاتها، فتبين بهذا أن إيثار المعصية على الطاعة إنما يحمل عليه الجهل؛ ولذلك كان كل من عصى الله جاهلاً، وكل من أطاعه عالماً. وكفى بخشية الله علماً وبالاغترار به جهلا، وأمّا التوبة من قريب فالجمهور على أن المراد بها التوبة قبل الموت فالعمر كله قريب، ومن تاب قبل الموت فقد تاب من قريب، ومن مات ولم يتب فقد بعد كل البعد كما قيل:

فهم جيرة الأحياء أما قرارهم   فدان وأما الملتقى فبعيد

فالحى قريب والميت بعيد من الدنيا على قربه منها، فإن جسمه فى الأرض يبلى، وروحه عند الله تنعم أو تعذب ولقاؤه لا يرجى فى الدنيا.

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه   لقاؤك لا يرجى وأنت قريب

تزيد بلى فى كل يوم وليلة   وتنسى كما تبلى وأنت حبيب

وهذان البيتان سمعهما داود الطائى رحمه الله من امرأة فى مقبرة تندب بهما ميتا لها فوقعتا من قلبه موقعا فاستيقظ بهما ورجع زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة فانقطع إلى العبادة إلى أن مات رحمه الله، فمن تاب قبل أن يغرغر فقد تاب من قريب فتقبل توبته. وروى عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿**يتوبون من قريب**﴾ قال: قبل المرض والموت، وهذا إشارة إلى أفضل أوقات التوبة وهو أن يبادر الإنسان بالتوبة فى صحته قبل نزول المرض به حتى يتمكن حينئذ من العمل الصالح، ولذلك قرن الله تعالى التوبة بالعمل الصالح فى مواضع كثيرة من القرآن. وأيضاً فالتوبة فى الصحة ورجاء الحياة تشبه الصدقة بالمال فى الصحة ورجاء البقاء. والتوبة فى المرض عند حضور أمارات الموت يشبه الصدقة بالمال عند الموت، فكأن من لا يتوب إلاّ فى مرضه قد استفرغ صحته وقوته فى شهوات نفسه

وهواه ولذة دنياه، فإذا أيس من الدنيا والحياة فيها تاب حينئذ وترك ما كان عليه، فأين توبة هذا من توبة من يتوب من قريب وهو صحيح قوى قادر على عمل المعاصى فيتركها خوفاً من الله عز وجل ورجاء لثوابه وإيثاراً لطاعته على معصيته. دخل قوم على بشر الحفى وهو مريض نقالوا له: على ماذا عزمت؟ فقال: عزمت أنى إذا عوفيت تبت، فقال له رجل منهم: فهلا تبت الساعة فقال: يا أخى أما علمت أن الملوك لا تقبل الأمان ممن فى رجليه القيد وفى رقبته الغل إنما يقبل الأمان ممن هو راكب الفرس والسيف مجرد بيده فبكى القوم جميعاً، ومعنى هذا أن التائب فى صحته بمنزلة من هو راكب على متن جواده وبيده سيف مشهور فهو يقدر على الكر والفر والقتال وعلى الهرب من الملك وعصيانه، فإذا جاء على هذه الحال إلى بين يدى الملك ذليلاً له طالباً لأمانه صار بذلك من خواص الملك وأحبابه لأنه جاءه طائعاً مختاراً له راغباً فى قربه وخدمته. وأما من هو فى أسر الملك وفى رجله قيد وفى رقبته غل فإنه إذا طلب الأمان من الملك فإنما طلبه خوفاً على نفسه من الهلاك وقد لا يكون محبا للملك ولا مؤثراً لرضاه، فهذا مثل من لا يتوب إلا فى مرضه عند موته، والأول بمنزلة من يتوب فى صحته وقوته وشبيبته، لكن ملك الملوك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، وكل خلقه أسير فى قبضته لا يعجزه هارب ولا يفوته ذاهب، ومع هذا فكل من طلب الأمان من عذابه من عباده أمّنه على أى حال كان إذا علم منه الصدق فى طلبه.

الأمان الأمان وزرى ثقيل ... وذنوبى إذا عددت تطول

أوبقتنى وأوثقتنى ذنوبى ... فترى لى إلى الخلاص سبيل

وقوله عز وجل: **﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تُبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليما﴾**(1)، فسوى بين من تاب عند الموت ومن مات من غير توبة، والمراد بالتوبة عند الموت التوبة عند انكشاف الغطاء ومعاينة المحتضر أمور الآخرة ومشاهدة الملائكة، فإن الإيمان والتوبة وسائر الأعمال إنما تنفع بالغيب فإذا كشف الغطاء وصار الغيب شهادة لم ينفع الإيمان ولا التوبة فى تلك الحال. وروى ابن

(1) سورة النساء: آية ١٨.

أبى الدنيا بإسناده عن على قال: لا يزال العبد فى مهل من التوبة ما لم يأته ملك الموت يقبض روحه، فإذا نزل ملك الموت فلا توبة حينيذ. وبإسناده عن الثورى قال: قال ابن عمر: التوبة مبسوطة ما لم ينزل سلطان الموت. وعن الحسن قال: التوبة معروضة لابن آدم ما لم يأخذ الموت بكظمه. وعن بكر المزنى قال: لا تزال التوبة للعبد مبسوطة ما لم تأته الرسل فإذا عاينهم انقطعت المعرفة. وعن أبى مجلز قال: لا يزال العبد فى توبة ما لم يعاين الملائكة. وروى أيضًا فى كتاب الموت بإسناده عن أبى موسى الأشعرى قال: إذا عاين الميت الملك ذهبت المعرفة. وعن مجاهد نحوه، وعن حصين قال: بلغنى أن ملك الموت إذا غمز وريد الإنسان حينئذ يشخص بصره ويذهل عن الناس، وخرج ابن ماجه حديث أبى موسى مرفوعًا قال: سألت النبى ﷺ: متى تنقطع معرفة العبد من الناس من الناس؟ قال: «**إذا عاين**»[1]. وفى إسناده مقال، والموقوف أشبه، وقد قيل: : إنه إنما منع من من التوبة حينئذ؛ لأنه إذا انقطعت معرفته وذهل عقله لم يتصور منه ندم ولا عزم، فإن الندم والعزم إنما يصح مع حضور العقل وهذا ملازم لمعاينة الملائكة كما دلت عليه الأخبار. وقوله ﷺ فى حديث ابن عمر: «ما لم يغرغر» يعنى إذا لم تبلغ روحه عند خروجها منه إلى حلقة فشبه ترددها فى حلق المحتضر بما يتغرغر به الإنسان من الماء وغيره ويردده فى حلقه، وإلى ذلك الإشارة فى القرآن بقوله عز وجل: ﴿**فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**﴾[2]، وبقوله عز وجل: ﴿**كلا إذا بلغت التراقى**﴾[3] وروى ابن أبى الدنيا بإسناده عن الحسن قال: أشد ما يكون الموت على العبد إذا بلغت الروح التراقى قال: فعند ذلك يضطرب ويعلو نفسه، ثم بكى الحسن رحمه الله تعالى:

عش ما بدا لك سالما ... فى ظل شاهقة القصور

(١) **ضعيف جداً**. رواه ابن ماجه (١٤٥٣) كتاب الجنائز، باب: ما جاء فى المؤمن يؤجر فى النزع ، وقال البوصيرى فى «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٧٠) هذا إسناد ضعيف، نصر بن حماد كذّبه ابن معين واتهم بالوضع أ. هـ وفى سنده أيضاً موسى بن كروم وهو مجهول كما فى «التقريب» (٢/ ٢٨٧).

(٢) سورة الواقعة: آية ٨٣ ـ ٨٥.

(٣) سورة القيامة: آية ٢٦.

يسعى عليك بمـــا اشتهيــ	ــت لدى الرواح وفى البكور
فإذا النفـــــوس تقعقعـت	فى ضيق حشرجة الصـــــدور
فهنــاك تعلـم موقنــــا	ما كنـت إلاَّ فــى غـــــرور

واعلم أن الإنســان ما دام يأمل الحـياة فـإنه لا يقطع أمله من الدنيـا، وقد لا تسمح نفســه بالإقلاع عن لذاتها وشهواتهـا من المعاصى وغيرها ويرجـيه الشيطان بالتوبة فى آخر عمره. فإذا تيـقن الموت وأيس من الحياة أفاق من سكرته بشهوات الدنيا فندم حـينئذ على تفريـطه ندامة يكاد يقتل نفـسه وطلب الرجعـة إلى الدنيا ليتوب ويعـمل صالحًا فلا يجاب إلى شيء من لك فيجـتمع عليه سكرة الموت مع حسرة الفوت، وقد حذر الله فى كتابه عـباده من ذلك ليستعدوا للموت قبل نزوله بالتوبة والعمل الصالح، قال الله تعالى **﴿أنيبوا إلى ربكم وأسـلموا له من قبل أن يأتيكم العـذب ثم لا تنصرون واتبعـوا أحسن ما أنزل إليكم مـن ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أنْ تـقولَ نفسٌ يا حسرتى على ما فرطت فى جَنب الله وإن كنت من الساخرين﴾**(١). سمع بعض المحتضرين عند احتضاره يلطم على وجهــه ويقول: **﴿يا حـسرتى مـا ما فـرطت فى جنب الله﴾**. وقال آخـر عند احتضاره: سخرت بى الدنيـا حتى ذهبت أيامى. وقال آخر عند موته: لا تغرنكم الحياة الدنيا كمـا غرتنى. وقال الله تعالى **﴿حتى إذا جاء أحـدهم الموت قال رب ارجعون لَعلّى أعمل صـالحًا فيما تركت كلا إنها كلمـة هو قائلها﴾**(٢). وقال الله تعالى: **﴿وأنفـقـوا مما رزقناكم من قـبل أن يأتى أحـدكم الموت فيـقـول ربِّ لولا أخرتنى إلى أجل قـريب فأصدق وأكـن من الصالحين ولَن يؤخر الله نفـسًا إذا جاء أجلهـا والله خـبيـر بما تعـملون﴾**(٣)، وقـال الله تعـالى: **﴿وحيل بيـنهم وبين مـا يشتهون﴾**(٤). وفســره طائفة ممن السلف منهم عـمر بن عبـد العزيز رحـمه الله: بأنهم طلبوا التوبة حين حيل بينهم وبينها قال الحسن: اتق الله يا ابن آدم لا يجتمع عليك خصـلتان سكرة الموت وحسـرة الفوت. وقـال ابن السماك: احـذر السكرة والحسرة أن يفجأك الموت وأنت على الغرة فلا يصف واصف قدر ما تلقى ولا قدر

(١) سورة الزمر: آية ٥٤ ـ ٥٦.
(٢) سورة المؤمنون: آية ٩٩ ـ ١٠٠.
(٣) سورة المنافقون: آية ١٠ ـ ١١.
(٤) سورة سبأ: آية ٥٤.

ما ترى. قال الفضيل: يقول الله عز وجل: ابن آدم إذا كنت تتقلب فى نعمتى وأنت تتقلب فى نعمتى وأنت تتقلب فى معصيتى فاحذرنى لا أصرعك بين ماعصى. وفى بعض الإسرائيليات: ابن آدم احذر لا يأخذك الله على ذنب فتلقاه لا حجة لك. مات كثير من المصرّين على المعاصى على أقبح أحوالهم وهم مباشرون للمعاصى فكان ذلك خزيًا لهم فى الدنيا مع ما صاروا إليه من عذاب الآخرة، وكثيرًا ما يقع هذا للمصرّين على الخمر المدمنين لشربها كما قال القائل:

أتأمن أيها السكران جهلا بأن تفجأك فى السكر المنية

فتضحى عبرة للناس طرا وتلقى الله من شر البرية

سكر بعض المتقدمين ليلة فعاتبته زوجته على ترك الصلاة فحلف بطلانها ثلاثًا لا يصلى ثلاثة أيام، فاشتد عليه فراق زوجته فاستمر على ترك الصلاة مدة الأيام الثلاث، فمات فيها على حاله وهو مصر على الخمر تارك الصلاة. كان بعض المصرّين على الخمر يكنى أبا عمرو فنام ليلة وهو سكران فرأى فى منامه قائلاً يقول له:

جدّ بك الأمر أبا عمرو وأنت معكوف على الخمر

تشوب صهباء صراحية سال بك السيل ولا تدرى

فاستيقظ منزعجًا وأخبر من عنده بما رأى ثم غلبه سكره فنام فلما كان وقت الصبح مات فجأة. قال يحيى بن معاذ: الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لم يفق إلا فى عسكر الموتى نادمًا مع الخاسرين. وفى حديث خرّجه الترمذى مرفوعًا: «ما من أحد يموت إلا ندم» قالوا: وما ندامته؟ قال: «إن كان محسنًا ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئًا دم أن لا يكون استعتب»[1]. إذا ندم المحسن عند الموت فكيف يكون حال المسيء. غاية أمنية الموتى فى قبورهم حياة ساعة يستدركون فيها ما فاتهم من توبة وعمل صالح، وأهل الدنيا يفرطون فى حياتهم فتذهب أعمارهم فى الغفلة ضياعًا، ومنهم من يقطعها بالمعاصى. قال بعض السلف: أصبحتم فى أمنية ناس كثير، يعنى أن الموتى كلهم يتمنون حياة ساعة ليتوبوا فيها ويجتهدوا فى

(١) سبق تخريجه.

الطاعة ولا سبيل لهم إلى ذلك:

لـو قيل لقوم ما مناكموا طلبوا ... حياة يوم ليتوبـوا فاعلـم

ويـحك يا نـفـس ألا تيقـظ ... ينفع قبل أن تزل قدمـي

مضى الزمان فى ثوان وهـوى ... فاستدركى ما قد بقى واغتنمى

الناس فى التوبة على أقسام: **فمنهم** من لا يوفق لتـوبة نصوح بل ييـسر له عمـل السيئات من أول عـمره إلى آخـره حتى يموت مـصرا عليـها وهذه حـالة الأشقياء. **أقبح من ذلك** من يسر له فى أول عمره عمل الطاعات ثم ختم له بعمل سيئ حـتى مات عليه فى الحديث الصـحيح: «إن أحدكم ليعـمل عمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينهما إلاَّ ذراع، ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»[1]. وفى الحديث الذى خرّجه أهل السنن: «إن العـبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين عامًا ثم يـحضره الموت فيجوز فى وصيـته فيدخل النار»[2]. ما أصعب الانتقال من البصر إلى العمى، وأصـعبَ منه الضلالة بعد الهدى والمعصية بعد التـقى. كم من وجوه خاشعـة ووقعت على قصص أعمـالها **﴿عاملة ناصبة تصلى نارًا حامية﴾**[3]، كم من شارف مركبه ساحل النجاة فلما هم أن يرقى لعب به موج الهوى فـغرق الخلق كلهم تحت هذا الخطر. قلوب العبـاد بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. قـال بعضهم: ما العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا:

يا قلبُ إلام تطالبنـي ... بلقا الأحباب وقد رحلـوا

أرسلتك فى طلبى لهـم ... لتعود فضعت وما حصلوا

---

(١)رواه البخارى (٦٥٩٤) كـتاب القدر. ومسلم (٦٥٩٩) كتـاب القدر، باب: كيفيـة خلعه الآدمى فى بطن أمه. وأحمد (١/ ٣٨٢، ٤٣٠) والترمذى فى «القدر» (٢١٣٧) باب: ما جاء أن الأعمال بالخواتيم. وابن ماجه فى «المقدمة» (٧٦) باب: فى القدر. من حديث ابن مسعود رضى الله عنه.

(٢) ضعيف. رواه أحمد (٢/ ٢٧٨) وأبو داود (٢٨٦٧) والترمـذى (٢١١٧) وابن ماجه (٢٧٠٤) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه. وفى سنده شهـر بن حوشب وهو كثيـر الأوهام والإرسال كما فى «التـقريب» (١/ ٣٥٥).

(٣) سورة الغاشية: آية ٣ ـ ٤.

ما أحسن ما علقت بهم آمالك منهم لو قد فعلوا

سلم واصبر واخضع لهم كم قبلك مثلك قد قتلوا

وقسم يفنى عمره فى الغفلة والبطالة ثم يوفق لعمل صالح فيموت عليه، وهذه حالة من عمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.

الأعمال بالخواتيم: وفى الحديث «إذا أراد الله بعبد خيرًا غسله قالوا: وما غسله؟ قال: يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه[١]، وهؤلاء منهم: من يوقظ قبل موته بمدة يتمكن فيها من التزود بعمل صالح يختم به عمره. ومنهم: من يوقظ عند حضور الموت فيوفق لتوبة نصوح يموت عليها. قالت عائشة رضى الله عنها: إذا أراد الله بعبد خيرًا قيض له ملكًا قبل موته بعام فيسدده وييسره حتى يموت وهو خير ما كان ويقول الناس: مات فلان خير ما كان. وخرَّجه البزار عنها مرفوعًا ولفظه «إذا أراد الله بعبد خيرًا بعث إليه ملكًا من عامه الذى يموت فيه فيسدد وييسره فإذا كان عند موته أتاه ملك الموت فقعد عند رأسه فقال: أيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان، ذلك حين يحب لقاء الله ويحب الله لقاءه. وإذا أراد الله بعبد شرا بعث إليه شيطانًا من عامه الذى يموت فيه فأغواه فإذا كان عند موته أتاه ملك الموت فقعد عند رأسه فقال: أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب فتتفرق فى جسده فذلك حين يبغض لقاء الله ويبغض الله لقاءه». وفى الدعاء المأثور: «اللهم اجعل خير عملى خاتمته، وخير عمرى آخره». وفى المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: من تاب قبل موته عامًا تيب عليه، ومن تاب قبل موته شهرًا تيب عليه حتى قال: يومًا حتى قال: ساعة حتى قال: فواقًا[٢] قال: قال له إنسان أرأيت إن كان مشركًا فأسلم؟ قال إنما أحدثكم ما سمعت من رسول الله ﷺ[٣]. قال أحدهم: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٤/ ٢٠٠) من حديث أبى عتبة الخولانى رضى الله عنه. وفى سنده بقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعنه. ولكن رواه أحمد (٥/ ٢٢٤) والبزار (٢١٥٥) والحاكم (١/ ٣٤٠) وابن حبان (٣٤٢و ٣٤٣ ـ إحسان) من حديث عمرو بن الحمق الخزاعى رضى الله عنه وسنده صحيح.

(٢) الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت، إذا فتحت يدك، وقيل: إذا قبض الحالب على الفرع ثم أرسله.

(٣) **ضعيف**. رواه أحمد (٢/ ٢٠٦) وفى سنده راوٍ لم يسم.

يقول: «إن الله عـز وجل يقول توبة العـبد قـبل أن يموت بيوم» قـال الآخر: أنت سمعت هذا رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم» فـقال الثالث: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم؟ قال: وأنا سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله عز وجل يقبل توبة العبد قبل أن يمـوت بضحوة» قال الرابع: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: وأنا سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله عز وجل يقبل توبة العبد مـا لم يغرغر بنفسه»(1). وفيه أيضًا عن أبى سـعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبـى ﷺ قال: «إن الشـيطان قـال: وعـزتك يا رب لا أبرح أغـوى عبـادك ما دامت أرواحـهم فى أجسـادهم فقـال الرب عز وجل: وعـزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى»(2). ذكر ابن أبى الدنيا بإسناد له أن رجلاً من ملوك البصرة كان قد تنسك ثم مال إلى الدنيا والشيطان فبنى دارًا وشيدها وأمر بها ففـرشت له ونجدت واتخذ مأدبة وصنع طعامًا، ودعـا الناس فجعلوا يدخلون فيأكلون ويشربون وينظرون إلى بنائه ويعجبـون منه ويدعون له ويتفرقون، فمكث بذلك أيامًا حتى فرغ من أمر الناس، ثم جلس فى نفر من خاصة إخوانه فقال: قد ترون سرورى بدارى هذه وقد حدثت نفـسى أن اتخذ لكل واحد واحد من ولدى مثلهـا فأقيمـوا عندى أيامًا أستمتع بحـديثكم وأشاوركم فيـما أريد من هذا البناء لولدى، فأقاموا عنده أيامًا يلهون ويلعبون ويشاورهم كيف يبنى لولده وكيف يريد أن يصنع. فـبينمـا هم ذات ليلة فى لهوهم إذا سـمعـوا قائلاً يقول: مـن أقاصى الدار:

يا أيها البانى الناسى منيتـــــــــه	لا تأمنن فإن الموت مكتـــــــــوب
على الخلائق إن سروا وإن فرحوا	فالموت حتف لذى الآمال منصوب
لا تبنين ديارًا لست تسكنهـــــــا	وراجع النسك كيما يغفر الحـــوب

---

(1) ضعيف. رواه أحمد (٣/ ٤٢٥) وفى سنده عبد الرحمن البيلمانى وهو ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ٤٧٤).

(2) ضعيف. رواه أحمد (٣/ ٢٩) والحاكم (٤/ ٢٦١) والبيهقى فى «الأسماء والصفات» (ص ١٣٤) وهو من رواية دراج أبو السمح عن أبى الهيثم ورواية دراج عن أبى الهيثم ضعيفة كما سبق.

قال: ففـزع لذلك وفزع أصحابه فـزعًا شديدًا وراعهم ما سـمعوا من ذلك، فقال لأصحابه: هل سمعتم ما سـمعت؟ قالوا: نعم، قال: فهل تجدون ما أجد؟ قالوا: وما تجد؟ قال: أجـد والله مسكة على قلبى ما أراها إلاَّ علة الموت، قالوا: كلا بل البقاء والعـافية، قال: فبكى وقال: أنتم أخلائـى وإخوانى فما لى عندكم قالوا: مرنا بمـا أحببت قال: فأمـر بالشراب فأهريق وبالملاهى فـأخرجت ثم قال: اللهم إنى أشهدك ومن حضر من عبادك إنى تائب إليك من جميع ذنوبى نادم على ما فـرطت أيام مهلتى، وإياك أسـأل أن أقلتنى، أن تتم علىّ نعمـتك بالإنابة إلى طاعتك وإن أنت قـبضتـنى إليك أن تغفر لى ذنوبى تفـضلاً منك علىّ، واشـتد به الأمـر فلم يزل يقـول: الموت والله، الموت والله، حـتى خرجـت روحه. وكـان الفقهاء يرون أنه مات على توبة. وروى الواحـدى فى كتاب (قتلى القرآن) بإسناد له: أن رجلاً من أشراف أهل البصـره كان منحدراً إليها فى سفـينة ومعه جارية له فشرب يوماً وغنته جاريته بعود لها وكان مـعهم فى السفينة فقير صالح، فقال له: يا فتى تحسن مثل هذا؟ قال: أحسن ما هو أحسن منه، وكان الفقير حسن الصوت فاستفتح وقرأ: **﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خيـر لمن اتقى ولا تظلمون فَتيلاً أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كُنتم فـى بروج مشـيدة﴾**(1)، فرمى الرجل مـا بيده من الشراب فى الماء وقال: أشـهد أن هذا أحسن مما سمعت فهل غـير هذا؟ قال: نعم فتلا عليه: **﴿ وقل الحق من ربكم فـمن شاء فـليؤمن ومن شـاء فليكفـر إنا أعتـدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾**(2) الآية. فوقعت فى قلبه موقعاً ورمى بالشراب فى الماء وكسـر العود ثم قـال: يا فتى هل ههنا فـرج؟ قال : نعم**﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفـسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جـميعاً إنّه هو الغفور الرحيم﴾**(3) الآية، فصاح صـيحة عظيمة فنظروا إليه فـإذا هو قد مات رحمه الله. وروى ابن أبى الدنيا بإسناد له أن صالحاً المرّى رحمه الله كان يوماً فى مجلسه يقص على الناس فقرأ عنده قارئ: **﴿وأنْذرهم يوم الآزفـة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾**(4) فذكر صالح النار وحال العصاة فـيها، وصفـة سياقهم إليـها وبالغ فى ذلك وبكى الناس، فقـام فتى كان

---

(1) سورة النساء: آية ٧٧ ـ ٧٨.
(2) سورة الكهف: آية ٢٩.
(3) سورة الزمر: آية ٥٣.
(4) سورة غافر: آية ١٨.

حاضـرا فى مجلسه وكان مـسرفاً على نفـسه فقال: أكـل هذا فى القيامة؟ فـقال صالح: نعـم وما هو أكبـر منه، لقد بلغنى أنهم يـصرخون فى النار حـتى تنقطع أصواتهم فلا يبـقى منهم إلاَّ كهيئة الأنين من المريض المدنف فـصاح الفتى أيا لله، واغفلتاه عن نفسى أيام الحـياة وا أسفاه على تفريطى فى طاعتك ياسـيداه، وأسفاه على تضيـيع عمرى فى دار الدنيا،ثم اسـتقبل القبلة وعـاهد الله على توبة نصوح ودعا الله أن يتقبل منه وبكى حتى غشى عليه، فحمل من المجلس صريعا، فمكث صالح وأصحابه يعودونه أياماً ثم مات، فحـضره خلق كثير فكان صالح يذكره فى مجلسه كثيراً ويقول: وبأبى قتيل القرآن، وبأبىّ قتيل الواعظ والأحزان، فرآه رجل فى منامه فـقال:ما صنعت؟ قـال: عمتنى بركة مـجلس صالح فدخلت فى سـعة رحمـة الله:التى ﴿**وسـعت كل شىء**﴾[1]. من آلمتـه سياط المـواعظ فصـاح فلا جناح، ومن زاد ألمه فمات فدمه مباح.

قضى الله فى القتلى قصاص دمائهم ولكـــن دمـــاء العاشقين جـبار

وبقى ههنا قسم آخر وهو أشرف الأقسـام وأرفعها: وهو من يفنى عمره فى الطاعة ثم يـنبه على قرب الأجل ليـجدّ فى التـزود ويتهـيأ للرحيل بعـمل يصلح للقاء، يكون خـاتمة للعمل. قال ابن عـباس: لما نزلت على النبى ﷺ: ﴿**إذا جاء نَصر الله والفتح**﴾[2] نعيت لرسول الله ﷺ، نفـسه فأخذ فى أشد ما كـان اجتهادا فى أمر الآخرة قالت أم سلمة:«كان النبى ﷺ فى آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجىء إلاَّ قال: سبحان الله وبحمده، فذكرت ذلك له فقال: إنى أمرت بذلك وتلا هذه السورة»[3]. كان من عادته ﷺ أن يعتكف فى كل عام فى رمضان عشراً، ويعرض القـرآن على جبريل مرة، فاعتكف فى ذلك العـام عشرين يوماً، وعرض القرآن مـرتين، وكان يقول:ما أرى ذلك إلاَّ لاقتـراب أجلى ثم حج حجة الوداع، وقال لـلناس :«خذوا عنى مناسككم فلعلى لا ألـقاكم بعد عـامى هذا»، وطفق يودع الناس فـقالوا: هذه حـجة الوداع ثـم رجع إلى المدينة فخطب قـبل وصوله إليها وقال:«أيها الـناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب»، ثم أمر بالتمسك بكتاب الله ثم توفى بعد وصوله إلى المدينة بيسير ﷺ.

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٥٦. (٢) سورة النصر: آية ١. (٣) سبق تخريجه.

إذا كان سيد المحسنين يؤمر أن يختم عـمره بالزيادة فى الإحسان فكيف يكون حال المسىء دوبيت[١].

خذ فى جد فقد تولى العمر   كم ذا التفريط قد تدانى الأمــر

أقبل فعسى يقبل منك العذر   كم تبنى كم تنقض كم ذا الغدر

مـرض بعض العابدين فـوصف له دواء يشـربه، فأتى فى منامـه فقـيل له: أتشرب الدواء والحور العين لك تهيأ؟ فانتـبه فزعاً فصلى فى ثلاثة أيام حتى انحنى صلبه ثم مات فى اليوم الـثالث. كان رجل قد اعتزل وتعبـد فرأى فى منامه قائلاً يقول له: يا فلان ربك يدعوك فتجـهز واخرج إلى الحج ولست عائداً، فخرج إلى الحج فمات فى الطريق. رأى بعض الصالحين فى منامه قائلاً ينشده:

تأهب للذى لابد منه   من الموت الموكل بالعباد

أترضى أن تكون رفيق قوم   لهم زاد وأنت بغير زاد

خرج ابن ماجـه من حديث جابر أن النبى ﷺ خطب فقـال فى خطبته: «**أيها الناس تـوبوا إلى ربكم قـبل أن تموتـوا وبادروا بالأعـمـال الـصـالحـة قـبل أن تشغلوا**»[٢]، وفى سنده ضعف. فأمر بالمبادرة قبل الموت. وكل ساعة تمر على ابن آدم فإنه يمكن أن تكون ساعة موته بل كل نفس كما قيل:

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس   وإن تمنعت بالحجاب والحرس

قال لقـمان لابنه: يا بنى لا تؤخر التـوبة فإن الموت يأتى بغتـة. وقال بعض الحكماء: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل.

---

(١) الدُّوبَيْت: فن من فنون الشعر المعربة الخارجة على وزن أو تركيب البحـور الستة عشر، نقل من الفارسية إلى العربية، وهى كلمة من كلمتين: الأول بمعنى اثنين، والثانى بمعناها العربى ولا يقال منه إلا بيتان بيان فى أى معنى يريده الناظم.

(٢) **ضعيف جداً**. رواه ابن ماجه (١٠٨١) كـتاب الصلاة، باب: فى فرض الجمـعة. وفى سنده على بن زيد ابن جدعان وهو ضعيف كـما فى «التقريب» (٢/ ٣٧) وعبد الله بن محمد العـدوى، متروك، رماه وكيع بالوضع كما فى «التقريب» (٢/ ٤٤٨).

إلى الله تب قبل انقضاء من العمر	أخى ولا تأمن مفاجأة الأمر
ولا تستصمن عن دعائى فإنما	دعوتك إشفاقاً عليك من الوزر
فقد حذرتك الحادثات نزولها	ونادتك إلا أن سمعك ذو وقر
تنوح وتبكى للأحبة إن مضوا	ونفسك لا تبكى وأنت على الأثر

قال بعض السلف: أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين يشير إلى أن المؤمن لا ينبغى أن يصبح ويمسى إلاَّ على توبة فإنه لا يدرى متى يفجأه الموت صباحاً أو مساء، فمن أصبح وأمسى على غير توبة فهو على خطر لأنه يخشى أن يلقى الله غير تائب فيحشر فى زمرة الظالمين، قال الله تعالى: **﴿ومَنْ لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾**[1]. تأخير التوبة فى حال الشباب قبيح، وفى حال المشيب أقبح وأقبح.

نعى لك ظل الشباب المشيب	ونادتك باسم سواك الخطوب
فكن مستعداً لداعى الفنا	فكل الذى هو آت قريب
ألسنا نرى شهوات النفو	س تفنى وتبقى علينا الذنوب
يخاف على نفسه من يتوب	فكيف يكن حال من لا يتوب

فإن نزل المرض بالعبد فتأخيره للتوبة حينئذ أقبح من كل قبيح فإن المرض نذير الموت. وينبغى لمن عاد مريضاً أن يذكره التوبة والاستغفار فلا أحسن من ختام الأعمال بالتوبة والاستغفار، فإن كان العمل سيئاً كان كفارة له وإن كان حسناً كان كالطابع عليه. وفى حديث «سيد الاستغفار» المخرّج فى الصحيح[2] أن من قاله إذا أصبح وإذا أمسى ثم مات من يومه أو ليلته كان من أهل الجنة. وليكثر فى مرضه من ذكر الله عزوجل وخصوصا كلمة التوحيد فإنه من كانت آخر كلامه دخل الجنة. وفى حديث أبى سعيد وأبى هريرة عن النبى ﷺ: «أن من قال فى

(١) سورة الحجرات: آية ١١.

(٢) عن شداد بن أوس رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىَّ، وأبوء لك بذنبى، اغفر لى، فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت» قال: من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة. رواه البخارى (٦٣٠٦) كتاب الدعوات، باب: أفضل الاستغفار.

مرضه: لا إله إلا الله والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، لا إله إلاَّ الله ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله. فإن مات من مرضه لم تطعمه النار»[١]، خرَّجه النسائى وابن ماجه والترمذى وحسنه. وفى رواية للنسائى: «من قالهن فى يوم أو فى ليلة أو فى شهر ثم مات فى ذلك اليوم أو فى تلك الليلة أو فى ذلك الشهر غفر له ذنبه»، ويروى من حديث حذيفة عن النبى ﷺ: «من ختم له بقوله لا إله إلاَّ الله دخل الجنة، ومن ختم له بصيام يوم أراد به وجه الله أدخله الله الجنة، ومن ختم له بإطعام مسكين أراد به وجه الله أدخله الله الجنة»[٢]. كان السلف يرون: أن من مات عقب عمل صالح كصيام رمضان أو عقيب حج أو عمرة يرجى له أن يدخل الجنة، وكانوا مع اجتهادهم فى الصحة فى الأعمال الصالحة يجددون التوبة والاستغفار عند الموت، ويختمون أعمالهم بالاستغفار وكلمة التوحيد. لما احتضر العلاء بن زياد بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: كنت والله أحب أن أستقبل الموت بتوبة قالوا: فافعل رحمك الله فدعا بطهور فتظهر ثم دعا بثوب جديد فلبسه ثم استقبل القبلة فأَموماً برأسه مرتين أو نحو ذلك ثم اضطجع ومات، ولما احتضر عامر بن عبد الله بكى وقال: لمثل هذا الصرع فليعمل العاملون: اللهم إنى أستغفرك من تقصيرى وتفريطى وأتوب إليك من جميع ذنوبى لا إله إلاَّ الله، ثم لم يزل يرددها حتى مات رحمه الله. وقال عمرو بن العاص رحمه الله عند موته: اللهم أمرتنا فعصينا، ونهيتنا فركبنا ولا يسعنا إلاَّ عفوك لا إله إلا الله، ثم رددها حتى مات. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته أجلسونى فأجلسوه فقال: أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ولكن لا إله إلاَّ الله ثم رفع رأسه فأحد النظر فقالوا: إنك تنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين فقال: أتانى حضرة ماهم بإنس ولا جن ثم قبض رحمة الله عليه، وسمعوا تالياً يتلو: **﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾**[٣].

---

(١) **صحيح**. رواه النسائى فى «عمل اليوم والليلة» (٣٠، ٣١، ٣٤٨) والترمذى (٣٤٣٠) وابن ماجه (٣٧٩٤) وأبو يعلى (١٢٥٨) وعبد بن حميد فى «المنتخب من المسند» (٩٤٣و ٩٤٤) وابن حبان (٨٥٢ ـ احسان).

(٢) **صحيح**. رواه أبو نعيم فى «أخبار أصبهان» (١/٢١٨ ـ ٢١٩) والبيهقى فى «الأسماء والصفات» (ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤) وانظر «الصحيحة» (١٦٤٥).

(٣) سورة القصص: آية ٨٣.

يا غـافل القلـب عن ذكـر المنيـات عـمـا قليل سـتثـوى بين أمـوات
فـاذكر مـحلك من قـبل الحلول به وتب إلـى الله من لهـــو ولذات
إن الحـمـــام له وقت إلـى أجل فـاذكـر مـصـائب أيام وسـاعـات
لا تطمـئـن إلى الدنيـا وزينتـهـا قد حان للموت يا ذا اللب أن يأتى

التوبة التوبة قـبل أن يصل إليكم من الموت التوبة فيحـصل المفرط على الندم والخيـبة، والإنابة الإنابة قبل غلق باب الإجـابة، الإفاقة الإفـاقة فقـد قرب وقت الفاقة. ما أحسن قلق التواب، ما أحلى قدوم الغياب، ما أجمل وقوفهم بالباب:

أسأت ولم أحسن وجئتك هارباً وإنى لعبد من مواليه مهـــرب

يؤمل غفراناً فإن خاب ظنـــه فما أحد منه على الأرض أخيب

من نزل به الشيب فـهو بمنزلة الحامل التى تمت شـهور حملها فـما تنتظر إلاً الولادة كذلك صاحب الشيب لا ينتظر إلاً فقبيح منه الإصرار على الذنب.

أى شىء تريد منى الذنوب شغفت بى فليس عنى تغيب

ما يضر الذنوب لو أعتقتنى رحمة بى فقد علانى المشيب

ولكن توبة الشاب أحسن وأفضل فى حديث مرفوع خرَّجه ابن أبى الدنيا: «إن الله يحب الشـاب التائب»[1]. قال عـميـر بن هانىء: تقول التوبـة للشاب: أهلاً ومرحباً، وتقـول للشيخ: نقبلك على ما كان منك. الشاب ترك المعـصية مع قوة الداعى إليها، والشيخ قد ضعفت شـهوته وقل داعيه فلا يستويان فى بعض الآثار يقول الله عـزوجل: أيها الشاب التـارك شهوته المـبتذل شبـابه لأجلى أنت عندى كبعض ملائكتى. قال عمر: إن الذين يشتهون المعاصى ولا يعملون بها: **﴿أولئك الذى امتحن اللهُ قُلوبهم للتقـوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾**[2]. كم بين حال الذى **﴿قال معاذ الله ربِّى أَحسن مَثْواى﴾**[3] وبين شيخ عنين يدعى لمثل ذلك. كان عمر يعس بالمدينة فسمع امرأة غاب عنها زوجها تقول:

---

(١) ضعيف. رواه ابن أبى الدنيا فى «التوبة» ح (١٨٤) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه. وفى سنده أبى عاتكة البصرى، واسمه طريف بن سلمان وهو ضعيف كما فى « التقريب» (٢/ ٤٤٣).

(٢) سورة الحجرات: آية ٣. (٣) سورة يوسف: آية ٢٣.

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرقنى أن لا خليل ألاعبه
فوالله لولا الله لا شىء غيره لحرك من هذا السرير جوانبه
ولكن تقوى الله عن ذا تصدنى وحفظا لبعلى أن تنال مراكبه

فقال لها عمر يرحمك الله، ثم بعث إلى زوجها أمره أن يقدم عليها، وأمر أن لا يغيب أحد عن امرأته أكثر من أربعة أشهر وعشراً. الشيخ قد تركته الذنوب فلا حمد له على تركها كما قيل:

تاركك الذنب فتاركته بالفعل والشهوة فى القلب
فالحمد للذنب على تركه لا لك فى تركك للذنب

أما تستحى منّا لما أعرضت لذات الدنيا عنك فلم يبق لك فيها رغبة، وصرت من سقط المتاع لا حاجة لأحد فيك، جئت إلى بابنا فقلت: أنا تائب ومع هذا فكل من أوى إلينا آويناه، ومن استجار بنا أجرناه، ومن تاب إلينا أحببناه: أبشر فربما يكون الشيب شافعاً لصاحبه من العقوبات. مات شيخ كان مفرطاً فرؤى فى المنام فقيل له: ما فعل بك قال: قال لى لولا أنك شيخ لعذبتك. وقف شيخ بعرفة والناس يضجون بالدعاء وهو ساكت ثم قبضَ على لحيته وقال: يا رب شيخ يرجو رحمتك.

لما أتونا والشيب شافعهم وقد توالى عليهم الخجل
قلنا لسود الصحائف انقلبى بيضا فإن الشيوخ قد قبلوا

كان بعض الصالحين يقول:

إن الملوك إذا شابت عبيدهم فى رقهم عتقوهم عتق أبرار
وأنت يا خالقى أولى بذا كرماً قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار

أيها العاصى ما يقطع من صلاحك الطمع ما نصبنا اليوم شرك المواعظ إلاً لتقع، إذا خرجت من المجلس وأنت عازم على التوبة قالت لك الملائكة الرحمة: مرحباً وسهلاً، فإن قال لك رفقاؤك فى المعصية: هلم إلينا، فقل لهم: كلا ذاك خمر الهوى الذى عهدتموه قد استحال خلا يا من سوّد كتابه بالسيئات قد آن بالتوبة أن تمحو يا سكران القلب بالشهوات أما آن لفؤادك أن يصحو.

يا ندامای صحا القلب صحا فاطردوا عـنی الصبـا والمرحا

زجر الوعظ فـؤادی فارعوی وأفـاق القلب منی وصـحـا

هزم العـــزم جنوداً للهـــوی فاسدی لا تعجـبوا إن صلحا

بادروا التوبة مـن قبل الردی فـــمناديه ينـادينا الوحـــا[1]

●●●●●

آخر الكتاب، والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) الوحا: السرعة.


فهرس الموضوعات